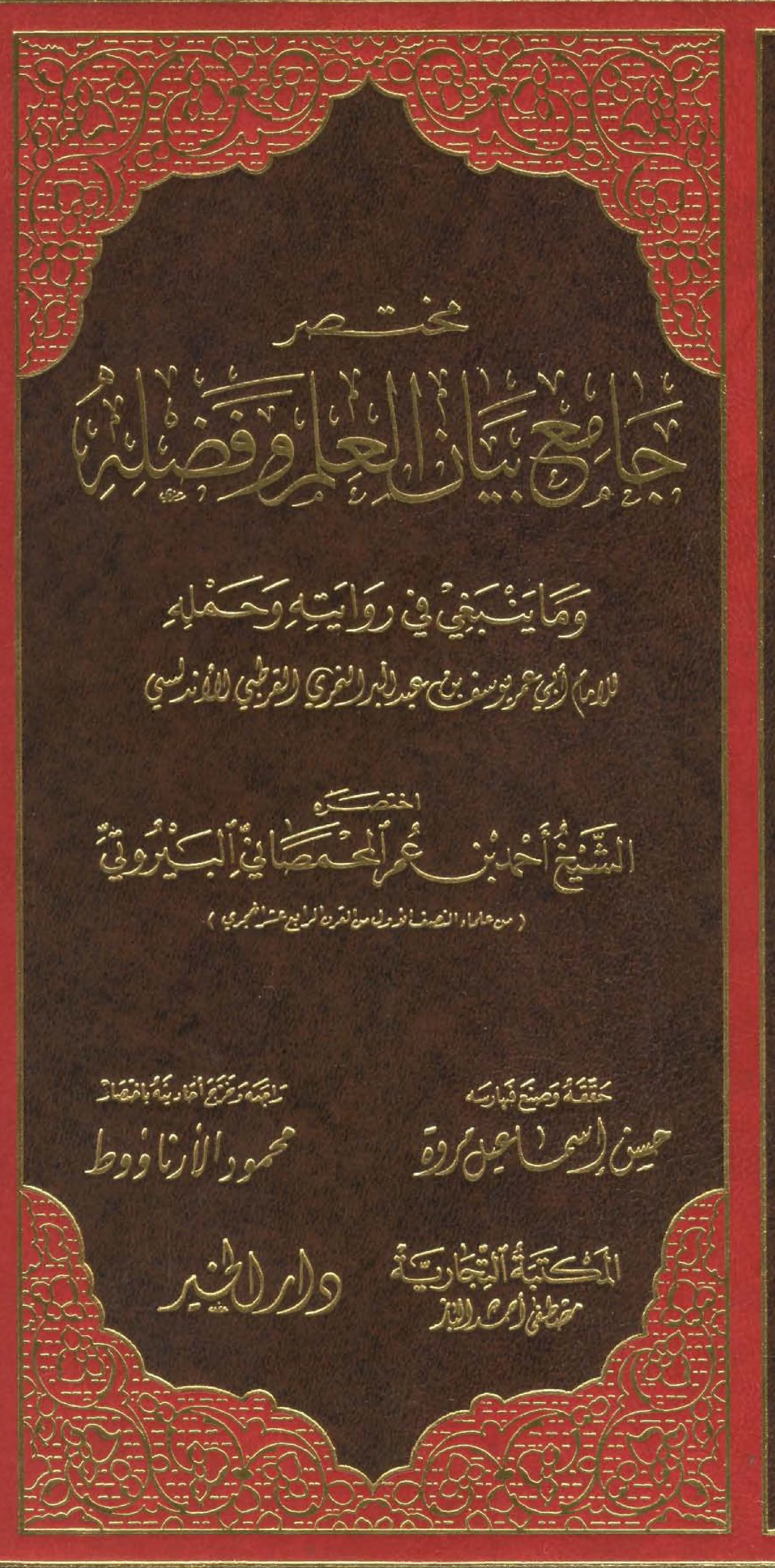


مختصر
جامع بيان العلم وفضله
وما ينبغي في روايته وحمله
للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي
اختصره
الشيخ أحمد بن عمر المحمصاني البيروتي
(من علماء النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري)
حققه وصنع فهارسه
حسين إسماعيل مروة
راجعه وخرج أحاديثه باختصار
محمود الأرناؤوط
المكتبة التجارية
مصطفى أحمد الباز
دار الخير


مختصر
جامع بيان العلم وفضله

مختصر

جامع بيان العلم وفضله

وما ينبغي في روايته وحمله

للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي

اختصره

الشيخ أحمد بن عمر المحمصاني البيروتي

(من علماء النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري)

حققه وصنع فهارسه

حسن إسماعيل مروة

راجعه وخرج أحاديثه باختصار

محمود الأرناؤوط

دار الخير

المكتبة التجارية

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ ~ ١٩٩٢ م



بيروت - قريات - جنوب سيار الدرك - بناء الشامي
هاتف : ٨١٠٥٧١ - ٨٦٥٦٩٧ - ص . ب : ١١٣/٥٦٣٠
فاكس : ٨٦٥٦٩٧ - تلكس : ٢١٦٣٢

دمشق - حلبوني - جادة الشيخ تاج
هاتف: ٢٤٥٨٢٢ - ٧٥١٩١٥ - ص . ب : ١٣/٤٩٢
تلكس : سامتل سي : ٤١١٣٧٣



المركز الرئيسي ٥٧٤٩٠٢٢ فاكس، هاتف
فرع النزهة ٥٤٥٩٨٥٠ . ٥٧٤٥٠٤٤
فرع الجامعة ٥٥٨١٥٨٤
المستودع ٥٣٧٢٣٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم.

والصَّلاة والسَّلام على معلِّم الناس الخير سيدنا وقُدوتنا وقُرَّة أعيُننا محمد المبعوث بخير الرِّسالات لخير الأُمم. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى من اتبع هديه، واقتفى آثاره، وعمل بسُنَّته وتعاليمها إلى يوم الدِّين.

وبعد: فقد بيَّن القرآن الكريم المكانة الرَّفيعة للعلم وأهله في آيات كثيرة، وأشارت السُّنة النبوية إلى محلِّ العلم ومكانة العلماء في عدد كبير جداً من الأحاديث الشريفة، فقام الإمام الحافظ عَلَمُ علماء الأندلس في عصره يوسف بن عبد الله بن عبد البرِّ النَّمري القرطبي الأندلسي المتوفى سنة (٤٦٣ هـ)[1] بلم شتاتها في مصنَّفه الجليل «جامع بيان العلم وفضله» وساق معظم الأحاديث والآثار التي احتوى عليها كتابه بسنده الخاص؛ مما رفع من شـأن مُصَنَّفه، وعزَّز الثقة به لدى جماهير العلماء ممن جاء بعده، بغض النظر عما في تلك الأسانيد من الكلام من جهة الاتصال والانقطاع، ومما قيل في رجال الإسناد عنده توثيقاً أو تضعيفاً، فأصبح كتابه عمدة كل مؤلِّف ومحقِّق وباحث يعمل في هذا الاتجاه.

(١) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٥/٢٦٦ ـ ٢٦٩). بتحقيقي وإشراف والدي الأستاذ المُحَدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله، طبع دار ابن كثير بدمشق.

وقد طبع كتاب ابن عبد البرّ في إدارة الطباعة المنيرية بمصر بإشراف العالم الفاضل الشيخ محمد منير الدمشقي رحمه الله قبل سنوات طويلة بمجلد واحد مؤلَّف من جزأين، ولكن طبعته جاءت بحرف صغير مضغوط بشكل لا يسمح للقارىء الجاد أن يألف المطالعة فيه. وطبع بعد ذلك طبعة أخرى في المكتبة السَّلَفيَّة في المدينة المنورة، فجاءت طبعته الثانية أفضل من الأولى من جهة الإخراج الطباعي، وأما ما يتصل بخدمة الكتاب والعناية به وبنصوصه فلم تزد بشيء يذكر على طبعة المنيرية.

مختصر جامع بيان العلم وفضله موضوع هذا التقديم:

لقد شاء الله عزّ وجل أن يَخْتَصِرَ هذا الكتاب عالمٌ بيروتيٌّ فاضلٌ هو الشيخ أحمد بن عمر المَحْمَصَانيّ، وأن يُنشر مُخْتَصَرُه قبل الأصل. وقد اقتصر مؤلِّف «المختصر» في اختصاره للأصل على حذف أسانيده مع الإبقاء على بعض من لا بد من الإبقـاء عليه من الـرُّواة، وحَذَفَ المكررات. وأضاف إلى الأصل بعض الإضافات اليسيرة دون التنبيه عليها. وعُني بضبط المُشكل من ألفاظ الأصل، وشرح بعض الألفاظ الغريبة، وعرَّف بمؤلِّف الأصل ابن عبد البرّ، وبالأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب، وقدَّم بين يدي «المختصر» مقدمة موجزة بيَّن عمله فيها. وتوج عمله في اختصـار الكتاب وإخـراجه بـوضع إشـارات على هـوامش الصفحات للدلالة على الموضوعات الهامة فيه وبحروف صغيرات سوداء ضمن هـلالات، وقد أبقينـا على تلك الإشارات في مـواضعها من «المختصر» في طبعته هذه، والله أسأل أن يجزي الشيخ المَحْمَصَانيَّ خير الجزاء يوم الحساب كفـاء عمله المشكور المبرور.

هذه الطبعة من «المختصر» وما تمَّ من العمل فيها:

لقد مضى على إخراج طبعة «المختصر» الأولى أكثر من ثمانين عاماً[1] مما جعلها عزيزة الوجود بين أيدي العلماء وطلبة العلم في هذه الأيام، الأمر الذي حملني على تقديم نسختي من طبعته الأولى إلى صاحبي وصديقي الأستاذ حسن إسماعيل مَرْوَة لإعداد «المختصر» لطبعة علمية جديدة رغبة مني في إشاعة العلم وكسب الثواب من ربِّ الأرباب، فقام ـ نفع الله تعالى به ـ بخدمة الكتاب خدمة جيدة يُشكر عليها، وأخرجه بأسلوب جيد جعله أكثر ضبطاً وإتقاناً عما كان عليه في طبعته الأولى. وفصَّل النصوص ووزعها توزيعاً فنيّاً، وعَرَّف بمن فات المُخْتَصِرَ التعريف به من الأعلام، ورقَّم الآيات القرآنية، وميَّز نصوص الآيات فجعلها بحروف سوداء، وعرَّف بالمُخْتَصِرِ تعريفاً موجزاً، وأعدَّ للكتاب فهارس عِدَّة تُسَهل أمر الانتفاع به، فجزاه الله تعالى خير الجزاء وأحسن إليه.

وقد قمت ـ تطبيقاً للمنهج الموضوع لإخراج المختصر ـ بمراجعة نصوص الكتاب بكاملها، وردّ الأحاديث الواردة في «المُخْتَصَر» إلى الأصل، مع بيان أرقام الصفحات الواردة فيها في جزأيه، والإشارة إلى من شارك ابن عبد البرّ في تلك الأحاديث من الأئمة الحُفّاظ في مواطن قليلة بقدر ما سمح لي الوقت[2]، وأضفت بعض التعليقات إلى تعليقات الأستاذ مَرْوَة، وجعلت ما كتبته من التعليقات مختومة بحرف (م) تمييزاً لها عن تعليقات الأستاذ المحقّق.

---

(١) انظر «معجم المطبوعات العربية» لسركيس (١٧٠٢/٢).

(٢) وسوف أقوم بتخريج جميع النصوص الحديثية والكلام عليها في طبعة قادمة للمختصر إن شاء الله تعالى.

وأسأل الله عزَّ وجل أن يجعل العمل في هذا «المختصر» من الأعمال المقبولة لديه يوم العرض عليه، وأن ينفع به طلبة العلم من المسلمين، وأن يغفر لي ولمحقِّقه وناشره، ولجميع المسلمين، وأن يهديني لمااختُلف فيه من الحقّ بإذنه، إنه سميع قريب مجيب، وآخر دعواي أن الحمد لله ربِّ العالمين.

دمشق في غرة شهر شعبان المعظم لعام ١٤١٢ هـ.

محمود الأرناؤوط

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

﴿الحَمدُ للَّهِ الَّذي أَنْزَلَ على عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَاً، قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْسَاً شَدِيْداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمؤمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً، ماكِثِيْنَ فِيْهِ أَبَداً﴾.

والصّلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطّيبين الطّاهرين.

أما بعد: لما كان العلم قبسة من نور الله تعالى؛ فقد خصَّه بكثير من الفضائل، فذكره في كتابه العزيز في ألف موضعٍ أو تزيد، كما خصّ طالبه، وحامله، وناشره بالمراتب العُليا، وكان أوّل خطاب خاطب به نبيه ﷺ الأمر بالقراءة والتعلُّم فقال ـ جلّ شأنه ـ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِيْ خَلَق، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَق، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَم، الَّذِيْ عَلَّمَ بِالْقَلَم، عَلَّمَ الأِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم﴾ (سورة العَلَق: ١ ـ ٥) ثم أكد ـ جلّ شأنه ـ أن النّاس فئات ومَرَاتب، وأشار إلى أن أرباب العلم أعلى النّاس منزلةً، ولا يُدانيهم أحدٌ من خلق الله بعد الأنبياء فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِيْنَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِيْنَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر: ٩).

وأفضل العلم وأعلاه العلم بكتاب الله ثم بسنَّة نبيّه المُطَهَّرة، وما يعين على فهمهما من علوم العربية وما يتصل بها، ثم تأتي من بعد ذلك سائر العلوم الأمثل فالأمثل بمقدار نفعها للمرء في معاشه وفي معاده.

ولقد حثّ الله ـ عزَّ وجل ـ نبيه خاصة والنّاس عامة على العلم والتزوّد منه والحرص على طلبه دائماً بقوله تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (سورة طه: ١١٤).

والعلماء من كل أُمَّةٍ ـ ونعني العلماء الحقيقيين الذين فهموا الحياة حق الفهم ـ بحركة الكون وعلاقة الإنسان فيه، وكشف أسراره، والتعرف على نواميسه ازدادوا منه قرباً وخشية، فقال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللَّهَ من عبادِهِ الْعُلَماءُ﴾ (سورة فاطر: ١٨).

ولما كانت هذه الفضائل مجتمعة تتمركز حول العلم؛ فضلِه ومرتبتِه، وما أعد الله لطالبه وناشره والعامل به من خيري الدنيا والآخرة فقد صح العزم منا على إخراج هذا الكتاب القيم الذي اختصره الشيخ أحمد بن عمر بن محمد بن غنيم المحمصاني البيروتي الأزهري ـ رحمه الله ـ عن كتاب الإمام المجتهد حافظ المغرب أبي عمر يوسف بن عبد البر النَّمري القرطبي الأندلسي:

«جامع بيان العلم وفضله»

فقد طبع هذا «المختصر» عام ١٣٢٠ هـ بمصر، طبعة جيدة على يد مختصره ولكنها غير متوافرة بين يدي القراء، ولم تراعَ فيها قواعد التحقيق الحديثة التي تقدّم العمل للقارىء بسهولة ويسر.

لذا فقد قمنا بإعادة إخراج هذا الكتاب متحرّين في ذلك الدّقّة والأمانة قدر المستطاع.

عملنا في الكتاب:

كان اعتمادنا في تحقيق الكتاب على نسخة من طبعته المشار إليها قبل قليل، وقد حصلنا عليها من مكتبة الأستاذ محمود الأرناؤوط جزاه الله خيراً، فقد آثرنا به على نفسه وتفضل بوضع المنهج المتبع في التحقيق، وقد قدّمنا المتن بإخراج جديد راعينا فيه قواعد الضبط والتفصيل لما جاء فيه.

أما التعليقات التي أثبتها المُخْتَصِرُ فقد آثرنا تركها برُمتها على ما فيها من

ترجمات لأعلام مشهورين أغنياء عن التعـريف مميزة بحروف سوداء، تقديراً منا لما بذله من جهد في خدمة الكتاب حسن الله إليه.

أما تعليقاتنا فهي التي وردت في الحواشي بحروف بيضاء مميزة عن تعليقات المُخْتَصِر.

وفيما يتعلق بالأسماء فقد اكتفينا بالإحالة على رقم الجزء والصفحة مما أشار إليه المختصر من المصادر بوضعه بين حاصرتين [ ]، وربما أضفنا إليها مصادر أخرى تبيّنُ وتفيد في دراسة حياة المُتَرجم له.

وفيما يتعلق بالفهارس فقد حرصنا كل الحرص على أن تكون وافية شاملة لكل ما في الكتاب من الفوائد. فاشتملت على فهارس:

- الآيات.
- الأحاديث.
- المسانيد.
- الأماكن والبلدان.
- أسماء الكتب الواردة في المتن.
- مصادر ومراجع التحقيق.

ثم قمنا بإثبات الترجمة التي كتبها العـالم الفاضـل الشيخ محمـد منير الدمشقي المتوفى في القاهرة سنة (١٣٦٧ هـ). في كتابه «نموذج من الأعمال الخيرية» بتمامها معزوّةً إليه، فهو ممن عَرَفَ المُخْتَصِر معرفةً شخصيةً وأحقّ الناس بأن يُنسب التعريف به إليه.

هذا وقد تولى مراجعة الكتاب عقب فراغنا من العمل فيه الأستاذ محمود الأرناؤوط، فقام بتخريج الأحـاديث في أصل الكتـاب، ونعني به كتـاب ابن عبد البرّ، وربما زاد في التخريج فأشار إلى مصادر أخرى للأحاديث، وأضاف إلى تعليقاتنا على الكتاب عدداً من التعليقات النافعة، وقد ختم تعليقاته وتخريجاته بحرف (م) تمييزاً لها، وتفضل بالتقديم للكتاب.

ذلك ما قمنا به من عمل في هذا الكتاب راجين من الله ـ عز وجلَّ ـ أن يوفقنا لإخراج المزيد من المصنّفات التراثية ذات النّفع العام لجميع طبقات الأُمَّة، والله من وراء القصد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

دمشق المحروسة في التاسع من شهر شعبان لعام ١٤١٢ هـ

حسن إسماعيل مَرْوَة

ترجمة المختصر(*)

بقلم الشيخ محمد منير الدمشقي(١)

هو الشيخ أحمد بن عمر بن محمد غُنَيم المَحْمَصانيّ الأزهريّ، من أهالي بيروت.

تلقى علومه في بلده قبل سفره إلى مصر وحضوره إلى الأزهر الشريف عن أجلاء علماء بيروت ونبغائها، ثم رحل إلى الأزهر وحضر دروس الأستاذ الشيخ محمد عبده المصري، ونبغ عليه، وتخرَّج، وكان ملازماً له في دروسه كُلِّها، وقدّم للشهادة العالمية، ودخل الامتحان فلم ينجح لأسبَاب يطول ذكرها، غالبها أحوال شخصية، وكان وقتئذ ممن يستحق أخذ الشهادة والتدريس لأنه كان اختصر كتاب:

«جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله»

للإمام المُحَدّث والفقيه المجتهد حافظ المغرب أبي عمر يوسف بن عبد البرّ النّمري القرطبي الأندلسي، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ، شيخ علامة المعقول والمنقول ابن حزم سنة ١٣١٩ هـ وطبعه ١٣٢٠ هـ، ولا يخفى على عاقل أنّ من يختصر الكتاب وينقحه ويضع عليه تفسيرات وتقييدات لا يصح أن يكون غير أهل علم، ولا شك أن كثيراً ممن أخذ الشهادة ذاك العام لا مقدرة عنده على ذلك بل ولا أقل من هذا.

وقد أخذ أيضاً عن الأستاذ اللُّغوي المحقّق الشيخ محمد محمود التلاميد

(*) انتُزعت من كتاب «نموذج من الأعمال الخيرية» ص (٩٣).

(١) مترجم في «الأعلام» (٧/٣١٠) الطبعة السادسة.

التركزي الشنقيطي ثم رجع صاحب الترجمة إلى بيروت وتولى وظائف كثيرة، والآن هو مقيم في بيروت، وعضو في جمعية المقاصد الخيرية في بيروت، ومدرس في المدارس الثانوية الرسمية، وخطيب في جامع السّرايا، وهو من أهل العلم والأدب ولا سيما في الخطابة، فإنه الخطيب المصقع.

ومن قوله:

أَخَا العِلمِ بادِرْ للمَعَالي ولا تَنِ وجِدَّ إلى أنْ تبلغ الغايةَ القُصْوىٰ
وما العلمُ إلّا ما أفادَكَ قوة تنالُ بها عزّاً وتنقادُ للتَّقْوىٰ

توفي في بيروت بعد ١٣٤٩ هـ.

نقول: وقد ذكر الزركلي ـ رحمه الله ـ في «الأعلام» (١/١٨٩) أنّ للمَحْمَصاني كتاباً آخر هو: «تحذير الجمهور من مفاسد شهادة الزُّور» وهو رسالة كتبها سنة (١٣٢٧ هـ).

وانظر أيضاً:

١ ـ «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة: ٢/٣٤.

٢ ـ «معجم المطبوعات العربية والمعربة» لإلياس سركيس: ١٧٠٢.

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة المختصر

الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا مُحمَّدٍ وسَائرِ النَّبيِّين، وآل كلٍّ، والتَّابعين لهم بإحسَانٍ إلى يوم الدِّين.

أما بعد: فيقول الفقير أحمد بن عمر بن محمد غُنَيم المَحْمَصَاني البَيرُوتي الأزْهَري: قد يسَّر الله لي الاطِّلاع على كتاب «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله» تأليف الإمام المجتهد، الفقيه، الحافظ أبي عُمَر يُوسف بن عَبْد الله بن محمد بن عَبْدِ البَرِّ النَّمَري، فوجدته كتاباً حافلاً لا يستغني طالبُ العِلم عن فوائده الجمَّة وفرائده المهمَّة، فأعملت الفِكْرَ في تلخيص ذلك، مع الحِرْص على الإتيان بجمله وعباراته في أكثر الأبواب كما هي؛ لما فيها من المتانة، والبراعة، والفصاحة، والبلاغة، ولم أحذف منه سوى الأسانيد، وما تكرَّر في بعض الفصول والأبواب، أو ما يُستغنى عنه بغيره، ليَسْهُلَ تناولُه، واكتفاءً بما لا بُدَّ منه.

ويرى النَّاظر في هذا «المختصر» أنه قد احتوى على ما ينبغي معرفته والعمل به لأهل العلم وطلَّابه، كما أنه قد جمع كثيراً من أقوال أعاظم الصَّحابة والتَّابعين ـ رضي الله عنهم ـ ومن جاء بعدهم من أئمة الدِّين وحِكَمِهم الغرَّاءِ، مما يجدر بالطالب المستفيد أن يجعلها نُصْب عينيه ولا يغفل عنها، ويُجْهد نفسه في الاقتداء بهم والاهتداء بهَدْيهم، حتَّى يتحصَّل على اليقين في عِلْمِه والبَصِيرة في دينه ﴿قُلْ هٰذِهِ سَبِيْلِي أَدْعُـو إِلَى اللَّهِ على بَصِيْرَةٍ أَنـا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَـانَ اللَّهِ وَمَـا أَنَـا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ﴾[1].

---

(١) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

ترجمة المؤلف:

ويجدُ المطَّلعُ على هذا الكتاب أنّه جَمَعَ من المواضيع الجليلة الرائعة، والآثار السَّاطعة ما لا يوجد في كتبٍ كثيرةٍ، فهو مدينةُ علمٍ ينيرها الحقُّ والبُرْهَانُ، وروضةُ فهم يغتذي منها العقلُ ويرتع فيها الوجدان، وليس الخَبَرُ كالعَيَان، فها هو يُفْصِحُ عن نفسه ويَدُلُّ على عظيم نفعه، كما أنه يعرِّفنا مقدارَ اعتناءِ السَّلَف باستطلاع الحقائق والإنصاف في العلم، واستقلال الفكر والإرادة، ومعرفة الرِّجال بالحقِّ، فلا بِدْعَ أن يكون هذا الكتاب خزانةً لعلمهم ومعرضاً لأفكارهم، رحمهم الله.

وقد اعتنيت بضبط ألفاظه الغريبة وإيضاحها، مع ترجمة كثير من الأعلام والرُّواة المذكورين في غضون جُمَله وعباراته؛ إتماماً للفائدة وحرصاً على الازدياد من الخير والعلم.

وأسألُ اللَّهَ أن ينفعَ به كما نفع بأصله، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه على ما يشاء قدير، آمين.

وقبل الشّروع في المقصود نذكر طرفاً من ترجمة المؤلِّف بياناً لعظيم منزلته، ورِفْعَة قدره لدى أهل العلم سابقهم ولاحقهم، وتنويهاً بما له من المؤلّفات الجليلة فنقول:

هو الإمام، أحد الأعلام، حافظ المَغْرب، أبُو عمر يُوسف بن عَبْد الله بن محمد بن عَبْد البَرِّ بن عاصم النَّمَري[1] القرْطبي[2] ينتهي نسبه إلى النَّمِر بن قَاسط من ربيعة[3].

---

(١) قال ابن خلّكان في «وفيات الأعيان» (٧/٧١) النَّمَرِيُّ بفتح النون والميم، وبعدها راء هذه النسبة إلى النّمر ابن قاسط، بفتح النون وكسر الميم، وإنما تفتح الميم في النسبة خاصة وهي قبيلة مشهورة. (م).

(٢) انظر ترجمته ومصادرها في: «وفيات الأعيان» (٧/٦٦ - ٧٢) و«سير أعلام النبلاء» (١٨/١٥٣ - ١٦٣) و«الأمصار ذات الآثار» ص (٥١ - ٥٢) و«شذرات الذهب» (٥/٢٦٦ - ٢٦٩) و«الأعلام» (٨/٢٤٠) الطبعة السادسة، و«معجم المؤلفين» (١٣/٣١٥ - ٣١٦). (م).

(٣) هو النَّمِر بن قاسط بن هنب بن أفْصىٰ بن دُعْمَى، من أسد بن ربيعة، جدٌّ جاهلي كان له بالمدينة عقب كثير. «جمهرة الأنساب» (٢٨٣) و«الأعلام» (٨/٤٨).

ولد بقرطبة لخمس بقين من ربيع الآخر سنة (٣٦٨ هـ) ونشأ بها وتفقه، ولزم أبا عمر أحمد بن عَبْد الملك بن هَاشم الفقيه الإشبيلي، وكتب بين يديه ولزم أبا الوليد بن الفَرَضي الحافظ، وعنه أخذ كثيراً من علم الأدب، والحديث، ودأب في طلب العلم، وأفتى به، وبَرَعَ براعة فاق فيها من تقدَّمه من رجال الأندلس، مع أنه لم يخرج عنها. وسمع من أكابر أهل الحديث بقرطبة وغيرها، وروى بقرطبة عن أبي القاسم خلف بن القاسم الحافظ، وعبد الوارث بن سفيان، وسعيد بن نصر، وأبي محمد بن أسد[1] وأبي عمر البَاجي[2] وأبي زكريا الأشعري، وأحمد بن فتح [بن][3] الرَّسَّان، وأبي عمر الطَّلَمَنْكي، وأبي المطرف القَنَازعي، والقاضي يونس بن عبد الله، وغيرهم. وكتب إليه من المشرق أبو القاسم السَّقْطي المكّي، وعبد الغني بن سعيد [الأَزْدي][4] الحافظ، وأبو الفتح بن سِيْبُخت، وأحمد بن نصر الدَّاوُدي، وأبو ذر الهَرَوي، وأبو محمد بن النحَّاس المِصْري، وغيرهم.

وكان الإمام أبو الوليد البَاجي[5] يقول: لم يكن بالأندلس مثلُ أبي عمر بن عبد البرّ في الحديث، وهو أحفظ أهل المغرب.

وروى عنه غير واحد من الأئمة منهم: طاهر بن مُفَوِّز، وأبو بحر سفيان بن العاص، وابن أبي تَلِيد، وأبو علي الغسَّاني، وأبو داود سليمان بن نجاح، وأبو الحسن بن موهب، وجماعات.

وكان موفّقاً في التأليف معاناً عليه، ونفع الله بتآليفه، وكان مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث، له بَسْطَةٌ كبيرةٌ في علم النَّسب والخبر، وليس

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهني البَزَّاز أبو محمد، انظر ترجمته في: «جذوة المقتبس» (٢٥١ - ٢٥٢). (م).

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي، أبو عمر، يعرف بابن البَاجي. انظر «جذوة المقتبس» (١٢٨ - ١٢٩). (م).

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من «سير أعلام النبلاء» (١٥٥/١٨).

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من «وفيات الأعيان» (٢٢٣/٣).

(٥) هو سليمان بن خلف التُّجيبي القرطبي، المتوفّى سنة (٤٧٤). انظر «شذرات الذهب» (٣١٥/٥ - ٣١٦). (م).

لأهل المغرب أحفظ منه، مع الثقة التَّامة، والدِّين، والنزاهة، والتبَحُّر في الفقه، والعربية، والسِّيَر.

جُلي عن وطنه ومَنْشَئِهِ قُرْطُبَة، فكان في الغرب مدةً، ثم تحوَّلَ إلى شرق الأندلس، وتولى قضاء لَشْبُونَةَ في أيام ملكها المظفّر بن الأفطس، وسكن منه دَانِيَةَ، وبَلَنْسِيَّةَ، وشَاطِبَةَ وبها توفي، رحمه الله، في آخر ربيع الآخر، ودفن يوم الجمعة لصلاة العصر من سنة (٤٦٣ هـ) وصلى عليه تلميذه طاهر بن مُفَوِّز المَعَافِري.

أما تآليفه فهي:

١ ـ كتاب «التمهيد بما في الموطَّأ من المعاني والأسانيد[١]» رتَّبه على أسماء شيوخ مالك على حُرُوف المعجم، وهو كتاب لم يتقدمه أحد إلى مثله. قال أبو محمد بن حزم: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه.

٢ ـ كتاب «الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار»[٢] شرح فيه «الموطأ» على وجهه.

٣ ـ كتاب «جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله»[٣] ويكفي في البيان عنه هذا المختصر الذي نحن بصدده.

٤ ـ كتاب «الاستيعاب[٤] في أسماء الصحابة» المذكورين في الروايات والسِّيَرَ

---

(١) يوجد في الكتبخانة المصرية ثلاثة أجزاء في علم الحديث.

قلت: وقد طبع منه في المغرب ثمانية عشر مجلداً محققة تحقيقاً يفتقر إلى الضبط والإتقان.

(٢) موجود في الكتبخانة المصرية منه نسخة في مجلدين نمرة (٢٤) من علم الحديث وبها خروم ويوجد في رواق المغاربة بالأزهرية منه نسخة وبها خروم أيضاً.

قلت: وقد طبع المجلد الأول منه في القاهرة سنة (١٣٩١ هـ). (م).

(٣) وهو موجود بكتبخانة الأزهر الشريف ومنها اختصرت هذا «المختصر» وفي الكتبخانة المصرية نسخة بنمرة (٣١٣) من علم التصوف.

قلت: وهو أصل هذا «المختصر» وقد طبع في إدارة الطباعة المنيرية في مصر. وقد حُلِّيت هوامش صفحاته الأولى بتعليقات نافعة. (م).

(٤) موجود في الكتبخانة المصرية منه أجزاء في علم مصطلح الحديث. =

والمصَنَّفات، والتعريف بهم، وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم، على حروف المعجم، في أربعة أسفار، وهو كتاب حسن كثير الفائدة، وأهل المشرق يستحسنونه جداً ويقدمونه على ما أُلِّف في بابه.

٥ - كتاب «الدُّرَر في اختصار المغازي والسِّير»[١] سفْرٌ واحد.

٦ - كتاب «الشواهد في إثبات خَبَر الواحد» جزء.

٧ - كتاب «التقصّي لما في الموطأ من حديث رسول الله ﷺ» مجلد.

٨ - كتاب «أخبار أئمة الأمصار» سبعة أجزاء.

٩ - كتاب «البيان عن تلاوة القرآن». جزء.

١٠ - كتاب «التجويد والمدخل إلى علم القراءات بالتجريد» جزآن.

١١ - كتاب «الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء» بتوجيه ما اختلفا فيه جزء.

١٢ - كتاب «الكافي في الفقه على مذهب أهل المدينة» ستة عشر جزءاً.

١٣ - كتاب «اختلاف أصحاب مالك بن أنس واختلاف رواياتهم عنه» أربعة وعشرون جزءاً.

١٤ - كتاب «العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم عن الحكماء والعلماء» جزء واحد.

١٥ - كتاب «الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف في قراءة البسملة» وهو عبارة عن كُرَّاسين، ورأيت منه نسخة في رواق المغاربة بالأزهر الشَّريف.

= قلت: واسم الكتاب هو «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» وهو مطبوع في مصر بتحقيق الشيخ محمد علي البجاوي. (م).

(١) موجود بالكتبخانة المصرية بنمرة (٥٢٣) من علم التاريخ.

قلت: وقد طبع في مصر والشام ولبنان طبعات مختلفة، أحدثها التي صدرت في دمشق بعناية الأستاذ الدكتور مصطفى البُغا. (م).

١٦ ـ كتاب «بهجة المجالس وأنس المُجَالس»[١] مما يجري في المذاكرة من غرر الأبيات ونوادر الحكايات مجلدان، امتدحه ابن خَلِّكان، ونقل منه طُرَفاً منها:

أن أعرابياً سبَّ آخر، فسكت، فقيل له: لم سكت عنه؟ فقال: ليس لي علم بمساوئه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه.

وقال علي بن الحسين، رضي الله عنهما: إذا قال فيك رجل ما لا يعلم فيك من الخير، يوشك أن يقول فيك ما لم يعلم من الشرِّ.

وقال أزدشير: احذروا صولَة الكريم إذا جاع، واللئيمَ إذا شبع، واعلموا أنّ الكرام أصبرُ نفوساً واللئامَ أصبرُ أجساماً.

ومنها: قال: الهيثم بن عديّ، قال لي صالح بن حيّان: مَن أفقه الشعراء؟ فقلت: اختلفوا في ذلك. فقيل: أفقه الشعراء وَضَّاحُ اليمن[٢] حيث يقول:

إذا قُلْتُ هَـاتِي نَـوِّلِـيْـني تَبَسَّمَـتْ ... وقـالَتْ مَعاذَ اللَّهِ مِنْ فِعْـلِ ما حَـرُمْ
فمـا نَـوَّلت حَتَّى تَضَـرَّعْتُ عِنْدَهـا ... وأَعْلَمْتُهـا مَـا أَرْخَصَ اللَّهُ في اللَّمَمْ

وله مؤلّفات كثيرة لم نعثر على أسمائها، اهـ ملخصاً من كتاب «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم» لأبي القاسم خلف بن عبـد الملك بن بشْكُوال و «تاريخ ابن خَلِّكان»[٣] و «بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس» لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عُمَيْرَةَ الضبيِّ، و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي.

---

(١) موجود في نسخة الكتبخانة المصرية نمرة (٤٣٤) من علم الأدب وبها خرم.

قلت: وقد طبع في مصر في ثلاث مجلدات كبار بتحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي ـ رحمه الله ـ وهو من خيرة كتبه. (م).

(٢) وضاح اليمن: هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن كلال من آل خولان من حمير، شاعر رقيق الغزل، عجيب النسيب، جميل الطلعة، يتقنّع في المواسم.

قال يوسف بن الماجشون: أنشدت محمد بن المنكدر قول وضّاح ـ وذكر هذا البيت ـ قال: فضحك، وقال: إن كان وضاح إلّا مفتياً لنفسه.

انظر «الأغاني» (٦/٢٠٩) و «الوفيات» (٧/٦٩) و «الفوات» (٢/٢٧٢).

(٣) قلت: وهو المعروف بـ «وفيات الأعيان». (م).

وقد نقلت من خط شيخنا العلاّمةُ المحقّق الشيخ محمد محمود بن التلاميد التُّرْكُزِي الشِّنْقِيطي[1]، حفظه الله، مما كتبه على نسخته من هذا الأصل ما نصه:

الحمد لله تعالى وحده. قلت: قال الحافظ السُّبكي يمدحُ كتب أبي عمر يوسف الحافظ ابن عبد البرّ النَّمري، ولقد صدق وأحسن وأجاد وأفاد:

قُـل للّذي طَلَبَ الحـديثَ مُسَـافِـراً   في البَحْـر يَبْغي الكتبَ بعـد البِـرِّ
فعليـكَ كتبـاً في الحـديث أجـادَهـا   بـالغـربِ حـافـظُهُ ابنُ عَبْـدِ البـرِّ

* *

(١) كان علاّمة عصره في اللغة والأدب، شاعر أُمويّ النسب، اشتهر والده بالتلاميد، تصحيف «التلاميذ» فعرف بابن التلاميد، مات سنة (١٣٢٢ هـ). انظر «الوسيط في تراجم شنقيط» (٣٨١ - ٣٩٧) و «الأعلام» (٧/٨٩ - ٩٠). (م).

خطبة المؤلِّف

الحمدُ لله المبتدي بالنِّعم[1]، بارىءِ النَّسم، ومُنْشر الرِّمم، ورازق الأُمم، الّذي علَّمنا ما لم نكن نعلم، وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النَّبيين، وعلى آله الطّيبين، والحمد لله ربّ العالمين.

أما بعد: فإنّك سألتني ـ رحمك الله ـ عن معنى العلم وفضل طلبه، وحَمْدِ السَّعي فيه والعناية به، وعن تثبيت الحِجاج بالعلم، وتبيين فسادِ القول في دين الله بغير فهم، وتحريم الحكم بغير حُجَّةٍ، وما الذي أُجيزَ من الاحتجاج والجدل، وما الذي كُرِهَ منه، وما الذي ذُمَّ من الرأي وما حُمِدَ منه. وما جُوِّزَ من التقليد وما حُرِّم منه، ورغبتَ أن أُقَدِّمَ لك قبل هذا من آداب التعلُّم، وما يلزم العالم والمتعلم التخلُّق به والمواظبة عليه، وكيف وَجْهُ الطلب، وما حُمِد ومدح فيه من الاجتهاد والنَّصَب، إلى سائر أنواع آداب التعلُّم والتعليم، وفضل ذلك وتلخيصه باباً باباً، مما روي عن سلف هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين، لتتبع هَدْيهم، وتسلكَ سبيلهم، وتعرفَ ما اعتمدوا عليه من ذلك مجتمعين أو مختلفين في المعنى منه، فأَجبتُك إلى ما رغبتَ، وسارعتُ فيما طلبتَ، رجاءَ عظيم الثواب وطمعاً في الزُّلفى يوم المآب، ولِمَا أخذه الله ـ عزَّ وجل ـ على المسؤول العالم بما سُئِلَ عنه من بيان ما طُلِب منه وتركِ الكِتْمان لما عَلِمه.

قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيْثَاقَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمونَه﴾[2].

---

(١) قد أوردت خطبة المؤلِّف بحذافيرها لما فيها من الإفصاح عما اشتمل عليه الكتاب من المواضيع الجليلة والمطالب العالية.

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٨٧).

وقال ﷺ: «مَنْ سُئِلَ[1] عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ جَاءَ يَوْمَ القيامة مُلْجماً بلجامٍ مِنْ نَارٍ»[2].

وقالت الحكماءُ: من كتم علماً فكأنَّه جَاهِلُه.

وقد جمع أقوامٌ في نحو ما سُئلنا عنه وذكرناه في كتابنا هذا أبواباً لو رأيتُها كافيةً دَلَلْتُ عليها، ولكنّي رأيت كلَّ واحدٍ منهم جمعَ ما حضَرَهُ وحفظه وما خشي التفلُّت عليه، وأَحَبَّ أن ينظر المسترشد إليه، ولو أغفل العلماء جمعَ الأخبار وتمييزَ الآثار، وتركوا ضم[3] كل نوعٍ إلى بابه، وكل شكل من العلم إلى شكله؛ لبطلت الحكمة؛ وضاع العلم ودَرَس، وإن كان ـ لعَمْري ـ قد دَرَسَ منه الكثير لعَدم العِنَاية، وقِلّة الرِّعاية، والاشتغال بالدُّنيا والكَلَب عليها، ولكن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يُبقي لهذا

(١) وفي نسخة: من سئل علماً عَلِمَه فكتمه... إلخ. وقد روى المؤلِّف هذا الحديث من جملة طرق متعددة عن ابن مسعود، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهم، وتكلّم عن بعض رجال الأسانيد، وذكر عقب ذلك بسنده عن سفيان بن عُيينة قال: الحسن: دخلنا فاغتممنا وخرجنا فلم نزدد إلاّ غماً، اللهمّ إليك نشكو هذا الغناء الذي كنا نحدِّث عنه: (يريد أرذال الناس وسقطهم). إن أجبناهم لم يفقهوا، وإن سكتنا عنهم وكلناهم إلى عيٍّ شديد، والله لولا ما أخذ الله على العلماء في علمهم ما أنبأناهم بشيء أبداً.

وذكر عن أبي هريرة أنه كان يقول: لولا آيتان في كتاب الله ما حدّثتكم شيئاً، إن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ هذه الآية [البقرة: ١٥٩] والتي تليها وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

ثم قال: إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، وذكر الحديث: «مَنْ سُئِلَ عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة».

قلت: حديث: «من سئل عن علم فكتمه...» رواه أبو داود رقم (٣٦٨٥) والترمذي رقم (٢٦٥١) وقال: هذا حديث حسن، وأقرَّه والدي على تحسينه في تعليقه على «جامع الأصول» (١٢/٨) وزاد وله شاهد عند الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. (م).

وكتب نجدة إلى ابن عباس يسأله عن خمس خِلال. فقال ابن عباس: إن الناس يقولون: إن ابن عباس يكاتب الحَرُوريَّة ـ فرقة من الخوارج تنسب إلى حَرُوراء، موضع بظاهر الكوفة ـ ولولا أني أخاف أن أكتم علماً ما كتبت إليه، وذكر الحديث. [انظر «جامع بيان العلم وفضله» ١/٣ ـ ٤].

(٢) رواه أبو داود، والترمذي وحسَّنه، وابن ماجه، وابن حِبَّان في «صحيحه» والبيهقي، والحاكم بنحوه وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. انظر «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/١٢١) وساق رواية أخرى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. (م).

(٣) في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٦) الذي بين أيدينا: «وتركوا حُجَّة...». (م).

الدِّين قوماً ـ وإن قلُّوا ـ، يحفظون على الأُمة أصوله ويميِّزون فروعه، فضلاً من الله ونعمة[1]، ولا يزال الناسُ بخير ما بقي الأوّل حتَّى يتعلم منه الآخِرُ، فإنَّ ذهابَ العلم بذهاب العلماء، كما قال رسول الله ﷺ[2] وسترى هذا المعنى وشبهه في كتابنا هذا إن شاء الله بحوله وقوته، فالحول والقوة لله، وهو حسبي ونعم الوكيل.

* * *

(١) قلت: وفي هذا المعنى حديث رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين». انظر «الرَّوض الباسم» لابن الوزير (١/٢١ - ٢٢). (م).

(٢) قلت: إشارة منه إلى حديث رسول الله ﷺ: «إنّ اللّٰه لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من النَّاس - وفي رواية من العِبَاد - ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتَّى إذا لم يُبق عالماً، اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا». وانظر روايات الحديث وتخريجها في «جامع الأصول» (٨/٣٣ - ٣٦) بتحقيق والدي الأستاذ الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى. (م).

بـــاب
قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»

قال أبو عمر[١]: هذا حديث يُروى عن أنسِ بن مالك[٢] عن النَّبيِّ ﷺ من وجوه كثيرة كلُّها معلولةٌ لا حجَّةَ في شيءٍ منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الإسناد: قرأت[٣] على أبي القاسم خَلَف بن القاسم بن سهل الحافظ، أنَّ أحمد بن صَالح بن عمر المغربي حدّثه قال: أخبرنا عبد الله بـن سليمان بن الأشعث: وحدثنا خَلَف بن القاسم قال: حدثنا أبو صالح أحمد بن عبد الرّحمن بن صالح بمصر، قال: أخبرنا عبد الجَبَّار بن أحمد السَّمَرْقندي قَالا جميعاً: أخبرنا جعفر[٤] بن مُسَافر التِّنِّيسي قال: حدثنا يحيى[٥] بن حسَّان قال: حدثنا سُليمان بن قَرْم الضَّبِّي، عن ثابت عن أنس بن مالك. قال: قال رسول الله ﷺ: «طَلَبُ العِلْمِ فريضةٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ»[٦].

---

(١) هذا لقب المؤلِّف وحيثما ذكره فإنما يعني به نفسه على عادة كثير من المؤلِّفين المتقدمين.
قلت: الأصح أن يقال: هذه كنية المؤلف فهي كنيته وليست بلقب له. (م).

(٢) هو خادم رسول الله ﷺ أنصاري خزرجي صحابي مشهور خدم الرسول عشر سنين وتوفي سنة اثنتين وقيل: ثلاث وتسعين من الهجرة وقد جاوز المئة. «تقريب التهذيب»: [١١٥].

(٣) ذكرت هذا الحديث بإسناده لبيان شيء من سلسلة المؤلِّف، ولأنه أوَّل حديث في أول باب.

(٤) صدوق توفي سنة ٢٥٤ هـ. «التقريب»: [١٤١].

(٥) التِّنِّيسي من أهل البصرة ثقة مات ٢٠٨ هـ وله أربع وتسعون سنة. «التقريب»: [٥٨٩].

(٦) وذكر مثل هذا الحديثِ أيضاً من طرق أخرى عن أنس وفي بعضها زيادة في أوله وهي: «اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة... إلخ».
وفي بعضها زيادة في آخر الحديث ونصها: «طلب العلم فريضة على كل مسلم وطالب العلم يستغفر له كل شيء». وفي بعضها: «والله يحب إغاثة اللهفان».
قلت: وقد ذكر الحديث الحافظ السيوطي في «الدُّرر المنتثرة» ص (٩١ - ٩٢) طبع مكتبة دار العروبة =

ثم ذكر المؤلِّف عن إسحاق بن رَاهَوَيْه[1] أَنَّه كان يقولُ: طلبُ العلمِ واجبٌ ولم يصح فيه الخبر إِلَّا أنّ معناه أنه يلزمه طلب علم ما يحتاج إليه من وضوئه وصلاته وزكاته إن كان له مال، وكذلك الحج وغيره.

قال: وما وجب عليه من ذلك لم يستأذن أبويه في الخروج إليه، وما كان منه فضيلة لم يخرج إلى طلبه حتّى يستأذن أبويه.

قال أبو عمر: يريد إسحاق، ـ والله أعلم ـ أنّ الحديث في وجوب طلب العِلم في أسانيده مقالٌ لأهلِ العلم بالنَّقل، ولكن معناه صحيح عندهم، وإن كانوا قد اختلفوا فيه اختلافاً متقارباً على ما نذكره هاهنا إن شاء الله تعالى.

ثم روى المؤلّف بإسناده عن ابن وَهْب قال: سُئل مالكُ عن طلب العلم أهو فريضة على الناس؟ فقال: لا. ولكنْ يطلبُ منه المرءُ ما ينتفع به في دينه.

وروى عن الحسن بن الرَّبيع[2] قال: سألتُ ابن المبارك[3] قلت: قول النَّبيِّ ﷺ: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلم». قال: ليسَ هو الّذي يطلبونَه ولكن فريضةٌ على من وقع في شيءٍ من أمر دينه أَنْ يسألَ عنه حتى يعلمَهُ.

وذكر عبدُ الملك بن حبيب أنه سمع عبدَ الملك بن الماجِشُون، قال: سمعت مالكاً؛ وسئل عن طلب العلم، أَواجبٌ؟ فقال: أما معرفة شرائعه وسُنَنِه وفقهه الظّاهر فواجب وغير ذلك منه من ضعف عنه فلا شيء عليه، هكذا ذكره ابن حبيب ولا يشبه هذا لفظ مالك ولا معنى قوله ـ والله أعلم ـ.

= وأطال الكلام وأورد رأياً للحافظ المِزِّي يقول فيه: هذا الحديث روي من طرق تبلغ درجة الحسن. (م).

(١) المروزي إمام ثقة حافظ مجتهد، قريـن أحمد بن حنبل، مات سنة ثمان وثلاثين ومئتين.

(٢) البَجَلي الكوفي البُوراني، ثقة مات سنة ٢٢٠ أو ٢٢١ هـ. انظر «التقريب»: [١٦١، وانظر شذرات الذهب ٣/٩٩].

(٣) عبد الله بن المبارك المروزي، مولى بني حنظلة، إمامٌ جمع بين العلم والزهد والجود والمجاهدة، تفقّه على سفيان الثوري، ومالك بن أنس ومن كلامه: «تعلّمنا العلم للدنيا فَدلّنا على ترك الدنيا». توفي سنة ١٨١ أو ١٨٢ هـ «التقريب»: [٣٢٠] و«ابن خلّكان»: [وفيات الأعيان ٣/٣٢ ـ ٣٤].

وعن سفيان بن عُيَيْنَة: «طلبُ العِلْمِ والجهَادِ فريضةٌ على جماعتهم ويُجزىء فيه بعضهم عن بعض»[1] وتلا هذه الآية: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُم طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا في الدِّين ولِيُنْذِرُوا قَوْمَهُم إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ﴾[2].

وسئل أحمد بن صالح عما جاء في: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» فقال أحمد: معناه عندي، إذَا قامَ به قومٌ سقطَ عن الباقين مثل الجهاد.

وعن عليّ بن الحسن بن شقيق قال: قلت لابن المبارك: ما الذي لا يَسَعُ المؤمنُ من تعليم العلم إلا أَنْ يطلبه وما الّذي يجبُ عليه أن يتعلَّمْه؟ قال: لا يَسَعُهُ أنْ يُقدِم على شيءٍ إلَّا بعلمٍ ولا يَسَعَهُ حتَّى يسألَ.

قال أبو عمر: قد أَجْمَعَ العُلَمَاءُ على أن من العلم ما هو فَرْضٌ متعيّنٌ على كلِّ امرىء في خَاصَّةِ نفسه، ومنه ما هو فرضٌ على الكفاية إذا قام به قائمٌ سَقَطَ فرضُه عن أهل ذلك الموضع. واختلفوا في تلخيص ذلك، والّذي يلزمُ الجميعَ فرضُه من ذلك ما لا يَسَعُ الإنسان جهلُه من جملة الفرائض المفترضة عليه، نحو الشهادة باللّسان والإقرار بالقلب، بأن الله وحده لا شريك له، ولا شَبَه له، ولا مِثْلَ ﴿لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَد، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد﴾ خالقُ كلِّ شيء، وإليه مرجِعُ كلِّ شيء، المحيي، المميت، الحي الذي لا يموت، عالَم الغيب والشهادة، هما عنده سواء لا يعزُبُ عنه مثقال ذرَّةٍ في الأرض ولا في السماء، هو الأول والآخر والظَّاهر والباطن.

والذي عليه جماعةُ أهلِ السُّنَّة أنّه لم يزل بصفاته وأسمائه ليس لأوَّليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء، وهو على العرش استوى، والشَّهادة بأن محمداً عبده ورسوله، وخاتم أنبيائه حقٌّ، وأنَّ البعثَ بعد الموت للمجازاة بالأعمال والخلود في الآخرة لأهل السعادة بالإيمان، والطّاعة في الجنة، ولأهل الشقاوة بالكفر والجحود في السَّعير حقٌّ.

---

(١) قلت: رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٠) موقوفاً على ابن عُيينة، ولم أره عند غيره من أصحاب المصادر التي بين يدي مرفوعاً ولا موقوفاً بهذا اللفظ. (م).

(٢) سورة التوبة: الآية (١٢٢).

وأنّ القرآن كلامُ اللّهَ وما فيه حقٌّ من عند الله، يجب الإيمان بجميعه واستعمال مُحْكَمِه.

وأن الصّلوات الخمس فرضٌ؛ ويلزمه من عملها علم ما لا تتم إلاّ به من طهارتها وسائر أحكامها. وأنَّ صومَ رمضان فرضٌ؛ ويلزمه علم ما يَفْسُدُ به من صومِه؛ وما لا يتمُّ إلاّ به. وإنْ كان ذا مالٍ وقدرةٍ على الحجِّ، لزمَهُ فرضاً أنْ يعرفَ ما تجب فيه الزكاة، ومتى تجب، وفي كم تجب. ولزمه أن يعلم بأن الحجَّ عليه فرضٌ مرة واحدة في دهر؛ إن استطاعَ إليه سبيلاً. إلى أشياء يَلْزَمُهُ معرفة جُملها ولا يُعْذَرُ بجهلها نحو: تحريم الزِّنَا والرِّبَا، وتحريم الخمر، وأكل الخنزير، وأكل الميتة والأنجاس كُلّها، والغَصْب والرَّشوة على الحكم، والشَّهادة بالزُّور، وأكل أموال الناس بالباطل وبغير طيب من أنفسهم إلاّ إذا كان شيئاً لا يتشاحّ فيه ولا يُرغب في مثله. وتحريم الظُّلم كله، وتحريم نِكَاحِ الأُمّهات والبناتِ والأخوات ومَنْ ذُكِرَ معهنَّ[1]، وتحريم قَتْلِ النّفس المؤمنة بغير حقّ.

وما كان مثل هذا كُلّه مما قد نطق الكتاب به وأجمعت الأُمّة عليه، ثم سائر العلم وطلبه، والتفقه فيه وتعليم النّاس إيّاه، وفتواهم به في مصالح دينهم ودنياهم، فهو فرض على الكِفَاية يلزم الجميع فرضه، فإذَا قام به قائمٌ سقط فرضُه عن الباقين بموضعه لا خلاف بين العلماء في ذلك؛ وحجَّتُهم فيه قولُ الله عزَّ وجل: ﴿فَلَوْلاَ نَفَر مِن كلِّ فِرْقَةٍ منهم طائفةٌ لِيَتَفَقَّهوا في الدِّين ولِيُنْذِرُوا قَـوْمَهم إذَا رَجَعُوا إلَيْهم﴾[2] فألزمَ النَّفير في ذلك البعض دون الكُلِّ، ثم ينصرفون فيعلِّمُون غيرهم.

(حول ذكر الطائفة في العرب)

والطائفة في لسان العرب الواحدُ فما فوقه[3].

---

(١) قلت: وذلك في قوله تعالى في الآية (٢٣) من سورة النِّساء: ﴿حُرِّمَتْ عليكم أُمّهاتُكُم وبَنَاتُكم وأَخَوَاتكم وعَمَّاتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت، وأُمهّاتكم الّتيّ أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأُمّهات نسائكم وربائبكم الّتيّ في حجوركم من نسائكم الّتيّ دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهنّ فلا جناح عليكم، وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلاّ ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً﴾. (م).

(٢) سورة التوبة: الآية (١٢٢).

(٣) جاء في لسان العرب: (طوف): سئل إسحاق بن راهويه عن الطائفة فقال: الطائفة دون الألف.

وكذا الجهاد فرضٌ على الكِفَاية لقول الله عزَّ وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولي الضَّرر وَالمجاهِدُونَ في سبيل الله﴾ إلى قوله: ﴿وَفَضَّل اللَّهُ المُجاهدينَ على القاعدينَ أَجْراً عَظِيماً﴾(١)، فَفَضَّلَ المجاهدَ ولم يذم المُتَخَلِّفَ.

والآياتُ في فرض الجهادِ كثيرةٌ جداً وترتيبُها مع الآية التي ذكرنا على حسب ما وصفنا عند جماعة أهل العلم. فإن أَظلَّ العدوُّ بلدةً لزم الفرضُ حينئذٍ جميعَ أهلها وكلُّ من قَرُبَ منها إن علمَ ضُعْفَهَا عنه وأمكن نُصْرَتُها لزمه فرضُ ذلك أيضاً.

* * *

قال أبو عمر: وَرَدُّ السَّلام عِنْدَ أصحابنا(٢) من هذا الباب فرضٌ على الكفايةِ لقول رسول الله ﷺ: «وإنْ رَدَّ السلامَ واحِدٌ من القـوم أَجْزأَ عنهم» وخـالفهم العراقيون فجعلوه فرضاً متعيناً على كل واحدٍ من الجماعة إذا سلَّم عليهم. وقد ذكـرنا وجـه القولين، والحجَّـةُ لمذهب الحجـازيين في كتابنـا «التمهيد لآثـار الموطأ»(٣).

والآية المثبتَةُ لردِّ السَّلام بإجماع هي قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بتحيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا﴾(٤).

ومن هذا البابِ أيضاً تكفينُ الموتىٰ، وغَسْلُهم، والصَّلاةُ عليهم، ومواراتُهم، والقيامُ بالشَّهادة عند الحكام، فإن كانَ الشَّاهدان عَدْلَيْن ولا شاهدَ له غيرهما تعيَّن إذاً عليهما وصارَ من القِسْم الأوّل.

ومن هذا الباب عند جماعة من أهل العلم الأذَانُ في الأَمْصَارِ، وقيامُ رَمَضَانَ، وأكثرُ الفقهاء يجعلُونَ ذلك سُنَّةً وفَضِيْلة.

وقد ذكَرَ قومٌ من العُلَمَاء في هذا الباب عِيَادَةَ المريضِ، وتَشْميتِ العَاطِس.

---

(١) سورة النساء: الآية (٩٥).
(٢) يعني عند علماء المالكية. (م).
(٣) ذكرنا من قبل أن «التمهيد» غير متوفر بين أيدينا. (م).
(٤) سورة النساء: الآية (٨٦).

قالوا: هذا كُلُّه فرضٌ على الكفاية. وقال أهلُ الظَّاهر: بل ذلك كلُّه فَرضٌ متعيِّنٌ، واحتجوا بحديث البَرَاءِ بن عَازِبٍ[1] قال: «أَمَرَنا رَسُولُ الله ﷺ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عن سَبْعٍ؛ أمَرَنا بعيادَةِ المريض، واتِّبَاعِ الجنائز، وإفشَاءِ السَّلام، وإجابَةِ الدَّاعِي، وتشميتِ العَاطِسِ، ونَصْرِ المظلومِ، وإبْرارِ القَسَم»[2] الحديث: وقد ذكرنا هذه السَّبْع وغيرها على اختلاف أحكامها عند العلماء في «كتاب التمهيد». وخالفهم جمهور العلماء فقالوا: ليسَ تَشْمِيتُ العاطِسِ من هذا الباب: وكذلك عيادةُ المريض. وإنّما ذلك نَدْبٌ وفضيلةٌ وحُسْنُ أدَبٍ أُمر به للتَّحابِّ والأُلفة، ولا حرج على من قَصَّر عنه، إلّا أنّه مقصِّر عن حظٍّ نفسِه في اتِّباع السُّنّة وآدابها.

وذكر ابنُ المبارك عن المُبارك بن فَضَالة عن الحَسَن بن أبي الحَسَن البَصْري[3] قال: ستٌّ إذا أَدَّاها قومٌ كانت موضُوعَةً عن العَامَةِ، وإذَا اجْتَمَعَتْ العامَةُ على تركها كانوا آثمين، الجهاد في سبيل الله (يعني سد الثغور)، والضرب في العدو، وغسل الميت وتكْفِينُهُ والصلاةُ عليه، والفُتيا بين الناس[4] وحُضُورُ الخطبة يومَ الجُمُعة ليس لهم أن يتركوا الإمام ليس عنده من يَخْطُبُ عليه والصَّلاةُ جماعةً.

* *

(١) ابن الحارث بن عديّ الأنصاري الأوسي صحابي ابن صحابي نزل الكوفة وهو ممن استُصْغِرَ يوم بدر وكان هو وابن عمر لِدَةً، مات سنة ٧٢ هـ «التقريب»: [١٢١].

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، وتمامه: «وإجابة الدَّاعي، وإفشاء السلام، ونهانا عن خواتيم الذهب، أو عن تختُّمٍ بالذهب، وعن شُربٍ بالفضة، وعن المياثر، وعن القَسِّيِّ، وعن لبس الحَرير والإستبرق والدِّيباج» وهو مخرَّج في «جامع الأصول» (٦/٥٢٩) والقَسِّيّ: ثيابٌ منسوجة من كتان وإبرسيم مُضَلَّعة، كانت تجيء مصر من قرية تسمَّى القَسّ، فنسبت إليها. قاله ابن الأثير. (م).

(٣) من سادات التابعين وكبرائهم علماً وزهداً وعبادة. وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن البصري.
ومن كلامه: ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه إلّا الموت. مات سنة ١١٠ هـ. [وفيات الأعيان ٢/٦٩ وشذرات الذهب ٢/٤٨ ـ ٥٤ طبع دار ابن كثير].

(٤) لِمَ لا يجعل من هذا الباب الدعوة إلى الدين الإسلامي ونشره بين الأمم التي لا تدين به. ولِمَ لا يحتج له بقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُم أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْر، وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَر وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُون﴾ [سورة آل عمران: الآية (١٠٤)].
مع إجماع الكثيرين من المفسرين على تفسير الخير في الآية بالإسلام. أيُّ شيء أصرح من هذا!.

قال الحسن[1]: وإذَا جَاءَهُم العدوُّ في مِصْرِهم فعليهم أن يقاتلوا، يعني أجْمَعين.

قال ابنُ المبارك: وبهذا كُله أقوال.

وقد جاء عن أبي الدَّرْدَاء، رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، ما يَعْضُد قولَ الحسن.

قال أبو الدرداء: لَوْلَا أَنَّ الله يدفعُ بمن يحضُرُ المساجِدَ عَمَّن لا يَحْضُرُها، وبالغُزاةِ عَمَّن لا يَغْزُو لجاءَهُم العذابُ قُبُلًا.

قال أبو عمر: قد ذكرنا قولَ من قال: شُهودُ الجماعة فرضٌ متعيِّنٌ. ومن قال: ذلك فرضٌ على الكفاية، ومن قال: ذلك سُنَّةٌ مسنونةٌ في «كتاب التمهيد» فأغنى ذلك عن إعادته هاهنا.

والذي عليه جُمهورُ العلماء وجماعةُ الفقهاء أَنَّ الجُمُعَة[2] واجبٌ إتيانُها على كلِّ من كان في المِصْر وعلى من خَرَجَ عن المِصْر إذَا كان يسمعُ النِّداءَ، من كل بالغ حرٍّ من الرِّجال في المِصْر أو خارجَ مِنْه بمواضع يسمعُ منه النِّداء، وسترى الحجّة لذلك في «كتاب الاستذكار» إن شاء الله تعالى.

وروى يونُسُ بن عبد الأعلى، وابنُ المقرىء[3] وابنُ أبي عُمَرَ عن سفيان بن عُيَيْنة[4] قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: وَجَدْنَا عِلْمَ النَّاسِ كلَّه في أربعٍ أَوَّلها (قف على قول جعفر بن محمد في علم الناس)

(١) فائدة: إذا أُطلق «الحَسَنُ» عند المُحَدِّثين فهو الحسن بن يسار البَصْري. (م).

(٢) لا شك أن شدة التأكيد في حضور الجمعة والجماعة يدلنا على أن هناك معنى ينبغي أن يعرف، وهو قوة ارتباط المسلمين بعضهم ببعض واتحادهم في شؤونهم وأعمالهم، وتعاونهم على الخير والبر والمعروف وكل ما فيه منفعتهم مع ما في ذلك من التعاضد والتآلف الذي لا تتأتى وصلة أو محبة إلا بهما فعلى المسلم أن يشعر قلبه هذا المعنى ويستحضره في كل جمعة وجماعة.

(٣) تحرف اسمه في الأصل المطبوع و«جامع بيان العلم وفضله» (١٣/١) إلى «ابن المقري» والصواب «ابن المقرىء» وهو محمد بن عبد الله بن يزيد المقرىء. انظر «تقريب التهذيب» ص (٤٩٠). (م).

(٤) الإمام الجليل الزاهد الورع المجمع على صحة حديثه وروايته، حج سبعين حجة. قال الشافعيُّ: ما رأيت أحد فيه من آية الفتيا ما في سفيان، وما رأيت أكفَّ منه على الفتيا. مات سنة ٩٨ بمكة ودفن بالحجون ـ رحمه الله. «ابن خلكان»: [٣٩١/٢].

أن تعرفَ ربَّكَ، والثاني أنْ تعرفَ ما صَنَعَ بكَ، والثالث أن تعرفَ ما أرادَ منك، والرابعُ أن تعرفَ ما تخرُجُ بِهِ من ذَنْبِكَ. وفي رواية: ما يُخْرِجُكَ من دِيْنِكَ.

* *

تفريع أبواب فضل العلم وأهله

١ - عن أبي هريرة[١] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَسْلُكُ طريقاً يلتمِسُ فيها عِلْماً إلاّ سهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إلىٰ الجَنَّةِ، ومَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُه لَمْ يسرعْ بِهِ نَسبُه»[٢].

٢ - وعن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَا مِنْ قَوْمٍ يجتمعُونَ في بيت من بيوتِ اللَّهَ يَتعلَّمُون القرآنَ ويتدارسونَهُ بينهم إلاَّ حفَّتْهُمُ الملائكة وغَشيَتْهُمُ الرَّحْمةُ وتنزَّلت عليهم السَّكينةُ وذكرهُمُ اللَّهَ فيمن عندَه، وما من رجل يَسْلُكُ طريقاً يلتمس فيها علماً إلاّ سهّل اللَّهُ لَهُ طريقاً إلى الجنَّة، ومن أبْطَأَ به عَمَلُه لم يُسْرع به نسبه»[٣].

٣ - وعن ابن الزُّبير عن النبي ﷺ قال: «ما مِنْ عَبْدٍ يَغْدُو في طلبِ العلم

---

(١) الدَّوسي الصحابي الجليل، حافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه. فقيل: عبد الرحمن بن صخر، وقيل: عبد الله بن عائذ، وقيل: غير ذلك. مات سنة سبع وقيل: ثمان وقيل: تسع وخمسين. «التقريب»: [٦٨٠].

قلت: وجزم ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» (٢٦١/١) بتحقيقي بأن اسمه «عبد الرحمن بن صخر الدَّوْسي» وذكر بأن مروياته هي (٥٣٧٤) حديثاً. (م).

(٢) رواه ابن عبد البرّ بسنده في «جامع بيان العلم وفضله» (١٣/١) ورواه أبو داود رقم (٣٦٤٣) بهذا اللفظ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٢٦٢٦) وقال: هذا حديث حسنٌ وأقرَّه والدي حفظه الله في تعليقه على «جامع الأصول» (٧/٨) ولفظه عنده: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سَهَّل الله له طريقاً إلى الجنة» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه مسلم رقم (٢٦٩٩) بهذا اللفظ ضمن سياق حديث طويل لأبي هريرة رضي الله عنه. (م).

(٣) رواه ابن عبد البرّ بسنده في «جامع بيان العلم وفضله» (١٣/١) وذكره بنحوه المنذري في «الترغيب والترهيب» (١١٠/١) وعزاه للطبراني في «المعجم الكبير» من حديث أبي الرُّدين رضي الله عنه ولم يورد فيه جرحاً ولا تعديلاً. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٢٢/١) باللفظ الذي عند المنذري من حديث أبي الرُّودَين وعزاه للطبراني في «المعجم الكبير» وقال: وفيه إسماعيل بن عياش وهو مختلف في الاحتجاج به. (م).

مخافةَ أن يَموتَ جاهلاً أو في إحياء سُنَّةٍ مخافةَ أن تدْرُسَ إلاَّ كَانَ كَالْغَازي الرَّائحِ في سَبيلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، ومن أبْطَأَ بِهِ عَملُه لم يُسْرع به نَسَبُه»[1].

٤ ـ وعن أبي موسى، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «مَثَلُ مَا بَعَثني اللَّهُ بِهِ من الهُدَى والعِلْم كَمَثَلِ الغَيثِ الكَثير أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَتْ منها بقعةٌ قَبِلَت المَاءَ فَأَنْبَتَتْ الكَلأَ[2] والعُشبَ الكَثير، وكان منها بُقْعَةٌ أَمْسَكَت الماء فَنَفَعَ اللَّهُ بها النَّاسَ فشربوا وسَقَوا وزَرَعُوا، وكانت منها طائفةٌ لا تمسِكُ ماءً ولا تُنْبتُ كَلأً، فذلك مَثَلُ من فَقُهَ في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعمِلَ وعلَّمَ ومَثَلُ من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبلْ هديَ الله الذي أُرْسِلْتُ بِهِ»[3].

* *

بـــاب
قولُه ﷺ: «يَنْقَطِعُ عَملُ المرءِ بعد موتِه إلاّ مِنْ ثلاثٍ»

٥ ـ عن أبي هريرة قالَ: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنسانُ انقطعَ عملهُ إلاَّ من ثلاثة أشياء: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفعُ به بعده، أو لدٍ صالح يدعو له»[4].

٦ ـ وعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثٌ تَتْبعُ المسلم بعد موته: صدقةٌ أمضاها يجري له أجرها، وولدٌ صالحٌ يدعو له، وعلمٌ أفشاه فعمل به مَنْ بَعْدَه»[5].

---

(١) لم أجده في نسخة «جامع بيان العلم وفضله» التي بين يدي طبع المطبعة المنيرية وقد أضافه المُخْتَصِرُ إلى الكتاب. (م).

(٢) قال في «القاموس»: والكلأ كجبلٍ العشب رطبه ويابسه.

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٤) وهو عند البخاري رقم (٧٩) واللفظ له، وعند مسلم رقم (٢٢٨٢) (م).

(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٤) وهو عند مسلم رقم (١٦٣١) وعند البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٣٨) بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي. (م).

(٥) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٥) وهو في معنى الحديث الذي قبله (م).

٧ ـ وروي من حديث الزُّهري[١] عن أبي عبد الله الأغَرّ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يَلْحَقُ المسلمَ أو ينفعُ المسلمَ ثلاثٌ؛ ولدٌ صالحٌ يدعو له، وعلم ينشرُهُ، وصدقةٌ جاريةٌ»[٢].

وقالت الحكماء: علمُ الرّجل ولدُهُ المخلَّفُ. وفي رواية: المخلَّدُ.

* *

بـــاب
قوله ﷺ: «الدَّالُّ على الخير كَفَاعِله»

٨ ـ عن أبي مسعودٍ الأنصاريّ[٣] قال: جاءَ رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله احملْني فإنّه قد أُبْدِعَ بي[٤]. قال: ما أجِدُ ما أحملكم عليه فَأْتِ فلاناً فأْتاه؛ فحمَلَه. فأتى رسولَ الله ﷺ، فأخبرَه، فقال رسول الله ﷺ: «الدالّ على الخير له مثل أجر فاعله»[٥].

وفي رواية عن أبي مَسْعُود أيضاً: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعله»[٦].

وفي رواية عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ، قال: «الدَّالُّ على الخير كفاعِلِه»[٧].

---

(١) محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهري: أحد الفقهاء والمُحَدِّثين والأعلام التابعين روى عنه جماعة من الأئمة منهم مالك وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري. كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحداً أعلمَ بالسنَّة الماضية منه. توفي ١٢٤ هـ ودفن في ضيعته أَدَامى بين الحجاز والشام. «ابن خلكان»: [٤/ ١٧٧].

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٦) وهو في معنى الحديث الذي قبله. (م).

(٣) هو عقبة بن عمر بن ثعلبة الأنصاري البدري صحابي جليل مات قبل الأربعين وقيل بعدها. «التقريب» [٣٩٥].

(٤) أبدع به: كلَّت راحلته وأعطبت وبقي منقطعاً به. من القاموس بتصرف. وفي لسان العرب: أُبدع بي: بالبناء للمجهول انقُطع بي لكلال راحلتي وذكر الحديث. ينظر «لسان العرب»: (بدع).

(٥) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٦) ورواه الترمذي رقم (٢٦٧٢) من حديث أنس وهو حديث حسن. (م).

(٦) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٦) (م).

(٧) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٦) (م).

٩ ـ وعن أبي الدَّرْداء أنّه قال: العالمُ والمتعلّمُ شريكان والمتعلِّم والمستمعُ شريكان والدالُّ على الخير وفاعلُه شريكان.

* *

بـــاب
قوله ﷺ: «لا حَسَدَ إلاّ في اثنَتَيْن»

١٠ ـ عن عبد الله بن مسعود [١] رضيَ اللّهُ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْن رَجُلٌ آتاه اللّهُ مالاً فسلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ في الحقِّ، ورجلٌ آتاه حكمةً فهو يقضي بها ويعلِّمُها» [٢].

وعن قتادة في قوله عز وجل: ﴿واذكُرْنَ ما يُتْلَى في بُيُوتِكُنَّ من آياتِ اللّهِ وَالحِكْمَةِ﴾ [٣] قال: من القرآن والسُّنَّة.

قال أبو عمر: وكذلك رَوَاه محمد بن ثور وابن المبارك عن مَعْمر عن قتادة.

وقال سعيد بن أبي عَروبة عن قتادة في قوله تعالى: ﴿واذْكُرْنَ ما يُتْلى في بيوتِكُنَّ من آياتِ اللّهِ والحكمة﴾ قال: يريدُ السُّنَّةَ يمنُّ عليهنَّ بذلك. (قف على معنى الحكمة في القرآن)

وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿ويُعَلِّمُهُم الكِتَابُ والحكمة﴾ [٤] قال: الكتابُ القرآنُ والحكمَةُ السُّنَّةُ.

وعن ابن وهب قال: قال لي مالك وذكر قول الله عز وجل فى يحيى: ﴿وآتيناه الحكُمَ صبياً﴾ [٥] وقوله في عيسى: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بالحِكْمة﴾ [٦] وقوله: ﴿ونعلِّمُهُ

---

(١) ابن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جمة وأمّره عمر على الكوفة ومات سنة ٣٢ هـ أو التي بعدها. «التقريب» [٣٢٣].

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧/١) وهو حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما. انظر «جامع الأصول» (٣/٦٢٤ ـ ٦٢٥) (م).

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٣٤).

(٤) سورة البقرة: الآية (١٢٩).

(٥) سورة مريم: الآية (١٢).

(٦) سورة الزخرف: الآية (٦٣).

الحِكْمَة﴾[1] وقوله: **﴿واذكرْن ما يتلى في بيوتكنَّ من آياتِ الله والحكمةِ﴾**.

قال مالك: الحكمة في هذا كله طاعة اللّهِ والاتباع لها والفقهُ في دين الله والعمَلُ به.

قال ابنُ وهب: وسمعتُ مالكاً مرةً أخرى يقولُ: الذي يقعُ في قلبي أنَّ الحكمةَ هي الفِقْهُ في دين الله.

قال: ومما يبيّن ذلك؛ أنّ الرجل تجدُه عاقلاً في أمر الدنيا ذا نظر فيها وبَصَرٍ بها ولا علم له بدينه، وتجد آخر ضعيفاً في أمر الدنيا عالماً بأمر دينه بصيراً به يؤتيه الله إيّاه ويحرمُه هذا، فالحكمة الفقهُ في دين الله.

قال ابن وَهَب: وسمعته يقول: الحكمةُ والعلمُ نورٌ يهدي به الله من يشاءُ وليس بكثرة المسائل[2].

١١ ـ وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «الحكمة تزيد الشريف شرفاً وترفع المملوك حتى تجلسه مجالسِ الملوك»[3].

قال أبو عمر: أخذه الشاعر فقال:

العلمُ يَنْهَضُ بـالـخَسِيسِ إلى العُـلاَ   والجَهــلُ يَقْعُـدُ بـالفَتَى المَنْسُــوبِ

* *

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٤٨) ولفظه [الكتاب] سقطت من المختصر.

قال صاحب المبسوط في القراءات العشر: قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم ويعقوب **﴿ويُعلِّمُه الكتاب﴾** بالياء، وقرأ الباقون (ونعلِّمُه) بالنون وهو ما اختاره ابن عبد البر. «المبسوط في القراءات العشر» (١٦٤).

(٢) قال الإمام النووي في الحكمة ما نصه:

الحكمةُ فيها أقوال كثيرة مضطربة صفا لنا منها أنّها العلم المشتمل على المعرفة بالله، مع نفاذ البصيرة، وتهذيب النَّفس، وتحقيق الحقّ، للعمل به والكفّ عن ضده.

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٨) وانظر «كشف الخفاء» (١/٤٣٥) (م).

بـــاب
قولُه ﷺ: «النَّاسُ مَعَادِن»

١٢ - عن جابر قال: قال رسـول الله ﷺ: «الناسُ معـادنٌ خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فَقهوا»(١).

١٣ - وعن سعيد(٢) بن أبي سعيد [عن أبي هريرة] قال: سُئل رسول الله ﷺ من أكْرمُ النّاس قال: «أتقاهم» قالوا: ليسَ عن هذا نسألك. قال: «فأكْرَمُ الناس نبيُّ الله ابنُ نبيٍّ الله بن نبيِّ الله بن خليلِ الله» يعني يوسفَ بنَ يعقوبَ بنَ إسحاق ابن إبراهيـم، صلوات الله عليهم. قالوا: ليس عن هذا نسألُك قال: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تسألون؛ إنّ خيارَكم في الجاهلية خيارُكم في الإسلام إذا فَقُهوا»(٣).

ورُوي هذا الحديث عن سعيد بن أبي سعيد(٤) عن أبي هُريرة مرفوعاً. وذكر المؤلف مثله بروايات متعددة.

* *

بـــاب
قوله ﷺ: «من يُرِدِ اللَّهُ به خيراً يفقِّهْهُ في الدّين»

١٤ - عن عبد الله بن وَهَب(٥) قال: حدثنا عمرُو بن الحارث أن عبَّادَ بنَ سالم حدّثه عن سالم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من يردِ اللَّهُ به خيراً يُفقِّهْهُ في الدِّين»(٦).

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٨) وقد رواه بهذا اللفظ وبنحوه غير واحد من الأئمة. (م).

(٢) تحرف في الأصل المطبوع من المختصر إلى «سعد» والتصحيح من «جامع بيان العلم وفضله». (م).

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٨) (م).

(٤) سعيد بن أبي سعيد واسم أبي سعيد: كيسانَ المَقْبُري أبو سعد المدني، ثقة. مات في حدود ١٢٠ هـ. «جامع الأصول» (١٤/٢٢٣) و«التقريب» (٢٣٦).

(٥) عبد الله بن وهب القرشي بالولاء الفقيه المالكي المِصْري - أبو محمد أحد أئمة عصره، صحب الإمام مالك بن أنس عشرين سنةً توفي بمصر ١٩٧ هـ. «ابن خلكان» [٣/٣٦] و«تهذيب التهـذيب» [٦/٧١].

(٦) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٩) دون قوله: «في الدِّين» فقد أضافها المُخْتَصِرُ =

قال أبو عمر: لم يحدّث ُحدٌ بهذا الحديث بهذا الإسناد غيرُ ابن وَهَب، ورواه عنه يونسُ بنُ عبد الأعلى[١] فجعله عن ابن عمرَ عن عمرَ عن النبي ﷺ قال: **قال** رسول الله ﷺ: «من يُردِ اللّهُ أن يهديَه يُفَقِّهْهُ»[٢].

وفي هذا الباب حديث مُعَاوية صَحيحٌ أيضاً، فعن محمد بن كعب القُرَظِي[٣] قال: كان مُعَاويةُ بنُ أبي سُفيان يخطبُ بالمدينة يقولُ: أيُّها النَّاسُ إنّه لا مانعَ لما أعطى الله، ولا معطيَ لما منع الله، ولا ينفعُ ذا الجَدّ منه الجدُّ[٤] من يُردِ اللّهُ به خيراً يفقِّهْهُ في الدّين، سمعت هذه الكلمات من رسول الله ﷺ على هذه الأعواد[٥].

وذكره المؤلّف بروايات أخرى منها:

١٥ ـ عن حُمَيْد بن عبد الرحمن[٦] قال: سمعت معاوية وخطبنا فقال: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول: **«من يردِ اللّهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين وإنّما أنا قاسم، والله يعطي، ولن تزالَ هذه الأمة قائمةً على أمرِ الله لا يضُرُّهم من خالفهم حتى يأتيَ أمر الله»**[٧].

وعن عبد الله بن مُحَيْريز[٨] عن معاويةَ أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أرادَ اللّهُ بعبدٍ خيراً فَقَّهَهُ في الدِّين»[٩].

= من حديث أبي هريرة الذي بعده عند ابن عبد البر، وهو حديث صحيح مشهور، رواه جمع من الأئمة. (م).

(١) البصري، ثقة مات سنة ٢٦٤ هـ [وكانت وفاته بمصر «ابن خلكان» (٢٤٩/٧)] والتقريب [٦١٣].

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٩/١) (م).

(٣) أبو حمزة القرظي المدني، وكان قد نزل الكوفة مدة، ثقة عالم. مات ١٢٠ هـ. «التقريب» (٥٠٤).

(٤) الجَدُّ: الحظُّ.

(٥) الأعواد: المنبر.

(٦) حُمَيْد بن عبد الرحمن بن عوف الرُّؤاسي، ذكره ابن حبان في الثقات. «التقريب» (١٨٢).

(٧) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٠/١) (م).

(٨) ثقة عابد مات سنة ٩٩ وقيل: بعدها «التقريب» [٣٢٢].

(٩) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٠/١) (م).

وقال ﷺ: «إذا أرادَ اللَّهُ بعبدٍ خيراً جعلَ فيه ثلاثَ خلال، فقَّهَهُ في الدّين وزهَّدَهُ، في الدُّنيا وبصَّرهُ عيوبَهُ»(١).

* *

بـــاب
تفضيل العلم على العِبَادة

١٦ ـ عن عبــدِ الله بن عَمْـرو بن العــاص (٢) رضيَ الله عنهُمــا، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قليلُ العلمِ خيرٌ من كثيرِ العبادة وكَفَى بالمرءِ عِلْماً إذا عبد اللَّهَ، وكفَى بالمرءِ جهلاً إذا أُعجبَ برأيه، إنّما الناسُ رجلانِ عالمٌ وجاهلٌ، فلا تمارِ العالمَ ولا تحاورِ الجاهلِ» (٣).

١٧ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه» (٤).

١٨ ـ وعن أبي سعيد الخُدْري قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل العالم علىٰ العابد كفضلي على أُمتي»(٥).

١٩ ـ وعن ابن أبي جُحَادة قال: قال ابن مسعود: «الدّراسة صلاة» (٦).

٢٠ ـ وعن عمرو بن قيس المُلائي (٧) قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلُ العلم خيرٌ من فَضْلِ العبادَةِ ومِلاكُ الدّين الوَرَع» (٨).

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢٠ ـ ٢١) (م).
(٢) صحابي جليل أسلم قبل أبيه ومات سنة ٦٣ هـ «التقريب» [٣١٥].
(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢١) (م).
(٤) ومن رواة هذا الحديث أبو عبد الله العُذْري، قال فيه أبو سُفْيان: إنّه يكرهُ الحديث عنه.
قلت: وهو عند ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢١) وانظر «كنز العمال» (٣/ ٣٨) (م).
(٥) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢١) ورواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٧٨) وقال: هذا حديث لا يصح. (م).
(٦) وراه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢٢) موقوفاً على ابن مسعود. (م).
(٧) الكوفي ثقة متقن عابد مات سنة مئة وبضع وأربعين «التقريب» [٤٢٦].
(٨) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢٢) وهو مرسل لأن عمرو بن قيس الملائي لم =

٢١ ـ وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمَتِ العطيّةُ ونعمتِ الهديّةُ كلمةُ حكمةٍ تسمَعُها، فتنطوي عليها، ثُمَّ تحمِلُها إلى أخٍ لك مُسْلمٍ تُعلِّمُهُ إيَّاها تعدِلُ عبادةَ سنة»[1].

٢٢ ـ وعن قَتادة[2] قال: بابٌ من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه وصلاح من بعده أفضَلُ من عبادة حَوْل.

٢٣ ـ وعن حِزام بن حكيم[3] عن عمه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنّكم أصبحتم في زمان كثيرٍ فقهاؤُه قليلٍ خطباؤُه قليلٍ سائلوه كثيرٍ مُعْطُوه، العمل فيه خيرٌ من العلم، وسيأتي على الناس زمان قليلٌ فقهاؤه كثيرٌ خطباؤه قليلٌ معطوه كثيرٌ سائلوه العلمُ فيه خيرٌ من العمل»[4].

وعن مُطرّف بن عبد الله بن الشّخّير[5] قال: حظٌ من علم أحب إليَّ من حظٍ من عبادة ولأن أعافى فأشكرَ أحبُّ إلي من أن أبتلى فأصبرَ ونظرت في الخير الذي لا شر فيه فلم أرَ مثل المعافاة والشكر.

وقال أيضاً: فضلُ العلم أعجبُ إليَّ من فضل العبادة.

وقال قتادة: تذاكُرُ العلم بعض ليلة أحبُّ إليَّ من إحيائها.

وعن إسحاق بن منصور[6] قال: قلت لأحمد بن حنبل[7]: قوله تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليّ من إحيائها. أيَّ علم أراد؟.

= يدرك رسول الله ﷺ. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٢٠) وعزاه للطبراني في «المعجم الكبير» وقال: فيه سوار بن مصعب ضعيف جداً. (م).

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٢٢) (م).

(٢) ستأتي ترجمته في ص (٩٢).

(٣) حِزام بن حكيم بن حزام بن خويلد الأَسَدي القرشي حجازي. «التقريب» [١٥٧].

(٤) رواه ابن عبد البر «في جامع بيان العلم وفضله» (١/٢٣) (م).

(٥) العامريّ الحَرَشيّ أبو عبد الله البصري، ثقةٌ عابدٌ فاضلٌ مات سنة ٩٥ هـ. «التقريب» [٥٣٤].

(٦) ابن بَهرام الكوسَج أبو يعقوب التميمي المروزي ثقة ثبت مات سنة ٢٥١ هـ. «التقريب» (١٠٣).

(٧) الشَّيْباني الإمام الجليل المجتهد، أخذ عنه الحديث جماعة منهم البخاري ومسلم مات سنة ٢٤١ هـ. «ابن خلكان» [(١/٦٣)، و «التقريب» (٨٤)].

قال: هو العلم الذي ينتفع به: الناس في أمر دينهم. قلت: في الوضوء والصّلاة والصّوم والحجّ والطّلاق ونحو هذا؟ قال: نعم.

قال إسحاق بن منصور: وقال إسحاق بن راهويه(1): هو كما قال أحمد.

وعن أبي هريرة أنه قال: لأن أجلس ساعة فأفقه في ديني أحب إليَّ من أن أحيي ليلةً إلى الصّباح.

وعن الزُّهري قال: ما عُبد الله بمثل الفقه.

٢٤ ـ وعن ابن وهب قال: كنت عند مالك بن أنس، فحانت صلاة الظهر أو العصر، وأنا أقرأ عليه وأنظر في العلم بين يديه فجمعت كتبي وقمت لأركع، فقال لي مالك: ما هذا؟ قلت: أقوم إلى الصلاة، قال: فقال: إنّ هذا لعجبٌ ما الّذي قمتَ إليه بأفضلَ من الذي كنت فيه إذا صحّت النيّة.

وعن محمد بن يوسف قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي يقول: لَطَلَبُ العلم أفضل من صلاة النافلة.

وكان سفيان الثوري يقول: ما من عمل أفضلَ من طلب العلم إذا صحّت النية.

٢٥ ـ وعن أبي ذرٍّ(2) قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن تغدوَ فتتعلَّمَ باباً من العلم خيرٌ لك من أن تصلي مائة ركعة»(3).

وعن أبي هريرة: لكلِّ شيءٍ عمادٌ وعماد هذا الدين الفقه، وما عُبِدَ الله بشيءٍ أفضلَ من فقه في الدين، ولَفقيه واحدٍ أشدُّ على الشيطان من ألف عابد.

(قف على قول عمر في العالم العاقل)

وقال عمر بن الخطاب: لَموتُ ألفِ عابد قائمِ اللّيلِ صائمِ النَّهار أهونُ من موت العاقل البصير(4) لحلال الله وحرامه.

---

(1) أبو محمد ثقة حافظ مجتهد قرين أحمد بن حنبل مات سنة ٢٥٣ هـ «التقريب» (٩٩).

(2) الغفاري الصحابي الجليل واسمه جُنْدب بن جُنادة على الأصح مات سنة ٣٢ هـ. «التقريب» [٦٣٨].

(3) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٢٥) وهو عند ابن ماجه رقم (٢١٩) وانظر التعليق عليه. (م).

(4) هذا هو الفقيه المراد في الأحاديث والآثار، لا من يحشر الأحكام في ذهنه بلا رويَّة ويخزن المسائل =

وقال سفيان ابن عُيَيْنة: قال عمر بن عبد العزيز: من عمل في غير علمٍ كان ما يفسد أكثرَ ممّا يُصلح.

* *

بـــاب
قوله ﷺ: «العَالمُ والمتَعَلِّمُ شَريكان»

٢٦ ـ عن أبي أُمامة الباهلي[١] رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بهذا العلم قبل أن يُقبض وقبلَ أن يرفع» ثم قال: «العَالم والمُتَعلم شَرِيكَان في الأجر، ولا خَيرَ في سَائِرِ النّاس بَعْد»[٢] وجمع بين إصبعيه الوسطى والسَبَّابة التي تَلي الإبهام.

وروي عن عليٍّ رحمه الله قال: النّاسُ ثلاثةٌ فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، والباقي همج رعَاعٌ أتباعُ كلّ ناعق.

وأنشد عمرو بن بحر الجاحظ[٣] لصالح بن جناح[٤] في العلم:

= بلا تبصر ولا تأمل، ويتلقفها من غيره أو من الكتب بدون رجوع بها إلى أصولها ومراعاة انطباقها على ما أراده الله من المصلحة العامة لعباده الكافلة لصلاح شؤونهم والكافية لهم معاشاً ومعاداً، وليتأمّلْ هذا من أراد بنفسه.

(١) الصحابي المشهور واسمه صُدَيُّ بن عَجْلان، سكن الشام ومات بها سنة ٨٦ هـ. «التقريب»: [٢٧٦].

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٢٨) (م).

(٣) عمرو بن بحر الجاحظ، والذي روى هذه الأبيات كما في «الجامع» يموت بن المُزَرَّع العبدي وهو ابن أخت الجاحظ. ينظر «الأعلام» (٨/٢٠٩).

وجاء في «جامع بيان العلم وفضله» و«المختصر»: وأنشد عمرو بن بحرٍ الحافظ الصالح؛ وهو تحريف والأشبه ما أثبته.

(٤) هو صالح بن جناح اللَّخمي. شاعر من الحكماء. أدرك الأتباع وكلامه مستفاد في الحكمة.

ومن شعره:

نَمـوتُ ونُنسى غيـر أنّ ذُنُوبنـا ... إذا نَحْنُ مُتْنَـا لا تَمُـوتُ وَلا تُنْسىٰ

ألا رُبَّ ذي عينين لا تَنْفَعَانِه ... وهل تنفعُ العَيْنـان من قلبه أعمى

وله غير ذلك من أبيات الحكمة. انظر ترجمته في «مختصر تاريخ دمشق» (١١/٢٨ ـ ٢٩) و«الأعلام» (٣/١٩٠). (م). =

تـعلّم إذا مـا كـنت لـيس بعـالـم ... فمـا العلم إلّا عنـد أهـلِ التعلُّمِ
تــعـلم فـإن الــعِـلم زيـنٌ لأهـله ... ولن تستـطيـعَ العِلْم إن لم تـعلمِ
تـعلم فـإن الـعلم أزيـن بـالـفتـى ... من الحُلَّة الحسنـاء عنـد التـكلمِ
ولا خيـرَ فيـمن راح لـيس بعـالـم ... بـصيـر بـمـا يـأتـي ولا متـعـلمِ

٢٧ ـ وعن حُميد عن الحسن أن أبا الدرداء قال: كنْ عالماً أو متعلماً أو محباً أو متبعاً، ولا تكن الخامسَ فتهلك.

قال: قلت للحسن وما الخامس؟ قال: المبتدع.

٢٨ ـ وعن خالد بن عبد الرحمن ابن أبي بكرة[١] عن أبيه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «أُغدُ عالماً أو متعلماً أو مُسْتَمِعاً أو محباً ولا تكنِ الخامسةَ فتهلكَ»[٢].

(قال أبو عمر): الخامسة[٣] التي فيها الهلاك معاداة العلماء وبغضهم ومن لم يحبُّهم فقد أبغضَهم أو قاربَ ذلك وفيه الهلاك، والله أعلم.

* *

بــابُ
تفضيلِ العُلَماءِ على الشُّهَداء

٢٩ ـ عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «للأنبياء عَلَى العُلَمَاء فَضْلُ درجتين وللعُلماءِ على الشُّهداء فضلُ درجة»[٤].

---

(١) أبو بَكْرة: لقبٌ عرف به وهو نُفَيْع بن الحارث بن كَلَدَة بن عمرو الثقفي. أبو بكرة صحابيٌ مشهورٌ بكنيته، وقيل: اسمه مَسْروح، أسلم بالطَّائف، ثم نزل البصرة ومات بها سنة ٥١ أو ٥٢ هـ. «التقريب» (٥٦٥).

(٢) رواه ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٣٠) وانظر «كنز العمال» (١٠/١٤٣) (م).

(٣) المتبادر أن الخامسة هي الجهل ومن المعلوم أنّ من جهل شيئاً عاداه.

(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٣١) (م).

أنشدني بعض شيوخي لابن دُرَيْد[1]:

أهلاً وسَهلاً بالّذين أوَدُّهم ... وأحبُّهم في الله ذي الآلاء
أهلاً بقوم صَالِحينَ ذَوي تُقى ... غرِّ الوجوه وزين كلّ ملاءِ
يسعَوْن في طلب الحديث بعفة ... وتوقُّر وسكينة وحياء
لهم المهابة والجلالة والنُّهى ... وفضائل جلَّت عن الإحصاء
ومدادُ ما تجري به أقلامُهم ... أزكى وأفضل من دم الشهداء
يا طالبي علم النبي محمد ... ما أنتمُ وسواكُم بسواء

٣٠ ـ وروي من حديث أبي هريرة، وأبي ذرٍّ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «إذَا جَاء المَوتُ طالبَ العِلمِ وَهُو على حَالِهِ، ماتَ شهيداً»[2].

وبعضهم يقول في ذلك: لم يكن بينه وبين الأنبياء إلَّا درجةٌ في الجنة.

وروي أيضاً مرفوعاً من حديث ابن عبّاس وقد ذكرنا هذا الحديث بإسناده في كتابنا هذا في باب استدامة الطلب، وفي باب جامع فضل العلم، وفي إسناده اضطراب لأنَّ منهم من يجعله عن سعيد بن المسيّب[3] عن ابن عباس، ومنهم من يجعله عن سعيد عن أبي هريرة وأبي ذر، ومنهم من يرسله عن سعيد، والفضائل تروى عن كل أحد والحجة من جهة الإسناد إنما تُتَقَصَّى في الأحكام، وفي الحلال والحرام.

وعن أبي الدرداء أنه قال: من رأى الغدوَّ والرَّواح إلى العلم ليس بجهاد فقد نُقص في عقله ورأيه.

---

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزْدي اللغوي البصري إمام عصره في اللغة والآداب والشعر الفائق. مات في بغداد سنة ٣٢١ هـ. «ابن خلكان» (٤/٣٢٣).

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٣١) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٢٤) وعزاه للبزّار وقال: وفيه هلال بن عبد الرحمن الحنفي وهو متروك. (م).

(٣) القرشي المخزومي المدني أحد فقهاء المدينة السبعة وسيّد التابعين ومُرْسلاته أصحُ المراسيل، مات سنة ٩١ هـ وقيل أكثر. «ابن خلكان» [٢/ ٣٧٥].

وعن الأَزْدي قال: سألت ابن عَبَّاس عن الجِهَاد فقال: ألا أدُلك على خيرٍ من الجهاد؟ فقلت: بلى! قال: تبني مسجداً وتعلِّم فيه الفرائض، والسُّنَّة، والفقهَ في الدّين.

* *

بـــاب
ذكر حديث صفوان بن عَسَّال(١) في فضل العلم وذكر حَديث أبي الدَّرْداء في ذلك، وما كان في معناه

٣١ ـ عن زِرّ بن حُبَيْش(٢) قال: جاء رجل من مُراد يقال له صَفْوان بن عَسَّال إلى رسول الله ﷺ وهو في المسجد متكىء على بُرْد له أحمر. قال: فقلت: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم، قال: «مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم لتحفُّ به الملائكة وتظلُّه بأجنحتها فيركب بعضها بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من حبهم لما يطلب. فما جئت تطلب؟ قال: قلت: يا رسول الله لا أزال أسافر بين مكة والمدينة فأفتني عن المسح على الخفين» وذكر الحديث(٣).

٣٢ ـ وعن [داود بن] جميل [عن كثير] بن قيس: أنّ رجلاً جاء من المدينة إلى أبي الدرداء(٤) ـ وهو بدمشق ـ فَسَأَله عن حديث. فقال له أبو الدرداء: ما جاءت بك حاجة، ولا جئت في طلب التجارة، ولا جئت إلاّ في طلب الحديث؟

---

(١) صَفْوانُ بنُ عسَّال المراديّ صحابي معروف، نزل الكوفة. «الاستيعاب» (٢/٧٢٤) و«جامع الأصول» (١٤/٣٥٠) و«التقريب» (٢٧٧).

(٢) الأَسَديُّ أدرك الجاهليَّة ولم يرَ الرّسولَ ﷺ وهو من جلّة التّابعين، ومن كبار أصحاب ابن مسعود. مات سنة ٨٣ هـ من الاستيعاب للمؤلف. [٢/٥٦٣ وفي «التقريب» (٢١٥) زِرّ: بكسر أوله وتشديد الراء، أبو مريم، ثقة جليل مخضرم. مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث وثمانين وهو ابن مئة وعشرين].

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٣٢) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٣١) وعزاه للطبراني في «الكبير» وقال: ورجاله رجال الصحيح. (م).

(٤) هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، صحابي جليل، أوّلُ مشاهدِه أُحُدٌ. مات في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه. «التقريب» [٤٣٤].

فقال له الرجلُ: بَلى، فقال له أبو الدرداء: أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبدٍ يخْرُجُ يطلبُ علماً إلاَّ وضعَتْ له الملائِكَةُ أجنحتَها، وسُلِك به طريقٌ إلى الجنة، وإنه يستغفرُ للعالم مَنْ في السَّمواتِ ومَنْ في الأرض حتَّى الحيتَانُ في البحر، وإنّ فضلَ العالم على العابِدِ كفَضْلِ القَمَرِ ليلةَ البَدْرِ على سائر الكواكب، إنَّ العلماءَ هُمْ ورثةُ الأنبياء، إنَّ الأنبياء لم يورِّثُوا ديناراً ولا درهماً ولكنَّهم ورَّثُوا العلمَ فمن أخذَهُ أخذَ بحظٍ وافر»[1].

٣٣ ـ وعن ابن عباس قال: معلّمُ الخير يصلِّي[2] عليه دوابُّ الأرض حتى الحوت في البحر.

٣٤ ـ وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «عُلَمَاءُ هذه الأمّة رجلان، فرجلٌ أعطاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه صُفْراً[3] ولم يشتر به ثمناً أولئك يُصلي عليهم طَيرُ السَّمَاء وحيتان البحر ودوابُّ الأرض والكِرَام الكَاتبون، ورجل آتاه الله علماً فضنَّ به عن عِبَاده، وأخذ به صُفْراً واشترى به ثمناً، فذلك يأتي يوم القيامة مُلْجماً بلجامٍ من نار»[4].

٣٥ ـ وعن أبي أُمامةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله وملائكَتَهُ وأهلَ السَّموات والأرض حتَّى النملةُ في جُحْرِها وحتَّى الحوتُ في البحر لَيُصَلُّون على مُعلّم الناسِ الخيرَ»[5].

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٣٣ ـ ٣٤) وما بين الحاصرتين سقط من سند الحديث واستدركته من رواية أخرى عنده (١/٣٥) وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/٩٤) وأطال الكلام عليه فراجعه، وهو عند ابن حبّان في «الإحسان» (١/٢٨٩ ـ ٢٩٠) وأوله عندهما: «من سلك طريقاً. . .» وانظر تخريجه هناك. (م).

(٢) قال أبو عمر: الصلاة هاهنا الدُّعاء والاستغفار وهو بمعنى قوله: الملائكة تَضَعُ أجنحتها، أي: تدعو والله أعلم. [«جامع بيان فضل العلم» (١/٣٨)].

(٣) الصُّفر: سود الابل، ومنه قوله تعالى: ﴿كأنَّه جِمَالَاتٌ صُفر﴾ [سورة المرسلات: ٣٣] والصُّفْر أيضاً النحاس الجيد والذهب من لسان العرب [صفر].

(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٣٨) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٢٤) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه عبد بن خراش ضعّفه البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم وابن عدي، ووثقه ابن حبّان. (م).

(٥) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٣٨) (م).

بـــاب
دعاء الرسول ﷺ لمستمع العِلم وحَافِظهِ ومُبَلِّغه

٣٦ ـ عن زيدِ بنِ ثابتٍ[١] أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «نَضَّر الله آمرَأً سمعَ مِنَّا حديثاً فحفظَهُ وَبلَّغه غيرَه فربَّ حامل فقهٍ ليسَ بفقيه. ثلاثٌ لا يغِلّ[٢] عليهنَّ قلبُ مسلم؛ إخلاصُ العملِ لله، ومناصحةُ وُلاةِ الأمر، ولزومُ الجماعة، فإنَّ دعوتَهم تُحيطُ من ورائهم»[٣].

٣٧ ـ وقال رسول الله ﷺ: «من كانت نيته الآخرة جمع الله شملهُ وجعله غِنَاه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرّق الله عليه أمره وجعل فَقْره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتِبَ له»[٤].

٣٨ ـ وفي رواية عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «نَضَّر الله امرَأً سمع منا حديثاً فأدّاه عنا كما سمعه[٥] فإنه ربّ حامل فقه غير فقيه، ثلاث لا يَغُلُّ عليهن قلب مسلم» وذكر الحديث.

ورُوي مثله عن أنس بن مالك.

قال أبو عمر:

٣٩ ـ وروى هذا الحديثَ أيضاً عن النبي ﷺ أبو بَكْرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ بِمِنى فقال: «ألا فليبلّغ الشَّاهدُ منكم الغائبَ فإنّه لعلّه أن يبلّغه من هو أَوْعى له منه أو مَنْ هو أحفظ له»[٦].

---

(١) الأنصاري النجَّاري الصحابي الجليل أحد فقهاء الصحابة الجلة ومن الراسخين في العلم. مات سنة ٤٥ هـ وقيل أكثر. «التقريب» [٢٢٢] و«الاستيعاب» [٢/٥٣٧].

(٢) من غلَّ أو أَغَلَّ بمعنى خانَ [جاء في «لسان العرب»: (غلل) لا يَغِلُّ: بفتح الياء: يَضْغَن ويحقدُ، وبضم الياء: يخون وفيه نصُّ الحديث مع اختلافٍ في اللفظ].

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٣٩) وانظر «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/١٠٨ ـ ١٠٩) (م).

(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٣٩) وانظر «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/١٢١) (م).

(٥) قوله: (كما سمعه) ما ألطف هذا التأكيد والبيان؛ فإنه ما أضرَّ بالأديان مثل الزيادات التي زيدت فيها، وإن الوقوف عندما حدَّه الشارع هو المحلُّ الوحيدُ للمتمسكين بشرعة من غيرهم.

(٦) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٤٠ ـ ٤١) (م).

قال أبو بَكْرة فقد كان هذا قد بلّغه أقوامٌ من هو أوعى له منهم.

قال أبو عمر: ورواه أيضاً عبدُ الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ربَّ حاملِ فقهٍ غيرُ فقيه، ومن لم ينفعْه فقهُه ضرَّهُ جهلُه»(١).

٤٠ ـ ومن حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رحِمَ اللَّهُ من تعلَّم فريضةً أو فريضتين فعملَ بهما أو علَّمهما من يعملُ بهما»(٢).

٤١ ـ وعن شَهْرِ بن حوشب(٣) أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما أفاد المسلمُ أخاه فائدةً أفضلَ(٤) من حديث حسن بلغه فبلّغه»(٥).

٤٢ ـ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «تسمعون ويُسمع منكم ويُسمع ممن يسمع منكم»(٦) وفي هذا الحديث أيضاً دليل على تبليغ العلم ونشره.

* *

بــاب
قوله ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً»

٤٣ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من حَمل على أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة فقيهاً عالماً»(٧).

قال أبو عمر: إسناد هذا الحديث كله ضعيف.

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٤٢/١) (م).
(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٤٢/١) (م).
(٣) الأشعري: صدوق كثير الإرسال، مات سنة ١١٢ هـ. «التقريب»: [٢٦٩].
(٤) في «جامع بيان العلم وفضله»: «أحسن» وقال في حاشيته: وفي «وفي نسخة»: «أفضل». (م).
(٥) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٤٣/١) (م).
(٦) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٤٣/١) (م).
(٧) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٤٣/١) وانظر «العلل المتناهية» (١٢٥/١) (م).

٤٤ ـ وعن مالكٍ عن نافع مولى ابن عُمر عن ابن عُمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من حَفِظَ على أُمتي أربعينَ حديثاً من السنّة حتّى يؤدِّيها إليهم كنتُ له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة»[١].

قال أبو عمر: هذا أحسنُ إسنادٍ جاءَ به هذا الحديث، ولكنَّه غيرُ محفوظٍ ولا معروف من حديث مالك، ومن رواه عن مالك فقد أخطأ عليه، وأضاف ما ليس من روايته إليه: وقد جاء هذا الحديثُ من روايات متعدّدة كلُّها متكلَّمٌ فيها.

وقال أبو علي بن السّكن[٢]: ليس يُروىٰ هذا الحديث عن النبي ﷺ بوجهٍ ثابتٍ.

* *

بـــاب
جامع في فضل العلم

٤٥ ـ حدّثنا خلفُ بنُ جعفرٍ قال: حدّثنا عبدُ الوهاب بن الحسن الدمشقي بدمشقَ، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام مكحول[٣] ببيروتَ، قال: حدثنا إسحاق بن سُوَيد، قال: حدثنا أبو النَّضرِ إسحاق بن إبراهيم قال: حدّثنا يزيدُ بن ربيعة قال: حدثنا ربيعةُ بن هُرْمَزَ عن واثلة بن الأَسْقع[٤] أن رسول الله ﷺ

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٤٣) وذكره الإمام النووي برواياته المتعددة في صدر كتابه «الأربعين» ص (١٦ ـ ١٨) بتحقيقنا، طبع مكتبة دار العروبة في الكويت، وقال في آخره: اتفق الحفّاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه، وانظر كلام السخاوي عليه في «المقاصد الحسنة» ص (٤١١) وانظر «العلل المتناهية» (١/١٢٥). (م).

(٢) سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي من حفاظ الحديث نزل بمصر وتوفي بها. كان أحد الأئمة الحفاظ، والمصنفين الأيقاظ، رحل وطوّف وجمع وصنف له «الصحيح المنتقى» في الحديث. «تذكرة الحفاظ» (٣/١٤) و«الأعلام» (٣/٩٨).

(٣) من سَبْي كابل تابعي جليل لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا. مات سنة ١١٢ هـ. ابن خلكان [٥/٢٨٠].

(٤) ابن كعب الليثي، صحابي مشهور، نزل الشام، وعاش إلى سنة خمس وثمانين وله مئة وخمس سنين. التقريب (٥٧٩).

قال: «من طلبَ علماً فأدركَه، كتبَ اللَّهُ له كِفْلين من الأجرِ ومن طَلَبَ علماً فلم يُدْرِكْهُ كان له كِفْلٌ من الأجر»[1].

قال أبو عمر: أحاديث الفضائل تسامحَ العلماءُ قديماً في روايتها عن كلّ، ولم ينتقدُوا فيها كانتقاد أحاديث الأحكام.

٤٦ ـ وعن أنس بن مالك قال: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسول الله أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: «العلمُ بالله عزَّ وجل». قال: يا رسول الله أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «العلم بالله عز وجل». قال: يا رسول الله أسألُك عن العَمَل وتخبرني عن العلم! فقال رسول الله ﷺ: «إنّ قليلَ العَمَل ينفعُ مع العلم، وإنّ كثيرَ العَمَل لا ينفعُ معَ الجَهْل»[2].

وقد روي مثل هذا عن عبد الله بن مسعود أيضاً بإسناد صالح.

٤٧ ـ وعن أبي يوسف[3] قال: سمعتُ أبا حنيفةَ يقول: حجَجْت مع أبي سنة ثلاث وتسعين ولي ست عشرة سنة، فإذا شيخ قد اجتمع عليه الناس، فقلت لأبي من هذا الشيخ؟ فقال: هذا رجل قد صحب النَّبيَّ ﷺ يقال له: عبد الله بن الحَارث بن جَزْءٍ[4]، فقلت لأبي: قدّمني إليه حتى أسمع منه، فتقدم بين يدي وجعل يفرّج الناس حتّى دنوت منه، فسمعته يقول: قال رسول الله ﷺ: «من تفقَّه في دين الله كفَاهُ الله همَّهُ ورزقَه من حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ»[5].

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٤٥/١) (م).

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٤٥/١) (م).

(٣) أبو يوسف صاحب أبي حنيفة يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، فقيه عالم حافظ. مات سنة ١٧٢ هـ ببغداد «وفيات الأعيان» (٣٧/٨).

(٤) الزُّبيدي، صحابي، أبو الحارث، سكن مصر، وهو آخر من مات بها من الصحابة سنة ٨٦ هـ وقيل أكثر. «التقريب» (٢٩٩) وكذلك في «الإصابة» الترجمة (٤٥٨٩) فكيف يراه أبو حنيفة سنة ٩٣ هـ؟ وقد ذكر ابن خلكان في «الوفيات» (٤٠٦/٥) أنه أدرك أربعة من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وهم أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفىٰ بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة ولم يلق أحداً منهم ولا أخذ عنه، وأصحابه يقولون: لقي جماعة من الصحابة ولقي عنهم. ولم يذكرَ أحد منهم أنه لقي عبد الله بن الحارث.

(٥) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٤٥/١) وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» =

قال أبو عمر: ذكر محمد بن سعدٍ الواقدي: أنَّ أبا حنيفة رأى أنسَ بن مالك وعبد الله بن جَزْء الزَبيدي.

٤٨ - وعن أبي سعيد الخُدْري قال: قال رسول الله ﷺ: «من غدا في طَلَب العِلْمِ صلَّتْ عليه الملائكةُ وبُورِكَ له في معيشَتِهِ ولم يُنقَصْ رِزقُه وكان عليه مُبَاركاً»[(١)].

وعن كعب قال: ما خرج رجلٌ في طلب عِلمٍ إلاّ ضمَّن الله السمواتِ والأرضَ رزقَه.

٤٩ - وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحْمَةُ الله على خُلَفَائي رَحْمَةُ الله على خُلَفائي رحمةُ الله على خلفائي» قالوا: ومن خلفاؤُك يا رسولَ الله؟ قال: «الذين يحيُونَ سُنَّتي ويعلّمونَها عبادَ الله»[(٢)].

وعن أبي حنيفة عن حمّاد بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿ونَضَعُ الموازينَ القسطَ ليوم القِيَامَة﴾[(٣)] قال: يجاء بعمل الرَّجلِ فيوضَعُ في كِفَّة ميزانه يومَ القيامة فتخفّ، فيُجَاء بشيءٍ أمثالِ الغَمَام، أو قال: مثلِ السَّحاب فيُوضَع في كفة ميزانه فيرجح. فيقال له: أتدري ما هذا؟ فيقول: لا. فيقال له: هذا فضلُ العلم الذي كنتَ تعلِّمُه الناس أو نحو هذا.

وعن وكيع قال: سمعتُ سفيان الثَّوري يقول: لا أعلم من العبادة شيئاً أفضلَ من أن يُعلِّم الناس العلم.

= (١٦٥/١٠) وعزاه للرافعي من حديث أبي يوسف عن أبي حنيفة عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وللخطيب البغدادي وابن النجار عن أبي يوسف عن أبي حنيفة عن عبد الله بن جزء الزَّبيدي رضي الله عنه. (م).

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٤٥/١) وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٦٢/١٠) وعزاه لابن عدي في «الكامل» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. (م).

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٤٦/١) وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (٢٢٩/١٠) وعزاه لأبي نصر السجزي في «الإبانة» ولابن عساكر من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما. (م).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٤٧).

وعن زيد بن أسلم[1] في قوله تعالى: ﴿ولقَدْ فضَّلنا بعضَ النبيِّينَ على بعضٍ﴾[2] قال: في العلم.

وينسب إلى عليّ رضي الله عنه من قوله[3] وهو مشهور سمعت غير واحد ينشده[4]:

النَّـاسُ من جهـة التمثيـل أكفـاء ... أبـوهـمُ آدم والأمُّ حـواءُ
نـفسٌ كـنـفس وأرواح مـشـاكـلةٌ ... وأعـظُمٌ خُـلقـت فـيـهـم وأعـضـاءُ
فـإن يكن لهم من أصلهـم حسـبٌ ... يفـاخِـرون بـه فـالـطِّين والمـاء
مـا الفضـل إلا لأهـل العلم إنهم ... على الهـدى لمن استـهـدى أدلّاء
وقـدرُ كـل امـرءٍ مـا كـان يحسِنُـهُ ... ولِـلرجـال على الأفـعـال أسـمـاء
وضـدّ كـل امـرءٍ مـا كـان يجهله ... والجَـاهِلُونَ لأهـلِ الـعِلمِ أعـداءُ

ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «أوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم ﷺ، يا إبراهيمُ إني عليمٌ أُحبُّ كُلّ عَلِيمٍ»[5].

وأنشدني أبو القاسم أحمد بن عمر بن عبد الله بن عُصْفُور لنفسه شعره هذا في العلم، وهو أحسنُ ما قيل في معناه:

مع العلم فاسلك حيث ما سلك العلمُ ... وعنـه فكـاشف كـلَّ من عنـده فهمُ
فـفيـه جـلاءٌ لـلقلوب مـن العَـمىٰ ... وعـونٌ على الدِّين الـذي أمره حتمُ
وإني رأيت الجهـل يُـزري بـأهله ... وذو العلم في الأقـوام يـرفعـه العِلْمُ

---

(١) العدوي مولى عمر، أبو عبد الله وأبو أسامة المدني، ثقة عالم وكان يرسل، فقيه مفسر، مات سنة ١٣٦ هـ. «التقريب» (٢٢٢) و«الأعلام» (٥٦/٣).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٥٥).

(٣) وبعض المحققين ينسب هذه الأبيات إلى علي بن أبي طالب القيرواني.

(٤) من «الشعر المنسوب إلى الإمام علي» جمع وشرح عبد العزيز سيد الأهل (١١) مع اختلاف في بعض الألفاظ وهي في «نموذج الأعمال الخيرية» (٢٣) لمحمد منير الدمشقي وقال: نسبها الجرجاني في «أسرار البلاغة» لمحمد بن ربيع الموصلي.

(٥) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٤٨/١ - ٤٩) (م).

يُعـدّ كبيرَ القـوم وهـو صغيـرهم | وينفـد[1] منه فيهم القـول والحكمُ
وأيُّ رجاء في امرىءٍ شابَ رأسُه | وأفنى سنيه وهـو مستعجم فَـدْمُ[2]
يروح ويغدو الدهر صاحب بِطنةٍ | تركّب في أحضانها اللحم والشحمُ
إذا سئل المسكينُ عن أمر دينه | بدت رُحَضَاءُ[3] العِيِّ في وجهه تسمو
وهل أبصرتْ عيناك أقبح منظراً | من أشيبَ لا علمٌ لديه ولا حُكْمُ؟
هي السوأة السَّوآءُ فاحذر شماتها | فأولها خزي وآخرها ذمُ
فخالط رواة العلم واصحبْ خيارَهُمُ | فصحبتهم زين وخلطتهم غنمُ
ولا تعُدوَنْ عيناك عنهم فإنهم | نجومٌ إذا ما غاب نجم بدا نجمُ
فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى | ولا لاح من غيب الأمور لنا رسمُ[4]

وقال سابق البلَوي المعروف بالبربري في قصيدة له[5]:

والعلمُ يجلُو العَمَى عن قلب صاحبه | كما يُجلِّي سوادع الظُّلمة القمـرُ
وليس ذو العلمِ بالتّقوى كجاهلها | ولا البصيرُ كأعمى ما لَه بصرُ[6]

وعن أحمد بن محمد بن يزيد بن مسلم الأنصاري المعروف بابن أبي الحَنَاجر قال: كنّا على باب محمد بن مُصْعَب القَرْقساني[7] جماعةً من أصحاب الحديث،

(١) أي: يبلغ؛ من نفد الشيء وأنفدته. «لسان العرب» [نفد].
(٢) الفدم: البليد.
(٣) الرُّحضاء: العرق على الجبين. «لسان العرب» (رحض).
(٤) الأبيات في «نموذج من الأعمال الخيرية» (٢٤) وهو غير ابن عصفور النحوي المعروف.
(٥) سابق بن عبد الله أبو سعيد البربري، له أشعار حسنة في الزهد، وهو من موالي بني أميَّة، سكن الرقة، ووفد على عمر بن عبد العزيز، وله معه حكايات لطيفة. روى عنه مكحول وموسى بن أعين والمعافى بن عمران وغيرهم، والبربريُّ: نسبة إلى البربر، وليس منسوباً إليهم، ولكنه لقب له. ينظر «خزانة الأدب» للبغدادي (٩/٥٣٢).
(٦) الأبيات في «شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي» (٣٤١)، لعبد العزيز الزير، ومحمد الأطرم نشر كلية اللغة العربية بالرياض ١٩٧٢. وهي كذلك في «شعر الفقهاء» للدكتور حسني ناعسة ص (٢٩٧) المكتبة العربية بحلب ط ١، ١٩٧٩، و«نموذج من الأعمال الخيرية» (٢٥).
(٧) من أصحاب الحديث كان يثيب من يعرف شيئاً من شعر سابق. انظر: «تاريخ ابن عساكر» (١٥/١٠٣٣ ـ ١٠٣٧) وفيه: أن المكافأة ثلاثون حديثاً لا ثلاثة.
وعجز البيت الأول فيه: «يُحيي البلادَ إذا مَا ماتَتِ المَطَرُ».

وفينا رجلٌ عراقيٌ بصيرٌ بالشّعر، ونحن نتمنى أن يخرُجَ إلينا فيحدّثنا حديثاً واحداً أو حديثين، إذْ خرجَ إلينا، فقال: قد خَطَر على قلبي بيتٌ من الشِّعر، فمن أخبرني لمن هو حدَّثْتُه ثلاثة أحاديث. فقال الفتى العراقيُّ: رحمك الله أيُّ بيت هو؟ فقال الشيخ:

العلمُ فيه حياة للقلوبِ كما تَحْيَا البلاد إذا ما مسَّها المطرُ

فقال الفَتَى هو لسابقٍ البربريِّ فقال الشيخ: صدقت فما بعده فقال:

والعلمُ يجلو العمىَ عن قلب صاحبه كما يُجلِّي سوادَ الظلمة القمرُ

فقال الشيخ: صدقت فحدَّثه ستة أحاديث سمِعْناها معه.

٥٠ - وَعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ، مرّ بمجلسين في مسجده أحدُ المجلسين يَدْعُون اللّهَ ويرغَبُون إليه والآخرُ يتعلَّمُون الفقه ويعلِّمُونه، فقال رسولُ الله ﷺ: كلا المجلسَيْن على خيرٍ وأحدُهما أفضلُ من صاحبه، أمّا هؤلاء فيدْعُون اللّهَ ويرغَبُون إليه، فإن شَاءَ أعطاهم وإن شَاءَ مَنَعَهُم، وأمّا هؤلاء فيتعلّمون، ويعلِّمُون الجاهلَ، وإنما بُعِثتُ مُعَلّماً ثم أقبلَ فجلسَ معهم»[1].

وكان عبيدُ الله بن أبي جعفر[2] يقول: العلماءُ[3] منارُ البلاد منهم يُقْتَبَسُ النُّور الذي يُهْتَدى به.

وقال ابن مسعود: نعمَ المجلسُ مجلسٌ تُنشرُ فيه الحكمة وتُرجَى فيه الرّحمة.

وعن الحسن قال: من طَلَبَ الحديثَ يريدُ به وجهَ الله كان خيراً له مما طلَعَتْ عليه الشّمسُ.

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٠) (م).

(٢) المصري، أبو بكر الفقيه، مولى بني كنانة، أو أمية، قيل: اسم أبيه يسار وكان فقيهاً عابداً، قال أبو حاتم: هو مثل يزيد بن أبي حبيب. مات سنة ١٣٢ وقيل ١٣٤ وقيل ١٣٥ هـ. «التقريب» (٣٧٠).

(٣) ينبغي لطالب العلم إذا رأى مثل هذا الكلام أن يحققه في نفسه ولا يجعله وسيلة للفخر وأخذ المنزلة في القلوب بدون عمل ينطبق على ذلك، ولذا فقد ضعف اعتبار الناس لكثير ممن اتسموا بالعلم بلا عمل، وافترشوا البلادة والكسل، أيقظهم الله لما فيه خيرهم وعرّفهم كيف يعلمون ويعملون آمين.

وعن الزُّهري قال: ما عُبِدَ اللَّهُ بمثلِ العلم.

وعن إسحاق بن إبراهيم بن بَسطاسٍ قال: قال لي عمرُ مولى غُفْرة: يا إسحاق عليك بالعلم فإنه لا يَعْدَمُك منه كلمةٌ تدلُّ على هدى، أو أخرى تَنْهى عن ردىً.

ولما حضرتْ معاذَ بنَ جبلٍ الوفاةُ قال لجاريتِهِ: ويحَكِ هل أصبحنا؟ قالت: لا.ثم تركها ساعةً، ثم قال: انظري. فقالت: نعم. فقال: أعوذُ بالله من صباحٍ إلى النَّار، ثم قال: مرحباً بالمَوْت مرحباً بزائرٍ جاءَ على فاقةٍ، لا أفلحَ من نَدِمَ، اللهم إنك تعلم أنّي لم أكن أحبُّ البقاءَ في الدنيا لجريِ الأنهارِ ولا لغرسِ الأشجار ولكنِّي كنتُ أحبُّ البقاءَ لمكابدةِ اللَّيْل الطويل ولظمأِ الهواجرِ في الحرِّ الشديد ولمزاحمةِ العلماء بالرُّكب في حِلَقِ الذِّكر[1].

٥١ ـ وعن معاذِ بن جبلٍ قال: قالَ رسول الله ﷺ: «العالمُ أمينُ الله في الأرض»[2].

وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾[3] قال: العلم[4] والعبادة ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾[5] أي: الجنَّة.

---

(١) المراد بالذّكر العلم ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُم لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧].

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٢/١) (م).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٠١).

(٤) فهي الحقيقة لا ارتقاء إلّا بالعلم ولا عزّ ولا حياة بدونه، ويعجبني بيتان أوصى بهما يحيىٰ بن عدي الحكيم تلميذه إسحٰق بن زرعة أن يكتبهما على قبره وهما:

ربَّ ميت قد صار بالعلم حيا ... ومبقّى قد مات جهلاً وعيًا

فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودا ... لا تعدّوا الحياة في الجهل شيًا

ومن نظر إلى تسابق الأمم في ميدان هذه الحياة لا يجد لها سبيلاً لفوزها إلّا العلم، فهو منير السبل، وكشاف الحقائق، ولا بدّ أن يعرف الإنسان ما هو العلم الذي يسود به، وبه يصل إليه كما قلت من قصيدة: وما العلم إلّا ما أفادك قوة تنال بها عزّاً وتنقاد للتقوى.

(٥) الآية نفسها.

وقال ابن وهب: سمعت سفيان الثَّوري يقول: الحسنةُ في الدنيا الرزقُ الطيِّبُ والعلمُ، والحسَنَةُ في الآخرة الجنَّة.

وعن الحسن قال: إن الرجلَ يتعلم البابَ من العلم فيعمل به خيرٌ من الدنيا وما فيها.

٥٢ ـ وعن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال: «من حَدَّث بحديث فعُمِل به أُعطي أجرَ ذلك»[١].

وروينا عن عبد الله بن مسعود من طُرُق أنّه كان يقولُ إذا رَأى الشبابَ يطلبون العلمَ: مرحباً بينابيع الحكمة ومصابيحِ الظُّلَم، خُلْقانِ الثّياب جُدَدِ القُلُوب حُبْسِ البيوت رَيْحان كل قبيلة.

وخطب زياد على منبر الكُوفَةِ فقال: إني بتُّ ليلتي هذه مهتماً بثلاثٍ: بذي العلمِ وبذي الشَّرفِ وبذي السنِّ. ولا والله لا أُوتى برجلٍ ردَّ على ذي علمٍ ليضعَ بذلك منه إلّا عاقبتُهُ، ولا أُوتَى برجلٍ ردَّ على ذي شرفٍ ليضعَ بذلك من شرفِهِ إلّا عاقبته، ولا أوتى برجل ردَّ على ذي شيبة ليضعَه بذلك إلاَّ عاقبته؛ إنَّما النَّاسُ بعلمائهم وأعلامهم وذوي أسنانهم[٢].

٥٣ ـ وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس منا من لم يرحمْ صغيرَنا ويوقّرْ كبيرنا ويعرفْ لعالمنا ـ يعني ـ حَقَّهُ»[٣].

وعن أبي عُنْبَةَ الخَوْلاني قال: ربَّ كلمةٍ خيرٌ من إعطاء المال[٤] لأنَّ المالَ يُطغيك والكلمةُ تَهْديك.

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٢/١) (م).

(٢) انظر «البيان والتبيين» للجاحظ (٤٥/٢) مع اختلاف في اللفظ.

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٣/١) وانظر «جامع الأصول» (٥٧٤/٦) (م).

(٤) قلت: وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿قولٌ معروفٌ ومَغْفِرَةٌ خيرٌ من صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أذىً﴾ [البقرة: ٢٦٣]. (م).

وروينا عن عبد الله بن المبارك: أنه خُيِّرَ سليمانُ بنُ داود عليهما السلام بين المُلْك والعِلْم فاختارَ العلمَ فآتاه اللَّهُ العلمَ والمُلْكَ معه باختياره العلمَ.

٥٤ ـ وعن الحسن، عن مُعَاذ بن جَبَل قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تعلّموا (قف على حد جليل) العلمَ فإنَّ تعليمَه لله خِشيةٌ وطلبَه عبادةٌ، ومذاكرتَه تسبيحٌ، والبحثَ عنه جهادٌ، وتعليمَه لمن لا يعلمه صدقةٌ، وبذلَه لأهلِهِ قربةٌ، لأنّه معالمُ الحلالِ والحرام، ومنارُ سُبُلِ أهلِ الجنَّة، وهو الأنس في الوَحْشة، والصَّاحب في الغُرْبةِ، والمحدِّثُ في الخلوَة، والدليلُ على السرَّاء والضرَّاء، والسِّلاحَ على الأعداء، والزَّينُ عند الأخِلاّء، يرفع اللَّهُ به أقواماً؛ فيجعلُهم في الخير قادةً وأئمةً تُقْتَصُّ آثارُهم، ويُقتدى بفِعالهم، ويُنتهى إلى رأيهم، ترغبُ الملائكةُ في خدمتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفرُ لهم كلُّ رَطْب ويابس، وحيتانُ البحر وهوامُّه، وسباعُ البرّ وأنعامُه، لأنَّ العلمَ حياةُ القلوب من الجَهْل، ومصابيحُ الأبصار من الظُّلم، يبلغ العبدُ بالعلم منازلَ الأخيار والدرجاتِ العُلى في الدنيا والآخرة، التفكُّر فيه يعدِلُ الصِّيام، ومدارستُه تعدلُ القيامَ، به توصَلُ الأرحامُ، وبه يُعْرَفُ الحلالُ والحرامُ، هو إمامُ العَمَل، والعَمَلُ تابعُهُ ويُلهَمُهُ السعداءُ ويُحرَمُه الأشقياء»[1].

قال أبو عمر: هكذا حدَّثنيه أبو عبد الله عُبَيْد الله بن محمد ـ رحمه الله ـ مرفوعاً بإسناده، وهو حديث حسن جداً، ولكن ليسَ له إسناد قوي، ورويناهُ من طرق شَتّى موقوفاً.

ووجدتُ في كتاب أبي ـ رحمه الله ـ بخطّه، أنشدنا أبو عمر أحمد بن سعيد لبعض الأدباء:

رأيتُ العلم صاحبُهُ شريفٌ ... وإنْ ولدَتْهُ آباءٌ لئامُ
وليسَ يَزالُ يرفعُه إلى أن ... يعظِّمَ قدرَه القومُ الكرامُ
ويتَّبعونَهُ في كل أمر ... كراعي الضأن يتبعه السَّوامُ
ويُحمَلُ قولُه في كلِّ أفقٍ ... ومن يكُ عالماً فهو الإمامُ

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٥٤ ـ ٥٥) (م).

فلولا العلمَ ما سَعِدَت نفوسٌ ولا عُرِفَ الحلالُ ولا الحرامُ
فبالعلم النجاةُ من المخازي وبالجهل المذلّةُ والرَّغامُ
هو الهادي الدليلُ إلى المعالي ومصباحٌ يضيءُ به الظلامُ
كذلكَ عن الرَّسول أتىٰ عَلَيْه من الله التحيَّةُ والسَّلامُ

وهذه الأبيات لبكر بن حمَّاد(1) أنشدناها عنه جماعة.

٥٥ ـ وعَنْ أنس بنِ مالك، عن النبيِّ ﷺ قال: «من خَرَجَ فيْ طلبِ العلم فَهُو في سبيل الله حتَّى يَرجِعَ»(2).

(قف على قول سفيان) وعن سفيانَ: ما يُراد اللَّهُ بشيء أفضلَ من طلبِ العلمِ، وما طُلب العلمُ في زمانٍ أفضلَ منه اليوم.

وعن عبد الرزاق قال: سمعتُ سفيانَ يقول لرجل من العرب: ويْحَكم! اطلبوا العلم؛ فإني أخافُ أن يخرجَ العلمُ من عندكم فيصيرَ إلى غيركم فتذلّون اطلبوا العلم، فإنه شرفٌ في الدنيا وشرفٌ في الآخرة.

قال: وحدثنا محمد بن علي قال: سمعت خالد بن خِداش البغدادي قال: ودَّعْتُ مالكَ بنَ أنس فقلت: يا أبا عبدَ الله أَوْصِني قال: عليك بتقوى اللَّهَ في السرِّ والعلانية والنُّصح لِكلِّ مسلم وكتابةِ العِلْم من عندِ أهلِهِ.

أنشدني أبو بكر قاسم بن مروان الورّاق لنفسه:

ما لي بقيت وأهلُ العلم قَدْ ذَهَبُوا عنَّا وَرَاحوا إلى الرَّحْمٰن وانْقَلَبُوا
أصبحتُ بعدَهمُ شيخاً أخا كِبَرٍ كالسّلك تعتادُني الأسقامُ والوَصَبُ
صَحِبتُهم وزِمامُ الطَّرْف يجمعُنا دهراً دهيراً فزانوا كلَّ من صحبوا

---

(1) ابن سمك الزناتي، أبو عبد الرحمن التاهرتي، شاعر، عالم بالحديث ورجاله فقيه، من أفاضل المغرب، ولد بتاهرت ورحل إلى البصرة ثم إلى القيروان وعاد منها إلى تاهرت سنة ٢٩٥ هـ ومات فيها سنة ٢٩٦ هـ. «البيان المغرب» (١٥٣/١) واسم جده فيه «سهر». وانظر «الأعلام» (٦٣/٢).
(2) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٥٥/١) وانظر «جامع الأصول» (٧/٨) (م).

في قصيدة مطوَّلة يذكر فيها قوماً من فقهاء قُرْطُبَة سلَفُوا ـ رحمهم الله ـ وفي شعره ذلك:

والعلمُ زينٌ وتشريفٌ لصَاحِبِهِ ... أتت إلينا بِذَا الأنباءُ والكتبُ
والعلمُ يرفَعُ أقواماً بلا حَسَبٍ ... فكيفَ من كانَ ذَا علمٍ لَهُ حَسَبُ
فاطْلُب بعلمِكَ وجهَ الله محتسباً ... فما سوى العلمِ فهو اللَّهو واللعبُ

ولي معارضةً لقول القائل:

وإذا طلبتَ من العلوم أجلَّها ... فأجلُّها منها مُقِيمُ الأَلْسُنِ

بقولي:

العلم يرفعُ كلَّ بيت هَيِّنٍ ... والفِقْهُ يَجْمُلُ باللّبيب الديِّنِ
والحرّ يُكرَمُ بالوقار بالنُّهى ... والمرءُ تحقرُه إذا لم يَرْزَنِ
فإذا طلبتَ من العُلُوم أجلَّها ... فأجلُّها عند التَّقيِّ المؤمنِ
علمُ الدِّيانة وهو أرفَعُها لدَىٰ ... كل امرىءٍ متيقِّظٍ متديِّنِ
هذا الصَّحيحُ ولا مَقَالَةَ جاهل: ... (فأجلُّها منها مُقيم الألسنِ)
لو كان مهتدياً لقال مبادراً: ... فأجلُّها منها مُقِيمُ الأدْيُنِ

ولبعض الأدباء:

يعدُّ رفيعَ القومِ مَنْ كان عالماً ... وإنْ لم يكُنْ في قومه بحسيبِ
وإنْ حلَّ أرضاً عاشَ فيها بعلمه ... وما عالمٌ في بلدةٍ بغريبِ

وفي حكمة داود عليه السلام: العلم في الصُّدور كالمصباح في البيت.

وقيل لبعض الحكماء الأوائل: أيُّ الأشياء ينبغي للعاقل أن يقتنيها؟ قال: الأشياءُ التي إذا غرقت سفينتُهُ سبحت معه يعني العلم(١).

---

(١) يشير بهذا إلى الاعتناء بحفظ العلم وعدم الاتكال على ما في الكتب ولذا قيل: العلم فاز به الحفاظ.
وقال الجاحظ: إذا أُنكِحَ الفِكرُ الحِفْظَ ولَّد العجائب.
ولمنصور الفقيه:

علمي معي أَينما يمَّمْتُ يَتْبَعُني ... قلبي وعاءٌ لَهُ لا بطنُ صندوقي
إنْ كنتُ في البَيْتِ كانَ العلمُ فيه معي ... أو كنتُ في السُّوق كان العلمُ في السوق

وقال غيره: من اتخذ الحكمة لجاماً اتخذه الناس إماماً، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار.

وقال عبد الملك بن مرْوان لبنيه: يا بنيَّ تعلَّموا العلمَ فإنّ استَغْنَيتُم كانَ لكم جمالاً، وإن افتقرتم كانَ لكم مالاً.

وعن أبي الدرداء أنه قال: يرزقُ الله العلمَ السُّعداء ويحرِمُه الأشقياء.

وعن علي رضي الله عنه قال: العلمُ خيرٌ من المال لأنّ المالَ تحرسُه والعلمُ يحرُسك، والمال تُفْنيه النَفَقَةُ والعلمُ يَزْكو بالإنفاق، والعلمُ حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليه، مات خُزّانُ الأموال وهم أَحْيَاء، والعلماءُ باقونَ ما بقيَ الدَّهر، أعيانُهم مفقودة وآثارُهم في الكون مَوْجودة.

وقال أبو عمر: من قول علي هذا أخذ سابقُ بن حُرَيْم البربريّ قوله - والله أعلم -.

موتُ التقيِّ حياةٌ لا انقطاع لها ... قد مات قومٌ وهم في النّاس أحياءُ

ولأبي سليمان جليس ثعلب:

لقد ضلَّتْ حلومٌ من أُناسٍ ... يَرَوْنَ بالعلم إفلاساً وَشُوماً
كسانا علمُنا فخراً وجُوداً ... وبالجهل اكتَسَوْا عجزاً ولُوماً
هُمُ الثِّيران إن فكرت فيهم ... فكيف بأَنْ تَرَى ثوراً عليماً
فجانبْهم ولا تعتبْ علَيهم ... وكُنْ للكتب دونَهُم نَديماً

وقال إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي: عجبتُ لمن لم يكتبِ العلمَ كيف تدعوه نفسُه إلى تكرمةٍ.

وأنشدني أبو العيناء[1] وغيرُه للجاحظ ويقال: إنه ليس له غير هذه الأبيات:

يطيب العيش أن تلقى لبيباً ... غَذَاه العلمُ والرأيُ المصيبُ

(١) محمد بن القاسم بن خلّاد بن ياسر الهاشمي بالولاء، أديب فصيح من ظرفاء العالم ولد في البصرة. وكُفّ بصره وقد بلغ أربعين سنة، ومات في البصرة سنة ٢٨٢ وقيل ٢٨٣ هـ. «الوفيات» (٣٤٣/٤).

فيكشف عنك حيرَةَ كلِّ جهلٍ وفضلُ العلم يعرفه الأريبُ
سقامُ الحِرْص ليس له دواءٌ وداءُ الجهل ليس له طبيبُ

وقال بعض الحكماء: مِنْ شَرَفِ العلم وفضلِهِ أنَّ كلَّ منْ نُسب إليه فَرِحَ بذلك وإن لم يكن من أهله، وكلُّ من دُفع عنه ونسب إلى الجهل عزَّ عليه، ونال ذلك من نفسه، وإن كان جاهلاً.

وعن سفيان قال: إن من كمال التقوى أن تبتغي إلى ما قد علمت علم ما لم تعلم.

ورُوي هذا عن عون بن عبد الله[1] بزيادة وهي: من كمال التقوى أن تطلب إلى ما قد علمت علمَ ما لم تعلم، واعلم أنّ التّفريط فيما قد علمت ترك ابتغاء الزيادة فيه، وإنّما يحملُ الرجلَ على تركِ ابتغاءِ الزيادة فيما قد علم قِلَّةُ الانتفاع بما علم.

وقال جعفر بن محمد: الكمال كلُّ الكمال التفقهُ في الدِّين والصبرُ على النائبة وتدبيرُ المعيشة. (قف على قول جعفر بن محمد)

قال: وما موتُ أحد أحبُّ إلى إبليس من موت فقيه.

وقال بعض الحكماء: من الدليل على فضيلة العلماء أنّ النّاسَ تُحبّ طاعتهم.

وكان يقال: العلمُ أشرفُ الأَحْساب والأدبُ والمروءةُ أرفعُ الأنساب.

وقال بعضُ الحكماء: أفضلُ العلم وأولى ما نافستَ عليه منه علمٌ عرفتَ به الزيادة في دينك ومروءَتك.

وقال الأحنف[2]: كادَ العلماءُ أن يكونوا أرباباً، وكلُّ عزّ لم يؤكَّد بعلمٍ فإلى ذلّ مّا يصير.

---

(١) ابن عُتْبَةَ بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله، الكوفي، ثقة عابد. مات قبل ١٢٠. «التقريب» (٤٣٤).
(٢) ابن قيس بن معاوية بن حصين الهيثمي السعدي أبو بحر، واسمه الضحاك، وقيل صخر، مخضرم، ثقة، قيل: مات سنة ٦٧ وقيل: ٧٢ هـ. «التقريب» (٩٦).

ويقال: مَثَلُ العلماء مَثَلُ الماء، حيثما سقطوا نفعوا.

وقيل لبُزُرْجُمهر: أيّما أفضل الأغنياء أو العلماء؟ فقال: العلماء.

فقيل له: فما بالُ العلماء يأتونَ أبوابَ الأغنياء؟ قال: لمعرفة العلماء بفضل الغنى، وجهل الأغنياء بفضل العلم.

وعن الحسن قال: كان الرجل إذا طلبَ العلم لم يَلْبَث أن يُرى ذلك في تخشُّعه وبَصَره ولسانه ويده وصلاته وزهده، وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم، فيعمل به، فيكونُ خيراً له من الدنيا وما فيها لو كانت له، فجعلها في الآخرة.

وكان الحسن يقول: والله ما طلب العلمَ أحدٌ إلا كان حظّه منه ما أراد به.

وعن مُصْعَب بن عبد الله[1] قال: قال لنا أبي: اطلبوا العلمَ فإنْ يكن لك مالُ أجداك جمالاً، وإن لم يكن لك مال أكسبكَ مالاً.

٥٦ ـ وعن عائشة قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا أتىٰ عليَّ يومٌ لا أزدادُ فيه علماً يقرّبني من الله فلا بُورِكَ لي في طلوع شمس ذلك اليوم»[2].

قال أبو عمر: أخذه بعض المتأخرين وهو علي بن محمد الكاتب البُسْتي[3] فقال:

دَعُـوني وأَمْـري واخْتبـاري فـإنني ... بصيـرٌ بمـا أُفـري وأُبـرم من أمـري
إذا مَـا مَضَى يومٌ ولم أصـطنع يـداً ... ولم أقتبس علماً فما هُوَ من عمري

وكتب رجلٌ إلى أخ له: إنك قد أُتيتَ علماً فلا تُطفىء نورَ علمِك بظلماتِ

(١) ابن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، نزيل بغداد، صدوق عالم بالنسب، مات سنة ٢٣٦ هـ. «التقريب» (٥٣٣) وذكره المرزباني في «معجم الشعراء» (٤٠٢) وقال: وهو شاعر راوية.

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٦١/١) وانظر «كنز العمال» (١٣٦/١٠) (م).

(٣) الشاعر المشهور صاحب الطريقة الأنيقة والتجنيس الأنيس. له ديوان شعر مطبوع في بيروت. توفي سنة ٤٠١ ببخارىٰ، وأما «بُسْت» بلدة فهي من أعمال سِجِسْتان. «ابن خلكان» [٣٧٦/٣].

الذُّنوب، فتبقى في ظلمةٍ يومَ يسعى أهْلُ العلمِ بنورِ علمهم إلى الجنة.

٥٧ ـ ومن حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أهدى المرءُ لأخيه هديةً أفضلَ من كلمةِ حكمة يزيده الله بها هُدىً أو يردُّه بها عن ردىً»[١].

وعن علي الأَزْدي[٢] قال: سألت ابن عباس عن الجهاد. فقال: ألا أدلُّك على ما هو خير لك من الجهاد؟ تبني مسجداً تُعلِّم فيه القرآن وسنن النبي ﷺ والفقْهَ في الدِّين[٣].

وعن تميم الداري[٤] قال: تطاولَ الناسُ في البنيان زمنَ عمر بن الخطاب فقال: يا معشر العرب، الأرضَ الأرضَ، إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، ألا فمن سوّده قومه على فقه كان ذلك خيراً له. ومن سوّده قومه على غير فقه، كان ذلك هلاكاً له، ولمن اتبعه.

وعن المبرّد[٥] قال: كان يقال تعلّموا العلم فإنه سبب إلى الدين ومَنْبَهةٌ للرجل ومؤنس في الوحشة، وصاحب في الغربة، ووصلة في المجلس، وجالب للمال وذريعة في طلبِ الحاجة.

وقال ابن المقفَّع[٦]: اطلبوا العلم فإن كنتم ملوكاً برّزتم وإن كنتم سُوقةً عشتم.

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٦١/١) (م).

(٢) علي بن عبد اللّه البارقي الأَزْدي، أبو عبد الله بن أبي الوليد، صدوق ربما أخطأ. «التقريب» (٤٠٣).

(٣) مثل هذه الأجوبة لا شك أنه قد روعي فيها حال السائل من جهة وما تقتضيه الظروف وتمسّ إليه الحاجة من جهة أخرى، ولذا تختلف الأجوبة على حسب اختلاف الأحوال، ولكل مقام مقال.

(٤) ابن أوس بن خارجة، أبو رُقيّة، صحابيٌّ مشهور، سكن بيت المقدس بعد قتْل عثمان. قيل مات سنة ٤٠ هـ. «التقريب» (١٣٠).

(٥) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي أبو العبّاس إمام العربية ببغداد في زمنه. توفي سنة ٢٨٦ هـ. «الوفيات» (٣١٣/٤).

(٦) عبد الله بن المقفع كاتبٌ مشهور بالبلاغة قتل سنة ١٤٥ هـ. «الوفيات» (١٥٣/٢).

وقال أيضاً: إذا أكرمك الناس لمالٍ أو سلطان فلا يعجبنّك ذلك فإن زوال الكرامة بزوالهما، ولكن ليعجبك إذا أكرموك لعلم أو دين.

ويقال: ثلاثةٌ لا بدَّ لصاحبها أن يسود الفقه والأمانة والأدب.

وقيل للقمان الحكيم: أيُّ الناس أفضل؟ فقال: مؤمن عالم إن ابتُغِيَ عنده الخيرُ وُجد.

وقال الحجاج[1] لخالد بن صفوان: مَنْ سيّد أهل البصرة؟ فقال له: الحسن. فقال: وكيف ذلك وهو مولى؟ فقال: احتاج النّاس إليه في دينهم واستغنى عنهم في دُنياهم، وما رأيت أحداً من أشراف البصرة إلاّ وهو يروم الوصول في حلقته إليه؛ ليسمع قوله ويكتب علمه، فقال الحجاج: هذا والله السؤْدَدُ.

وروينا أنّ معاوية[2] بن أبي سفيان حجَّ في بعض حجّاته فابتنى بالأبطح مجلساً، فجلس عليه ومعه زوجه ابنة قُرظة بن عبد عمرو بن نوفل فإذا هو بجماعة على رحالٍ لهم وإذا شاب منهم قد رفع عَقِيرَتَهُ يغنّي:

وأنا الأَخْضَر من يعرفُني ... أخْضَر الجلدة في بيتِ العرب
مَنْ يساجِلْني يساجِلْ ماجداً ... يملأُ الدَّلْو إلى عقد الكرب

فقال معاويةُ: من هذا؟ فقالوا: فلان بن جعفر بن أبي طالب. قال: خلّوا له الطريق فليذهب ثم إذا هو بجماعة فيهم غلام يغني:

بينما يذكُرْنَنِي أَبْصَرنَنِي ... عند قِيْدِ الميل يَسْعى بيَ الأَغَرْ
قُلْنَ تعرفْنَ الفتى، قلْن نَعَم ... قد عرفناه وهل يَخْفَى القَمَرْ

(١) ابن يوسف الثقفي، أخباره كثيرة مشهورة وهو الذي فزع إلى كُتّابه حينما فشا التصحيف في قراءة القرآن أن يضعوا للحروف المشتبهة علامات، فيقال: إنّ نصرَ بن عاصم قام بذلك فوضع النُّقَطَ. وهو الذي بنى مدينة واسط، وإنما سماها واسط لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة ومات سنة (٩٥ هـ). «ابن خلكان» (٢/٢٩).

(٢) الأموي أبو عبد الرحمن الخليفة صحابيّ جليل، أسلم قبل الفتح، وكتب الوحي. مات سنة ٦٠ هـ. «التقريب» [٥٣٧].

قال: من هذا قالوا: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة[1]. قال: خلّوا له الطريق فليذهب.

ثم إذا هو بجماعة حول رجل يسألونه، فبعضهم يقول: رميت قبل أن أحلق، وبعضهم يقول: حلقت قبل أن أرمي، يسألونه عن أشياء أشكلت عليهم في مناسك الحج، فقال: من هذا؟ قالوا: هذا عبد الله بن عمر. فالتفت إلى زوجه ابنة قُرْظة فقال: هذا وأبيك الشَّرَفُ هذا والله شرف الدنيا والآخرة.

وعن سُفيان بن عَيينة في قوله عزَّ وجل: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾[2] قال: الرواية عن الأنبياء[3].

* *

بـــاب
ذكر كراهية كتـابة العلم وتخليده في الصحف

٥٨ ـ عن أبي سعيد الخُدريّ[4] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَكْتُبوا عنّي شيئاً سوى القرآنِ فمنْ كتبَ عني شيئاً سوى القرآن فَلْيَمْحُه»[5].

ودخل زيد بن ثابت على معاوية فسأله عن حديث وأمر إنساناً أن يكتبه. فقال له زيد: إنّ رسول الله ﷺ أَمَرَنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه فمحاه.

---

(١) القرشي المخزومي، الشاعر المشهور، المتوفّى غريقاً في سفينة سنة (٩٣ هـ) ينظر «ابن خلكان» [٣/ ٤٣٦].

والأبيات في «ديوان عمر بن أبي ربيعة» (١٤٧) مع اختلاف في اللفظ وفيه:

بينَمـا يَـذْكُـرْنَنـي أَبْصَـرْنـي ... دُون قِيْدِ الميـل، يَعْـدُو بي الأَغَرّ
قـالتِ الصُّغـرىٰ وقـد تَيَّمْتُهـا ... قـد عَـرَفْنـاهُ وهَـلْ يَخْفَى القَمَرْ؟!

وأثبتها الدكتور شكري فيصل ـ رحمه الله ـ في كتابه «تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام» (٣٨٣).

(٢) سورة الأحقاف: الآية (٤). وتمامها: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم ما تَدْعُون مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ماذَا خَلَقُوا مِن الأَرْضِ أَمْ لَهُم شِرْكٌ في السَّمٰوات، ائْتُوني بكتابٍ من قَبْلِ هذا أو أَثَارَةٍ مِنْ عِلْـمٍ إنْ كُنْتُم صَادِقِيْنَ﴾.

(٣) وفيه أقوال أخرى ينظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٦/ ١٧٩ وما بعدها).

(٤) هو سعد بن مالك الصحابي الجليل، ولأبيه صحبة، وروى الكثير، مات بالمدينة سنة ٦٥ هـ وقيل ٧٤ هـ. «التقريب» [٢٣٢].

(٥) رواه ابن عبد البرّ في «جامع بيـان العلم وفضله» (١/ ٦٣) وانظر «كنز العمال» (١٠/ ٢٢١) و(١/ ١٩٩) (م).

وعن عبد الله بن يَسار قال: سمعت علياً يخطب، يقول: أعزِمُ على كلٍّ من عنده كتابٌ إلَّا رجع فمحاه؛ فإنما هلك الناسُ حيثُ تتَّبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم.

وعن أبي نضرة[1] قال: قلت لأبي سعيد الخدري: ألا نكتبُ ما نسمعُ منك قال: تريدون أن تجعلوها مصاحفَ؟ إنَّ نبيكم ﷺ كان يحدثنا فنحفظُ فاحفظوا كما كنا نحفظ.

وعن ابن وهب قال: سمعت مالكاً يُحدِّثُ أنَّ عمر بن الخطاب[2] أرادَ أنْ يكتب هذه الأحاديث أو كتبَها، ثم قال: لا كتابَ معَ كتاب الله.

قال مالك: لم يكن مع ابن شهاب كتابٌ إلا كتابٌ فيه نسبُ قومِه. قال: ولم يكن القومُ يكتبون إنما كانوا يحفظون فمن كَتَبَ منهم الشيءَ فإنَّما كان يكتبُهُ ليحفظَه فإذا حفِظَه محاهُ.

وعن عُروة[3] أنَّ عمرَ بن الخطاب أراد أن يكتبَ السُّنَنَ، فاستفتى أصحابَ رسول الله في ذلك، فأشاروا عليه أن يكتبَها فطفقَ عمرُ يستخيرُ الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزَم الله له. فقال: إني كنتُ أريد أن أكتبَ السُّنَنَ وإنِّي ذكرت قوماً كانوا قبلكم كَتَبُوا كتباً فأكبُّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنِّي والله لا أَشُوب ـ وفي نسخة لا أُلبس ـ كتابَ الله بشيء أبداً.

وعن ابن عباس أنه قال: إنّا لا نكتُبُ العلمَ ولا نُكتِبُهُ.

---

(١) هو المنذر بن مالك بن قُطَعة العَبْديّ، العَوَقي. مات سنة ١٠٨ هـ. «التقريب» [٥٤٦].

(٢) أمير المؤمنين والخليفة الثاني، ملأ طباق الأرض بسيرته وعدله ـ رضي الله عنه ـ واستشهد سنة ٢٣ هـ. «التقريب» مع زيادة [٤١٢].

(٣) يعني ابن الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد الأسدي، أبو عبد الله المدني، ثقة فقيه مشهور، مات سنة ٩٤ هـ على الصحيح. «التقريب» (٣٨٩).

وعن الشَّعبي[1]: أنَّ مرْوانَ دعا زيداً ابن ثابت وقوماً يكتبون، وهو لا يدري فأعلموه. فقال: أتدرون؟ لعلّ كلَّ شيء حدّثكم به ليس كما حدّثكم.

وعن ابن سِيْرِين[2] قال: إنَّما ضلَّت بنو إسرائيل بكتُبٍ ورِثُوها عن آبائهم.

وعن الأسود بن هلال[3] قال؛ أُتي عبدُ الله بن مسعود بصحيفةٍ فيها حديثٌ فدعـا بماءٍ فَمَحاها ثمَّ غَسَلها ثم أمرَ بها فأُحرِقَت؛ ثم قال: أُذَكِّرُ اللَّهَ رجلاً يَعْلَمُها عند أَحدٍ إلاّ أعْلَمَني به والله لو أعلم أنّها بدَيْر هند[4] لبلغتها؛ بهذا هلكَ أهلُ الكتاب قبلكم حتّى نبذُوا كتابَ الله وراء ظُهورهم كأنَّهم لا يعلمون.

وعن الضحاك قال: يأتي على النَّاس زمانٌ يكثر فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف بغباره لا ينظر فيه.

وعن ابن عباس: أنه كان ينهى عن كتاب العلم. وقال: إنما ضلَّ من كان قبلكم بالكتب.

وعن أيوب قال: سمعت سعيد بن جُبَيْرٍ[5] قال: كنا نختلف في أشياءَ فنكتبها في كتابٍ ثمَّ أتيتُ بها ابنَ عمرَ أسأله عنها خُفْياً فلو علم بها لكانت الفَيْصَلَ بيني وبينه.

---

(١) أبو عمر عامر بن شراحيل الشعبي كوفي تابعي جليل القدر، وافر العلم، رُوِيَ أنَّ ابن عمر مرّ به يوماً وهو يحدث بالمغازي فقال: شهدت القوم وإنه لأعلم بها مني، وقال: الزُّهري العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام. ويقال: إنه أدرك خمسمئة صحابي ومات سنة ١٠٤ هـ فجأة. «ابن خلكان» [٣/١٢].

(٢) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري أحد فقهاء البصرة تابعي جليل. مات سنة ١١٠ هـ بالبصرة. «ابن خلكان» [٤/١٨١].

(٣) المحاربي الكوفي مخضرم ثقة جليل. مات سنة ٨٤ هـ. «التقريب» [١١١].

(٤) دَيْر هند: هناك ديران بهذا الاسم هند الصغرى وهند الكبرى. وكلاهما في الحيرة. ينظر معجم البلدان (٢/٥٤١).

(٥) الأسدي بالولاء أحد أعلام التابعين أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر. قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ هـ بواسط. «ابن خلكان» [٢/٣٧١].

وعن عبد الرحمن بن الأسود[1] عن أبيه قال: أصبتُ أنا وعَلْقَمَةُ صحيفةً فانطلق معي إلى ابن مَسْعود بها، وقد زالت الشمس أو كادت تزول، فجلسنا بالباب ثم قال للجارية: انظري من بالباب؟ فقالت: علقمةُ والأسودُ فقال: إيذني لهما فدخلنا. فقال: كأنكما قد أطلتما الجلوس؟ قلنا: أجل. قال: فما منعكما أن تستأذنا؟ قالا: خشينا أن تكون نائماً. قال: ما أحبُّ أن تَظُنّا بي هذا؛ إنّ هذه ساعةً كنّا نقيسها بَصَلاة اللَّيل. فقلنا: هذه صحيفة فيها حديث حسن. قال: هاتها يا جارية. هاتي الطست، واسكبي فيه ماءً، فجعل يمحوها بيده، ويقول: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[2] قلنا: انظر فيها فإن فيها حديثاً عجيباً فجعل يمحوها ويقول: إن هذه القلوبَ أوعيةٌ فاشغَلوها بالقرآن ولا تشغَلُوها بغيره.

قال أبو عُبَيْدٍ - أحد رواة هذه القصة - يرى أنّ هذه الصحيفةَ أُخذت من أهل الكتاب، فلذا كَرِهَ عبدُ الله - رحمه الله - النظر فيها.

وقال مسروقٌ لعلقمة: اكتب لي النَّظائر. قال: أَمَا عَلمت أنَّ الكتابَ يُكْرَهُ؟ قال؛ بلى. إنما أريدُ أن أحفظَها ثم أحرقها.

وعن القاسم: أنه كان لا يكتبُ الحديثَ.

وعن ابن شُبْرُمة[3] قال: سمعتُ الشَّعبي يقول: ما كتبتُ سواداً في بياضٍ قطُّ، ولا استعدْت حديثاً من إنسان مرتين.

وعن إسحاق بن إسماعيل الطالقاني[4] قال: قلت لجرير - يعني ابنَ عبد الحميد[5] - : أكانَ منصورٌ - يعني ابنَ المُعْتَمر - يكرهُ كُتَّاب الحديث؟ قال: نعم

---

(1) ابن يزيد بن قيس النخعي ثقة. مات سنة ٩٩ هـ. «التقريب» (٣٣٦).

(2) سورة يوسف: الآية (٣).

(3) هو عبدُ الله بن شُبْرُمة بن الطُّفَيل بن حسّان الضَّبيُّ الكوفي القاضي ثقة فقيه. مات سنة ١٤٤ هـ. «التقريب» [٣٠٧].

(4) نزيل بغداد، يعرف باليتيم، ثقة تُكُلِّمَ في سماعه من جرير وحدهُ. مات سنة ٣٢٠ هـ. «التقريب» (١٠٠).

(5) جرير بن عبد الحميد بن قُرْط الضَّبّيّ الكوفي، نزيل الرَّيّ وقاضيها، ثقة صحيح الكتاب. مات سنة =

منصور ومُغيرة والأعمش كانوا يكرهون كُتَّاب الحديث.

وعن الوليد بن مسلم(١) قال: سمعتُ الأوزاعي(٢) يقول: كان هذا العلمُ شيئاً شريفاً إذا كان من أفواهِ الرِّجال يتلاقونَه ويتذاكرونَه، فلمَّا صار في الكتب ذهبَ نورُهُ وصارَ إلى غير أهله.

وعن الفُضَيْل بن عَمْرو(٣) قال: قلت لإبراهيم: إنِّي آتيك، وقد جمعتُ المسائل فإذا رأيتُك كأنَّما تختلس مني، وأنت تكره الكتاب، قال: لا عليك فإنه قلَّما طلب إنسانٌ علماً إلا آتاه الله منه ما يكفيه وقلَّما كتبَ رجلٌ كتاباً إلا اتَّكل عليه.

قال أبو عمر: من كره كتاب العلم، إنما كرهه لوجهين:

أحدهما: أن لا يُتَّخذَ مع القرآن كتابٌ يُضَاهَى به.

ولئلاّ يَتَّكِلَ الكاتب على ما يكتب فلا يحفظ؛ فيقلَّ الحفظُ. كما قال الخليل(٤):

لَيسَ بعلمٍ ما حَوَى القِمَطْرُ ... ما العِلْمُ إلاَّ ما حواهُ الصَّدْرُ

وأنشدني بعُض شيوخي لمحمد بن بشير بإسنادٍ لا أحفظه:

أَما لو أعي كلَّ ما أسمعُ ... وأَحفظُ من ذاك ما أجمعُ
ولم أستفد غير ما قد جمعت ... لقيل هو العالم المقنع
ولكن نفسي إلى كل فنّ ... من العلم تسمعه تنزع

= ٢٨٨ هـ. «التقريب» (١٣٩).

(١) الوليد بن مُسْلم القُرَشي مولاهم، أبو العباس الدمشقي، ثقة لكنه كثير التدليس والتَّسْوية. مات سنة ١٩٥ هـ. «التقريب» (٥٨٤).

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبو عمرو الفقيه، ثقة جليل، مات سنة ١٥٧ هـ. «الوفيات» (١٢٧/٣) و«التقريب» (٣٤٧).

(٣) الفُقَيمي أبو النضر الكوفي ثقة. مات سنة ١١٠ هـ. «التقريب» (٤٤٨).

(٤) ابن أحمد الأزدي اليحمدي [الفراهيدي] كان إماماً في النحو وهو الذي استنبط علم العروض. قال حمزةُ الأصْبَهاني في حقّه في كتابه الذي سماه: «التَّنبيه على حدوث التَّصْحيف»: وبعد: فإنَّ دولةَ الإسلام لم تُخرج أبدعَ للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصولٌ من الخليل. مات سنة ١٧٠ هـ وقيل ١٧٥ هـ. «ابن خلكان»: [٢٤٤/٢].

فلا أنا أحفظُ ما قد جمعت ... ولا أنا من جمعه أشبع
ومن يكُ في علمه هكذا ... يكن دهره القَهْقرى يرجع
إذا لم تكن حافظاً واعياً ... فجمعك للكتب لا ينفع
أأحضر بالجهل في مجلسي ... وعلميَ في الكُتْب مُستودع

وقال أبو العتاهية(١):

مَنْ مُنِحَ الحِفْظَ وَعىٰ ... مَنْ ضَيَّع الحفظَ وَهِم

وقال أعرابي: حرف في تَامُوركَ خير من عشرة في كتبك.

قال أبو عمر التامور: عَلَقَةُ القلب.

وسمع يونس بن حبيب رجلاً ينشد:

استودَعَ العلم قِرْطاساً فضيَّعه ... وبئسَ مُستودَعُ العلمِ القَراطِيْسُ

فقال يونس: قاتله الله ما أشدَّ صِيانته للعلم وصيانته للحفظ. إنَّ علمَكَ من رُوحك، وإنَّ مالكَ من بدنك، فصُنْ علمَك صيانتَك روحَك، وصُنْ مالَك صيانتَك بدنَك.

قال أبو عمر: مَنْ ذكرنا قوله في هذا الباب فإنّما ذهبَ في ذلك مَذْهَبَ العرب لأنَّهم كانوا مطبوعين على الحفظ، مخصوصين بذلك، والذين كرهوا الكتاب كابن عباس والشَّعبي وابن شهاب والنَّخَعِي وقَتَادَة، ومن ذهب مذهَبَهم، وجُبل جبلَّتهم، كانوا قد طُبعوا على الحفظ فكان أحدُهم يجتزيء بالسمعة، ألا ترى ما جاء عن ابن شهاب؟ أنه كان يقول: إني لأمرّ بالبقيع فأسُدُّ آذاني مخافة أن يدخل فيها شيء من الخَنا، فوالله ما دَخَلَ أُذُني شيء قطُّ فنسيته.

وجاء عن الشَّعبي نحوه وهؤلاء كلُّهم عرب.

(١) أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم العنزي بالولاء، الشاعر المشهور المتوفّى ببغداد سنة ٢١١ هـ، وله ديوان جمعه ابن عبد البر صاحب أصل هذا المختصر. «ابن خلكان» [١/٢١٩].
والبيت مما استدركه الدكتور شُكري فيصل ـ رحمه الله ـ من «جامع بيان العلم» (١/٦٨) ينظر «أبو العتاهية أشعاره وأخباره» (٧٠٣ ـ المستدرك على الديوان).

٥٩ ـ وقال ﷺ: «نحنُ أمّة أُميَّة لا نكتبُ ولا نحسب»[١].

وهذا مشهور أنّ العرب قد خُصَّت بالحفظ كان بعضهم يحفظُ أشعارَ بعضٍ في سمعةٍ واحدة.

وقد جاء عن ابن عبّاس حفظُ قصيدة عمر بن أبي ربيعة:

أمِنْ آل نُعْمٍ أنت غادٍ فَمُبْكِرُ[٢]:

في سَمْعة واحدةً فيما ذكروا وليس أحد اليوم على هذا، ولولا الكتاب لضاع كثير من العلم.

وقد أرخص رسول الله ﷺ في كتاب العلم ورخّص فيه جماعة من العلماء وحَمِدوا ذلك ونحن ذاكروه بعد هذا بعون الله إن شاء الله.

وقد دخل على إبراهيمَ النَّخَعي[٣] شيء في حفظه لتركه الكتاب.

وعن منصور، قال: كان إبراهيم يحذف الحديث فقلت له: إن سالم بن أبي الجَعْد[٤] يُتمّ الحديث قال: إنّ سالماً كتب، وأنا لم أكتب.

قال أبو عمر: فهذا النَّخَعي مع كراهته لكتاب الحديث قد أقـرَّ بفضل الكتاب.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٦٩) ورواه البخاري ومسلم وغيرهما. (م).

(٢) هذا صدره، وعجزه: «غَدَاةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّرُ» «ديوان عمر بن أبي ربيعة» (٩٢). وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتابه «الأغاني» (١/٧٢) خبر حفظ ابن عباس لهذه القصيدة.

(٣) أحدُ الأئمة المشهورين تابعيٌّ جليل ونسبتُه إلى النَخَع قبيلةٌ من مَذْحج باليمن [إمام مجتهد له مذهب مات سنة ٩٦ هـ]. «ابن خلكان» [١/٢٥].

(٤) [أبي] سقطت من «المختصر» وهي في الأصل وكذلك في «التقريب»، وهو: سالم بن أبي الجعد: رافع الغَطَفَاني الأشجعي مولاهم، الكوفي، ثقة وكان يرسل كثيراً. مات سنة ٩٨ هـ وقيل ١٠٠ هـ. «التقريب» (٢٢٦).

بـــابُ
الرُّخصة في كتاب العلم

٦٠ ـ عن أبي هُرَيْرة قال: لما فُتِحَتْ مكَّةُ قامَ رَسُولُ الله ﷺ فذكر الخُطْبة خُطْبة النبي ﷺ قال: فقام رجلٌ من اليمن يقال له: أبو شاة فقال: يا رسول الله اكتبوا لي. فقال رسول الله ﷺ: «اكتبوا لأبي شاة»[١]. يعني الخطبة.

٦١ ـ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قلت يا رسول الله اكتب كل ما أسمع منك؟ قال: نعم. قلت: في الرِّضى والغَضَب. قال: نعم. فإني لا أقولُ في ذلك كلِّه إلا حقاً.

وعن همّام بن منبّه[٢] أنه سمعَ أبا هريرة يقول: لم يكنْ أحدٌ من أصحاب محمد أكثرَ حديثاً مني إلا عبد الله بن عمرو فإنه كتبَ ولم أكتب.

وعن عبد الله بن عمرو قال: كنتُ أكتبُ كلَّ شيء أسمعُه من رسول الله ﷺ أُريدُ حفظَهُ فنهتني قريش؛ وقالوا: أتكتبُ كلَّ شيء تسمعُه ورسول الله ﷺ يتكلَّم في الرِّضَا والغضب؛ فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأُصبَعه إلى فِيْهِ، وقال: «اكتب، فوالذي نَفْسي بيده ما يَخْرُج منهُ إلا حقٌ».

وعن مُطَرِّف بن طَرِيف[٣] قال: سمعتُ الشَّعبيَّ يقول: أخبرني أبو جُحَيْفة[٤] قال: قلتُ لعلي بن أبي طالب: هل عِندَكم من رسول الله ﷺ شيءٌ سوى القرآنِ؟ قال: لا والذي فلَق الحبَّةَ وبَرَأ النَّسْمة إلا أن يُعطيَ اللَّهُ عَبداً فهماً في كتابه وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة. قال: العقلُ وفِكَاكُ الأَسير وألاَّ يُقتل مسلِّم بكافرٍ.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٧٠) وهو قطعة من حديث طويل انظره مع تخريجه في «عمدة الأحكام» للمقدسي رقم (٣٤٨) بتحقيقي (م).

(٢) ابن كامل الصَّنْعاني أخو وهب ثقة. مات سنة ١٣٢ هـ. «التقريب» [٥٧٤].

(٣) ثقة فاضل. مات سنة ١٤١ هـ وقيل: بعدها. «التقريب» [٥٣٤].

(٤) وهب بن عبد الله السُّوائي، ويقال: اسم أبيه وهب أيضاً، أبو جُحَيْفَة مشهور بكنيته، ويقال له: وهب الخير، صحابي معروف، وصحب علياً. مات سنة ٧٤ هـ. «التقريب» (٥٨٥).

وقد روي عن علي رضي الله عنه في هذه الصحيفة وجهان: أحدُهما تحريمُ المدينة، ولعن من انتسب إلى غير مواليه، في حديث فيه طول وفيه: المسلمون تتكافأُ دماؤهم. الحديث رواه عن علي يزيد التميمي وجلّاس.

وكتبَ رسولُ الله ﷺ كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره[1].

وعن أبي جعفر محمد بن علي قال: وُجد في قائم سيف رسول الله ﷺ صحيفةٌ مكتوبٌ فيها: ملعونٌ من أضلَّ أعمى عن سبيل، ملعون من سرق تُخُومَ الأرض، ملعونٌ من تولى غير مواليه، أو قال: ملعون من جَحَدَ نعمةَ من أنْعَم عليه.

وعن عبد الله بن عمرو قال: ما يُرغِّبُني في الحياة إلا خصلتان: الصَّادقةُ والوَهْط[2].

فأمّا الصّادقة: فصحيفةٌ كتبتُها عن رسول الله ﷺ، وأما الوَهْطُ: فأرضٌ تصدّق بها عمرُو بن العاص كان يقومُ عليها.

٦٢ - وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «قيّدوا العلم بالكتاب»[3].

وعن عبد الملك بن سفيان عن عمه: أنّه سمع عمرَ بن الخطاب يقول: قيّدوا العلم بالكتاب.

وعن معن قال: أخرج إليّ عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً وحلف لي أنّه خَطُّ أبيه بيده.

وعن أبي كبران قال: سمعت الضحّاك يقول: إذا سمعتَ شيئاً فاكتبه ولو في حائط.

---

(١) انظر «إعلام السائلين» ص (١٣٨ - ١٤١) بتحقيقي، الطبعة الثانية (م).

(٢) **الوَهْطُ**: المكان المطمئن من الأرض [وقيل: وبه سمي الوَهْطُ، قال: كان لعمرو بن العاص وقيل: كان لعبد الله بن عمرو بن العاص في الطائف]. «لسان العرب» (وهط).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٧٢/١) وانظر «كنز العمال» (٢٤٩/١٠) (م).

وعن سعيد بن جُبَير أنّه كان يكون مع ابن عباس، فيسمع منه الحديث، فيكتبه في واسطة الرحل، فإذا نزل نسخه.

وعن أبي قَلابة قال: الكتابُ أحبُّ إلينا من النسيان.

وعن أبي المليح قال: يُعيبُون علينا الكتابَ، وقد قال الله: ﴿عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي في كِتَابٍ﴾[1].

٦٣ - وعن عطاءٍ عن عبد الله بن عمرو قلت: يا رسول الله، أأُقيِّد العلم؟ قال: «قيِّد العلم». قال عطاء: قلت: وما تقييد العلم؟ قال: الكتاب.

وعن عبد العزيز بن محمد الدارَورْدي[2] قال: أوّل من دوّن العلم وكتبه ابنُ شهاب.

وعن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال: كُنَّا نكتُبُ الحلالَ والحرامَ، وكان ابنُ شهاب يكتبُ كلَّ ما سمع. فلما احتيج إليه علمتُ أنّه أعلمُ الناس.

وعن سَوَادة بن حيّان قال: سمعت معاويةَ بنَ قُرَّة يقول: من لم يكتبِ العلمَ فلا تعدُّوه عالماً.

وعن محمد بن علي قال: سمعت خالد بن خِدَاش البغدادي[3] قال: ودَّعت مالكَ بن أنسٍ، فقلت: يا أبا عبد الله أوصني. قال: عليكَ بتقوى اللّهَ في السرِّ والعلانية والنصحِ لكلِّ مسلم وكتابةِ العلم من عند أهله.

وعن الحسن: أنه كان لا يَرَى بكتابِ العِلْمِ بأساً، وقد كان أَمْلَى التَّفْسير فكُتِبَ.

وعن الأَعْمَشَ قال: قال الحسن: إنَّ لنا كتباً نَتَعَاهَدُها.

وقال الخليلُ بنُ أحمد: اجعلْ ما تكتبُ بيتَ مالٍ وما في صدرِكَ للنَّفقة.

---

(١) سورة طٰه: الآية (٥٢).

(٢) صَدُوق كان يحدّث من كتب غيره. مات سنة ١٨٦ هـ. «التقريب» [٣٥٨].

(٣) أبو الهيثم المهلّبي مولاهم البصري صدوق يخطىء. مات سنة ٢٢٤ هـ. «التقريب» [١٨٧].

وعن هشام بن عُرْوةَ، عن أبيه: أنَّه احترقت كتبُه يوم الحَرَّة[1] وكانَ يقولُ: وَدِدْتُ لو أنَّ عِندي كُتُبي بأَهْلي ومالي.

وعن سليمان بن موسى: قال: يجلسُ إلى العالم ثلاثةٌ: رجلٌ يأخذُ كلَّ ما سمع، فذلك حاطب ليل[2]، ورجلٌ لا يكتبُ ويَسْمَعُ، فذلك يُقال له جَلِيْسُ العالم، ورجلٌ ينتقي، وهو خيرهم، وهذا هو العالم.

وعن إسحاق بن منصور قال: قلت لأحمدَ بن حَنْبلٍ: من كرِّه كتابةَ العلم؟ قال: كرَّهه قومٌ ورَخَّص فيه آخرون.

قلت له: لو لم يُكْتَبُ العلمُ لذهب. قال: نعم لولا كتابةُ العلم أيَّ شيء كنا نحن؟

قال إسحاق [بن منصور]: وسألت إسحاق بن رَاهَوَيْه فقال: كما قال أحمد سواء.

وعن حاتِم الفاخِرِ وكان ثقةً، قال: سمعتُ سفيانَ الثَّوْري يقول: إني أحبُّ أن أكتبَ الحديثَ على ثلاثةِ أوجه: حديثٌ أكتبُه أُريدُ أن أتّخذه ديناً، وحديثُ رجلٍ أكتبه فأوقفه لا أطْرَحَه ولا أدين به، وحديث رجلٍ ضعيفٍ أحبُّ أن أعرِفَه ولا أعبأ به.

وقال الأوزاعيُّ: تعلَّمْ ما لا يُؤْخذ به كما تتعلّم ما يُؤخذ به.

وعن سعد بن إبراهيم قال: أمرَنا عمرُ بنُ عبد العزيز بجمع السُّنَنَ فكتبناها دفتراً دفتراً فبعث إلى كلّ أرضٍ له عليها سلطان دفتراً. (قف على جمع عمر ابن عبد العزيز للسنن)

---

(١) الحَرَّة: أرض بظاهر المدينة [المشرّفة تعرف بحرة واقم بها حجارة سود كبيرة] وبها كانت واقعة الحرّة أيام يزيد [بن معاوية]. «القاموس والتاج» (حرر).

(٢) قال أبو عمر: العرب تضرب المثل بحاطب الليل الذي يجمع كل ما يسمع من غث وسمين وصحيح وسقيم، وباطل وحق، لأن المحتطب بالليل ربما ضمّ أفعى فنهشته وهو يحسبها من الحطب، وفي مثل هذا يقول بشر بن المعتمر:

وحاطبٍ يحطبُ في بجاده　　في ظُلمةِ اللَّيْل وفي سَوَادِهِ
يحطِبُ في بِجَاده الإيْمَ الذَّكَرْ　　والأَسْوَدَ السَّالِخَ مَكْرُوهَ النَّظَرْ

[«جامع بيان العلم» ١/٧٥].

وعن أبي زُرْعَةَ قال: سمعت أحمدَ بن حنبل ويحيى بن مَعِين[1] يقولان كل من لا يكتب العلم لا يُؤْمن عليه الغَلطُ.

وعن الزُّهري قال: كنا نكره كتاب العلم حتى أكرَهَنا عليه هؤلاء الأُمراء فرأينا أن لا نمنعه أحداً من المسلمين.

وذكر المبرّد قال: قال الخليل بن أحمد: ما سمِعْتُ شيئاً إلاّ كتبتُه ولا كَتَبْتُهُ إلاّ حفظتُه ولا حفظتُه إلا نَفَعَني.

بـــاب
معارضـة الكتـاب

عن هشام بن عُرْوةَ[2]: أن أباه قال له: كتبت؟ قال: نعم. قال: عارضت؟ قال: لا. قال: لم تكتب.

وعن يحيى بن كثير قال: الذي يكتُبُ ولا يُعارضُ مثلَ الذي يدْخُل الخلاءَ ولا يستنجي.

وذكر الحسن بن علي الحُلواني[3] في «كتاب المعرفة» قال: سمعتُ عبد الرزاق يقول: سمعت معمراً يقول: لو عورض الكتابُ مئة مرةٍ ما كادَ يَسْلم من أن يكونَ فيه سَقْطٌ. أو قال: خَطَأٌ.

بـــابُ
الأَمر بإصْلَاح اللَّحن والخطأ في الحدِيْث وتتبّع ألفاظه ومعانيه

عن الشَّعبي قال: لا بأسَ بإقامة اللَّحْن في الحديث.

وعن الوليد بن مسلم[4] قال: سمعت الأَوْزاعي يقولُ: أعْرِبُوا الحديث فإنّ القَوْمَ كانُوا عَرَباً.

---

(١) الغَطَفاني مولاهم البغدادي، ثقة حافظ مشهور إمام الجرح والتعديل، مات سنة ٢٣٣ هـ. «التقريب» [٥٩٧].

(٢) ابن الزُّبير بن العوّام القرشي الأسدي، أحد تابعي المدينة المشهورين وأكابر العلماء المكثرين في الحديث. مات سنة ١٤٦ هـ. «ابن خلكان» [٦/٨٠].

(٣) نزيل مكة ثقة حافظ، مات سنة ٢٤٢ هـ. «التقريب» [١٦٢].

(٤) أبو العباس الدمشقي ثقة لكنه كثير التدليس. مات سنة ١٩٤ هـ. «التقريب» [٥٨٤].

وعن جابر قال: سألتُ عامراً ـ يعني الشَّعبيَّ ـ وأبا جعفرٍ ـ يعني محمَّدَ بنَ علي ـ والقاسمَ ـ يعني ابنَ محمدٍ ـ وعطاءً ـ يعني ابن أبي رَباح ـ عن الرجل يحدِّثُ بالحديث فيلحَنُ، أأُحَدِّثُ به كما سمعت أم أعرِبُه؟ قالوا: لا بَلْ أَعْرِبْه.

وعن مكحول قال: سمعت واثلةَ بنَ الأسْقَع يقول: حسبُكم إذا جئْناكم بالحديث على معناه.

قال: وسمعت معاويةَ بنَ صالح يحدِّث عن ربيعة بن زيد، أنَّ أبا الدَّرْدَاء كان إذا حدَّثَ عن رسول الله ﷺ، ثم فرغ منه، قال: اللَّهُمَّ إنْ لم يكُن هذا فكَشَكْله.

وعن محمد بن سِيرين قال: كان أنَسٌ إذا حدَّثَ عن رسول الله ﷺ حديثاً ففرغ منه قال: أو كما قالَ رسولُ الله ﷺ.

وعنه أيضاً قال: كنتُ أسمعُ الحديثَ من عَشَرَةٍ اللفظُ مختلفٌ، والمعنى واحدٌ.

وعن أبي موسى محمَّد بن المثنى[1] قال: سألتُ أبا الوليد عن الرَّجل يصيبُ في كتابه الحرفَ المعجم غَيْرَ مُعْجَمٍ أو يجد الحرفَ المعجَمَ تغيَّر بعجمة نحو التاءِ ثاءً والباءِ ياءً، وعنده في ذلك التصحيف، والناس يقولون الصواب. قال: يرجع إلى قول الناس، فإن الأصل الصِّحة.

قال أبو موسى: وسألت عبدَ الله بن داود عن الرجل يسمعُ الحديثَ فيذهب من حفظه أو يذهب عنه، فيذكِّرُه صاحبُه أيصير إليه قال: نعم. قال الله: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾[2].

وعن ابن عَوْنٍ قال: كان من يُتبع أن يحدثَ بالحديث كما يَسْمَعَ محمد بن سيرين، والقاسم بن محمد، ورجاء بن حَيْوة، وكان ممن لا يتبع ذلك الحسنُ وإبراهيم والشَّعبي. قال ابنُ عَوْنٍ: فقلت: لمحمد: إن فلاناً لا يتبعَ الحديث أن يحدِّثَ به كما يسمع. فقال: أما أنَّهُ لو أتبعه لكان خيراً.

---

(١) العنزي البصري، ثقة ثبت، كان هو وبندار فرسيْ رهان، وماتا في سنة واحدة. «التقريب» [٥٠٥].

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٨٢).

وعن أشهبَ[1] قال: سألتُ مالكاً عن الأحاديث يقدّم فيها ويؤخّر والمعنى واحد. قال: أما ما كان من قول النبي ﷺ فإني أكرَهُ ذلك وأكرَهُ أن يُزادَ فيه أو يُنْقصَ، وما كان منها من غير قول النبي ﷺ، فلا أرى بذلك بأساً. قلت: وحديثُ النبي ﷺ يزاد فيه الواو والألف والمعنى واحد؟ قال: أَرْجُو أن يكونَ هذا خفيفاً.

وعن علي بن الحسن قال: قلت لابن المبارك: يكونُ في الحديث لَحْنٌ أقوّمه؟ قال: نعم. لأنّ القومَ لم يكونوا يلحَنُون؛ اللَّحنُ منا.

قال أبو عمر: كان ممن يأبى أن ينصرفَ عن اللحن فيما روي عنهم نافع مولى ابن عمر، وأبو مَعْمَر عبد الله بن صخر الأزدي، وأبو الضحى مسلم بن صُبَيْح ومحمد بن سيرين.

وعن عيَّاش بن المُغيرة بن عبد الرحمن المخزومي عن أبيه، أنَّه جاءه الدارَوَرْدي عبد العزيز بن محمد يَعْرِضُ عليه الحديث فجعلَ يقرأ ويلحَنْ لحناً مُنْكَراً فقال له المغيرة: ويحكَ يا دارَورْدي كنتَ بإقامة لسانِك قبلَ طلب هذا الشأن أحْرَى.

والقولُ في هذا الباب ما قاله الحسنُ والشَّعبيُّ وعطَاءٌ ومن تابعهم وهو الصواب وبالله التوفيق.

* * *

(١) ابن عبد العزيز القيسي المصري إمام ثقة فقيه، ويقال: اسمه مسكين. مات سنة ٢٠٤ هـ. «التقريب» [١١٣] و«ابن خلكان» [١/٢٣٨].

بــابٌ
في فضل التَّعلُم في الصِّغَر والحضّ عليه

٦٤ ـ عن أبي أُمَامَة البَاهِليِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّما ناشىءٍ نَشَأَ في طلب العلم والعبادة حتى يكبرَ وهو على ذلك كُتِبَ لهُ أجرُ سبعين صِدِّيقاً»[1].

وعن الحسن قال: طلب العلم في الصِّغَر كالنَّقْش في الحجر.

وعن علقمةَ قال: أما ما حفظت وأنا شابٌ فكأنِّي أنظرُ إليه في قرطاس أو وَرَقةٍ.

وقال الحسنُ بن علي لبنيه ولبني أخيه: تَعلَّمُوا العلمَ فإنَّكم إن تكونوا صغارَ قومٍ تكونُوا كبارَهم غداً فمنْ لم يحفظْ فليكتبْ.

وعن الأعمش قال: قال لي إبراهيم وأنا غلامٌ في فريضة احفظ هذه لعلّك تُسْألُ عنها.

وعن عثمان بن عُرْوة عن أبيه عُرْوَة بن الزُّبير أنه كان يقول لبنيه: يا بني إنَّ أزهدَ النَّاس في عالمٍ أهلُه، فهلمُّوا إليّ فتعلّموا مني فإنكم توشِكُون أن تكونوا كبارَ قوم، إني كنتُ صغيراً لا يُنْظَر إليّ فلمّا أدركتُ جَعَلَ النَّاسُ يسألونني وما شيءٌ أشدَّ على امرىءٍ من أن يُسأل عن شيءٍ من أمرِ دينِهِ فيجهَلُه.

وأنشد ابنُ الأنباري قال: أنشدني أبي في أبيات ذكرها:

فهَبْني عذرتُ الفتى جاهلاً ... فما العُذْرُ فيه إذا المرءُ شَاخَا

وكان يقال: من أدّب ابنَه صغيراً قرَّت به عينُه كبيراً.

ولابن أغبس في أبيات له:

ما أقبحَ الجهلَ على مَنْ بَدَا ... برأسه الشيبُ وما أشنَعَه

ولغيره:

رأيتُ العلمَ لَمْ يكن انتهاباً ... ولم يُقْسَم على عددِ السنينا

ولو أن السنين تقاسَمَتْهُ ... حَوَى الآباءُ أنصبةَ البنينا

(١) ذكره ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٨١-٨٢) (م).

وقــال آخــر:

يقــوّم من مَـيْــل الغُــلَام الـمؤدّبُ   ولا ينفــعُ التـأديب والــرأس أشيبُ

وقال أميَّة بن أبي الصَّلْت[1]:

إنَّ الـغــلامَ مــطيــعٌ مـن يــؤدِّبُـه   ولا يــطيعُــك ذو شيبٍ بتــأديبِ[2]

وقال سابقٌ البَرْبَريّ:

قد ينفعُ الأدبُ الأحـداثَ في مَهَلٍ   وليس ينـفــعُ عنـد الـكَبْــرة الأدبُ

إن الغصــونَ إذا قــوَّمتها اعْتَـدلَتْ   ولن تلينَ إذا قــوَّمتـهــا الخشبُ[3]

وقال محمد بن مُناذر:

وإذَا مــا يَــبِسَ الــعــودُ عــلى   أَوَدٍ لــم يَـسْــتَـقِــمْ منــه الأَوَدْ

ويقال في المثل في مثل هذا: إنّما يُطْبَعُ الطِّين إذا كان رَطْباً.

وقد أخذه منصور في غير هذا المعنى فقال:

ولــم تَــدُمْ قَطُّ حــالٌ   فــاطــبــعْ وطِــبــنُــكَ رَطْــبُ

ومما ينشد لخلف الأحمر[4].

خيــر مــا ورّث الــرجــالُ بنيهمُ   أدَبٌ صــالــحٌ وحــســنُ ثــنــاءِ

هــو خيــرٌ من الــدَّنــانيــر والأَوْ   رَاق فــي يــوم شــدَّةٍ ورخــاءِ

تلك تَفْنَى والــدِّينُ والأدبُ الصَّـ   ـالــح لا يفنيــان حتَّى اللِّقــاءِ

---

(١) أمية ابن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف. مات سنة ٥ هـ. ولم يسلم. «الأغاني» (٤/١٢٠) و«الأعلام» (٢/٢٣).

(٢) «ديوان أمية» (٥٤٧) صنعة الدكتور عبد الحفيظ السطلي، وقد أورده في الجزء الذي نُسِبَ إلى أميَّةَ، وليس له. فقال:
أنشده المختصر لأميّة بن أبي الصَّلت، وهذا وهم منه لأنَّ ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» لم ينسبْ هذا البيت إلى أحدٍ وإنَّما نسبَ إلى أميَّةَ بيتاً آخر مُشابَهاً» انتهى.

(٣) البيتان في «مجلة مجمع اللغة العربية» بدمشق (م ٤٤ ص ١٩) جمع الأستاذ عبد الله كنون.

(٤) هو أبو محرز خلف بن حيّان من أئمة العربية ومعلّم الأصمعي، وأهل البصرة. «نزهة الألبّا» [٦٩].

إنْ تـأدَّبت يـا بُـنيَّ صـغيـراً   كنْتَ يـومـاً تُعـدُّ في الـكُبَـراءِ
وإذا مـا أضَعت نـفسَـك ألْـفيْـ   ـتَ كبيـراً في زمـرة الغـوغـاءِ
وليس عطفُ القضيب إن كَان رطبـ   ـاً وإذا كـان يـابسـاً بسَـواءِ

هكذا أنشدها غير واحد لخلَف الأحمر، وأنشدها الخُشَنيُّ رحمه الله لابراهيم بن داود البغْداديّ في قصيدة له مطولةٍ يوصي فيها ابنَه أوّلُها:

يـا بُنَيَّ اقـتـرِبْ من الـفقـهـاءِ   وتـعلَّمْ تـكُـنْ مِـنْ الـعُـلَمـاء

وكان يقال من أدّب ولده أرْغم أنفَ عَدُوِّه.

وأنشد أبو عبيد الله نفْطويهِ لنفسه رحمه الله:

أراني أنسى مـا تعلَّمتُ في الكبـر   ولست بناسٍ ما تعلَّمت في الصغـر
ومـا العلم إلا بـالتعلُّمِ في الصّبـا   ومـا الحِلْم إلا بـالتحلُّم في الكبـر
ولـو فُلق القلبُ المعلَّم في الصِّبـا   لألفيَ فيه العلمُ كالنَّقش في الحجر
ومـا العلمُ بعـد الشيب إلا تعسُّف   إذا كلَّ قلبُ المرءِ والسَّمْـعُ والبَصَر
ومـا المـرءُ إلا اثنـان عقـلٌ ومنـطقٌ   فمن فـاتـه هـذا وهـذا فقـد دمر

وقـال آخـر:

إن الـحـداثـةَ لا تـقـصِّر بـالـفـتـى الـمـرزوقِ ذِهْـنـا
لـكـنْ تـزكّـي عـقـلَه فـيـفـوقُ أكـبـرَ مـنـه سـنّـا

وقـال آخـر:

إذا ما المـرءُ لم يـولَـدْ لـبيبـاً   فـليسَ اللّبُّ عـن قِـدَم الـولادة

وعن يوسفَ بن يعقوبَ بن الماجَشُون قال: قال لنا ابن شهاب ونحن نسألُه: لا تَحْقِرُوا أنفسَكم لحداثَةِ أسْنانكم؛ فإنّ عمرَ بن الخطاب كان إذا نَزَلَ به الأَمْرُ المُعْضِلُ دعا الفتيانَ فاستشارهم يبتغي حدَّةَ عقولهم.

وعن ابن عباس قال: لما قُبض رسولُ الله ﷺ وأنا شابٌّ، قلت لشابّ من الأنصار: يا فلانُ هَلُمَّ فلنسألْ أصحاب رسول الله ﷺ وَلْنتعلَّمْ منهم، فإنَّهم كثير.

قال: العجبُ لك يا ابنَ عبّاس، أترى النَّاسَ يحتاجون إليك، وفي الأرض من ترى من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: فتركتُ ذلك وأقبلت على المسألة وتتبّع أصحاب الرسول ﷺ فإنّي[1] كنت لآتي الرجلَ في الحديثِ يبلُغُني أنّه سمعَ من رسول الله ﷺ، فأجده قائلاً[2] فأتوسَّدُ رِدَائي على بابه تَسفي الرِّيحُ على وجهي حتى يَخْرُجَ فإذا خرج، قال: يا ابن عمّ رسول الله ما لك؟ فأقول: حديثٌ بلغَني عنك أنّك تحدِّثُه عن رسول الله ﷺ فأحببت أن أسمعَه منك. قال: فيقول: فهلاّ بعثْتَ إليَّ حتى آتيك؟ فأقولُ: أنا أحقُّ أنْ آتيك.

فكان الرجل بعد ذلك يراني وقد ذهب أصحابُ رسول الله ﷺ واحتاج الناسُ إليّ فيقول: كنتَ أعقلَ منّي.

وعن عمرَ رضيَ الله عنه قال: تفقَّهوا قبلَ أن تسودوا.

وعن موسى بن علي بن أبيه أنَّ لقمانَ الحكيمَ قال لابنه: يا بُنيّ ابتغِ العلمَ صغيراً؛ فإنّ ابتغاءَ العلمِ يشقُّ على الكبير.

قال أبو عمر: أنشدني غير واحد لصالح بن عبد القدوس[3] في شعر له:

وإن من أدَّبته في الصِّبا ... كالعود يسقي الماء في غرسهِ
حتى تراه مُونقاً ناضراً ... بعد الذي أبصرت من يُبسهِ
والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارى في ثرى رَمْسهِ
إذا ارعوى عادَ إلى جهله ... كذي الضَّنا عاد إلى نكسه[4]

٦٥ ـ وعن مكحول قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَسْتَحِي الشيخُ أن يتعلَّمَ من الشَّابّ»[5].

(١) «فإن» في الأصل.

(٢) قائلاً: من القيلولة.

(٣) الشاعر الحكيم، كان يعظ ويقص في البصرة، قتله المهدي سنة ١٧٩ هـ. قتله المَهْديُّ بعد أن كان خلّى سبيلَهُ ببيتِهِ الثالث من هذه الأبيات: «والشيخ لا يترك...». «ابن خلكان» (٢/٤٩٢) و الفوات» (١١٦/٢).

(٤) منها أبيات في «الوفيات» (٢/٤٩٢ وفي «الفوات» (٢/١١٦)].

(٥) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٨٧) وانظر «تنزيه الشريعة» (١/٢٧٤) (م).

وعن أبي قِلَابة عن ابن مسعود قال: عليكم بالعلم فإنّ أحدَكم لا يدري مَتَى يفتقر إليه أو إلى ما عنده.

* *

بــــاب

حمدِ السؤآل والإلحاح في طلب العلم وذمِّ ما منع منه

٦٦ - قال رسول الله ﷺ: «شفاءُ العِيِّ[١] السؤالُ»[٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها: رحمَ الله نساءَ الأنصارِ لم يمنعْهُنَّ الحياءُ أن يسألْنَ عن أمر دينهن.

وقالت أم سُلَيم: يا رسول الله إنَّ الله لا يستحي من الحقّ، هَلْ على المرأةِ من غُسل؟ الحديث[٣].

واستحى عليٌّ أن يسألَ عن المَذْي؛ لمكان رسول الله ﷺ من ابنته التي كانت عنده؛ فأمر المقدادَ وعماراً، فسألا له رسول الله ﷺ عن ذلك.

وهذه الأحاديث مشهورةُ الأسانيد.

وقال عبد الله بن مسعود: زيادة العلم الابتغاء ودَرْكُ العلم السؤالُ فتعلَّمْ ما جهلت واعملْ بما علِمْتَ.

وقال ابن شهاب: العلمُ خِزانةٌ مفتاحُها المسألة.

٦٧ - وعن عطاء[٤] بن أبي رَبَاح قال: سمعت ابن عباس يخبر أنّ رجلاً أصابه جرح على عهد رسول الله ﷺ ثُمَّ أصابه احتلامٌ فأُمِرَ بالاغتسال فَقُرَّ، فمات، فبلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «قتلوه قتلهم الله. ألم يكنْ شفاءُ العيِّ السؤآل»[٥].

---

(١) العِيُّ: الجهل. «اللسان» [عيا].

قلت: وقال ابن الأثير في «جامع الأصول»: العِيُّ: قصور الفهم، وشفاء هذا المرض بالسؤال عما جهله ليعرف. (م).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٨٧/١) وهو قطعة من حديث رواه جمع من الأئمة ولفظه: «قتلوه قتلهم الله، ألم يكن شفاء العي السؤال؟» وانظر «جامع الأصول» (٢٦٢/٧ - ٢٦٣)(م).

(٣) رواه البخاري رقم (١٣٠) ومسلم رقم (٣١٣) وأجاب ﷺ: «نعم إذا هي رأت الماء» (م).

(٤) المكي ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال. مات سنة ١١٤ هـ. «التقريب» [٣٩١].

(٥) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٨٨/١) (م).

قال عطاء: وبلغني أنّ النبيَّ ﷺ قال: «لو اغْتَسَل وترك موضِعَ الجِرَاح»[1].

وأنشدت لبعض المتقدمين:

إذا كـنـتَ فـي بـلدٍ جـاهـلاً ... ولـلعـلم مُـلْتَـمَـسـاً فـاسـألِ

فـإنَّ الـسُّـؤآل شـفـاءُ الـعـمـى ... كـمـا قـيـل فـي الـمَـثَـلِ الأوَّلِ

وقـال الفـرزدق[2]:

ألا خَبِّـرونـي أيُّهـا الـنـاس إنَّـمـا ... سألْتُ وَمَنْ يسألْ عن العلم يَعْلمِ

سؤالَ امرىءٍ لم يعقلِ العلمَ صدرُه ... وما السّائلُ الواعي الأحاديْثَ كالعَمِي[3]

وقال أميَّة بن أبي الصلت:

لا يـذهبنّ بـكَ التَّفْـريطُ منتـظراً ... طُـولَ الأَنَاةِ ولاَ يَـطْمَحْ بِـكَ العَجَلُ

فقـد يَـزيـدُ السؤالُ المرءَ تجـرِبَـةً ... ويَستـريحُ إلى الأَخْبـار من يَسَـلُ[4]

ولـه:

وليسَ ذُو العِلْمِ بـالتّقوى كجـاهِلَهـا ... ولا البَصيـرُ كـأعمى مـا لَـهُ بَصَـرُ

فـاسْتخبـرِ النَّـاسَ عمـا أنتَ جـاهِلُهُ ... إذا عَمِيَتْ فقد يَجْلُو العَمَى الخَبَرُ[5]

ولـه أيضـاً:

(قف على بيتين جليلين)

وقـد يقتـل الجهـلَ السؤالُ ويشتفي ... إذا عـاينَ الأمـرَ المهمَّ الـمعـايـنُ

وفي البحث قِدماً والسؤال لذي العمى ... شفـاءٌ وأشفىٰ منهمـا مـا تعـاين[6]

وعن عبد الله بن بُرَيدة[7] أن معاوية بن أبي سفيان دعا دِعْبلاً النسَّابة فسأله

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٨٨) (م).

(٢) هَمَّام بن غالب التميمي الشاعر المشهور صاحب جرير، أبي حَرْزة. وله ديوان معروف. مات سنة ١١٠ هـ وقيل أكثر [«طبقات فحول الشعراء» (١/٢٩٩) وما بعدها و«ابن خلكان» (٦/٨٦)].

(٣) ديوان الفرزدق (٢/١٩٩). نشر دار بيروت.

(٤) «ديوان أمية» (٤٣٦).

(٥) «ديوان أمية بن أبي الصلت» (٣٨٧).

(٦) ما أحسن قوله ما تعاين فإن هذا هو المطلوب في الوقوف على الحقائق والتوصل إلى كنهها وليس الخبر كالعيان.

(٧) ابن الحُصَيْب الأسلمي أبو سهل المروزي، قاضيها، ثقة. مات سنة ١١٠ هـ. «التقريب» (٢٩٧).

عن العربية وسأله عن أنساب الناس، وسأله عن النجوم، فإذا رجلٌ عالم. فقال: يا دِعْبلُ من أين حفظت هذا؟ قال: حفظت هذا بقلبٍ عَقول ولسان سَؤُول، وذكر تمام الخبر.

وقال عمر: من عَلِم فليُعَلّم ومن لم يَعْلَم فليسأل العلماء.

وكان الخليل يقول: العلم أقفال والسؤالات مفاتيحها.

وقال أبو عمر: كان الأصمعي[1] ينشد:

شفاءُ العمى طولُ السُّؤال وإنّما ... تمامُ العمى طولُ السُّكوتِ على الجَهْل

وقال سابقٌ:

والعلمُ يَشْفي إذا استشفى الجَهُولُ به ... وبالدَّواء قديماً يُحْسَمُ الدّاءُ

وقال آخرُ:

إذَا كنتَ لا تَدْري ولم تكُ بالذي ... يسَائِلُ من يدري فكيف إذاً تدري؟!

وروينا عن الخليل رحمه الله أنه قال: إن لم تعلّم النّاسَ ثواباً فعلّمهم لتدرسَ بتعليمك علمَك ولا تجزعْ من تقريع السُّؤال فإنّه ينبِّهُك على علم ما لم تَعْلم.

وقدم رجلٌ على ابن المبارك وعنده أهل الحديثَ، فاستحى أن يسألَ، وجعل أهل الحديث يسألونه قال: فنظر ابن المبارك إليه فكتب بطاقة وألقاها إليه فإذا فيها:

إنْ تلبثْتَ عن سؤالك عبدَ الله ترجعْ غداً بِخُفَّيْ حُنَيْن

فاعنِتِ الشيخ بالسؤال تجِدْهُ ... سَلِسَاً يلتقيك بالراحتَيْن

وإذا لَمْ تَصِح صِيَاحَ الثَّكالى ... قُمْتَ عنه وأنتَ صُفْرُ اليَدَين

وأنشد ابن الأعرابي:

وسَلِ الفقيهَ تكنْ فقيهاً مثلَه ... من يسعَ في علم بفقه يَمهُر

وتدبَّرِ العلم الذي تُعنى به ... لا خيرَ في علمٍ بغير تدبّرِ

---

(١) الأصمعي هو عبدُ الملك بن قُرَيْب عاصم الباهلي إمام اللغة والنحو، والغريب والأخبار والملح والأنساب. مات بالبَصرة سنة ٢١٣ هـ وقيل أكثر. من «نزهة الألباب لابن الأنباري» [٧٤] و«ابن خلكان» [٣/ ١٧٠].

وروينا عن وهب بن مُنَبّه[1] وسليمانَ بنَ يَسارٍ أنهما قالا: حسنُ المسألةِ نصفُ العلم والرِّفْقُ نصفُ العَيْش.

وسُئل الأصمعيُّ: بمَ نلتَ ما نلت؟ قال: بكثرة سؤالي وتلقُّفِي الكلمة الشرود.

وعن محمد بن معن[2] قال: قال لي عبد العزيز بن عمر[3]: ما شيء إلا وقد علمت منه الأشياء كنت أستحي أن أسألَ عنها فكبرت وفيَّ جهالتها.

(قف على وصايا سيدنا علي بن أبي طالب)

وعن عكرمة[4]: قال عليٌّ: خمسٌ احفظوهُنَّ لو ركبتم الإبلَ لأَنْضَيْتُمُوهَا[5] قبلَ أن تصيبوهُنَّ: لا يخافُ عبدٌ إلا ذَنبَه، ولا يرجو إلا ربَّه، ولا يستحي جاهلٌ أن يَسألَ، ولا يستحيي عالمٌ إن لم يعلم أن يقولَ اللَّهُ أعلمُ، والصّبرُ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد؛ ولا خيرَ في جسد لَا رأسَ له، ولا إيمان لمن لا صبرَ له.

وقال علي[6] رضي الله عنه: قُرنتْ الهيْبَةُ بالخَيْبة والحيَاء بالحِرْمان.

وقال الحسن: من استترَ عن طلب العلم بالحياء لبسَ للجهل سِرْباله، فاقطعوا سرابيلَ الجهل عنكم بدفع الحياءِ في العلم، فإنه من رقَّ وجهُهُ رقَّ علمُهُ.

وقال الخليل بن أحمد: الجهل منزلة بين الحياء والأَنَفَة.

---

(١) اليماني، صاحب الأخبار، ثقة. مات بصنعاء سنة ١١٠ هـ. «التقريب» [٥٨٥] و«ابن خلكان» [٦/ ٣٥].

(٢) ابن محمد بن مَعْنٍ الغِفَاريّ، أبو يُونُس ثقة. مات بعد سنة ١٩٠ هـ وقد جاوز التسعين. «التقريب» (٥٠٨).

(٣) ابن عبد العزيز بن مروان الأموي، أبو محمد المدني، نزيل الكوفة صدوق يخطىء. مات سنة ١٥٠ هـ. «التقريب» (٣٥٨).

(٤) ابن عبد الله مولى ابن عباس، وأصله بربري، ثقة، ثبت، عالم بالتفسير، وأحد فقهاء مكة وتابعيها. مات بالمدينة سنة ١٠٥ هـ وقيل أكثر. «التقريب» [٣٩٧] و«ابن خلكان» [٣/ ٢٦٥].

(٥) جاء في «لسان العرب» (نضا): النِّضْو: الدابة التي هَزَلَتْها الأسفار، وأَذْهَبَتْ لحمَها وفي حديث علي ـ كرّم الله وجهه ـ كلماتٌ . . . وذكر الحديث.

(٦) أمير المؤمنين كرم الله وجهه وسيرته أشهر من أن تذكر، وقد أفردت بالتأليف، استشهد سنة ٤٠ هـ. «الاستيعاب» [٣/ ١٠٨٩].

وكان يقال: من رق وجهه عن السؤال رقَّ علمُه عند الرِّجال، ومَنْ ظَنَّ أنَّ للعلم غايةً فقد بخسَه حقَّهُ.

وعن عبد الله [بن] يحيى بن أبي كثير(١) عن أبيه قال: ميراثُ العلم خيرٌ من ميراث الذَّهَبِ والفضَّةِ والنَّفسُ الصالحةُ خيرٌ من اللُّؤْلُؤ ولا يُستطاع العلمُ براحة الجسم.

وقد روي مثل هذا القول عن زيد بن علي بن الحسين(٢) أنه قال: لا يستطاع العلم براحة الجسم.

وقال أبو عمر: ذهب هذا القولُ مثلاً عند العلماءِ وأُنشدتُ لمحمد بن الحسن الزبيدي في أبي مسام بن فهد:

أبـا مُـسْلمٍ إنَّ الـفتـى بـجَـنَــانــهِ ... ومِقْـولَـهِ(٣) لا بـالمَـرَاكب واللُّبْسِ
وليسَ ثيــابُ المــرءِ تُغني قُــلامــةً ... إذا كانَ مقصوراً على قِصَـرِ النفسِ
وليس يُقيــدُ العلمُ والحــلمُ والتُّـقَى ... أبا مُسْلِمٍ طولُ القعودِ على الكرسي

وللحسن بن حميد في أبيات له:

علمُــك مـا قــد جمعتَ حفـظَكَــهُ ... ليس الــذي قلت عـنــدنــا كتبــه

وقال إبراهيم بن المهدي: سَلْ مسألةَ الحَمْقى واحْفظْ كحفظِ الأكياس.

٦٨ - وعن الثَّوري قد بلغنا عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «وَيْلٌ لمن يَعْلَمُ ولم يعمَلُ، وويل ثم ويْلٌ لمن لا يَعْلم ولا يَتَعَلَّم مرتين»(٤).

* *

(١) اليَمَاميُّ، صَدوقٌ، مات في المئة الثانية، وما بين الحاصرتين من «التقريب» (٣٢٩).
(٢) ابن علي بن أبي طالب، أبو الحسين المدني، ثقة، قتل بالكوفة سنة ١٢٢ هـ. «التقريب» (٢٢٤).
(٣) المِقْوَلُ: اللِّسَانُ. «لسان العرب» (قول).
(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٩٢) (م).

بـــابٌ

في ذكر الرِّحْلة في طلب العلم

قد تقدم في هذا الكتاب من حديث صَفْوانَ بنِ عسَّال وحديث أبي الدَّرْداء مما يدخُلُ في هذا الباب ما يغني عن إعادته هنا[١].

٦٩ - وعن صالح بن صالح الهَمْذاني عن الشَّعبي قال: حدثنا أبو بُرْدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّما رَجُلٍ كانت عندَه وَلِيْدَةٌ فعلَّمَها وأحْسنَ تعليمها وأدّبها فأحسنَ تأديبَها وأعتقها فتزوَّجها فلهُ أجْران وأيُّما رجلٍ من أهل الكتاب آمن بنبيِّه وآمنَ بي فلَهُ أجْران وأيُّما رجلٍ مملوكٍ أدَّى حقَّ مواليه وأدَّى حقَّ ربِّه فله أجران»[٢].

خذها بغيرِ شيءٍ قد كان الرَّجُل يرحل فيما دونها إلى المدينة. الشعبيُّ يقوله

٧٠ - وعن جابر بن عبدالله[٣] قال: بلغني حديثٌ عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فابتعتُ بعيراً فشدَدْتُ عليه رَحْلي ثمَّ سرْتُ إليه شهراً حتى قدِمْتُ الشَّامَ فإذا عبدُ الله بن أُنيس الأنصاري[٤]. فأتيتُ منزله وأرسلت إليه: أنَّ جابراً على الباب فرجَعَ إليَّ الرسولُ فقال: جابرُ بن عبد الله؟ فقلت: نعم. فخرج إليَّ فاعتنقْته واعتنقني قال: قلت: حديثٌ بلغَني عنكَ أنْك سمعتَهُ من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمْعه أنا منه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يحشُرُ اللَّهُ تباركَ وتعالى العبادَ أو قالَ النّاس[٥] وأومأ بيده إلى الشَّام حفاةً عُراة غُرْلاً بُهْماً[٦] قال: قلنا: ما

على رحلة

---

(١) انظر ص (٤١).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٩٢) (م).

(٣) ابن عمرو بن حرام الأنصاري السُّلمي، صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة سنة ٧٤ هـ. «التقريب» [١٣٦].

(٤) الجهني، صحابي جليل، شهد العقبةَ وأُحُداً. مات سنة ٥٤ هـ. «التقريب» [٢٩٦].

(٥) هذا شك من همام أحد رواة هذا الحديث.

(٦) الغُرْلُ: القُلفُ، البُهْمُ: ليس فيهم شيء من الأعْراض والعاهات التي تكون في الدنيا من العَمى والعَوَر وغيره... قاله أبو عبيد في اللسان والحديث فيه. «لسان العرب» (غرل، بهم).

بُهماً؟ قال: ليس معهم شيءٌ، فيناديهم بصوت يسمعُه من بعُد ويسمعُه من قَرُبَ: أنا الملك الدّيان لا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنَّة أن يدخلَ الجنَّة وأحدٌ من أهل النَّارِ يطلبُه بمظلمةٍ حتى اللَّطمة، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النَّارِ أن يدخلَ النَّارَ وأحدٌ من أهلِ الجنة يطلُبُه بمظلمةٍ حتى اللجطمة، قال: قلنا له: كيف؟ وإنّما نأتي اللَّهَ عزَّ وجلَّ حفاةً عُراةً غُرْلاً قال: بالحَسَنَاتِ والسَّيئَاتِ»[1].

٧١ ـ وروى سفيان بن عُيينة عن ابن جُرَيج قال: سمعتُ شيخاً من أهل المدينة ـ قال سفيان: هو أبو سعيد الأعمى ـ يحدّث عطاءً أنَّ أبا أيُّوبٍ[2] رحلَ إلى عُقْبة بن عامر، فلمّا قدم مصرَ أخبروا عقبةَ، فخرج إليه قال: حديثٌ سمعتَه من رسول الله ﷺ لم يبقَ أحدٌ سمعَهُ غيرُك. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سَتَر مؤمناً على خَزْيَة سَتَرَ اللَّهُ عليه يوم القيامة»[3] قال: فأتى أبو أيوب راحلتَه فركبها وانصرف إلى المدينة وما حلَّ رحله. (قف على رحلة أيوب)

وعن ابن شهاب، أنّ ابن عباسٍ قال: كان يبلُغَنا الحديث عن الرَّجل من أصحاب النبي ﷺ، فلو أشاء أن أُرسلَ إليه حتى يجيئني فيحدِّثني فعلت، ولكن كنتُ أذهبُ فأَقِيْلُ على بابه حتى يخرجَ إليّ فيحدثني.

وعن مالك عن يحيى بن سعيد قال: قال سمعت سعيدَ بن المسيَّب يقول: إنْ كنتُ لأسير اللّيالي والأيام في طلب الحديث الواحد.

وعن الشَّعْبي قال: ما علمتُ أنّ أحداً من الناس كان أطلب لعلمٍ في أُفُقٍ من الآفاقِ من مسروق[4].

وعن علي بن صالح عن أبيه قال: حدّثنا الشَّعْبي بحديث ثم قال: أعطيتُكَه بغير شيء، وإن كان الراكب ليركب إلى المدينة فيما دونه.

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٩٣) (م).

(٢) الأنصاري النجّاريّ من بني غُنْم بن مالك من كبار الصحابة، واسمه خالد بن زيد، شهد بدراً وسائر المشاهد، ونزل النبيّ ﷺ حين قدم المدينة عنده. مات غازياً سنة ٥٠ هـ. «التقريب» [١٨٨].

(٣) والخَزْية: ما يُسْتَحيى منه.

(٤) يعني: مسروقاً بن الأجدع.

وعن قيس بن عباد[1] قال: خرجت إلى المدينة أطلب العلم والشرف.

وعن بشر بن عبيد الله الحضرمي قال: إن كنت لأركبُ إلى المصر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعَه.

وقال الشعبي: لو أنَّ رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمعَ كلمةَ حكمةٍ ما رأيتُ أنَّ سفره ضاع.

* *

بـــابُ
الحضّ على استدامة الطلب والصَّبر على اللأْوَاءِ[2] والنَّصَبِ

٧٢ ـ عن مالك بن أنس[3]: لا ينبغي لأحدٍ يكونُ عنده العلم أن يتركَ التعلُّم.

(قف على حديث جليل) **٧٣ ـ** وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من معادن التَّقوى تَعَلُّمك إلى ما قد علمت ما لم تعلم والنَّقص فيما قد علمت قلَّة الزيادة فيه وإنما يُزَهِّدُ الرجلَ في علم ما لم يعلم قلَّةُ انتفاعه بما علم»[4].

وعن ابن عباسٍ قال: مَنْهُومان لا تنقضي نَهْمتهما طالبُ علمٍ وطالبُ دنيا.

---

(١) «عُبَادَة» في الأصل والمختصر. والتصويب من الإصابة والتقريب، وهو: الضُّبعي أبو عبد الله البصْري، ثقة، مخضرم، مات بعد الثمانين، ووهم من عدَّه في الصحابة. ينظر «الإصابة» الترجمة (٧٣٠٤) و «التقريب» (٤٥٧).

(٢) الْلأْوَاء: الشدَّة. «اللسان» (لأي).

(٣) الأصبحي المدني أبي عبد الله إمام دار الهجرة ورأس المتقين، وأحد الأئمة الأعلام وكبير المثبتين، حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها: مالك عن نافع عن ابن عمر. وسلسلته تعرف بلسلسة الذهب. مات ١٧٩ هـ. «ابن خلكان» [٤/ ١٣٥] و «التقريب» [٥١٦].

(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٩٥) (م).

٧٤ ـ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاءَه أجلُه وهو يَطْلُبُ علماً ليحيي به الإسلامَ لم تفضُلْه النبيُّون إلَّا بدرجةٍ»[(١)].

٧٥ ـ وروى أبو هُرَيرة وأبو ذرٍّ: أنَّهما سمعَا رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا جاءَ الموتُ طالبَ العلم وهو على تلك الحال ماتَ شهيداً»[(٢)].

وروي أن المسيح ﷺ قيل له: إلى متى يحسُن التعلُّم؟ قال: ما حَسُنَتْ الحياة.

وعن مالك بن أنس أنّه قال: لا ينبغي لأحد يكونُ عندَه العلمُ أنْ يتركَ التعلُّم.

وقيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتى الممات إن شاء الله.

وقيل له مرة أخرى: مثل ذلك فقال: لعلَّ الكلمةَ التي تنفعني لم أكتبْها بعدُ.

وسئل سفيان بن عُيَيْنَة: من أحوجُ النَّاس إلى طلب العلم؟ قال: أعلمُهم؛ لأن الخطأ منه أقبحُ.

وقال منصور بن المهدي للمأمون: أيحسُنُ بالشيخ أن يتعلم؟ فقال: إن كان الجهل يعيبُه فالتعلُّم يحسُن به.

وعن محمد بن عُبَيْد الكشُّوري قال: سمعت ابن أبي غسان يقول: لا تزال عالماً ما كنتَ متعلماً فإذا استغنيت كنتَ جاهلاً.

وروينا عن ابن عبّاس أنه قال: وجدت عامة علم أصحاب رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار إنْ كنت لأَقيلُ بباب أحدهم، ولو شئت أذن لي، ولكن أبتغي بذلك طيب نفسه.

وعن أبي هريرة قال: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٩٥) (م).
(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٩٦) (م).

كتاب الله ما حدَّثْتُ حديثاً ثم تلا: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾[1] ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِن البيِّنَاتِ والهُدى﴾[2] وإنَّ إخوانَنا من المهاجِرين كان يشغلهم الصفقُ بالأسواق وإخواننا الأنصارُ كان يشغلهم العملُ في أموالهم، وإنَّ أبا هُرَيرة كان يلزمُ رسولَ الله ﷺ لِيُشبعَ بطنَه ويحضُرَ ما لا يحضُرون.

قال أبو عمر: في هذا الحديث من الفقه معان:

منها أنّ الحديثَ عن رسول الله ﷺ حكمُهُ حكمُ كتاب الله المنزل.

ومنها إظهارُ العلم ونشره وتعليمه.

ومنها ملازمةُ العلماءِ والرضى باليسير للرغبة في العلم.

ومنها الإيْثار للعلم على الاشتغال بالدنيا وكسبها.

وروى ابنُ أبي الزّناد عن أبيه قال: رأيتُ عمرَ بنَ عبد العزيز يأتي عبيدَ الله بن عبد الله يسأله عن علم ابن عباس، فربما أذن له، وربما حجبه.

وأنشدني خلفُ بن القاسم لابن المبارك في أبيات لا أقوم بحفظها في وقتي هذا:

آخــرُ العلم لــذيــذٌ طعمُــه وبَدِيءُ الذَّوْقِ منه كالصَّبِرْ[3]

وعن ابن القاسم[4] قال: كان مالك يقول: إنَّ هذا الأمرَ لن يُنالَ حتَّى يذاقَ فيه طعمُ الفقر.

وذكر ما نزل بربيعة[5] من الفقر في طلب العلم حتى باعَ خشبَ سقف بيته

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٧٤).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٥٩).

(٣) «شعر الفقهاء» (٣٣١).

(٤) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العُتَقي، قال الدَّارقُطني: هو من كبار المصريين وفقهائهم، صالح متقن حسن الضبط، مات سنة ١٩١ هـ بمصر. [«ابن خلكان» (٣/١٢٩)] و«الديباج المذهب» [١٤٦].

(٥) يعني ربيعة بن أبي عبد الرحمن التيمي مولاهم، أبو عثمان المدني، المعروف بربيعة الرأي واسم أبيه فروخ، ثقة فقيه مشهور، مات سنة ١٣٦ هـ. «التقريب» (٢٠٧) و«شذرات الذهب» (٢/١٥٩) (م).

في طلب العلم وحتى كانَ يأكُل ما يُلقى على مزابل المدينة من الزَّبيب وعصارة التمر.

وعن إبراهيم بن الجرّاح قال: سمعتُ أبا يوسفَ يقول: طَلَبْنا هذا العلم وطلبه معنا من لا نُحصيه كثرة فما انتفع به منا إلا من دَبَغ اللَّبنُ قلبَه، وذلك أنّ أبا العباس لما أفضى إليه الأمرُ بعث إلى المدينة فأقدم عليه عامة من كان فيها من أهل العلم، فكان أهلُنا يعدُّون لنا خُبْزاً يلطخُونهُ لنا باللَّبن فنغْدُو في طلب العلم، ثم نرجعُ إلى ذلك فنأكلُه، فأمّا من كان ينتظر أن يُصْنَعَ له هريسةً أو عصيدةً فكان ذلك يشغله حتى يفوتَه كلُّ ما نحنُ نُدركه.

وكان سَحْنون[1] يقول: لا يصلحُ العلمُ لمن يأكلُ حتَّى يشبعَ.

وكان الشافعيُّ يقول: لا يطلبُ هذا العلمَ أحدٌ بالمالِ وعزِّ النفس فيفلحُ، ولكنَّ من طلبه بذلة النفس، وضيق العيش، وحُرْمَةِ العلم، أفلح.

وحدثنا محمد بن إدريس المكي قال: سمعتُ الحميدي يقول: قال محمد بن إدريس الشافعي كنت يتيماً في حجر أُمّي، فدفعتني في الكتَّابِ، ولم يكن عندها ما تعطي المعلم، فكان المعلمُ قد رضي مني أنْ أخلفَه إذا قام، فلما ختمت القرآن، دخلت المسجد، فكنت أجالسُ العلماءَ وكنت أسمع الحديث، أو المسألة فأحفظها، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أشتري به قراطيس، فكنت إذا رأيت عظماً يلوحُ آخذه، فأكتب فيه، فإذا امتلأ طرحته في جرة كانت لنا قديمة. قال: ثم قدم والٍ على اليمن فكلَّمه لي بعضُ القرشيين أن أصحبَه ولم يكن عند أمي ما تعطيني أتجمَّلُ به، فرهنت رِدَاءَها بستةَ عشرَ ديناراً، فأعطتني فتجمَّلْتُ بها معه، فلما قدمنا اليمن استعملني على عمل، فحُمدتُ فيه فزادني عملاً، فحمدت فيه فزادني عملاً، وقدم العُمّار - أي المعتمرون - مكةَ في رجَبٍ فأثنوْا عليَّ فطارَ لي بذلك

(١) أبو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي انتهت إليه الرياسة في العلم بالمغرب وصنّف كتاب «المدونة» وأخذها عن ابن القاسم وهي عمدة مذهب الإمام مالك. مات سنة ٢٠٤ هـ. «ابن خلكان» [٣/ ١٨٠].

ذكرٌ، فقدمت من اليمن، فلقيت ابنَ أبي يحيى فسلمت عليه، فوبَّخني، وقال: تجالسوننا وتصنعون وتصنعون، فإذا شَرَعَ لأحدكم شيءٌ دخلَ فيه، ونحو هذا من الكلام قال: فتركته ثم لقيت سُفْيان بن عُيَيْنَة فرحَّب بي وقال: قد بلغَتْنَا ولايتُك، فما أحسن ما انتشر عنك، وما أدّيت كلَّ الذي لله عليك، ولا تعد. قال: فكانت موعظة سُفْيان إيايَ أبلغَ ممّا صنع بي ابن أبي يحيى.

وكتب الشّافعيُّ إلى محمد بن الحسن[1] إذ منعه كتبه:

قل لمن لم ترَ عـ ـيـنُ من رآه مثلَهُ
ومن كأنّ من رآ ه قد رأى من قبلَهُ
العلمُ يأبى أهلُه أنْ يمنعُوه أهلَهُ
لعلَّه يَبْذُلُه لأهله لعلَّهُ[2]

فوجّه إليه محمد بن الحسن بما أرادَ من كتبه فكتبها.

وكان الشافعي يقول: سمعت من محمد بن الحسن رحمه الله وِقْر بعير.

وقالوا: من لم يحتمل ذلّ التعلُّم ساعةً بقي في ذُلِّ الجهلِ أبداً.

وحدَّث حمَّادُ بن زيد عن أيّوب: إنَّك لا تعرفُ خطأَ معلِّمِك حتَّى تجالسَ غيره.

وروى ابن عائشة[3] وغيره: أنّ علياً رضي الله عنه قال في خطبة خطبها:

---

(١) الشَّيْبَاني بالوَلاء، صاحبُ أبي حنيفة وذو التآليف الجيدة وأصله من حَرَسْتَا قرية بغوطة دمشق، وهو إمام جليل. مات سنة ١٨٩ هـ. «ابن خلكان» [٤/ ١٨٤].

(٢) الأبيات في «الوفيات» (٤/ ١٨٤). وفيها:
«العلم ينهىٰ أهله».
وذكر ابن خلكان: أنها تروى أيضاً لمنصور بن إسماعيل الفقيه المصري، نسبها إليه أبو إسحاق الشيرازي في كتابه «طبقات الفقهاء». وهي في «ديوان الشافعي» (١٠٧) مع اختلاف يسير في اللّفظ.
قلت: وهي في «طبقات الفقهاء» للشيرازي ص (١٣٦) (م).

(٣) عبيد الله بن محمد بن حفص التميمي. وقيل له: ابن عائشة نسبة إلى عائشة بنت طلحة لأنّه من ذريتها، ثقة جواد. مات سنة ٢٨٨ هـ. «التقريب» [٣٧٤].

واعلموا أنّ الناسَ أبناءُ ما يحسنون، وقدرُ كلِّ امرىءٍ ما يحسُن، فتكلَّموا في العلم تتبيّن أقداركم.

ويقال: إنَّ قولَ علي بنِ أبي طالب: قيمة كل امرىءٍ ما يحسن، لم يسبقه إليه أحد، وقالوا: ليس كلمة أحضُّ على طلب العلم منها.

وقالوا ولا كلمة أضرّ بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل: ما تركَ الأوَّلُ للآخر شيئاً.

قال أبو عمر: قول علي رضي الله عنه: قيمة كل امرىءٍ ما يحسن، من الكلام العجيب الخطير، وقد طار الناس له كل مَطير، ونظمه جماعة من الشعراء إعجاباً به وكلّفاً بحسنه فمن ذلك ما يُعزى إلى الخليل بن أحمد قوله:

لا يكــون السَّـريّ مثـل الـدنيّ	لا ولا ذو الـذكـاء مثـل الغبـيّ
لا يكـون الألـدُّ ذو المِقْـول المر	هف عنـد القيَـاس مثـل العـيّ
قيمـة المرء كـل مـا يحسن المـر	ء قـضـاءً مـن الإمـام عـليّ

وقـال غيـره:

يلوم عليَّ أن رحت للعلم طـالبـاً	أجمِّـع من عنـد الـرّواة فنـونـه
فيـا لائمي دعني أغـالي بقيـمتي	فقيمـة كـلٍّ النـاس مـا يحسنـونه

وقال أبو العباس الناشيء:

تـأمّـل بعينـك هـذا الأنـا	م فكن بعض من صانه عقلهُ
فـحليـة كـل فـتىً فـضله	وقـيـمـة كـل امـرىء نـبلهُ
فـلا تتكـل في طـلاب العـلا	عـلى نـسب ثـابت أصـلهُ
فمـا من فـتى زانـه قـولـه	بـشيءٍ يـخـالـفـه فـعـلهُ

٧٦ ـ وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة»[١].

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٠٠) (م).

وقال قتادة[1]: لو كان أحد يكتفي من العلم بشيء لاكتفى موسى عليه السلام ولكنه قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تَعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمتَ رُشْداً﴾[2].

* *

بـــاب
جامع في الحال التي تنال بها العلم

عن أبي الأَحْوص قال: قال عبد الله: إنّ الرجلَ لا يولَدُ عالماً وإنّما العلمُ بالتعلُّم.

وذكر أبو العباس أحمدُ بنُ يحيى ثعلب[3] عن ابن شبيب أنّه قال: لا يكون طبعٌ بلا أدبٍ ولا علمٌ بلا طلبٍ.

ومن رَجَزٍ لسابق البربري:

قد قيلَ قبلي في الكلام الأقدمِ إنّي وجدتُ العلمَ بالتعلُّمِ

وقال كُثَيِّر[4]:

وفي الحِلْم والإسْلام للمرءِ وازِعٌ وفي تركِ أَهْواءِ الفُؤادِ المتيَّمِ
بصائرُ رُشْد للفتى مستبينةٌ وأخلاقُ صدقٍ علمُها بالتعلُّمِ[5]

(تقف على جليل لعلي بن أبي طالب) ورويناعن عليّ ـ رحمه الله ـ أنه قال في كلام له: العلمُ ضالّةُ المؤمن فخذُوْه ولو من أيدي المشركين ولا يأنفْ أحدُكم أن يأخذَ الحكمةَ ممّن سمعَها منه.

---

(١) ابن دعامة السَّدُوسي البصري الأكمه، تابعي جليل، وعالم كبير. مات سنة ١١٧ هـ بواسِط. «ابن خلكان» [٤/ ٨٥] و[«التقريب» (٤٥٣)].

(٢) سورة الكهف: الآية (٦٦).

(٣) النحويّ إمام الكوفيين في زمانه، مات ببغداد سنة ٢٩١ هـ. «نزهة الألباء» [١٥٧] و«ابن خلكان» [١/ ١٠٢].

(٤) كثيّر بن عبد الرحمن الخزاعي الشاعر المشهور، وأحد عشاق العرب المعروف بكثير عزّة. مات سنة ١٠٥ هـ وعِكْرِمة مولى ابن عباس في يوم واحد. «ابن خلكان» [١/ ١٠٦].

(٥) «ديوان كُثير» (٣٣٤) من قصيدة في مدح عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ.

وعنه أيضاً أنه قال: الحكمةُ ضالَّة المؤمن يطلبُها ولو في أيدي الشُّرَط.

وعن أبي بُرَيْدة: قال عليٌّ: تزاوَرُوا وتذاكَرُوا الحديث فإنَّكم إنْ لَمْ تفعلوا يدرُسْ[1] علمُكم.

وعن ابن جُرَيج[2] قال: لم أستخرج الذي استخرجت من عَطَاءٍ إلّا برفقي به.

وكان علْقَمَةُ يقول: تذاكَرُوا الحديثَ فإنَّه يهيجُ بعضُه بعضاً.

وعن إسماعيل بن رجاء[3]: أنَّه كانَ يأتي صبيانَ الكُتّاب فيَعْرِضَ عليهم حديثه كيلا ينسى.

وعن عيسى بن المسيّب قال: سمعت إبراهيم يقول: إذا سمعتَ حديثاً فحدِّث به حينَ تسمعُه ولو أن تحدِّثَ به من لا يشتهيه فإنه يكون كالكتَاب في صدرِك.

وقال الرِّياشيْ: سمعتُ الأصمعيَّ وقيل له: كيف حفظتَ ونسيَ أصحابُكَ؟ قال: درستُ وتركوا.

وسئل بعضُ العلماء أو الحكماء: ما السببُ الذي يُنَالُ به العلم؟ قال: بالحرص عليه يتبع، وبالحثّ له يستمع، وبالفراغ له يجتمع.

وسُمع سعيدُ بنُ جبير يقول: لقد كان ابن عباس يحدثني بالحديث لو يأذن لي أن أقومَ فأقبِّلَ رأسَهُ لفعلت.

وقال الخليل بن أحمد: كُنْ على مدارسةِ ما في صدْرِكَ أحرَصَ منك على مدارسةِ ما في كُتُبِكَ.

---

(١) يَدْرُسُ: يَعْفُو أثره ويُمحى. «لسان العرب» (درس).

(٢) عبد الملك بن عبد العزيز الأموي مولاهم، المكي، ثقة، فقيه، فاضل، وكان يدلّس ويرسل. مات سنة ١٥٠ هـ وقيل بعدها. «التقريب» [٣٦٣].

(٣) ابن ربيعة الزُّبيدي، أبو إسحٰق الكوفي ثقة. «التقريب» [١٠٧].

(قف على كلام أبي الدرداء)

وعن عَوْن بن عبد الله بن عُتْبة قال: لقد أتينا أمَّ الدَّرْدَاء[1] فتحدَّثْنا عندها، فقلنا: أمْلَلْنَاك يا أمَّ الدَّرْدَاء؟ فقالت: ما أمْلَلْتُموني، لقد طلبتُ العبادةَ في كل شيء فما وجدت شيئاً أشْفَى لنفسي من مذاكرة العلم، أو قالت: من مذاكرة الفِقْه.

وقال الفرّاء[2]: لا أرحمُ أحداً كرحمتي لرجلَيْن رجلٍ يطلبُ العلمَ ولا فهمَ له، ورجل يفهمُ ولا يطلبه! وإني لأعجب ممَّن في وسعه أن يطلب العلمَ ولا يتعلَّم.

ورأيت في بعض كتب العجم: سُئِلَ جالينوس[3] بم كنت أعلم قرنائك بالطب؟ قال: لأني أُنفقت في زيت المصباح لدرسِ الكتبِ أكثرَ مما أنفقوا في شرب الخمر.

وروي مثل هذا القول عن أفلاطون ـ والله أعلم ـ.

وقيل لبُزُرْجَمُهر: بِمَ أدركت ما أدركت من العلم؟ قال: ببكُورٍ كبُكُور الغراب، وصبرٍ كصَبْر الحمارِ وحرصٍ كحرصِ الخنزير.

وعن إبراهيم بن الأشعث قال: سألت فُضَيْل بن عياض[4] عن الصَّبر على المُصِيْبات فقال: أن لا تُبَثَّ، وسألته عن الزهد فقال: الزُّهْدُ هو القَنَاعة، وهو الغِنَىٰ. قال: وسألتُه عن الوَرَع، قال: اجتناب المحارم، وسألتُه عن التَّواضع فقال: إن تخضعَ للحقِّ وتنقادَ له ممن سمِعْتَه، ولو كانَ أجهلَ النَّاس لزِمَكَ أن تقبلَه منه.

---

(١) هي أم الدرداء الكبرى يقال: إن اسمها خَيْرة بنت أبي حَدْرَد الأسلمي وكانت من فضليات النساء وعقلائهن وذوات الرأي منهن. ماتت في الشام في خلافة عثمان. «الاصابة» [٨/ ٧٣، ٧٤].

(٢) أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء، مولى بني أسد الكوفي، إمام ثقة. قال فيه ثعلب: لولا الفراء لما كانت اللغة. مات سنة ٢٠٧ هـ. «نزهة الألبّاء» [٦٥ «وابن خلكان» ٦/ ١٧٦].

(٣) جالينوس: عالم وطبيب يوناني. انظر «دائرة المعارف القرن العشرين» (٣/٣ - ١٣).

(٤) فُضيل بن عياض الخَوْلاني، الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة، مات مجاوراً في مكة سنة ١٨٧ هـ. «الوفيات» (٤/ ٤٧).

قال: وكان يقال: عَلّم عِلْمَك من يَجْهل وتعلَّمْ ممَّن يعْلَم، فإنّك إذا فعلتَ ذلك علمت ما جهلت، وحفظْت ما عَلِمْت.

وقال محمد بن مناذر:

أُبْــذِلِ الـعـلمَ ولا تـبـخـلْ بِـهِ   وإلى عـلمِـكَ عـلمـاً فـاستـفـد

وقـال آخـر:

مـا يـدركُ العلمَ إلا كـلُّ مشتغـل   بـالعلم همَّتـهُ القـرطـاسُ والقـلم

ولبعضهـم:

إذا لم يـذاكـرْ ذو العلوم بعـلمـه   ولم يستـزدْ علماً نسيَ مـا تعلَّمـا

وكم جـامعٍ للعلم في كـل مـذهب   يـزيـدُ على الأيـام في جمعـه عمَّـا

وقال رجلٌ لأبي هريرة: إني أريدُ أنْ أتعلَّم العلمَ وأخافُ أن أضيّعَه. فقال أبو هريرة: كفى بتركِكَ له تَضْيِيْعاً.

* *

بـــاب
كيفية الرُّتْبَة في أخذ العلم

عن يونُسَ بن يزيد[1] قال: قال لي ابنُ شهاب: يا يونُسَ لا تكابرِ العلمَ فإنَّ العلمَ أودِيةٌ فأيُّها أخذْتَ فيه قطعَ بكَ قبلَ أن تبلغَه، ولكنْ خذْه مَعَ الأيّام واللّيالي، ولا تأخذِ العلم جملةً فإنَّ من رام أخذه جملةً ذهبَ عنه جملة، ولكنْ الشيءَ بعد الشيء مع الليالي والأيام.

وعن حمَّاد بن زيد[2] قال: كان الـزُّهْري يحـدِّثُ ثم يقول: هـاتوا من

(١) ابن أبي النِّجاد الأَيْلي، أبو يزيد مولى آل أبي سُفْيان، ثقة، إلاّ أنّ في روايته عن الزُّهري وَهْماً قليلاً. مات سنة ١٥٩ هـ. «التقريب» (٦١٤).

(٢) ابن دِرْهم الأَزْدي، الجَهْضَميّ، أبو إسماعيل البصري، ثقة ثبت فقيه، قيل: إنه كان ضريراً، ولعلَّهُ طرأ عليه، لأنّه صحّ أنّه كان يكتبُ. مات سنة ١٧٩ هـ. «التقريب» (١٧٨).

أشعاركم، هاتوا من أحاديثكم، فإن الأُذُن مجّاجَةٌ وإنَّ للنَّفْسِ حَمْضةً[1].

وقالوا: من رقَّ وجهُه رقَّ علمُه.

وقال علي رضي الله عنه: أجِمُّوا هذه القلوب وابتغوا لها طرائفَ الحكمة فإنَّها تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدانُ.

وقال أبو عمر: لقد أحسنَ أبو العتاهية حيث يقول[2]:

لا يُصلحُ النفسَ إذْ كانت مُصَرَّفةً إلا التَنَقُّلُ من حالٍ إلى حالِ
لا تلعبنَّ بكَ الدُّنيا وأنتَ تَرى ما شِئْتَ من عِبَرٍ فيها وأمثالِ

وكان القاسم بن محمد إذا كثَّروا عليه من المسائل قال: إن لحديثِ العرب وحديثِ الناس نصيباً من الحديث فلا تُكْثروا علينا من هذا.

وعن ابن شهاب أنه كان يقول: روِّحوا القلوب ساعةً وساعة.

وعن أبي خالد الوالبي[3] قال: كنا نجالس أصحاب رسول الله ﷺ فيتناشدون الأشعار ويتذاكرون أيامهم في الجاهلية.

وعن الأعمش قال: سمعت أبا وائِل شقيق بن سلمة[4] يقول: خرجَ علينا عبدُ الله بنُ مسعود قال: إني لأُخْبرُ بمجلسكم فما يمنَعُني من الخروج إليكم إلا كراهيةُ أنْ أملَّكم، وإن رسول الله ﷺ كان يتخوَّلُنا بالمَوْعظة مخافةَ السآمة علينا.

وقال أبو عمرو بن العلاء: العلمُ نُتَفٌ.

وعن إسماعيل الموصلي قال: دخلتُ على الأصمعيّ فرأيتُ بين يديه قُمَيْطِراً، فقلت: هذا علمك كله؟ فقال: إنّ هذا من حقّ لكثير.

وروينا عن عبد الله بن عبّاس أنه قال: العلمُ أكثرُ من أن يُحَاطَ به فخذوا منه أحسَنَه.

(١) في «لسان العرب» (حمض): الحَمْضَةُ: الشَّهوةُ إلى الشيء. وذكر حديث الزُّهري.
(٢) «الديوان» (٢٨٦ و ٣٢٠ - ٣٢١) وفيه: «لن يصلح النفس إن كانت مصرَّفة».
(٣) هُرْمز، وقيل: هرم، مقبول [وفد على عمر أي ابن عبد العزيز]. التقريب [٦٣٦].
(٤) الأسدي الكوفي مخضرم. مات في خلافة عمر بن عبد العزيز. «التقريب» [٢٤٨ وله مئة سنة].

أنشدني محمد بن مصعب لابن عباس:

مـا أكـثـرَ الـعـلـمَ ومـا أوسعـهْ ... مَنْ ذا الّـذي يقـدِرُ أن يـجمَعـهْ
إنْ كـنـتَ لا بـدَّ لَـهُ طـالـبـاً ... مـحـاولاً فـالـتـمسْ أنـفَـعَـهْ

وكان يقالُ: العالمُ النبيلُ الذي يكتبُ أحسنَ ما يسمعُ ويحفظُ أحسنَ ما يكتبُ ويحدِّثُ بأحسنِ ما يحفظُ.

* * *

بـــاب
ما روي عن لُقْمان الحكيم من وصيَّتِهِ لابنه وحضِّه إياه على مجالسة العلماءِ والحرص على العلم

عن سُلَيْمان(1) التيْمي قال: قال لقمانُ لابنه: يا بُنَيّ ما بلغتَ من حكمتك؟ قال: لا أتكلّفُ مَا لاَ يَعْنيني. قال: يا بُني إنَّه قد بقي شيءٌ آخرُ؛ جالسِ العلماءَ وزاحمْهم بركبتيك، فإنَّ اللّهَ يحيي القلوبَ الميتة بنورِ الحكمة كما يُحيي الأرضَ الميتة بوابلِ السَّماء.

وعن لقمان أو عيسى ـ عليه السلام ـ أنه قال: كما تركَ الملوكُ لكم الحكمةَ فاتركوا لهمُ الدُّنْيا.

وذكر الغَلاَّبي(2) عن ابن عائشة عن أبيه قال: قال العبَّاسُ لابنه عبدِ الله: يا بُنيّ لا تَعلَّمْ العلمَ لثلاثِ خِصَالٍ: لا تُرائي به ولا تُمَاري به ولا تُبَاهي به. ولا تدعْه لثلاثِ خصالٍ: رغبةً في الجهل، وزهادةً في العلم، واستحياءً من التعلُّم.

وأنشدت لبعض المحدثين:

كنْ مـوسِـراً إن شئت أو مُـعْـسـراً ... لا بـدّ فـي الـدُّنـيـا من الـهـمِّ

---

(1) ابن بلال. أبو محمد وأبو أيوب المدني، ثقة، مات سنة ١٧٧ هـ. «التقريب» (٢٥٠).

(2) محمد بن زكريا بن دينار مولى بني غَلاَّب أبو عبد الله الغَلاَّبي إخباري، إماميّ من أهل البصرة. مات سنة ٢٩٨ هـ. «الأعلام» (٦/ ١٣٠).

وكلّما ازددت بها ثروةً زاد الذي زادك في الغمّ
إني رأيتُ النّاس في دهرهم لا يطلبُون العلمَ للفَهْم
إلاّ مباهاةً لأصحابهم وعدةً للخصْم والظلم

وقال عليُّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: تعلَّمُوا العلمَ فإذا تعلَّمتُموه فاكظُموا عليه ولا تَخْلِطُوه بضَحِك ولا بلعبٍ فتمجَّه القلوب.

وروي عنه أيضاً أنه قال: تعلَّموا العلمَ وتزيَّنُوا معَه بالوقار والحِلْم وتواضَعُوا لمن تَتَعلَّمون منه، ولمن تعلِّمُونه، ولا تكونُوا جبابرةَ العلماء فيُذْهِبَ باطلُكم حقَّكم.

وروينا عن مُعاذ بن جبل: أنَّه كان يقولُ مثلَ قولِ عليٍّ هذا سواء، إلاّ أنَّ في آخر لفظه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقومَ علمُكم بجهلكم.

وقال أبو عمر: قد روي هذا المعنى بنحو هذا اللفظ عن النبيِّ ﷺ وعن عمر بن الخطاب أيضاً.

وعن ابن أبي حسين قال: بلغَني أن لُقمانَ الحكيم كان يقول: يا بُنيَّ لا تتعلَّم العلمَ لتُبَاهي به العلماء، وتماري به السُّفهاء، وترائي به في المجالس، ولا تدع العلمَ زهداً فيه ـ وفي رواية حياءً من الناس ـ ورغبةً في الجهالة، يا بُنيَّ اختر المجَالس على عينك فإذا رأيتَ قوماً يذكُرونَ اللَّهَ فاجلسْ معهم، فإنَّك إن تَكُ عالماً ينفعْكَ علمُك وإنْ تكُ جاهلاً يعلّمُوك، ولعلَّ اللَّهَ يطَّلعُ عليهم برحمة فتصيبَك معَهم وإذا رأيت قوماً لا يذكُرونَ الله فلا تجلس معَهم فإنّك إنّ تكُ عالماً لا ينفعْك علمُك وإن تكُ جاهلاً يزيدوك غَيّاً ولعلّ الله يطّلعُ عليهم بعذاب فيصيبَك معهم.

وقال زيد بن أسلم: كان لُقْمَانُ من النُّوبَة[1] ـ جيل من السودان ـ.

ومن مواعظه لابنه: لا تجادلِ العلماء؛ فتَهونَ عليهم ويرفضُوكَ، ولا تجادلِ

---

(١) النُّوبة: بلاد واسعة عريضة في جنوب مصر، امتدحهم رسول الله ﷺ بقوله: «من لم يكن له أخ فليتخذ أخاً من النوبة». «معجم البلدان» (٥/٣٠٨ وما بعدها).

السُّفهاءَ؛ فيجهلوا عليكَ ويشتِموك، ولكنْ اصبرْ نفسَك لمن هو فوقَك في العلم، ولمن هو دُونَك فإنَّما يلحَقُ بالعلماء من صَبَر لهم، واقتبسَ من علمهم في رفق.

وعن السَّرِيِّ: قال لقمانُ لابنه: يا بُنيَّ إنَّ الحكمةَ أجلَسَتْ المساكينَ مجالسَ الملوك.

* *

بـــابُ
آفةِ العلم وغائلتِه وإضاعتِه
وكراهيةِ وضعِهِ عندَ من ليس بأهله

عن الزُّهري قال: إنَّ للعلمِ غوائلَ، فمن غوائله أنْ يُتركَ العالمُ حتى يذهبَ بعلمه، ومن غوائله الكذبُ فيه، وهو شرُّ غوائله.

وعنه قال: إنَّما يُذْهِبُ العلمَ النسيانُ وتركُ المذاكرة.

وقـال بعضهـم:

إذا لم يُـذَاكِـرْ ذو العلومِ بعلمِـهِ ولم يـدَّكـر علمـاً نَسِيَ ما تعلَّمـا

وعن علي: تذاكَرُوا هذا الحديث فإن لم تفعلوا يَدْرُس.

٧٧ - وعن الأعمش قال: قال رسول الله ﷺ: «آفةُ العلم النِّسْيانُ، وإضاعتُه أن يُحدِّثَ به غيرَ أهله»(١).

وقال عليُّ بنُ ثابت:

العلمُ آفتـهُ الإعجـابُ والغضـبُ والمـالُ آفتـه التبـذيـرُ والنهَبُ

وعن شعبة قال: رآني الأَعْمَشُ وأنا أحدِّث قوماً. فقال: ويحَكَ يا شُعبة تعلِّقُ اللؤلؤَ أعناقَ الخنازير.

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٠٨/١) (م).

ولصالح بن عبد القدوس[1]:

وَإنَّ عـنـاءً أن تُـفْـهِـمَ جـاهـلاً فيحسبُ جـهـلاً أنّـهُ منـكَ أفْـهَمُ
متى يبلغُ البنيـانُ يـومـاً تمـامَـه إذا كـنـتَ تـبْنيـه وغيـرُكَ يَـهْـدِمُ
متى ينتهي عـن سيّءٍ مـن أتى بـه إذَا لـم يكـنْ منـهُ عليـه تنـدُّمُ

وله من شعره الذي تقدّم بعضه في هذا الكتاب في مواضعه[2]:

لا تـؤتـيـنَّ الـعـلمَ إلا امـرأً يُـعـيـن بـاللُّبِّ عـلى نـفـسِـهِ

وقال أنسُ بن أبي شيخ: مَن كان حسنَ الفَهْم رديءَ الاستماعِ، لم يقم خيرُه بشرّه.

وعن أبي فروة: أن عيسى ابن مريم عليه السلام كان يقول: لا تمنعِ الحكمةَ أهلَها فتأثَمَ، ولا تَضَعْها عند غير أهلها فتجهلَ وكُنْ[3] طبيباً رفيقاً يضع دواءَهُ حيثُ يَعْلَمُ أنَّه يَنْفعُ.

وللإمام الشافعي - رحمه الله -:

أأنـثـرُ دُرّاً بيـنَ سـائـمـةِ النَّـعَـمْ أم أنـظُمُـهُ نَـظْمـاً لمُهْمَلة الغنـمْ
ألم تَـرَني ضُـيِّعْـتُ في شـرِّ بـلدةٍ فلستُ مُضيِّعـاً بينهـم دُرَرَ الكـلِمْ
فإنْ يشفني الرَّحمٰن من طولِ ما أرى وصـادفْـتُ أهـلاً للعـلوم وللحـكمْ
بـثثـتُ مفيـداً واستـفـدتُ وِدَادهم وإلّا فـمخـزونٌ لـديَّ ومـكتَـتَـمْ[4]

وقال الحسنُ: لولا النِّسْيانُ لكانَ العلمُ كثيراً.

وقال عكرمة: إنَّ لهذا العلم ثمناً. قيل: وما ثمنه؟ قال: أنْ تضعَهُ عندَ من يحفظُهُ ولا يضيّعُه.

وعن رُؤبة بن العجاج[5] قال: أتيت النسَّابةَ البكريَّ قال: قال لي: من أنت؟

(١) ينظر «تهذيب ابن عساكر» (٦/٣٧٥).
(٢) انظر (ص ٧٥) من هذا الكتاب، باب فضل التعلّم في الصِّغر.
(٣) «ولكن» في الأصل.
(٤) «ديوان الشافعي» (١١٠ - ١١١) مع اختلاف في اللفظ.
(٥) البصري التميمي السعدي هو وأبوه راجزان مشهوران. مات سنة ١٤٥ هـ. «ابن خلكان» [٢/٣٠٣].

قلتُ: رؤبةُ بن العجّاج. قال: قَصَرْتَ وعرّفت. فما جاءَ بك؟ قلت: طلبُ العلم. قال: لعلّك من قوم أنا بين أظهرهم إن سكت لم يسألوني وإن تكلّمت لم يعوا عني؟ قلت: أرجو أن لا أكونَ منهم. ثم قال: أتدري ما آفة المروءة؟ قلت: لا. قال: جيران السوء، إن رَأَوْا حَسَناً دفنوه، وإن رَأَوْا سيئاً أذاعوه. ثم قال لي: يا رُؤْبَةُ إنَّ للعلم آفةً وهجنةً ونُكْراً فآفته نسيانُه، وهجنتُه أن تضعَه عندَ غير أهله، ونكرُهُ الكذبُ فيه.

وعن عِكْرمةَ قال: قال عيسى ـ عليه الصَّلاةُ والسّلام ـ: لا تطرح اللُّؤْلؤ إلى الخِنْزير فإنّ الخنزيرَ لا يصنَعُ باللؤلؤ شيئاً، ولا تُعطي الحكمةَ لمَنْ لا يريدها؛ فإنَّ الحكمةَ خيرٌ من اللؤلؤ ومن لا يريدُها شرٌّ من الخنزير.

٧٨ - ويروى عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «قامَ أخي عيسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ خطيباً في بني إسرائيلَ فقال: يا بني إسرائيلَ لا تُعْطُوا الحكمةَ غيرَ أَهْلها فتظلِمُوها ولا تمنَعُوها أهلَها فتَظْلِمُوهم»[1].

وقد نظم هذا بعض الحكماء فقال:

من منعَ الحكمةَ من أهلِهَا ... أصبحَ في النَّاس لهم ظالِمَا
أو وضعَ الحكمةَ في غيرهم ... أصبحَ في الحُكْم لهم غاشما
لا خيرَ في المرْءِ إذا ما غَدَا ... لا طالبَ العلمِ ولا عالما

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: إن إحياءَ الحديث مذاكَرتُهُ.

وعن كَثِيْر بن مُرَّة الحَضْرمي أنه قال: إنّ عليك في علمك حقاً كما أنّ عليك في مالك حقاً لا تحدِّث العلمَ غير أهله فَتَجْهَلَ، ولا تمنع العلمَ أهله فتأثَمَ، ولا تحدِّثْ بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك، ولا تحدِّثْ بالباطل عند الحكماء فيمْقُتوكَ.

ولقد أحسن القائل:

قالوا نَراك طويلَ الصَّمْت قلتُ لهم ... ما طولُ صمتيَ من عيٍّ ولا خَرسِ

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١١٠) (م).

لـكنَّـه أحـمَـدُ الأشـيـاءِ عـاقـبـةً عنـدي وأيسـرُه من منـطق شَكِسِ
أأنشُـرُ البَـزَّ فيمـن ليس يـعـرِفُـهُ أم أنثر الدرَّ بين العُمْيِ في الغَلَسِ

ولقد أحسن صالح بن عبد القدوس في قوله ويُرْوَى لسابق[1]:

وإذا حَـمَلْتَ إلـى سفـيـهٍ حكـمـةً فلقَـدْ حَـمَـلْتَ بضـاعـةً لا تَـنْفُـقُ

٧٩ - ومن قول النبيِّ ﷺ مرفوعاً: «واضِعُ العلمِ في غَيْرِ أهلِهِ كمقلِّدِ الخنازيرِ اللؤْلُؤَ والذهبَ»[2].

فإنْ قالَ قائل: إنّ بعضَ الحكماءِ كانَ يحدِّث بعلمه صبيانَه وأهلَه، ولم يكونوا لذلك بأهلٍ. قيل له: إنّما فعلَ ذلك من فعله منهم لئلاَّ يَنْسَى.

وكان خالدُ بنُ يزيد إذا لم يجدْ أحداً يحدِّثُهُ يُحَدِّثُ[3] جواريَه، ثم يقول: إنّي لأعلمُ أنكنَّ لستُنَّ بأهل؛ يريدُ بذلك الحفْظَ.

وقد كانوا يكرهون تكريرَ الحديث.

وكان علقَمَةُ يقول: كرِّرُوه لئلاَّ يَدْرُسَ. ولكل وَجْهٌ لا يُدْفَعُ وبالله التوفيق.

* *

بـــابٌ
في هَيْبَة المتعلِّم للعالم

عن ابن عباس قال: مكثْتُ سنتين أريدُ أنْ أسألَ عمرَ بنَ الخطّاب عن حديث، ما منَعني منه إلاّ هيبتُهُ حتى تخلَّف في حجٍّ أو عمرةٍ في الأَرَاك[4] الذي ببَطْن مَرّ الظّهْران[5] لحاجةٍ، فلما جاء وخَلَوْتُ به قلت: يا أميرَ المؤمنين إنّي أريدُ

(١) البيت في «مجلة مجمع اللغة العربية» (م ٤٤/٤٣). منسوب لسابق نقلاً عن ابن عبد البرّ.

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١١١) (م).

(٣) لفظة «يُحَدِّثُ» أسقطها صاحب «المختصر» واستدركناها من «الجامع» (م).

(٤) الأراك: شجرة طويلة خضراء ناعمة كثيرة الورق والأغصان، تتخذ منها المساويك. «لسان العرب»(أرك).

(٥) بطن مَرّ الظّهران: قرية قرب مكة فيها عيون «معجم البلدان» (بطن، الظّهران).

أنْ أسألَكَ عن حديثٍ منذ سنتين ما يمنعني إلّا هيبةٌ لك. قال: فلا تَفْعل إذا أردْتَ أن تسأل فسَلْني، فإنْ كان منه عندي علمٌ أخبرتُك. وإلا قلتُ: لا أعلم؛ فسألتَ مَنْ يعلمُ.

قلت: مَن المرأتان اللّتان ذكرَهُما اللّهَ أنَّهُما تَظَاهرتَا على رَسُولِ الله ﷺ؟ قال: عائشةُ وحفصةُ[1].

ثم قال: كان لي أخٌ من الأنصار وكنَّا نتعاقبُ النزول إلى رسول الله ﷺ أنزلُ يوماً وينزلُ يوماً فما أتى من حديث أو خبر أتاني به وأنا مثلُ ذلك ونزلَ ذات يوم وتخلَّفْت فجاءني وذكرَ الحديثَ بطوله.

وقال أبو عمر: الذي آخى رَسُول الله ﷺ بينَه وبينَ عمرَ بنِ الخطّاب من الأنصار هو عِتبان بن مالك[2].

وعن سعيدِ بنِ المسيَّب قال: قلت لسعيد بن مالك: إني أريدُ أن أسألك عن شيء وإني أهابُك. فقال: لا تهبْني يا ابن أخي إذا علمتَ أنّ عندي علماً فسَلْني عنه. قال: قلت: قول رسول الله ﷺ لعليٍّ في غزوةِ تَبُوك حين خَلَفَـه فقال سعد:

قال رسول الله ﷺ: «يا عليُّ أما ترضىٰ أن تكونَ منِّي بمنزلة هارونَ من موسى»[3].

وعن مَعْمَر عن طاوُوسٍ عن أبيه قال: إنَّ من السُّنَّة أن يوقَّرَ العَالِمُ.

* *

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٩١٣) ومسلم رقم (١٤٧٩) (٣٣) وانظر تعليقنا على مقدمة «التعريف والإعلام» للسهيلي (م).

(٢) ابن عمرو العجلاني الأنصاري السلمي، صحابي مشهور. مات في خلافة معاوية. [وفي الأصل: عُتْبان بضم العين. والتصويب من التقريب] «التقريب» [٣٨٠].

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١٢/١) وانظر «جامع الأصول» (٦٤٩/٨) (م).

بـــابٌ
في ابتداءِ العالم جلساءَه بالفائدة وقولِهِ سَلُوني وحرصِهم على أن يؤخذَ ما عندهم

٨٠ ـ عن عُبادةَ بن الصَّامت[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «خُذُوا عنِّي خُذُوا عَنِّي قد جعلَ الله لهنَّ سبيلاً الثيِّبُ بالثيِّبِ جلدُ مئةٍ ورَجْمٌ بالحجارة، والبِكْرُ بالبِكْر جلدُ مئةٍ ونفيُ سَنَة»[2].

٨١ ـ وعن جابر أن رسول الله ﷺ رمى الجمرة يوم النحر على راحلته وقال: «خُذُوا عنّي مناسِكَكُم فإنّي لا أدري لعلّي لا أُحُجُّ بَعْد حِجَّتي هٰذه»[3].

٨٢ ـ وعن أنس بن مالكٍ أنّ النبيَّ ﷺ كان في سفرٍ ومعه معاذُ بن جبلٍ رديفه على الراحلة فقال: يا معاذُ، قال: لبيك يا رسولَ الله وسعدَيْك ثلاثاً. قال: «ما من أحدٍ يشهدُ أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسولُ الله صادقاً من قلبه إلاّ حرَّمَ اللّهُ عليه النار»[4]. قلت: يا رسول الله ألا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذاً يتَّكِلُوا، وأخبرَ بها معاذٌ عند موته.

وعن خالد بن عرعرة التيمي قال: سمعت عليَّ بنَ أبي طالب يقول: ألاَ رجلٌ يسألُ فينتفعَ وينفعَ جلساءَه.

وعن سعيد بن المسيّب قال: ما كانَ أحدٌ من النّاس يقول سَلُوني غيرَعلي بن أبي طالب.

وعن زاذان[5] قال: سألتُ ابنَ مسعود عن أشياءَ ما أحدٌ يسألني عنها.

---

(١) الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء، بدري مشهور، مات بالرملة سنة ٣٤ هـ. «التقريب» [٢٩٢].
(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١١٣) (م).
(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١١٣) وانظر «جامع الأصول» (٣/٢٨٥) (م).
(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١١٣) (م).
(٥) «الأراذان» في المختصر والذي في التقريب زاذان: بالزاي. وهو الصواب.
وهو أبو يحيى القتّات الكوفي اسمه زاذان وقيل: دينار وقيل: غير ذلك لَيِّنُ الحديثُ، من السادسة. «التقريب» (٦٨٤).

وعن شقيق قال: خطبنا ابنُ عبّاس وهو على الموسم فقرأ سورة البقرة، فجعل يفسّر ويقرأ، فما رأيت ولا سمعت كلامَ رجل مثلِهِ، إني أقول: لو سمِعَتْهُ فارسُ والرُّومُ والتُّركُ لأسلمَتْ.

وعن ابن عباس ما سألني رجل عن مسألة إلا عَرَفت أفقيهٌ هو أو غيرُ فقيهٍ.

وعن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس أنه قال: ألا تسألُني عن آيةٍ فيها مئة آية؟ قال: قلت: ما هي؟ قال: قوله عز وجل: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾[1] قال: كل شيء أوتي من خير أو شر كان فتنة، وذكر حين حملت به أمه وحين وضعته وحين التقطه آلُ فرعون، وحين بلغ ما بلغ، ثم قال: ألا ترى قوله: ﴿ونَبْلُوكُمْ بالْشَّرِّ والخيرِ فِتْنَةً﴾[2].

وعن أبي صالح قال: قال عليٌّ - رضي الله عنه - سَلُوا ولو أنّ إنساناً يسألُ. فسأله ابن الكوّا عن الأختين المملوكتين وعن بنت الأخ والأخت من الرضاعة. فقال: إنك لذهّاب في التيه سَلْ عمّا ينفعُك أو يَعْنِيك. قال: إنما نَسألُ عما لا نَعلم قال: فقال في ابنة الأخ أو الأخت من الرضاعة أردت رسولَ الله ﷺ على بنتِ حَمْزة، فقال: هي ابنة أخي من الرضاعة، وقال في الأُختين المملوكتين أحلّتهما آية وحرّمتهما آية لا آمر ولا أنهى ولا أحل ولا أحرم ولا أفعله أنا ولا أهل بيتي.

وعن سعيد بن جبير قال: إن مما يَهُمّني أنّي وددتُ أنّ النَّاسَ قد أخذوا ما معي من العلم.

وروينا عن الحسن: أنه كان يبتدىء الناس بالعلم ويقول: سَلُوني.

وقال قتادةُ أتى على الحسنُ زمانٌ وهو يَعْجَبُ ممن يدعو إلى نفسه فما مات حتّى دعا إلى نفسه.

وقال لقمانُ الحكيم: إن العالم يدعو النَّاسَ إلى علمه بالصمت والوقار.

---

(١) سورة طه: الآية (٤٠).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٣٥).

وعن الزُّهري قال: كان عروة يستأْنِفُ الناس على حديثه.

وقال هشام بن عروة: كان أبي يقول لنا: إنا كنا أصاغرَ قومٍ ثم نحن اليوم كبار قوم، وإنكم اليوم أصاغر قوم، وستكونون كباراً، فتعلَّموا العلم تسودوا به قومكم، ويحتاجون إليكم.

قال هشام: وكان أبي يدعُوني وعبدَ الله بن عروة وعثمانَ وإسماعيلَ إخوتي وآخرَ فيقول: لا تَغْشَوْني مع الناس، وإذا خلوت فسَلُوني.

فكان يحدثنا يأخذُ في الطّلاق ثم الخَلْع ثم الحجّ ثم الهَدْي ثم كذا ثم يقول: كرُّوا عليّ فكان يُعجَبُ من حفظي.

قال هشام: والله ما تعلمنا منه جزءاً من ألف جزءٍ من أحاديثه.

وعن أحمد بن الحسن الترمذي(١) قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي(٢) يقول: كان زائدةُ يخرجُ إليهم فيقول: اكتبوا اكتبوا قبل أن أنسى.

وعن يحيى بن يَمَان العِجْلي(٣) قال: سمعت سفيان الثوري يقول: والله لو لم يأتوني لأتيتهم في بيوتهم؛ يعني أصحاب الحديث، فقيل له: إنهم يطلبونه بغير نيّة. فقال: إن طلبهم إياه نية.

وكان الربيع بن سليمان(٤) يقول: قال لي الشافعي: يا ربيعُ لو قَدِرْتُ أنْ أُطعمَكَ العلمَ لأطعمتُك إياه(٥).

وقال الربيع: كان الشافعي يملي علينا في صحن المسجد فلحقته الشمس فمرَّ به بعض إخوانه فقال: يا أبا عبدِ الله في الشمس؟

---

(١) ثقة حافظ. مات سنة (٢٥٠) «التقريب» [٧٨].

(٢) البصري ثقة حافظ عارف بالرجال والحديث، قال ابن المديني: ما رأيْتُ أعلم منه. مات سنة ١٩٨ هـ. «التقريب» [٣٥١].

(٣) الكوفي صدوق عابد يخطىء كثيراً. مات سنة ١٨٩ هـ. «التقريب» [٥٩٨].

(٤) المرادي بالولاء المصري صاحب الإمام الشافعي، وراوي أكثر كتبه. مات سنة ٢٧٠ هـ بمصر [ويعرف بأبي محمد المصري المؤذن، ثقة]. «ابن خلكان» [٢/ ٢٩٠ و«التقريب» ٢٠٦].

(٥) هو في «الوفيات» (٢/ ٢٩٠) مع اختلاف طفيف في اللفظ.

فأنشأ الشافعي يقول:

أُهينُ لَهُم نفسي لأكرِمَها بهم ... ولن تُكْرَمَ النفسُ التي لا تُهِيْنُها[1]

وقال ابن عباس: ذللتُ طالباً فعززت مطلوباً.

* *

باب
منازل العلم

عن داود بن عمرو بن زُهَير الضَّبِّي[2]. قال: سمعتُ فُضَيْل بن عياض[3]، يقول: أَوَّلُ العلم الإنصاتُ، ثم الاستماعُ، ثم الحفظُ، ثم العملُ، ثم النشرُ.

وعن علي بن الحسن بن شقيق[4] قال: سمعتُ ابنَ المبارك يقول: أوّلُ العلم النيَّةُ، ثمَّ الاستماعُ، ثم الفَهْمُ، ثم الحفظُ، ثم العَمَلُ، ثم النشرُ.

وعن عبد الرحمن بن مهدي عن محمد بن النَّضر الحارثي قال: أول العلم الاستماع قيل: ثم ماذا؟ قال: الحفظ، قيل: ثم ماذا؟ قال: العمل، قيل: ثم ماذا؟ قال: النَّشر. وروي عن سفيان مثله.

* *

بابٌ
طرح العالم المسألةَ على المُتَعلِّم

٨٣ ـ عن مُعاذ بن جبل قال: كنتُ رِدْفَ النبي ﷺ فقال: **«هل تَدْري يا مُعاذُ ما حقُّ اللَّهِ على الناس؟»** قال: قلت: اللَّهُ ورسولُه أعلم. قال: **«حقُّه عليهم أن يعبُدُوه ولا يشركوا به شيئاً. أتدري يا معاذُ ما حقُّ النَّاسِ على الله إذَا فعلوا ذلك؟»** قال: فقلتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أعلم. قال: **«حقُّ الناس على اللَّه أَنْ لا يعذِّبَهم»**. قال قلت: يا رسولَ الله، ألا أبشِّرُ النَّاسَ. قال: **«دَعْهُم يعملُون»**[5].

(١) «ديوان الشافعي» (١٢٤) بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي.

(٢) البغدادي ثقة. مات سنة ٢٢٨ هـ. «التقريب» [١٩٩].

(٣) التميمي الطَّالقاني الزاهد المشهور. مات بمكة سنة ١٨٧ هـ. «ابن خلكان» [٤/٣٧١] و«التقريب» [٤٤٨].

(٤) المروزي ثقة حافظ. مات سنة ٢١٥ هـ. [أبو عبد الرحمن] «التقريب» [٣٩٩].

(٥) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١١٩) (م).

٨٤ ـ وعن عبدِ الله بن عمرَ(١) أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ من الشَّجر شجرةً لا يسقُطُ ورقها، وإنّها مثلُ الرجل المسلم، حدِّثوني ما هي؟ قال عبد الله: فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي، أنها النَّخلة. قال: فاستحيَيْتُ. فقالوا: يا رسول الله ما هي؟ قال: النخلة»(٢).

قال عبد الله بن عمر: فحدثْتُ عمرَ بنَ الخطّاب بالذي وقع في نفسي. فقال: لأنْ تكونَ قلتَها أحبُّ إليّ من أن يكون لي كذا وكذا.

٨٥ ـ وعن النُّعمان بن مُرَّةَ(٣) أن رسول الله ﷺ قال: «ما ترون في الشّارب والسّارق والزّاني؟ وذلك قبل أن ينزلَ فيهم. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هن فواحشُ وفيهن عقوبةٌ وأسوأُ السَّرقَة الذي يسرِقُ صلاتَه. قالوا: يا رسول الله كيف يسرقُ صلاتَه؟ قال: لا يُتمُّ ركوعَها ولا سجودَها»(٤).

وعن يحيى بن سعيد، أنّه سمع سعيدَ بن المسيّب يقول: ما تَرَوْن في رجل وقعَ بامرأته وهو مُحْرِم، فلم يقل له القوم شيئاً، فقال سعيد: إنّ رجلاً وقع بامرأتِهِ وهو محرم وذكر الحديث(٥).

وعن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه قال: ما صلاةٌ يجلسُ في كل ركعة منها؟ ثم قال سعيد: هي المغرب إذا فاتتك منها ركعة أن تجلس مع إمامك في ثانيته وهي لك أولى، وكذلك سنة الصّلاة كلها.

قال أبو عمر: يعني إذا فاتتك منها رَكْعة أن تجلسَ مع إمامك في ثانيته وهي لك أولىٰ وهذه سنّةُ الصّلاة كلِّها إذا فاتتك منها رَكْعة.

---

(١) ابن الخطاب الصحابي الجليل أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ وهاجر معه إلى المدينة وكان أعلم الصحابة بمناسك الحج. مات سنة ٧٣ هـ. «ابن خلكان» [٢٨/٣ و«التقريب» (٣١٥) وفيه: مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها.

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١٩/١) (م).

(٣) الأنصاري المدني ثقة من الثّانية ووهم من عدَّة في الصحابة. «التقريب» [٥٦٤].

(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٢٠/١) وهو عند الإمام مالك في «الموطأ» (١٦٧/١) (م).

(٥) هكذا ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٢٠/١) دون بيان والحديث رواه مالك في «الموطأ» (٣٨٢/١ ـ ٣٨٣) (م).

وعن يحيى بن سعيد أن سعيدَ بن المسيَّب قال: ما تَرَوْنَ فيمن غلبه الدَّمُ من رُعاف فلم ينقطع عنه؟ قال يحيى بن سعيد: ثم قال سعيد: أرى أن يُومِيَ برأسه إيماءً.

* *

بـــابُ
فتوى الصَّغير بين يدي الكبير

عن عبد الرحمن بن غَنْم الأشعري(١) قال: قلت لمعاذٍ بن جبَل: أرأيتَ قولَ الله: ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾(٢) فقال: شهدت رسول الله ﷺ ودعا أبا بكر وعمرَ حين أراد أن يَبْعَثني إلى اليمن.. فقال: «أشيرا عليَّ فيما آخذ من اليمن». قالا: يا رسول الله أَلَيْسَ قد نَهَى اللَّهُ أن يُتَقَدَّمَ بين يَدَيِّ الله ورسوله فكيف نقول وأنت حاضر؟ فقال رسول الله: «إذا أمرْتُكما فلم تتقدَّما بين يديِّ الله ورسوله»(٣).

قال عبد الرحمن بن غَنْم: فقلت لمعاذ بن جبل: فللرَّجُل العالم أن يقولَ ومعه عِدَادُه من النَّاس في الأمر، لا بدَّ منه. قال: إن شاء قال، وإن شاء أمسك، حتى يكفيَهُ أصحابُه فذلك أحبُّ إليَّ.

قال أبو عمر: هذا حديث لا يحتَجُّ بمثله لضَعْف إسناده ولكنَّه حديثٌ حسنٌ نقله النَّاسُ وذكرناه لتقف عليه وتعرفه.

وعن سالم بن عبد الله(٤) أنه قال: كتب عبدُ الملك بن مَرْوان إلى الحجَّاج:

---

(١) مختلف في صحبته، وذكره العِجْلي في كبار ثقات التابعين. مات سنة ٧٨ هـ. «التقريب» [٣٤٨].
(٢) سورة الحجرات: الآية (١).
(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢١) (م).
(٤) ابن عمر بن الخطاب أحد فقهاء المدينة من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم. مات سنة ١٠٦ هـ وقيل: أكثر. «ابن خلكان» [٢/٣٤٩] و«التقريب» (٢٢٦) وفيه: وكان ثبتاً عابداً فاضلاً، كان يُشبَّهُ بأبيه في الهَدْي والسمت].

أنْ لَا تُخالفَ أمرَ عبدِ الله بن عمرَ في أمر الحجِّ فلمَّا كان يومُ عَرَفَة جاءَه عبدُ الله بنُ عمرَ حينَ زالَت الشمسُ وأنا مَعَه فصاحَ عندَ سُرَادقه أين هذا؟ فخرج إليه الحجاج وعليه مِلْحَفَةٌ مُعَصْفَرة. فقال: ما لكَ يا أبَا عَبْدَ الرَّحمن؟ قال: الرَّواحَ إن كنت تريد أن تصيبَ السُّنَّة اليَوْم، فقال: هذه السَّاعة؟ قال: نعم. قال: فأنظرني أفيض عليّ ماءً، ثم أخرجُ إليك فنزل عبدُ الله حتى خَرَجَ إليه الحجَّاج فسار بيني وبينَ أبي. فقلت له: إن كنت تريد أن تصيب السُّنة فأقْصِر الخُطْبة وعجّل الوقوفَ قال: فجعل ينظر إلى عبد الله بن عمر كيما يسمعُ ذلك منه، فلما رأى ذلك عبدُ الله قال: صدَق.

وعن حجَّاج بن عَمْرو بن غَزِيّة(١) أنه كان جالساً عند زيد بن ثابت فجاءه ابنُ فهد رجلٌ من اليمن. فقال: يا أبا سعد إنّ عندي جواري ليس نسائي اللآئي أُكنّ بأعجب إليّ منهنّ وليس كلهن يعجبنني أن تحمل مني أفأعزل؟ فقال: زيد أفته يا حجاج قال: قلت: غفر الله لك إنما نجلس إليك لنتعلم منك. فقال: أفته. قال: قلت: هو حرثُك إن شئت سقيتَه وإن شئت عطَّشته وكنت أسمع ذلك من زيد بن ثابت فقال زيد: صدق.

* *

بـــاب
جامع لنشر العلم

٨٦ ـ روى سهلُ بن سَعْد(٢) أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «لأنْ يهديَ اللَّهُ بكَ رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْر النَّعم»(٣).

---

(١) الأنصاري المازني المدني صحابي، وشهد صفين مع علي. «التقريب» [١٥٣]. وفي «الاستيعاب»: أنه روى عن النبي ﷺ حديثين. [١/٣٢٦].

(٢) ابن مالك الأنصاري الخَزْرجي السَّاعديّ له ولأبيه صحبة. مات سنة ٨٨ هـ. «التقريب» [٢٥٧].

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢٢) (م)

ومن حديث أبي رافع قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: «يا عليُّ لأنْ يهديَ اللَّهُ على يديك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشّمس»[1].

٨٧ - وعَن أبي هُريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَثَلُ الذي يتعلَّمُ العلمَ ولا يحدِّثُ به كمثل الذي يكنِزُ الكَنْزَ ولا ينفق منه»[2].

٨٨ - وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَثَلُ الذي يتعلّم العلمَ لا يحدِّثُ به النّاس كمثلِ الّذي رزقه الله مالاً لا يُنفق منه»[3].

٨٩ - وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «علمٌ لا يقالُ به ككَنْزٍ لا يُنْفَقُ منه»[4].

وروي مثل هذا عن سَلْمان الفارسي[5] أيضاً.

وعن ابن القاسم قال: كنا إذا ودَّعنا مالكاً يقولُ لنا: اتّقُوا اللَّهَ، وانشروا هذا العلم، وعلّموه، ولا تكتُمُوه.

٩٠ - وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «من الصَّدقةِ أن يتعلَّمَ الرجلُ العلمَ فيعملَ به ثم يعلّمَه»[6].

وعن ابن شهاب قال: سمعت عبد الملك بن مروان خطَبنا يوم الفطر فقال: إنّ العلم يقبض قبضاً سريعاً فمن كان عنده علم فلينشره غير خافٍ عنه ولا غالٍ فيه. (قف على قو... الملك بن مر...)

وروينا عن عبد الرحمن بن مهدي قال: كان أنس بن مالك يقول: بلَغني أن العلماء يسألون يوم القيامة كما تسأل الأنبياء، يعني عن تبليغه.

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢٢) (م).
(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢٢) (م).
(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢٢) (م).
(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢٢ (م).
(٥) ويقال له: سلمان الخير أصله من أصْبَهان، أول مشاهده الخندق. مات سنة ٣٤ هـ. [وهو أبو عبد الله]. «التقريب» [٢٤٦].
(٦) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢٣) (م).

٩١ ـ وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم عن أجودِ الأجواد؟» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «الله أجود الأجواد، وأنا أجود ولد آدم، وأجودهم من بعدي رجلٌ علمَ علماً فنشر علمه، يُبعثُ يوم القيامة أمةً وحده، ورجلٌ جاد بنفسه في سبيل الله حتى قتل»(١).

وعن سليم بن عامر قال: كان أبو أُمامة يحدثنا فيكثر، ثم يقول: عقلتم؟ فنقول: نعم. فيقول: بلّغوا عنّا فقد بلّغناكم، يرى أنّ حقاً عليه أن يحدِّثَ بكل ما سمع.

٩٢ ـ ومن حديث معاذ بن أنس الجهني(٢) عن النبي ﷺ قال: «مَنْ علمَ علماً فله أجرُ ذلك ما عَمِلَ به عاملٌ لا ينقُصُ من أجر العامل شيء»(٣).

(قف على كلام عمر بن عبد العزيز)

وعن جعفر بن بُرْقَان(٤) قال: كتب إلينا عمرُ بنُ عبد العزيز: أمّا بعدُ فمُرْ أهل الفقه والعلم من عندك فلينْشُروا ما علَّمَهم الله في مجالسهم ومساجدهم والسلام.

ويقال: ماصين العلمُ بمثل العمل به، وبذلهِ لأهله، وقالوا: النار لا يُنْقِصُها ما أخذ منها ولكن ينقصها ألّا تجد حَطَباً، وكذلك العلم لا ينقصه الاقتباس منه، ولكنَّ فقدَ الحاملين له سببُ عدمه.

وروي عن علي أنه قال: من عَلِم وعمِلَ وعَلَّمَ دُعي في ملكوت السماء عظيماً.

وقد رُوي هذا من كلام المسيح عليه السلام. وأخذه بكرُ بن حمَّاد فقال في مرثيّته لأحمدَ بنِ حَنْبَل:

وإذا امـرؤٌ عـملَتْ يـداهُ بـعلمـهِ ... نُـودي عـظيمـاً في السَّمـاء مسـوَّداً

٩٣ ـ وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تصدَّق رجلٌ بصدقة أفضلَ من علم ينشره»(٥).

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢٣) (م).
(٢) الأنصاري، صحابيٌّ نزل مصر وبقي إلى خلافة عبد الملك. «التقريب» [٥٣٥].
(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢٣) (م).
(٤) الكلابي صدوق يَهِمُ في حديث الزُّهري. مات سنة ١٥٠ هـ وقيل بعدها. «التقريب» [١٤٠].
(٥) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢٤) (م).

وعن ابن عباس قال: معلمُ الخيرِ يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر.

وقال ابن مسعود في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتَاً﴾[1] قال: الأمة: المعلمُ للخير، والقانتُ: المطيع.

قال أبو عمر: وقد ذكرنا قول رسول الله ﷺ: «نَضَّر الله أمرأً سمعَ مقالتي أو سمع منّا حديثاً فوعاه ثم بلّغه غيره».

وذكرنا من فضل نشر العلـم وكراهية كتمانه في كتابنا هذا في غير موضع منه ما أغنى عن إعادته هنا.

وقال ابن وهب: سمعت سفيان بن عيينة يقول في قول الله عز وجـل: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ﴾[2] قال: معلماً للخير.

وفيما كتب بعض الحكماء إلى أخ له قال: واعلم يا أخي أن إخفاء العلم هَلَكَةٌ وإخفاءَ العمل نجاةٌ.

وسئل سهل بن عبد الله التُّسْتَري[3] رحمه الله: متى يجوزُ للعالم أنْ يعلِّم النَّاسَ؟ قال: إذا عَرَفَ المُحْكَمَاتِ من المُتَشَابهات[4].

* *

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٠).

(٢) سورة مريم: الآية (٣١).

(٣) الصالح المشهور، لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع. مات سنة ٢٧٣ هـ وقيل أكثر. «ابن خلكان» [٢/ ٤٢٩].

(٤) لا شك أن المراد من السؤال عن العالم هنا هو العالم بكتاب الله، البصير بدينه، كما يدل عليه الجواب.

بـــاب
جامع في آداب العالم والمتعلم

٩٤ - عن ابن عبّاس أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «عَلِّموا ويَسِّرُوا ولا تُعسِّرُوا ثلاثاً»[١].

٩٥ - وعن أبي سعيد الخُدْري قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلّموا العلم وتعلّموا له السكينة وَالوقارَ وتواضَعُوا لمن تَتَعَلَّمون منه ولمن تُعَلِّمونه ولا تكونوا[٢] جبابرة العلماء»[٣].

وقال موسى بن عبيد الله الخاقاني[٤]:

عَلِّم العلم مَن أتاكَ لعلمٍ ... واغتَنِمْ ما حَيِيْتَ مِنْهُ الدُّعاءَ
وليكن عندَك الفقيرُ إذاما ... طلبَ العلمَ والغنيُّ سواءَ

(قف على حديث جليل)

٩٦ - وعن معاذِ بن جبلٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزلَ الله شيئاً أقلَّ من اليَقين ولا قَسَم بينَ النَّاس شيئاً أقلَّ من الحِلْم وما أُووِي شَيءٌ إلى شيء أزينُ من حِلْمٍ إلى علم»[٥].

وعن إبراهيم بن أدهم، ومحمد بن عَجْلان قالا: ما من شيءٍ أشدُّ على الشَّيْطان من عالم حليم إن تكلَّم تكلَّم بعلم، وإن سكَتَ سكت بحلم، يقول الشيطان: انظروا إليه كلامُه أشدُّ عليَّ من سكوته.

---

(١) هذا الحديث نص صريح في الاعتناء بأمر التعليم وإتقان طرقه وتسهيله على طلابه، وليتأمله الذين أصبحوا في مَهْمَةٍ من سوء حالة التعليم والجمود فيه، حتى صار الطالب في مثل تلك الحال يغبط الجهال أصلحهم الله. والحديث:
قلت: وهو عند ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢٥) وهو عند البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢٤٥) و(١٣٢٠) وعند أحمد في «المسند» (١/٢٨٣ و٢٦٥) وقال الشيخ أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح. (م).

(٢) في الأصل المطبوع من «المختصر»: «ولا تكون» والتصحيح من «جامع بيان العلم وفضله». (م).

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢٥) وانظر «مجمع الزوائد» (١/١٢٩) (م).

(٤) موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الكاتب أبو مزاحم، كان راوية مأموناً على ما رواه من الآثار والأخبار. مولده سنة ٢٤٨ هـ وتوفي سنة ٣٢٥ هـ. «معجم الشعراء» (٣٨٠) و«الأعلام» (٧/٣٢٤).

(٥) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢٥) (م).

وعن رجاء بن حَيْوة قال: يقال: ما أحسنَ الإسلامَ ويزينُه [الإيمان، وما أحسن الإيمان ويزينه] التَّقْوى، وما أحسنَ التَّقوى ويزينُها العلم، وما أحسنَ العلمَ ويزينه الحِلمُ، وما أحسنَ الحِلمَ ويزينه الرِّفْقُ.

وقال بعضُ الأدباء في هذا المعنى:

العِلمُ والحِلْمُ خُلَّتا كَرَمٍ للمَرْء زَيْنٌ إذا هُمَا اجْتَمَعا
كم من وضيع سَمَا به العِلْـ ـلمُ والحِلْم فنال السموَّ وارْتَفعا
صِنْوان لا يستتمُّ حسنُهما إلّا بجمعٍ لذا وذاك معا
كلُّ رفيعِ البِنَا أضاعَهُما أخملَهُ ما أَضاعَ فاتَّضَعَا

وكان يُقال: لَقاحُ المعرفة دراسَةُ العلم.

ومن كلام عبد الله بن مسعود لأصحابه: كونوا ينابيعَ العلم مصابيحَ الهُدى.

وعن أبي جُحَيفة قال: كان يقال: جالسِ الكُبَراءَ، وخاللِ العُلماءَ وخالطِ الحُكماءَ.

وعن سُفيان بن عُيَيْنَةَ قال: قال عيسى بنُ مريم: جالسوا من يذكِّركم بالله رُؤيتُه، ومن يزيدُ في علمِكُم منطقُه، ومن يرغِّبُكُم في الآخرة عملُه.

وكان اللَّيْثُ بنُ سَعْدٍ(١) كثيراً ما يقول لأصحاب الحديث: تعلّموا الحِلْم قبل العلم.

وقال ابنُ وهب: ما تعلَّمْتُ من أَدَب مالكٍ أفضل من علمه.

ولقد أحسن عبد الله بن المبارك حيث يقول:

أَيُّها الطَّالبُ علماً ائتِ حمَّادَ بنَ زيدِ
فاقتبس عِلْماً وحِلْماً ثم قَيِّدْهُ بقَيْدِ

وذكر محمد بن الحسن الشَّيْباني عن أبي حنيفة قال: الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحبُّ إليّ من كثيرٍ من الفقه لأنها آداب القوم وأخلاقهم.

---

(١) ابن عبد الرحمن الفَهْمي المصري، ثقة ثبت إمام مشهور. مات سنة ١٧٥ هـ. [«التقريب» ٤٦٤ و «الوفيات» ٤/١٢٧].

وقال أبو الدَّرْدَاء: من فقْهِ الرجُلِ ممشاهُ ومدخَلُه ومخرجُه مع أهل العلم.

وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: من حَفِظَ القُرآنَ عظُمت حرمته، ومن طلب الفقه نبُل قدرُه، ومن عرف الحديث قويت حجته، ومن نظرَ في النحو رقَّ طبعه، و[من][1] لم يصُنْ نفسَه لم يصُنْه العلم. علی كلام ب)

وقال عمر[2] مَوْلَى غُفْرة: لا يزالُ العالمُ عالماً ما لم يَجْسِرُ في الأمور برأيه، وما لم يستحِ أن يمشيَ إلى مَنْ هو أَعْلَمُ منه.

وقال الخليل: إذا أخطأ بحضرتِك من تعلَمُ أنّه يأنَفُ من إرشادك فلا تردَّ عليه خطأه لأنّك إذا نبَّهته على خطأه أسرعتَ إفادتَه واكتسبْتَ عداوته.

وقال أبو الأسود[3] الدُّؤَليّ: إذا أردت أن يكذِّبَكَ الشّيخُ فلقّنه.

وكان شُعْبَةُ يقول: كل من سمعتُ منه حديثاً فأنا له عبدٌ.

وعن الحسن قال: كان طالبُ العلم يُرَىٰ ذلك في سَمْعه وبَصَرِهِ وتَخَشُّعه.

وعن وَهَب بن مُنَبّه قال: إنَّ للعلم طغياناً كطغيان المال.

وكان عقبة بن مسلم يقول: الحديثُ مع الرجل والرجلين والثلاثة فإذا عظُمَتْ الحلقة فأَنْصِتْ.

ورَوينا من وجوه عن الشّعبي قال: صَلَّـى زيدُ بن ثابت على جنازة ثم قُرِّبَتْ له بغلةٌ ليركبَها فجاء ابنُ عبّاس فأخذ بركابه فقال له زيد: خلّ عنكَ يا ابنَ عمِّ رسول الله. فقال ابنُ عبّاس: هكذا يُفْعَلُ بالعلماءِ والكُبَراء.

وزاد بعضُهم في هذا الحديث: أن زيدَ بنَ ثابت كافأ ابنَ عبّاسٍ على أخذه بركابه أن قبَّل يدَه وقال: هكذا أُمِرْنا أن نفعلَ بأهل بيتِ نبيّنا ﷺ.

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المختصر، واستدرك من الأصل (١/١٢٧).

(٢) ابن عبد الله [المدني] كثير الإرسال، ضعيف. مات سنة ١٤٥ هـ. «التقريب» [٤١٤].

(٣) واسمه ظالم بن عمرو وقيل: غير ذلك. ثقة فاضل مخضرم. مات سنة ٦٩ هـ. «التقريب» [٦١٩ و «الوفيات» (٢/٥٣٥)]. وهو أشهر من أن يعرّف.

وهذه الزيادة من أهلِ العلم من ينكرُها، والجنازةُ كانت جنازةَ أمِّ زيدِ بن ثابتٍ صَلَّى عليها زيدٌ وكبَّر أربعاً وأخذ ابن عباس بركابه يومَئذٍ.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلّموا ولا تُعْنِتُوا فإنّ المعلم خيرٌ من المُعْنِتِ»[1] هكذا قال. وغيره يقول. في هذا الحديث: «تعلّمُوا ولا تُعنّتوا فإنَّ المتعلِّم خير من المعنّت»[2].

٩٧ - وعن عبد الله بن عبّاس[3] رفعَهُ إلى النبي ﷺ قال: «علِّمُوا ويسِّروا ولا تُعَسِّروا ثلاثَ مرات وإذا غَضِبْتُم فاسكُتُوا كرَّرَها ثلاثَ مراتٍ»[4].

وعن مَيْمُون بن مَهْران قال: «لا تمارِ عالماً ولا جاهلاً فإنك إذَا مارَيْت عالماً خَزَنَ عنكَ علمَهُ وإن مارَيْتَ جاهلاً خَشُنَ بصدِّك».

وعن الزُّهْري قال: كان أبو سلَمة يُماري ابنَ عبَّاس فحُرِمَ بذلك علماً كثيراً.

وعن ابن طاووس عن أبيه قال: من السُّنّة أن يوقِّرَ العالمُ.

وعن سعيد بن المسيَّب: أنّ عليّ بنَ أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: إنَّ من (قف على قو في حق العا.
حقِّ العالم ألاّ تُكْثِرَ عليه بالسؤال، ولا تُعنِتْهُ في الجواب، وأن لا تلحَّ عليه إذا كسل، ولا تأخذَ بثوبه إذا نَهَض، ولا تفشينَّ له سرّاً، ولا تغتابنَّ عنده أحداً، ولا تطلبنَّ عثرتَه، وإن زلّ قبلت معذرتَه، وعليك أن توقِّرَه، وتعظِّمَه لله؛ ما دام يحفَظَ أمر الله، ولا تجلسْ أَمامَه، وإن كانت له حاجةٌ سبقتَ القومَ إلى خدمته.

قال أبو عمر: وروينا من وجوهٍ كثيرة عن أبي سَلَمةَ أنه قال: لو رَفِقْتُ بابن عباس لاستخرجتُ منه علماً كثيراً.

---

(١) «فإن المتعلم» في المختصر، والتصحيح من «جامع بيان العلم وفضله» (١٢٨/١) (م).

(٢) «المتعنت» في «المختصر» والتصحيح من «جامع بيان العلم وفضله» (١٢٨/١) (م).

(٣) ابن عم الرسول ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له الرسول بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه وهو أحد المكثرين من الحديث، وأحد العبادلة، مات سنة ٦٨ هـ بالطائف. «التقريب» [٣٠٩ و«الوفيات» (٦٢/٣)].

(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٢٨/١) (م).

وقالت الحكماء: إذا جالستَ العلماءَ فكنْ على أن تسمعَ أحرصَ منك على أن تقول.

وقال الحُسَيْن بنُ علي لابنه: يا بنيّ إذَا جالَسْتَ العلماءَ فكُنْ على أن تسمعَ أحرَصَ منك على أنْ تقولَ وتعلَّم حسنَ الاستماع كما تتعلَّمُ حسنَ الصَّمت ولا تقطعْ على أحدٍ حديثاً وإن طالَ حتى يُمْسِكَ.

وقال الشَّعبيُّ: جالسُوا العلماءَ؛ فإنَّكم إن أحسنتم حمدوكم، وإن أسأتم تأوّلُوا لكم وعذَرُوكم، وإن أخطأتم لم يعنّفوكم، وإن جهلتم علَّمُوكم، وإن شهدوا لكم نفعوكم.

* *

فصـــل
في وصايا نافعة

قال الخليلُ بنُ أحمدَ: اجعل تعليمَك دراسةً لك، واجعل مناظرةَ المتعلِّم تنبيهاً لما لَيْسَ عندك، وأكثرْ من العلم لتعلَم، وأقلل منه لتحفظَ.

وروي عنه أنه قال: أقِلُّوا من الكتبِ لتحفَظُوا وأكثروا منها لتعلمُوا.

وقال: إذا أردتَ أن تكونَ عالماً فاقصِدْ لفنٍ من العلم وإن أردتَ أن تكون أديباً فخذْ من كل شيء أحسنَهُ.

وقال غيره: من أراد أن يكون حافظاً نظرَ في فنٍّ واحد من العلم، ومن أراد أن يكون عالماً أخذ من كلِّ علم بنصيب.

وعن أبي عُبَيْد القاسم بن سلّام[1] قال: ما ناظرَني رجلٌ قطُّ وكان مفنّناً في العلوم إلاّ غلبته، ولا ناظرني رجل ذو فن واحد إلا غَلَبَني في علمه ذلك.

---

(١) البغدادي الإمام في العربية وغريب الحديث وعلوم الإسلام، صاحب التصانيف النافعة، حسن الرواية صحيح النقل. مات سنة ٢٢٢ هـ بمكة وقيل أكثر.
[وقال فيه الجاحظُ: لم يكتب النَّاسُ أصحَّ من كتبه ولا أكثر فائدة. ينظر «تذكرة الحفاظ» (٢/٥)، و «الوفيات» (٤/٦٠)] و «نزهة الألبّاء» [٩٣].

وقال يَحيى بن خالدٍ بن برمك[1] لابنه: يا بُنيَّ خُذْ من كل علم بحظّ وافر، فإنك إن لم تفعل جهلت، وإن جهلت شيئاً من العلم عاديته بما جهلت، وعزيزٌ عليَّ أن تعادي شيئاً مِن العلم. (قف على قول يحيى بن خالد لابنه)

وأنشدني عبد الله بن محمد بن يوسُف:

فـلا تَلُمْهم على إنكـار مـا نَكِـرُوا ... فـإنمـا خُلقـوا أعـداءَ مـا جهلوا

وعن مطر الورَّاق[2] قال: مَثَلُ الذي يروي عن عالم واحدٍ مَثَلُ الذي له امرأةٌ واحدة إذا حاضت بقي.

٩٨ ـ وروي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ارحموا من الناس ثلاثةً: عزيزَ قوم ذلَّ وغنيَّ قوم افتقرَ، وعالماً بين جُهّال»[3].

وكان يُقالُ: لا يكون الرجلُ عالماً حتى تكونَ فيه ثلاثُ خصال: لا يحقِرُ مَنْ دونه في العلم، ولا يحسُدُ من فوقَه في العلم، ولا يأخذ على علمه ثمناً.

وقال بلال بـن أبي بُرْدَة[4]: لا يمنعكُمْ سوءُ ما تَعْلَمُون منّا أن تقبلوا أحسنَ ما تسمعون منا.

وقال الخليلُ بن أحمد:

اعملْ بعلمي وإن قصَّرتُ في عملي ... ينفعْـكَ علمي ولا يَضْرُرْكَ تقصيـري

* *

فصلٌ في الإنصاف في العلم

قال أبو عمر: من بركة العلم وآدابه الإنصافُ فيه، ومن لم يُنْصِفْ لم يَفْهم، ولم يُفهم.

وقال بعضُ العلماء: ليسَ معي من العلم إلا أني أعلمُ أنِّي لستُ أعلم.

---

(١) كان من النُّبل والعقل وجميع الخلال على أكمل حال. مات سنة ١٩٠ هـ.
[كان وزير الرشيد ومعظَّماً عنده] «ابن خلكان» [٦/ ٢١٩].

(٢) مطر الورّاق: ابن طَهْمان، أبو رجاء السلميّ مولاهم، الخراساني، سكن البصرة، مات سنة ١٢٥ هـ. «التقريب» (٥٣٤).

(٣) رواه ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٣١) (م).

(٤) ابن أبي موسى الأشعري. مات سنة ١٢٠ هـ. «التقريب» [١٢٩ وفيه: قاضي البصرة].

وقال محمود الورّاق[1]:

أتمُّ النّاسِ أعرفهُم بنقصِه وأقمعهُم لشهوتِهِ وحرصِه

(... على انصاف ... عمر) وعن عمر بن الخطاب أنه قال: لا تزيدوا في مهور النِّساء على أربعين أوقيَّةً، ولو كانت بنت ذي العُصْبَة - يعني يزيد بن الحسين الحارثي -، فمن زاد ألقيتُ زيادتَه في بيت المال، فقامت امرأةٌ من صفّ النساء طويلةٌ فيها فَطَسٌ[2]، فقالت: ما ذلك لك. قال: ولِمَ؟ قالت: لأنَّ الله - عزَّ وجلّ - يقول: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً﴾[3] فقال عمر: امرأة أصابَتْ ورجلٌ أخطأ.

وعن محمد بن كعب القُرَظِي قال: سألَ رجلٌ علياً عن مسألة فقال فيها، فقال الرجل: ليس كذلك يا أميرَ المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال علي رضي الله عنه: أصبتَ وأخطأتُ وفوق كلِّ ذي علم عليم.

وروى سفيانُ بن عُيَيْنَة عن ابن أبي حُسَين قال: اختلف ابن عباس وزيدٌ في الحائض تنفِر؟ فقال زيد: حتّى يكونَ آخرُ عهدها الطواف بالبيت، وقال ابن عباس: إذا طافت طوافَ الإفاضة فلها أن تنفرَ ولا تودّعَ البيت. فردّ عليه زيد قوله، فقال ابن عباس: سل نسيّاتك[4] أمَّ سليمان وصويحباتها، فذهبَ زيدٌ، فسألهنّ، ثم جاء، وهو يضحك فقال: القولُ ما قلتَ.

وكان مالك بن أنس يقول: ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف.

وعنه قال: قال ابنُ هُرْمُز: ما طلبنا هذا الأمر حقَّ طلبه، قال مالك: وأدركتُ رجالاً يقولونَ ما طلبناه إلا لأنفسنا، وما طلبناه لنتحمَّل به أمور الناس.

(... على ما جرى ... مالك ... صور) وعن محمد بن عمر[5] قال: سمعتُ مالكَ بن أنس يقولُ: لما حج أبو جعفر

---

(١) أكثر شعره في المواعظ والحكم، روى عنه ابن أبي الدنيا، وتوفي في خلافة المعتصم سنة ٢٣٠ هـ. «فوات الوفيات» (٤/٧٩).

(٢) الفَطَسُ: عرضُ قصبة الأنف وطمأنينتها. «اللسان» (فطس).

(٣) سورة النساء: الآية (٢٠).

(٤) نسيّاتك: تصغير الجمع، ويعني نساءك. «اللسان» (نسا).

(٥) أبو عبد الله، الواقدي، المدني مولى بني هاشم، وقيل: مولى بني سهم بن أسلم، كان إماماً عالماً له =

المنصور دعاني، فدخلت عليه فحدَّثته، وسألني فأجبته، فقال: إني قد عزمت أن آمر بكتُبك هذه التي وضعتها يعني «الموطّأ» فتنسخُ نسخاً ثم أبعث إلى كل مصرٍ من أمصار المسلمين منها نسخةً وآمرُهم أنْ يَعْمَلوا بما فيها لا يتعدوها إلى غيرها ويدَعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدَث، فإني رأيت أصلَ هذا العلم روايةَ أهلَ المدينةِ وعلمَهم. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعلْ فإن النَّاس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورَوَوْا روايات وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا به من اختلاف النَّاس أصحابِ رسول الله ﷺ وغيرهم، وإنّ ردَّهُمْ عما اعتقدوه شديد؛ فدع النَّاس وما هم عليه وما اختار كل بلد لأنفسهم، فقال: لعَمْري لو طاوعتني على ذلك لأمرتُ به.

وهذا غاية في الإنصاف لمن فهم.

وعن عبد الرحمن بن القاسم قال: قلت لمالك: ما أعلم أحداً أعلمَ بالبُيوع من أهل مصر. فقال له مالك: وبم ذلك؟ قال: بك، قال: أنا لا أعرف البُيُوع، فكيف يعرفونها بي؟

وقال خالد بن يزيد بن معاوية[1]: عنيتُ بجمع الكتب فما أنا من العلماءِ ولا من الجهال.

وقال يزيد بن عبد الملك[2]:

إذا تحدثتُ في مجلسٍ تناهى حديثي إلى ما علمتُ
ولم أعْدُ علمي إلى غيره وكان إذا ما تناهى سكتُّ

= التصانيف في المغازي وغيرها. سمع من مالك بن أنس والثوري وغيرهما وهو متروك على سعة علمه. مات سنة ٢٠٦ وقيل ٢٠٩ هـ. «التقريب» (٤٩٨) و«ابن خلكان» (٣٤٨/٤).

(١) أبو هاشم، كان من أعلم قريش بفنون العلم، وله كلام في صناعة الكيمياء والطب. توفي سنة ٨٥ هـ. «الوفيات» (٢١٢/٢).

(٢) ابن مروان أبو خالد، ولي الخلافة سنة ١٠١ هـ بعد عمر بن عبد العزيز ومات سنة ١٠٥ هـ. ينظر «تاريخ الطبري» (١٧٨/٨).

وروينا عن الشَّعبيّ قال: ما رأيت مثلي؛ ما أشاءُ أنْ أرى أعلمَ مني إلا وجدته.

وقال غيره: علِمْنا أشياءَ وجهِلْنا أشياءَ فلا نُبْطِلُ ما علمنا بما جهلنا.

وقال حماد بن زيد: سئل أيوب عن شيء فقال: لم يبلغني فيه شيء. فقيل له: قل فيه برأيك. فقال: لا يبلغه رأيي.

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: ذاكرت عبد الله بن الحسين القاضي بحديث وهو يومئذ قاضٍ، فخالفني فيه، فدخلت عليه، وعنده الناس سماطين - أي صفَّين - فقال لي: ذلك الحديثُ كما قلت أنتَ وأرجعُ أنا صاغراً.

وقال الخليل بن أحمد: أيامي أربعةٌ: يومٌ أخرجُ فألقى فيه من هو أعلمُ مني فأتعلّمُ منه، فذلك يوم فائدتي وغنيمتي، ويومٌ أخرج فألقى فيه من أنا أعلم منه، فذلك يوم أجري، ويومٌ أخرج فألقى فيه من هو مثلي، فأذاكره فذلك يوم دَرّي، ويومٌ أخرج فألقى فيه من هو دوني، وهو يرى أنه فوقي، فلا أكلمه وأجعله يوم راحتي.

وكان يقال: إذا علّمت العاقلَ علماً حمدك وإن علّمْتَ الجاهل ذمّك ومقَتَك وما تعلَّم مستحْيٌ ولا مستكبرٌ قطُّ.

وروي أنّ بُزُرْجُمهْرَ أخذت امرأةٌ بِلجامه وهو خارج من عند كِسرى فقالت: أخبرني عما يخبط الناسُ فيه من معائشهم أعلى قدرِ كَيْسِهم؟ أم بتقديرٍ من خالقهم لهم؟ فقال لها: هذه مسألةٌ قد اختَلَفَ فيها مَنْ مضى مِنْ سلفنا. فقالت له: فأنت على كثرة ما تأخذُ من بيت المال تَعْيَى عن الجواب في هذه المسألة، فقال لها: إنما آخذ من بيت المال على قَدْرِ ما أُحسن، ولو أخذتُ على قدر ما لا أُحْسن أنفدته سريعاً، فقالت المرأة: أما إنك إذ عييت عن جواب هذه المسألة، لقد أحسنت الحيلة في بقاء هذا الرزق عليك.

وقال غيره من الحكماء: لم أطلب العلمَ لأبلغَ أقصاه ولكن لأعلم ما لا يَسَعُني جهْلُه.

وقال الشاعر:

إذا ما انْتَهَى علمي تناهيت عندَه أطالَ فأُملي أم تناهىٰ فأقصرا

ويخبــرني عن غــائبِ المــرء فعلُه كَفَى الفِعـلُ عما غيّب المـرءُ مُخْبِرا

وأخبرني غيرُ واحد عن أبي محمد قاسم بن أَصْبَغَ قال: لما رحلت إلى المشرق نزلت القَيْروان، فأخذت على بكر بن حمَّاد حديث مسدَّد[1]، ثم رحلتُ إلى بغدادَ ولقيت الناس، فلمّا انصرفت، عدت إليه لتمام حديث مُسدَّد، فقرأت عليه فيه يوماً حديث النبي ﷺ: أنه قَدِم قومٌ من مصرَ مجتابي النّمار فقال لي: إنما هو مجتابي الثِّمار. فقلت له: إنما هو مجتابي النمار؛ هكذا قرأته على كل من قرأت عليه بالأندلس وبالعراق. فقال لي: بدخولك العراق تعارضُنا وتفخرُ علينا ثم قال لي: قم بنا إلى ذلك الشيخ، لشيخٍ كان في المسجد؛ فإن له بمثل هذا علماً، فقمنا إليه، وسألناه عن ذلك، فقال: إنما هو مجتابي النّمار كما قلت؛ وهم قوم كانوا يلبَسُون الثّياب مشقَّقةً جيوبُهم أمامهم. والنمار جمع نَمِرة[2]. فقال بكر بن حمّاد وأخذ أنفه: رَغِمَ أنفي للحقّ، رَغِمَ أنفي للحقّ وانصرف.

وعن عبد الله بن وَهْب قال: سمعت مالكاً يقول: المِرَاءُ يقسِّي القلبَ ويورِثُ الضّغْنَ.

* *

فصــل
في فوائد مهمّة وحكم جليلة

عن لَيْث بن أبي سُلَيْم[3] قال: قال لي طاووس[4]: ما تعلّمتَ فتعلّمْهُ لنفسك فإن الأمانة والحياءَ قد ذهبا من الناس.

---

(١) مُسدَّد بن مُسَرْهَد بن مسربل بن مستورد الأسدي، البصري، أبو الحسن، ثقة حافظ، يقال إنه أول من صنّف المسند بالبصرة. مات سنة ٢٢٨ هـ ويقال: اسمه عبد الملك بن عبد العزيز ومسدَّد لقب. «التقريب» (٥٢٨).

(٢) النَّمِرَة: بُرْدَةٌ من صوف يلبَسُها الأعراب. «اللسان» (نمر)، وفيه الحديث.

(٣) ابن زُنَيْم واسم أبيه أيمن وقيل: غير ذلك، صدوق اختلط أخيراً. مات سنة ١٤٨ هـ. «التقريب» [٤٦٤].

(٤) ابن كيسان اليماني، الحميري مولاهم، الفارسي، يقال: اسمه ذكوان، وطاووس لقب له، ثقة فاضل =

وقال مالك بن دينار[1]: من طلب العلم لنفسه فقليلُ العلم، ومن طلبه للنَّاس فحوائجُ الناس كثيرة.

وقالت امرأةٌ للشَّعْبي: أيُّها العالم افتني. فقال: إنما العالم من خاف الله ـ عز وجل ـ[2].

وعن ابن مسعود قال: ما أنت محدّثٌ قوماً حديثاً لا يبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.

وعن هشام بن عُرْوة قال: قال لي أبي: ما حدَّثت أحداً بشيء من العلم قطُّ لم يبلغه علمُه إلا كان ضلالاً عليه.

وعن أبي قلابة قال: لا تحدّث بحديثٍ من لا يعرفُه فإن من لا يعرفه يضرُّه ولا ينفعُه.

وقال ابن عباس: حدّثوا النَّاسَ بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّبَ اللَّهُ ورسولُه؟.

وعن عِمْران بن مسلم[3] أن عمرَ بن الخطاب قال: تعلّموا العلمَ وعلّموه النَّاسَ وتعلّموا له الوقار والسكينة وتواضَعُوا لمن تعلَّمتم منه، ولمن علَّمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم جهلُكم بعلمكم.

وعن محمد بن علي قال: سمعتُ أبا مسلم يقول: كان سُفْيانُ على المَرْوَة فنظر إلى أصحاب الحديث يَعْدُون حين رَأَوْه كأنَّهم مجانينُ فقال: مثلَهُم مَثَلُ أصحاب الجنائز لهم لذة في شيء لو أرادوا الله به لَقارَبوا الخُطَا.

= من أعلام التابعين، ولمّا ولّي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه طاووس: إن أردت أن يكون عملك خيراً كله فاستعمل أهل الخير، فقال عمر: كفى بها موعظة. مات سنة ١٠٦ هـ. «التقريب» [٢٨١] و«ابن خلكان» [٢/٥٠٩].

(١) البصري الزاهد، صدوق عابد. مات سنة ١٣٠ هـ. «التقريب» (٥١٧) [«ابن خلكان» ٤/١٣٩].

(٢) يريد قوله تعالى: ﴿إنّما يخشىٰ اللَّهَ من عباده العُلَمَاءُ﴾ سورة فاطر: الآية (٢٨).

(٣) عِمْران بن مسلم بن رِياح الثقفي، الكوفي، وقد ينسب لجده. مقبول «التقريب» (٤٣٠).

ويقال: أربعةٌ لا يأنف الشّريف منهن: قيامُه من مجلسه لأبيهِ، وخدمتُه لضيفه، وقيامُه على فرسه وإن كان له عبيد، وخدمتُه العالم ليأخذ من علمه.

ويقال: ارحموا عالماً يجري عليه حكمُ جاهلٍ.

ويروى أنّ بعضَ الأكاسرة كان إذا سَخِطَ على عالم سجنه مع جاهل في بيت واحد.

٩٩ ـ ومن حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يستخفُّ بحقهم إلّا منافقٌ ذو الشَّيْبة في الإسلام والإمامُ المُقْسِطُ ومعلّم الخير»[١].

وقال ابن وهب: سمعتُ مالكاً يقول: إنَّ حقاً على من طلب العلم أن يكونَ له وقارٌ وسكينة وخشية وأن يكون متبعاً لآثار من مضى قبله.

وقال أبو الدَّرْدَاء: من يزددْ علماً يزددْ وَجَعاً.

وقال سُفيان الثُّوري: لو لم أعلم كان أَقلَّ لحزني.

وعن رجاء بن حَيْوة[٢] عن أبي الدرداء قال: إنما العلمُ بالتّعلُّم وإنَّما الحلم بالتحلُّم ومن يتحرَّ الخير يُعْطَه ومن يتوقَّ الشَّر يُوقَهُ، ثلاثٌ من فعلهن لم يسكنِ الدرجات العُلى من تكهَّن أو استقسم أو رجعَ من سفره لِطيَرة.

(قف على كلام جليل للحسن)

وقال الحسن: العاملُ على غير علمٍ كالسالك على غير طريق، والعاملُ على غيرِ علمٍ ما يفسدُ أكثرُ مما يُصْلح، فاطلبوا العلم طلباً لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا تضروا بالعلم، فإنَّ قوماً طلبوا العبادة، وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمَّة محمد ﷺ ولو طلبوا العلم لم يدلّهم على ما فعلوا.

وعنه أيضاً قال: إنَّ من أخلاق المؤمن قوةً في الدِّين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً على علم، وشفقةً في تفقُّه، وقصداً في عبادة، ورحمةً

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٣٥) (م).

(٢) الكندي الفَلَسْطِيني ثقة. مات سنة ١١٢ هـ. «التقريب» [٢٠٨].

[كان من العلماء، وكان يجالس عمر بن عبد العزيز «ابن خلكان» ٢/٣٠١].

للمجهود، وإعطاءً للسائل، لا يحيفُ على من يُبْغض، ولا يأثم فيمن يُحب، في الزلازل وَقُور، وفي الرَّخاء شكور قانعٌ بالذي له، ينطقُ ليفهمَ، ويسكتُ ليسلمَ، ويقرُّ بالحقِّ قبلَ أن يشهدَ عليه.

وعن أبي حمزة الثُّمَاني(١) قال: دخلت على علي بن الحسين بن علي فقال: يا أبا حمزة ألا أقول لك صفة المؤمن والمنافق؟ قلت: بلى! جعلني الله فداك. فقال: إن المؤمنَ خلطَ علمَهُ بحلمه يسألُ ليعلمَ، وينصتُ ليسلمَ، لا يحديث بالسرّ والأمانة إلّا صدقاً ولا يكتم الشهادة البعداء، ولا يحيفُ على الأعداء، ولا يعمل شيئاً من الحق رياءً ولا يدعُهُ حياءً فإن ذكر بخير خاف ما يقولون، واستغفر لما لا يعلمون، وإن المنافق يُنهى فلا ينتهي، ويؤمر فلا يأتمر، إذا قام إلى الصلاة اعترض، وإذا ركع ربض، وإذا سجد نقر، يمسي وهمته العَشَاءُ ولم يصم، ويصبح وهمته النوم ولم يسهر.

* *

فصــلٌ
في فَضْل الصَّمْت وحمدِهِ

١٠٠ ـ ثبت عن النبيﷺ أنه قال: «من صمت نجا»(٢).

وأنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو لِيَسْكت»(٣).

وعن يزيد بن أبي حبيب(٤) قال: إنّ من فتنة العالم أن يكونَ الكلامُ أحبَّ إليه من الاستماع، قال: وفي الاستماع سلامة وزيادة في العلم والمستمع شريك

---

(١) هو ثابت بن أبي صفيَّة كوفيٌّ ضعيف، رافضي، مات في خلافة أبي جعفر المنصور. «التقريب» [١٣٢].

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٣٦) وانظر «جامع الأصول» (١١/٧٢٩) (م).

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٣٦) وهو في «الصحيحين» ضمن سياق حديث طويل. انظر «متن الأربعين النووية» بتحقيقي الحديث (١٥) (م).

(٤) المصري، ثقة فقيه، وكان يرسل، مات سنة ١٢٨ هـ. «التقريب» [٦٠٠].

المتكلم، وفي الكلام توهّنٌ وتزيّنٌ وزيادة ونقصان، قال: ومن العلماء من يرى أنه أحقُّ بالكلام من غيره ومنهم من يزدري المساكينَ ولا يراهم لذلك موضعاً ومنهم من يخزنُ علمَه ويرى أن تعليمَه ضَعَةٌ، ومنهم من يُحب ألَّا يؤخذ العلم إلا من عنده[1] ومنهم من يأخذ في علمه مأخذ السُّلطان حتى يغضبَ أن يردّ عليه شيء من قوله أو يُغفَل عن شيء من حقه، ومنهم من ينصِّبُ نفسَه للفُتيا فلعلَّه يُؤتى بأمر لا علمَ له به فيستحي أن يقول: لا علم لي، فيرجم، فيُكتَبُ من المتكلِّفين، ومنهم من يروي كما سمع حتى يروي كلام اليهود والنصارى إرادة أن يغزر علمه ـ وفي نسخة كلامه ـ.

قال أبو عمر: رُوي مثل قول يزيد بن أبي حبيب هذا كله من أوَّله إلى آخره عن معاذِ بن جبلٍ من وجوهٍ منقطعة يذمُّ فيها كل من كان في هذه الطبقات ويوعدهم على ذلك بالنار، والله أعلم.

وعن حَيْوَةَ بنِ شُرَيح[2] قال: سمعت يزيد بن أبي حبيب يقول: إنّ المتكلمَ لينتظر الفتنة وإن المنصت لينتظرُ الرَّحمةَ.

وقالوا: فضلُ العقل على المنطق حكمةٌ، وفضلُ المنطقِ على العقل هُجْنَةٌ.

وقالوا: لا يجترىءُ على الكلام إلا فائقٌ أو مائقٌ[3].

وكان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يتمثّل بهذه الأبيات:

يُــرى مستكينــاً وهــو للَّهْــو مــاقِتٌ ... به عن حديث القوم ما هو شاغلُهْ[4]

وأزعجــه علمٌ عـن الجهــل كـلِّه ... ومـا عالمٌ شيئـاً كمن هـو جـاهِلُهْ[5]

---

(١) وفي نسخة: ألاّ يوجد العلم إلاّ عنده. [وهو كذلك في الأصل (١٣٧)].

(٢) الحضرميّ، ثقة. مات سنة ٢٢٤ هـ. «التقريب» [١٨٥].

(٣) الفائق: المُصاب بداء في عنقه، المائق، الغضبان. «اللسان» (فأق، مأق).

(٤) ماقت: كاره.

(٥) أزعجه: أقلقه.

عبــوسٌ عن الجهّــال حين يــراهُمُ فليسَ لــه منهـم خَـدِينٌ يُهــازِلُـهْ
تــذكّـرَ مــا يبقى من العيش آجــلاً فيشْغَلُه عــن عــاجــل العيش آجله

قال أبو عمر: قد أكثر الناسُ من النَّظم في فضل الصَّمْت، ومن أحسن ما قيل فيه ما ينسب لعبدِ الله بن طاهرٍ[1] وهو:

أَقللْ كــلامَــك وأستعــذْ من شــرّه إن الـبــلاءَ ببــعــضِـهِ مــقــرونُ
واحفظْ لســانَــكَ واحتفظ من عيِّــه حتـى يكــونَ كــأنّــه مــســجــونُ
وَكِّــلْ فؤادَك بــاللســان وقــلْ لــه إنَّ الــفــؤادَ عــليــكُـمـا مــوزونُ
فَــزِنَــاهُ وَلْيَــكُ محكمــاً في قلَّةٍ إنّ البــلاغَــةَ في القليــل تكــونُ

وقد قيل: إن هذا الشعر لصالح بن جناح - والله أعلم - وهو أشبَهُ بمذهب صالح وطبعه ومن أحسن ما قيل في ذلك قولُ نصر[2] بن أحمد الخُبْزَرُزي:

لسانُ الفتى حتفُ الفَتى حينَ يجهلُ وكـلُّ امـرئٍ مــا بين فَكَّيْه مقتــلُ
إذا مــا لسان المــرءِ أكثرَ هَــذْرَهُ فــذاكَ لســانٌ بــالبــلاء مُــوكَّــلُ
وكم فــاتــح أبــوابَ شــرٍّ لنفســه إذا لم يكُـنْ قِفــلٌ عليــه مُقْـفَــلُ
ومَنْ أمِنَ الآفــات عُـجْبــاً بــرأيــه أحاطَتْ به الآفـاتُ من حيث يَجْهَلُ
أعــلِّمُكُـمْ مــا علّمَتْني تجــاربي وقــد قــال قبلي قــائــلٌ متمثــلُ
إذا قُلْتَ قــولاً كنتَ رَهْنَ جــوابِــهِ فحاذرْ جوابَ السوء إن كنتَ تعقلُ

ولأبي العتاهية[3]:

وفي الصَّمت الـمبلِّغ عنـك حكمٌ كمــا أنَّ الكــلامَ يـكــونُ حُكْمــا
إذا لـم تحتــرِسْ من كُــلِّ طيشٍ أســأتَ إجــابــةً وأســأت فَـهْـمــا

---

(١) الخزاعي بالولاء كان سيداً نبيلاً عالي الهمّة، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. مات سنة ٢٢٨ هـ. «ابن خلكان» [٨٣/٣]. وفيه: كان والياً على الدِّينَوَر ومدحه أبو تمام الطائي].
(٢) كان أمياً لا يتهجّى ولا يكتب وكان يخبزُ خبزَ الأُرُزِّ بمِرْبَدِ البصرة في دكان له وكان ينشد أشعاره والناس يزدحمون عليه ويتعجبون من حاله كان موجوداً سنة ٣١٧ هـ. «ابن خلكان» [(٣٧٦/٥). وفيه: الخُبْز أُرُزِّي].
(٣) «ديوان أبي العتاهية» (٣٥٨) مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

أَشَـدُّ الـنـاسِ لِـلعِـلم ادِّعـاءً   أقلُّهـم بـمـا هُـوَ فـيـه عِـلْمـا
أرَى الإنسـانَ منـقـوصـاً ضعـيفـاً   ومـا يـألـو لـعلم الـغـيـب رَجْمـا

قال أبو عمر: الكلامُ بالخير غنيمةٌ، وهو أفضلُ من السُّكوت، لأنّ أرفعَ ما في السُّكوتِ السَّلامةُ والكلامُ بالخير غنيمة.

وقد قالوا: من تكلَّم بخيرٍ غنم، ومن سكت سلم.

والكلام في العلم من أفضل الأعمال وهو يجري عندَهم مجرى الذِّكْر والتِّلاوة إذا أُريد به نفيُ الجهل، ووجهُ الله - عزَّ وجل -، والوقوفُ على حقيقة المعاني.

وعن قتادة قال: مكتوبٌ في الحكمة: طُوبى لعالم ناطق أو لباغٍ مستمع.

وعن عبد الوهاب بن نَجْدة الحُوْطي[1] قال: سمعتُ أبا الذيّال[2] يقول: تعلَّم الصمت كما تتعلمُ الكلام فإن يكنِ الكلامُ يَهديك فإنَّ الصمتَ يَقيك، ولك في الصّمت خَصْلتان؛ خَصْلةٌ تأخذُ بها من علم من هو أعلم منك و[خصلة][3] تدفع بها جهل من هو أجهل منك.

وقال: كان أبو الذيال يتكلم بالحكمة ولم أسمع منه غير هذا في الصَّمْت.

وعن أبي الدرداء أنه كان يقول: الصمت حكمٌ وقليلٌ فاعلُه.

وقال أبو العتاهية[4]:

مـن لـزمَ الـصَّـمـتَ نَـجَـا   مـن قـال بـالـخَـيْـرِ غَـنِـمْ
مـن صـدَّق الله عـلا
مـن طـلـبَ الـعـلم عَـلِم   مَـن ظـلـمَ الـنـاسَ أَسَـا
مـن رَحِـم النـاس رُحم

(١) ثقة. مات سنة ٢٣٢ هـ. «التقريب» (٣٦٨).
(٢) أبو الذيّال. شُوَيْس الأعرابي العدوي، ولد سنة الهجرة. انظر «البيان والتبيين» (٩٧/٢) و«التنبيه للبكري» (١٢٤) و«الإصابة» (٣٩٨٣).
(٣) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٤) ديوان «أبي العتاهية» (٣٤٩).

مـن طـلبَ الـفـضـلَ إلـى غـيـر ذوي الـفـضـل حُـرِم
مـن حـفظَ الـعـهـدَ وفـىٰ مـن أحـسـنَ الـسَّـمْـعَ فـهِـم

* *

فَصْــلٌ
في رفع الصَّوت في المسجد وغير ذلك من آداب العلم

عن ابن شِهابٍ قال: سُئِلَ مالكٌ عن رفع الصَّوت في المسجد بالعلم وغيره قال: لا خيرَ في ذلك في العلم ولا في غيره، ولقد أدركتُ النَّاسَ قديماً يعيبون ذلك على من يكونُ في مجلسه، ومن كانَ يكونُ ذلك في مجلسه كان يعتذر منه، وأنا أكرهُ ذلك ولا أرى فيه خيراً.

قال أبو عمر: أجازَ ذلك قوم منهم أبو حنيفة[1] فعن سُفْيان بن عُيَيْنَة، قال: مررتُ بأبي حنيفة وهو مع أصحابه في المسجد، وقد ارتفعت أصواتهم فقلت: يا أبا حنيفة هذا في المسجد والصَّوْتُ لا ينبغي أن يُرْفع فيه فقال: دعهم فإنَّهم لا يفقهون إلَّا بهذا.

قال أبو عمر: احتجّ بعضٌ من أجازَ رفعَ الصَّوت في المناظرة بالعلم وقال: لا بأس بذلك.

١٠١ ـ لحديث عبد الله بن عَمْرٍو قال: تخلَّف عنَّا رسولُ الله ﷺ في سفرةٍ سافرْنَاها فأدركَنَا وقد أرهقَتْنا الصلاة، ونحن نتوضأ ونمسحُ على أرجلنا فنادى بأعلى صوته: «ويلٌ للأَعْقَابِ من النَّار مرتَيْن أو ثلاثاً»[2] ذكره البخاري وغيره.

---

(١) النّعمان بن ثابت الكوفي أصله من فارس ويقال: مولى بني تَيْم الإمام الكبير الجليل. مات سنة ١٥٠ هـ على الصحيح. «التقريب» (٥٦٣).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٣٩) وانظر «عمدة الأحكام» رقم (٣) بتحقيقي (م).

وقيل لأبي حنيفة في مسجد كذا حَلْقةٌ يتناظرون في الفقه، فقال: أَلَهمُ رأسٌ. قالوا: لا. قال: لا يفقهون أبداً.

وواجبٌ على العالم إذا لم يُفهَم عنه أنْ يكرِّرَ كلامَه ذلك حتَّى يُفْهَمَ عنه.

وقد كان بعضُهم يستَحِبُّ أن لا يكرِّرَه أكثر من ثلاث مرات؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنّه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثَ مرَّاتٍ، وذلك ليفهمَ عنه كلُّ من جالسه من قريب وبعيد وهكذا يجب أن يكرّر المحدّث حديثه حتى يُفهم عنه أنه قال وأما إذا فُهِمَ فلا وجهَ للتكرير.

وعن مَعْمَر قال: سمعتُ قَتَادَةَ يقول: ما قلتُ لأحد أعِدْ عليّ، وتكريرُ الحديث في المجلس يَذْهَبُ بنوره.

وقال الزُّهري: إعادة الحديث أشدُّ عليَّ من نقل الصَّخر.

وقالت جارية لابن السّمّاك الواعظ له: ما أحسنَ حديثَك إلَّا أنك تكرِّرُه، فقال: أكرِّرهُ ليفهمه كلُّ من سمعه، فقالت: إلى أن يفهمَه كلُّ من سمعه يملُّه من فهمه.

ولا بأس أن يُسأل العالم قائماً وماشياً في الأمر الخفيف.

١٠٢ ـ لحديث ابن مسعود قال: بينا أنا أمشي معَ رسول الله ﷺ في خِرَب المدينة وهو يتوكّأ على عَسِيبٍ معه، مرَّ بنفر من يهود خيبر، فقال بعضهم لبعض سلُوه عن الرُّوح فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ وذكر الحديث[١]. أخرجه البخاري.

* *

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٤٠) وروى البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله قال: بينا أنا مع النبيِّ ﷺ في حَرث وهو متكيء على عسيب إذ مرّ اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه؟ وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه. فقالوا: سلوه فسألوه عن الروح فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحىٰ إليه، فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح...﴾ [الإسراء: ٨٥] الآية لفظ البخاري. انظر «تفسير القرطبي» (١٠/٢٠٩) طبع دار الكتب العلمية. (م).

فصـــلٌ
في مدحِ التَّواضُعِ وذمِّ العُجْبِ وطَلَبِ الرِّيَاسة

ومن أفضلِ آدابِ العالم تواضعُه وتركُ الإعجاب بعلمه، ونبذُ حبِّ الرياسة عنه فقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «إنّ التواضُعَ لا يزيد العبدَ إلا رِفْعَةً فتواضَعُوا يرفعْكم الله»(١).

١٠٣ ـ وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما نَقَصَتْ صدقةٌ من مالٍ وما زاد اللَّهُ عبداً بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضعَ أحدٌ لله إلَّا رفعَهُ الله»(٢).

وروينا من وجوه عن عمرَ بن الخطّاب أنه كان يقول: إنَّ العبدَ إذا تواضعَ لله رفعَهُ الله بحكمته.

وقد قيل له: انتعشْ نعشَكَ اللَّهُ فهو في نفسه حقيرٌ وفي أعين الناس كبير.

وكان يقال: إذا كان علم الرجل أكثر من عقله كان قَمِناً ـ أي جَديراً ـ أن يضرَّه.

١٠٤ ـ وعن أنس بن مالك: أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ الله ـ عزَّ وجل ـ يأمرُكم أن تتواضَعُوا ولا يبغ بعضُكم على بعض»(٣).

وقالوا: المتواضعُ من طلاّب العلم أكثرُ علماً كما أنّ المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً. وقيل لبُزُرْجمَهْر: ما النِّعمة التي لا يُحسَدُ عليها صاحبُها؟ قال: التَّواضُعُ. قيل له: فما البلاءُ الذي لا يُرْحَمُ عليه صاحبُه؟ قال: العُجْبُ.

وقال التواضعُ مع السَّخافة والبُخلِ أحمدُ من الكِبْرِ معَ السَّخاءِ والأدبِ، فأعظم بحسَنةٍ عفَتْ عن سيئتين، وأفْظِعْ بعيبٍ أفسدَ من صاحبه حسنتين، ولقد أحسن المرادي في قوله:

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٤١) (م).
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٤١) (م).
(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٤١) (م).

وأَحْسَنُ مقـرونَيْن في عـين نـاظـر جـلالـةُ قـدرٍ في ثيـابِ تَـوَاضُـعِ

وأحسن منه قولُ بعضِ العراقيين يمدح رجلاً:

فتىً كان عذبَ الرُّوح لا عَنْ غضاضةٍ ولكنَّ كبـراً أن يكـونَ بـه كِبْـرُ[1]

وقال البحتري[2]:

وإذا مَـا الـشَّـريفُ لـم يتـواضـعْ لِـلأخـلاَّءِ كَـانَ عَيْنَ الـوَضِيْـعِ[3]

وعن وهب بن منبه قال: كان في بني إسرائيل رجالٌ أحداثُ الأسنان قد قرؤ وا الكتبَ وعَلِمُوا علماً، وأنّهم طَلَبُوا بقراءتهم وعلمهم الشرف والمال، وأنهم ابتدَعُوا بها بدعاً، وأدركوا بها المال والشَّرف، فضلُّوا وأضلُّوا.

وقال ابن عبدوس: كلما توقَّر العالمُ وارتفع كان العُجْبُ إليه أسرعُ إلا من عصمه الله بتوفيقه، وطرحَ حبَّ الرياسة عن نفسه.

وعن سعيد بن المسيَّب قال: قال عمر: أخوفُ ما أخافُ عليكم أن تهلَكُوا فيه ثلاثُ خلالٍ: شحٌّ مطاعٌ وهوىً متَّبَعٌ وإعجَابُ المرءِ بنفسِهِ.

١٠٥ ـ وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ مهلكـاتٌ (قف على حديث جليل) وثلاثٌ منجياتٌ؛ فأما المهلكات فشحٌّ مطاع وهوىً متَّبع وإعجابُ المرء بنفسه، والثلاثُ المنجيات تقوى الله في السرِّ والعلانية وكلمةُ الحق في الرِّضى والسُّخْط والاقتصاد في الغنى والفقر»[4].

وقال إبراهيم بن الأشعث: سألت الفُضَيْل بن عياض عن التواضع فقال: إن تخضعَ للحقِّ وتنقادَ له ممَّن سمعَتُه، ولو كان أجهلَ النَّاس لزمك أن تقبلَه منه.

---

(١) البيت لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي، وهو في «ديوان أبي تمام» (٤/٨٢) وفيه: أن يُقال به كِبْرُ.

(٢) أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي الشاعر المشهور. مات سنة ٢٨٤ هـ. «ابن خلكان» [٦/١٢].

(٣) ينظر «ديوان البحتري» (٢/١٢٨١).

(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٤٣) وانظر «مجمع الزوائد» (١/٩٠ ـ ٩١) (م).

وعن مسروق قال: كفى بالمرء علماً أن يَخْشَى الله، وكَفَى بالمرء جهلاً أن يُعْجَبَ بعلمه.

قال أبو عمر: إنما أعرفه بعمله.

وقال أبو الدرداء: علامة الجهل ثلاث العُجْبُ وكثرةُ المنطق فيما لا يعنيه وأن ينهى عن شيء ويأتيه.

وقالوا: العجب يهدم المحاسن.

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: الإعجاب آفة الألباب.

وقال غيره: إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله، ولقد أحسن علي بن ثابت حيث يقول:

المالُ آفتُهُ التَبْذيرُ والنَّهبُ   والعلمُ آفته الإعجابُ والغَضَبُ

وقالوا: من أعجب برأيه ضلَّ، ومن استغنى بعقله زلَّ، ومن تكبَّر على الناس ذلّ، ومن خالط الأنذال صُغِّر، ومن جالس العلماءَ وُقِّر.

وقال الفُضَيْل بن عياض: ما من أحد أحبَّ الرياسة إلاّ حَسَدَ وبغى وتتبَّع عيوبَ النَّاس وكره أن يذكرَ أحدٌ بخير.

وقال أبو نُعَيْم: والله ما هلَكَ من هَلَك إلاَّ بحبِّ الرياسة.

وقال أبو العتاهية:

أأخيَّ من عشقَ الرياسةَ خفْتُ أنْ   يَطْغى ويحدِثَ بدعةً وضَلالاً(1)

وقال أيضاً:

حُبُّ الرياسة أَطْغَى مَنْ على الأرض   حتَّى بغىٰ بعضُهم فيها عَلَى بَعْضِ(2)

---

(1) «ديوان أبي العتاهية» (٣٠٨).

(2) «ديوان أبي العتاهية» (٢٠٣).

وقال بشر بن المعتمر البصري المتكلم[1]:

إنْ كنْتَ تعلمُ ما أقو ... لُ وما تقولُ فأنتَ عالمْ
أو كنتَ تجهلُ ذَا وَذَا ... كَ فكنْ لأهلِ العلم لازمْ
أهلُ الرياسة من ينا ... زِعْهم رياستهم فظالمْ
لا تطلبنَّ رياسةً ... بالجهل أنتَ لها مخاصمْ
لولا مَقَامُهم رأيـ ... ـت الدِّينَ مضطربَ الدعائمْ

وهذا معناه فيمن رأَسَ بحقٍّ وعلمٍ صحيح أن لا يُحْسَدَ ولا يُبغى عليه.

وللخليل بن أحمد:

لو كنتَ تعلم ما أقولُ عذرتني ... أو كنتُ أجهلُ ما تقول عذلتكا
لكن جهلتَ مقالتي فعذَلتني ... وعلمتُ أنك جاهل فعذرتكا[2]

وقال الثَّوريُّ: من أحبَّ الرِّياسةَ فليعدَّ رأسَهُ للنِّطاح.

وقال بكر بن حمَّاد:

تغاير النَّاسُ فيما ليس ينفعُهُم ... وفرّق الناسَ آراءُ وأهواءُ

وقال آخر:

حبُّ الرياسة داءُ لا دواءَ له ... وقلَّما تجدُ الراضين بالقِسَم

وعن يحيى بن اليَمان قال: سمعتُ سفيانَ يقول: كنتُ أتمنى الرياسة وأنا شابٌ وأرى الرجلَ عند السّارية يُفتي فأغبطه، فلمّا بلْغتُها عرفتها.

---

(١) الهلالي البغدادي أبو سهل، فقيه معتزلي، مناظر، من أهل الكوفة. مات ببغداد ٢١٠ هـ. ينظر «أمالي المرتضى» (١٣١/١) و«الأعلام» (٥٥/٢).

(٢) الأبيات في «الوفيات» (٢٤٧/٢) مع اختلاف في لفظ البيت الأول.

وفيه: يقال إن الخليل كان له ولدٌ متخلّفٌ، فدخل على أبيه يوماً، فوجده يقطّع بيت شعر بأوزان العروض، فخرج إلى الناس، وقال: إن أبي قد جُنَّ فدخلوا عليه وأخبروه بما قال ابنه فقال مخاطباً له:

لو كنت تعلمُ ما أقولُ عذَرْتَني ... أو كنتَ تَعْلَمُ ما تَقُول عَذَلْتُكَا

(انتهى)

وقال المأمون: من طلب الرّياسة بالعلم صغيراً فَاتَهُ علم كثير.

وقال منصور بن إسماعيل الفقيه[1]:

الـكـلبُ أكـرمُ عِـشْـرةً   وهـو النِّهـايـةُ في الخِسَـاسَـة
مـمَّـن تـعـرَّض لـلـريـا   سةِ قبلَ إبَّـانِ الـرِّيـاسـة[2]

ورُوي عن علي أنه خرج يوماً من المسجد فاتّبعه الناس فالتفت إليهم، وقال: أيّ قلب يصلح على هذا، ثم قال: خفق النِّعال مفسدةٌ لقلوب نَوْكى[3] الرجال.

وقال عمر بن الخطاب: هي مفسدة للمَتْبوع مذلَّةٌ للتَّابع.

قال أبو عمر: من أدَبِ العالم تركُ الدعوى لما لا يُحْسنه، وتركُ الفخر بما لا يحسنه، إلاّ أن يضطرَّ إلى ذلك كما اضطر يوسُفُ ـ عليه السلام ـ حين قال: ﴿اجْعَلْني عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إنّي حَفِيْظٌ عَلِيم﴾[4] وذلك أنّه لم يكن بحضرته من يعرفُ حقّه فيثني عليه بما هو فيه ويعطيه بقسطه ورأى هو أنَّ ذلك المقعد لا يقعدُهُ غيرُه من أهل وقته إلا قصّر عما يجب لله من القيام به من حقوقه، فلم يسعْهُ إلا السَّعيُ في ظهور الحق بما أمكنه، فإذا كان ذلك فجائز للعالم حينئذ الثّناءُ على نفسه والتنبيه على مواضعه، فيكون حينئذ يتحدّثُ بنعمة ربِّه عندَه على وجه الشكر لها.

وقال عمر بن الخطاب في حديث صدقات النّبي ﷺ حين تنازَعَ فيها العباسُ وعليٌّ: والله لقد كنتُ فيها بارّاً تابعاً للحقّ صادقاً. ولم يكن ذلك منه تزكيةً لنفسه رضي الله عنه.

---

(١) هو أبو الحسن التميمي المصري الفقيه الشافعي الضرير، له مصنفات كثيرة، ذكرها أبو إسحاق الشيرازي في «طبقات الفقهاء». مات سنة ٣٠٦ هـ. ينظر «الوفيات» (٥/٢٨٩).

(٢) والأبيات في «الوفيات» مع خلاف طفيف في اللفظ. وفيه:

الـكـلبُ أحـسـنُ عِـشْـرةً   وهـو النِّهـايـةُ في الخِـسـاسـة
مـمـن يـنـازع فـي الـرِّيـا   سةِ قبـل أوقـات الـرِّيـاسـة

(٣) النَّوْكى: الحمقى.

(٤) سورة يوسف: الآية (٥٥).

وأفضح ما يكون للمرء دعواه بما لا يقوم به، وقد عاب العلماء ذلك قديماً وحديثاً وقالوا فيه نظماً ونثراً، وأحسنُ ما قيل فيه:

مَن تحلّى بغيرِ ما هُوَ فيه ... فضَحَتْهُ شواهدُ الامتحانِ
وجَرى في العلومِ جريَ سُكَيْتٍ[1] ... خَلّفَتْه الجيادُ يومَ الرِّهانِ

* *

فصلٌ
فيما يلزم العالم والمتعلم التحلّي به

١٠٦ - عن أبي هارونَ العبدي[2] وشَهْرِ بن حَوْشب[3] قالا: كنّا إذا أتينا أبا سعيد الخُدْري يقول: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «ستفتح لكم الأرضُ ويأتيكم قوم، أو قال: غِلْمَان حديثةٌ أسنانهم يطلُبُون العلم ويتفقّهون في الدين ويتعلمون منكم فإذا جاؤوكم فعلّموهم وألطِفُوهم ووسِّعُوا لهم في المجلس وأفهِمُوهم» الحديث[4].

فكان أبو سعيد يقول لنا: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، أمرنا رسول الله ﷺ أن نوسِّعَ لكم في المجلس وأن نُفهِمَكم الحديث.

ويروى عن علي بن أبي طالب أنه قال: من حقِّ العالم عليك إذا أتَيْته أن تسلِّم عليه خاصّة، وعلى القوم عامّة، وتجلس قدّامه، ولا تُشرْ بيديك، ولا تغمز بعينيك، ولا تقل: قال فلانٌ خلافَ قولك، ولا تأخذه بثوبه، ولا تلحَّ عليه في السؤال، فإنه بمنزلة النخلة المرطبة، لا يزال يسقطُ عليك منها شيء.

---

(١) السُّكَّيْتُ والسُّكَيْت بالتخفيف: العاشر الذي يجيء آخر الخيل في الحَلْبة.

(٢) عمارة بن جُوَيْن، مشهور بكنيته، شيعي، متروك. مات سنة ١٣٤ هـ. «التقريب» [٤٠٨].

(٣) الأشعري، الشامي، مولى أسماء بنت يزيد بن السكَن، صدوق كثير الإرسال. مات سنة ١١٢ هـ. «التقريب» (٢٦٩).

(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٤٥) (م).

وقالوا من تمام آلة العالم أن يكون مَهيباً وقوراً، بطيءَ الالتفات قليلَ الإشارة، لا يَصْخبُ، ولا يلعبُ، ولا يجفُو، ولا يلغُو.

وقد قيل: إنّ هذا لا يحتاج إليه مع أداء ما لله عليه.

وبلغني أنّ إسماعيل بن إسحاق قيل له: لو ألّفت كتاباً في آداب القضاة فقال: وهل للقاضي أدبٌ غيرُ أدبِ الإسلام؟ ثم قال: إذا قضَى القاضي بالحقّ فليقعدْ في مجلسه كيف شاء ويمدَّ رجليه إنْ شاء، وقال: الواجب على العالم أن لا يناظرَ جاهلاً ولا لجوجاً فإنه يجعلُ المناظرة ذريعة إلى التعلم بغير شكر.

وقال أيوب بن القِرِّيَّة[1] أحقُّ الناس بالإجلال ثلاثةٌ: العلماء، والإخوان، والسلاطين. فمن استخف بالعلماء أفسد دينه، ومن استخفَّ بالأخوان أفسد مروءته، ومن استخفَّ بالسُّلطان أفسدَ دُنْياه والعاقل لا يستخفُّ بأحد.

قال: والعاقلُ الدّينُ شريعتُه، والحلمُ طبيعتُه، والرأيُ الحسَنُ سجيّتُه.

قال أبو عمر: وآداب المناظرة يطولُ الكتابُ بذكرها، وقد ألّف قوم في أدب الجدل وأدب المناظرة كتباً من طالعها وقف على المراد منها، وفيما ذكرناه في هذه الفصول عن السَّلف من جهة الآثار ما يغني ويكفي بل ما يُغني ويُشفي من جهة اتّباع السَّلف على طرائقهم وهَدْيهم فهو العلم والأدب بأسْرِه لمن وُفِّق لفهمه.

وأحسنُ ما رأيت في آداب التعلُّم والتفقُّه من النَّظْمِ ما ينسبُ إلى اللُّؤلؤيّ[2] من الرّجز وبعضُهم ينسبه إلى المأمون وقد رأيت إيرادَه هنا لحسنه رجاء النفع به قال:

وأعلم بأنّ العلم بالتعلُّم ... والحفظِ والاتقانِ والتفهُّم
والعلمُ قد يُرزقه الصغيرُ ... في سنّه ويُحرمُ الكبيرُ

---

(١) الهلالي من خطباء العرب المشهورين والقرّية جدته، قتله الحجاج سنة ٨٤ هـ. [وفي الأصل القَرِّيَّة بفتح الفاء والتصويب من «ابن خلكان» ١/٢٥٠].

(٢) الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي، أبو علي، قاض، فقيه، من أصحاب أبي حنيفة متكلم فيه. «ميزان الاعتدال» (١/٤٩١) و«الأعلام» (٢/١٩١).

فإنّما المرءُ بأصغريهِ ليس برجليهِ ولا يديهِ
لسانُه وقلبُه المركبُ في صدره وذاك خلق عجبُ
والعلمُ بالفهم وبالمذاكرة والدرسِ والفكرة والمناظرة
فرُبَّ إنسانٍ ينالُ الحفظا ويورد النصَّ ويحكي اللَّفْظا
ومالَه في غيره نصيبُ ممّا حوَاه العالم الأديب
وربَّ ذي حرص شديد الحب للعلم والذكر بليد القلب
معجَّز في الحفظ والرواية ليست له عمَّن روى حكاية
وآخرٌ يعطى بلا اجتهادِ حفظاً لما قد جاء في الإسنادِ
يهزُّه بالقلب لا بناظره ليس بمضطر إلى قماطره
فالتمس العلم وأجمل في الطلب والعلم لا يحسن إلا بالأدب
والأدب النافع حسنُ السَّمت وفي كثير القول بعض المقت
فكن لحسن الصمت ما حييتا مُقارفاً تُحمد ما بقيتا
وإن بدَتْ بين أُناس مسألةٌ معروفةٌ في العلم أو مفتعلةْ
فلا تكنْ إلى الجواب سابقاً حتَّى ترى غيرَك فيها ناطقاً
فكم رأيتُ من عجولٍ سابق من غير فهمٍ بالخطاءِ ناطق
أزْرَى به ذلك في المجالس عند ذوي الألباب والتنافس
والصَّمْتُ فاعلم بك حقاً أزينُ إن لم يكن عندك علم متقنُ
وقل إذا أعياك ذاك الأمرُ مالي بما تسأل عنه خبرُ
فذاك شطرُ العلم عند العُلَمَا كذاك ما زالت تقولُ الحكما
إيّاكَ والعُجْبَ بفضل رأيكا واحذر جواب القول من خطائكا
كم من جوابٍ أعقبَ الندامة فاغتنم الصَّمْت مع السلامة
العلمُ بحرٌ منتهاه يبعدُ ليسَ له حدّ إليه يقصد
وليس كل العلم قد حويْتَهُ أجلْ ولا العَشْرَ ولو أحصيته
وما بقي عليك منه أكثرُ مما علمت والجواد يَعْثر

فكنْ لما سمعتَه مُسْتَفهما | إن أنت لا تفهم منه الكلما
القولُ قولان فقولٌ تعقِلُه | وآخرٌ تسمعُه فتجهلُه
وكلُّ قول فله جواب | يجمعه الباطل والصواب
وللكلام أولٌ وآخرُ | فافهمهما والذهن منك حاضر
لا تدفع القول ولا تَرُدَّهُ | حتى يؤديك إلى ما بعده
فربما أعيى ذوي الفضائل | جواب ما يُلقى من المسائل
فيمسكوا بالصّمت عن جوابه | عند اعتراض الشكّ في صوابه
ولو يكون القول في القياس | من فضة بيضاء عند الناس
إذاً لكان الصمتُ من عين الذهَبْ | فافهم هداك الله آداب الطلب

وقال أكثم بن صيْفي[1]: ويلُ عالمٍ أمْرٍ من جاهله، من جهل شيئاً عاداه، ومن أحبَّ شيئاً استعْبده.

وقال غيره: علمٌ لا يعبرُ معك وادياً لا تعمُرْ به نادياً، إذا ازدحم الجواب خفي الصواب، اللَّغط يكون معه الغلط، لو سكت من لا يعلم سقط الاختلاف.

وقال الخليل رحمه الله: ما سمعتُ شيئاً إلا كتبتُه ولا كتبتُه إلا حفظتُه وما حفظته إلا نفَعني، ومن أكثرَ من مذاكرة العلماء لم ينسَ ما علم واستفاد ما لم يعلم.

أوصى يحيى بن خالد ابنه جعفراً فقال: لا تردّ على أحدٍ جواباً حتى تفهمَ كلامه، فإن ذلك يصرفُك عن جواب كلامه إلى غيره، ويؤكدُ الجهل عليك، ولكن افهم عنه فإذا فهمته فأجبه ولا تعجل بالجواب قبل الاستفهام، ولا تستح أن تستفهمَ

---

(١) ابن رياح التميمي أشهر حكّام العرب في الجاهلية، وحكمائهم أدرك الإسلام واختلف في إسلامه. [إذ قصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق، ولم يَرَ النبي ﷺ. وهو المعنيّ بالآية الكريمة: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجْره على الله﴾ النساء: ١٠٠. وقيل: غير ذلك]. [«الإصابة» (١/١١٣)].

إذا لم تفهم؛ فإن الجواب قبل الفهم حُمْقٌ، وإذا جهلت ما قيل، فسؤالك واستفهامك أجمل بك وخيرٌ من السكوت على العِيّ.

* *

بـــاب
ما رُوِيَ في قبضِ العلم وذهاب العلماء

١٠٧ ـ عن أبي هُرَيْرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تظهـرُ الفتنُ ويكثرُ الهَرْجُ» قيل: وما الهرج؟ قال: «القتلُ القتلُ ويقبض العلم»[١].

فسمعه عمر يأثره عن النبي ﷺ فقال: إن قبض العلم ليس شيئاً يُنْزَعُ من صدور الرجال ولكنّه فناء العلماء.

١٠٨ ـ ورُوي من طرقٍ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله لا يقبضُ العلمَ انتزاعاً ينتزعه من النّاس ولكنْ يُقْبَضُ العلمُ بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساءَ جُهّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلوا»[٢].

١٠٩ ـ وفي بعض الروايات عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله لا ينتزعُ العلمَ من النّاسِ بعدَ أن يعطيَهم إياه، ولكنْ يذهبُ بالعلماء، كلّما ذهبَ عالمٌ ذهبَ بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم فيَضلوا ويُضلوا»[٣].

١١٠ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ السّاعةُ حتى يخرج من أمتي ثلاثونَ دجّالاً كلّهم يزعمُ أنَّه رسول الله وحتى يقبضَ المالُ ويقبضَ العلمُ وتظهرَ الفتنُ ويكثرَ الهرجُ. قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل القتل»[٤].

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٤٨) (م).
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٤٩) (م).
(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٤٩) (م).
(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٥١) (م).

١١١ ـ ومن رواية البخاري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشراط الساعة أن يُرفعَ العلمُ ويبثَّ الجهلُ ويشربَ الخمرُ ويظهرَ الزنا»[١].

١١٢ ـ قال البخاري: وأخبرنا مُسَدَّد قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن شُعْبة عن قَتَادة عن أنس قال: لأحدثنّكم بحديث لا يحدّثُكم به أحدٌ بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أشراط الساعة أن يقلَّ العلم ويظهرَ الجهلُ ويظهرَ الزنا ويكثرَ النّساء ويقلَّ الرجال حتى يكونَ لخمسينَ امرأةٍ القيِّمُ الواحدُ»[٢].

وعن مجالد عن الشَّعبي عن مَسْرُوقٍ قال: قال عبدُ الله بن مسعود: قراؤكم وعلماؤكم يذهبون وتتخذ الناسُ رؤساءَ جهالاً، وذكر الحديث.

وعنه أيضاً قال: عليكم بالعلم قبل أن يُقبض وقبضُه ذهابُ أهله.

وعن ابن شهاب قال: بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا: الاعتصام بالسُّنَنِ نجاةٌ والعلم يقبضُ قبضاً سريعاً فعيشُ العلماءِ ثباتُ الدِّين والدنيا وذهابُ ذلك كله في ذهاب العلم.

١١٣ ـ وروى جُبَيْر بن نُفَير[٣] عن عَوْف بن مالك الأشجعي[٤] قال: بينَا نحن جلوسٌ عند النَّبي ﷺ ذات يوم إذ نظر إلى السماء فقال: «هذا أوانٌ يُرفعُ العلم»، فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد[٥]: أيرفعُ العلم وفينا كتابُ الله وقَدْ علّمناه أبناءنا ونساءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن كنتُ لأَحْسَبُك من أفقه أهل المدينة» وذكر له ضلالة أهل الكتاب وعندهم ما عندهم من كتاب الله[٦].

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٥١/١) (م).
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٥١ ـ ١٥٢) (م).
(٣) الحضرمي الحمصي ثقة جليل مخضرم ولأبيه صحبة. مات سنة ٨٠ هـ. «التقريب» [١٣٨].
(٤) الأشجعي صحابي مشهور من مسلمة الفتح سكن دمشق ومات سنة ٧٣ هـ. «التقريب» [٤٣٣].
(٥) ابن ثعلبة الخزرجي صحابي شهد بدراً وكان عاملاً على حضرموت لما مات النبي ﷺ. «التقريب» [٢٢٠].
(٦) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٥٢/١) ولعل الأصح: «هذا أَوَانٌ يُرْفَعُ فِيهِ العلم» أو «هذا أَوَانُ رفع العلم» والله أعلم. (م).

فلقي جُبيرُ بن نفير شدَّادَ بنَ أوس[1] بالمصلّى فحدثه هذا الحديث عن عوف بن مالك، فقال: صدق عوف، ثم قال شدّاد: هل تدري ما رفع العلم؟ قال: قلت: لا أدري قال: ذهابُ أَوْعيتِهِ.

هل تدري أيُّ العلم أوّلُ يرفع؟ قال: قلت: لا أدري. قال: الخشوعُ حتى لا يُرى خاشعاً.

وعن الحسن قال: موتُ العالم ثُلْمَةٌ في الإسلام لا يسدُّها شيءٌ ما طردَ الليلُ النهارَ.

وعن ابن سيرين قال: ذَهَبَ العِلْمُ فلم يبقَ إلا غُبَّراتٌ[2] في أوعية سوء.

وعن هلال بن خَبّاب[3] أبو العلا قال: سمعت سعيد بن جبير، قلت: ما علامة الساعة وهلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم.

وكان كعب يقول: واعلموا أن الكلمة من الحكمة ضالة المؤمن فعليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفعه أن تذهب رواته.

١١٤ ـ وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله بعثني رحمةً وهدىً للعالمين وأمرَني ربي أن أمحقَ المزاميرَ والمعازفَ والخمرَ والأوثانَ التي كانت تعبدُ في الجاهلية، وأقسم ربي بعزته، لا يشرب عبدٌ الخمرَ في الدنيا إلا سقيتهُ من حميم جهنم معذّباً أو مغفوراً له، ولا يدعُها عبدٌ من عبيدي تحرّجاً عنها إلا سقيته إياها من حظيرة القُدْس»[4].

١١٥ ـ قال أبو أمامة: وقال رسول الله ﷺ: «إنّ لكلِّ شيءٍ إقبالاً وإدباراً وإنَّ لهذا الدين إقبالاً وإدباراً وإنّ من إقبال هذا الدّين ما بَعَثني اللَّهُ به حتَّى إنَّ

---

(١) ابن ثابت الأنصاري صحابي، وهو ابن أخي سيدنا حسان بن ثابت. مات قبل الستين وقيل بعدها. «التقريب» [٢٦٤].

(٢) الغُبَّرات: جمع غابر. وهي البقايا، «اللسان» (غبر).

(٣) العبدي، مولاهم، البصري نزيل المدائن صدوق، تغيّر في آخر عمره. مات سنة ١٤٤ هـ. «التقريب» [٥٧٥].

(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٥٣) (م).

القبيلةَ لتتفقّهُ من عند أسَرِّ ما[1] أو قال آخرها، حتى لا يَكونَ فيها إلا الفاسقُ والفاسقان فهمان مقْمُوعان دليلان إنْ تكلَّما أو نَطَقَا قُمعاً وقُهرا واضْطُهدا، ثم ذكر أن من إدبار هذا الدين أن تجفو القبيلة كلُّها العلم من عند أَسَرِّها حتى لا يبقى إلا الفقيهُ أو الفقيهان فيها مقموعان ذليلان إن تكلما أو نطقا قُمعا وقُهرا واضطُهدا، وقيل: أتطغيان علينا؟! وحتى تُشربَ الخمرُ في ناديهم ومجالسهم وأسواقهم وتُنَحَلُ الخمرُ اسماً غيرَ اسمها، وحتى يلعَنَ آخر هذه الأمة أوَّلَها، ألا فعليهم حلّت اللّعنة»[2] وذكر تمام الحديث.

قال أبو عمر: وقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول[3]:

ماذا يفوزُ الصالحون به سُقِيَتْ قبورُ الصالحين دِيَمْ
صلّى الإلَهُ على النّبي لقدْ مُحيتْ عهودُ بعدَهُ وذِمَمْ
لولا بقاءُ الصالحين عفَا ما كان أثبتَه لنَا ورسمْ

١١٦ - وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلّمُوا العلمَ وعلِّمُوه النّاسَ وتعلّموا الفرائضَ وعلّموها الناسَ فإني امروٌ مقبوضٌ وإنّ العلم سيُقْبَضُ وتظهر الفتن حتى يختلفَ الاثنان في الفريضة لا يجدان أحداً يفصل بينهما»[4].

وعن طلحة بن عمرو عن عطاء بن أبي رَبَاح في قول الله - عز وجل - : **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾**[5]. قال: ذهاب فقائها وخيارِ أهلها.

وقال عكرمة والشعبيُّ: هو النُّقصان وقبضُ الأنفُس. قالا جميعاً: ولو كانت

---

(١) قال في «لسان العرب» الأَسَرُّ الدَّخِيْلُ قال لبيد:

وَجَدّي فارسُ الرَّعْشَاءِ مِنْهُم رئيسٌ لا أَسَرُّ ولا سَنِيْدُ

[اللسان (سرر)] وانظر «ديوان لبيد بن ربيعة العامري» تحقيق د. إحسان عباس (٣٩).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٥٣ - ١٥٤) وانظر «المطالب العالية» (٤/٣٣٤) وفيه تمام الحديث. (م).

(٣) «الديوان (٣٤٠). وفيه: «لولا بَقَايَا الصَّالحين عَفَا».

(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٥٤) (م).

(٥) سورة الرعد: الآية (٤١).

الأرضُ تنقص، قال أحدهما: لضاق عليك حَشّك، وقال الآخر: لضاق عليك حَشٌ[1] تتبرَّز فيه.

وقال مجاهد: نقصانُها خرابُها وموتُ أهلهـا. وقال الحسن: هـو ظهورُ المسلمين على المشركين. وذكر قَتَادَةُ في تفسيره قول عكرمة والحسن عنهما على ما ذكرناه، ولم يزد من رأيه شيئاً، وقول عطاء في تأويل الآية حسنٌ جداً، تلقّاه أهل العلم بالقَبُول، وقولُ الحسن أيضاً حسنُ المعنى جداً[2].

وقال ابنُ عبَّاس لمّا مات زيدُ بنُ ثابت: من سرَّه أن ينظرَ كيف ذهابُ العلم فهكذا ذهابُه.

وعن أحمد بن أبي سليمان يقول: سمعت دَرَّاجاً أبا السَّمْح[3] يقول: يأتي على النَّاس زمان يسمِّنُ الرجلُ راحلتَه حتى تقعدَ شحماً ثم يسيرُ عليها في الأمصار حتى تصيرَ نِقْضاً[4] يلتمسُ من يُفْتيه بسنَّةٍ قد عمل بها، فلا يجد إلا من يُفْتيه بالظنّ.

وعن صالح المُرِّي قَال: سمعت الحسنَ يقول: لا عالمَ ولا متعَلّمَ طفئت والله.

ورُوي عن ابن عبّاس أنه كان يقول: لا يزال عالِمٌ يموتُ وأثرٌ للحق يدرُسُ حتى يكثرَ أهلُ الجهل، وقد ذهب أهل العلم فيعملونَ بالجهل ويدينون بغير الحق ويضلُّون عن سواء السّبيل.

وعن كثير بن زياد[5] في تفسير الحديث: لا يزداد الأمر إلاّ شدة، قال: ذهاب العلماء.

---

(١) الحَشُّ: موضع قضاء الحاجة والبستان. «لسان العرب» [حَشش].

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٣٣٤/٨). وقد نقل عن ابن عبد البر قوله: وقولُ عطاءٍ في تأويل الآية حسنٌ، تلقَّاه أهلُ العلم بالقبول.

(٣) قيل: اسمه عبد الرحمن، ودَرَّاجٌ لقب له، السَّهْمي مولاهم، المصري. مات سنة ١٢٦ هـ. [وقيل: اسمه عبد الله]. «التقريب» [٢٠١].

(٤) النِّقْضُ: أي مهزولة [وفي «اللسان» النِّقْض بالكسر: البَعير الذي أضْنَاهُ السَّفر وكذلك النَّاقة].

(٥) كثير بن زياد، أبو سهل البُرْنانسي، نزل بلخ، ثقة. «التقريب» (٤٥٩).

١١٧ ـ ونص الحديث عن النبي ﷺ قال: «لا يزدادُ الأمرُ إلّا شدةً، ولا الدنيا إلا إدباراً، ولا النّاس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»[١].

١١٨ ـ وعن عبد العزيز بن سعيد عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: «خيارُ أمّتي القَرْنُ الذي بعثتُ فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم لا يزداد الأمر إلّا شدةً»[٢].

١١٩ ـ وعن أبي هُرَيرة عن رسول الله ﷺ قال: «سيأتي على أمتي زمانٌ يكثُر القرّاء ويقلُّ الفقهاءُ ويُقْبَضُ العلمُ ويكثُـر الهرج. قالوا: وما الهرج يـا رسول الله؟ قال: القتلُ بينَكُم، ثم يأتي بعد ذلك زمانٌ يقرأ القرآن رجالٌ من أمتي لا يجاوز تراقيَهم، ثم يأتي بعد ذلك زمان يجادلُ المنافقُ الكافرَ المشركَ بمثل ما يقول»[٣].

وعن أبي الدَّرْداء قال: ما لي أرى علماءَكم يذهبُون وجهَّالَكُم لا يتعلمون، تعلَّموا قبل أن يُرْفَعَ العلمُ فإنّ رَفْعَ العلم ذهابُ العُلَماء، ما لي أراكم تحرصون على ما قد تُوكِّلَ[٤] لكم به، وتدعون ما وُكِلَ لكم به، لأَنَا بشراركم أبصرُ من البياطرة بالخيل، هم الذين لا يأتون الصَّلاة إلّا دَبْراً ولا يسمعون القرآن إلّا هُجْراً ولقد خشيت أن يذهبَ الأوّل ولا يتعلَّمَ الآخرُ، ولو أن العالمَ طلبَ العلمَ لازداد علماً، وما نقصَ العلمَ شيئاً، ولو أن الجاهل طلب العلمَ لوجد العلم قائماً، فما لي أراكم شباعاً من الطَّعام جياعاً من العلم؟

(قف على قول حذيفة)

وعن حذيفة[٥] قال: إنّ القرن الأول من هذه الأمة على منهاج من لا يُتَّهم، والقَرنُ الثاني يظهر فيه الحَيْفُ والأَثَرةُ، والقَرْنُ الثالثُ يظهرُ فيهم الفساد وسفكُ الدّماء، والقرنُ الرابع ينتقلون عن دينهم حتى يكون أعزَّ كل قبيلة فاسقُهم ومنافقُهم وأذلَّة عالمُهم.

---

(١) ذكر ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٥٥) وتتمة الحديث: «ولا مهديَّ إلا عيسى ابن مريم». (م).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٥٥) (م).

(٣) ذكره ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٥٦) وهو في «المستدرك» (٤/٤٥٧) (م).

(٤) يعني الرزق.

(٥) ابن اليمان العبسي الصحابي الجليل، وأعلم الصحابة بالمنافقين. مات سنة ٣٦ هـ. «أسد الغابة» [١/٤٦٨ «التقريب» ١٥٤].

وعن داود بن الجرَّاح قال: قدمَ سُفْيان الثَّوري عَسْقَلان[1] فمكث ثلاثاً لا يسأله أحدٌ عن شيء، فقال: إكتَرِ[2] لي أخرج من هذا البلد هذا بلدٌ يموتُ فيه العلم.

* *

بـــابُ
حالِ العلمِ إذا كانَ عندَ الفُسَّاقِ والأرْذَال

١٢٠ ـ عن أنسِ بن مالك قال: قيل: يـا رسول الله مَتَى يُتْـرك الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر؟ قال: «إذا ظَهَرَ فيكم ما ظهرَ في بني إسرائيلَ قبلكم. قيل: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: إذا ظهر الإدْهانُ[3] في خيارِكم، والفاحشةُ في شرارِكم وتحوّل الملْكُ في صغارِكم والفقهُ في أرْذالكم»[4].

١٢١ ـ وعن أبي أميّة الجُمَحي قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن أشراط الساعة فقال: «إنّ من أَشْراطها أن يُلْتمسَ العلمُ عندَ الأصاغر»[5].

وقيل لابن المبارك من الأَصَاغر؟ قال: الذين يقولون برأيهم. فأمّا صغير يروي عن كبير فليس بصغير.

وذكر أبو عُبَيد في تأويل هذا الخبر عن ابن المبارك، أنّه كان يذهب بالأَصَاغر إلى أهل البِدَع ولا يذهب إلى السِّنّ. قال أبو عبيد: وهذا وجه.

قال أبو عُبَيْد: والذي أَرَى أنا في الأصاغر أنْ يُؤخذ العلمُ عمَّن كان بعدَ

(١) عسقلان: مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جِبْرين ويقال لها: عروس الشام. «معجم البلدان» (عسقلان).

(٢) اكتر: استأجر لي ركوباً.

(٣) الإدْهان: المصانعة واللين والغش. «اللسان» [دهن].

(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٥٧) (م).

(٥) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٥٧) وذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٣٥) ضمن حديث طويل وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف. (م).

أصحاب رسول الله ﷺ ويقدّم ذلك على رأي أصحاب رسول الله ﷺ فذاك أخذ العلم عن الأصاغر.

١٢٢ ـ وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «البركةُ مَعَ أكابركم»[١].

وعن هلالٍ الورَّاق عن عبد الله بن عُكَيم[٢] قال: كان عمرُ يقول: ألا إنّ أصدقَ القيلِ قيلُ الله وأحسنُ الهدْيِ هديُ محمد ﷺ وشرُّ الأمور محدثاتها، ألا إنَّ النَّاسَ لن يزالوا بخير ما أتاهم العلمُ عن أكابرهم.

وعن بلال ـ يعني ابن يحيى[٣] ـ : أنَّ عمرَ بن الخطاب قال: قد علمت متى صلاحُ الناس ومتى فسادُهم إذا جاء الفقهُ من قبل الصغير استعصى عليه الكبير وإذا جاء الفقه من قبل الكبير تابعه الصغير فاهتديا.

وعن عبد الله بن مسعود قال: لا يزال النّاسُ بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم فإذا أخذوه عن أصاغرهم وشرارِهم هَلَكُوا.

وفي رواية أخرى: لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلمُ من أصحاب محمدٍ ﷺ ومن أكابرهم فإذا جاء العلمُ من قِبَلِ أصاغرهم فذلك حينَ هلَكُوا.

قال أبو عمر: قد تقدَّم من تفسير ابن المبارك وأبي عُبَيْدٍ لِمَعْنى الأصاغر في هذا الباب ما رأيت.

وقال بعض أهل العلم: إنّ الصغيرَ المذكور في حديث عُمَرَ، وما كان مثلَه من الأحاديث إنما يُراد به الذي يُستفتَى ولا علم عندَه، وإنَّ الكبير هو العالم في أيِّ سنٍ كان.

وقالوا: الجاهل صغيرٌ، وإن كان شيخاً، والعالم كبير، وإن كان حدثاً، واستشهدوا بقول الأول[٤]:

تعلَّم فليسَ المــرءُ يـولَـدُ عــالمــاً ... وليْسَ أخـو عِلْمٍ كَمَنْ هُـوَ جَـاهـلُ

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٥٨/١) وانظر «كنز العمال» (١٧٤/٣) (م).

(٢) الجهنيّ الكوفي مخضرم. مات زمن الحجاج. «التقريب» [٣١٤].

(٣) بلال بن يحيى العبسي، الكوفي، صدوق. مات بعد المئة الهجرية. «التقريب» (١٢٩).

(٤) يعني ابن المبارك.

وإنَّ كبيرَ القوم لا علمَ عنده صغيرٌ إذا التفَّت إليه المحافلُ

واستشهدوا بأنّ عبدَ الله بنَ عبَّاس كان يُستفتى وهو صغير، وأنَّ معاذَ بنَ جبل، وعتَّاب بن أسيد[١] كانا يُفْتيان الناسَ، وهما صغيرا السن، وولَّاهُما رسولُ الله ﷺ الولايات مع صِغَرِ سنِّهما، ومثل هذا في العلماء كثيرٌ ويحتمل أن يكون معنى الحديث على ما قال ابن المعتمر: عالم الشّباب محقُورٌ وجاهله معذُور، والله أعلم بما أراد.

وقال آخرون: إنما معنى حديث عمر وابن مسعود في ذلك: أنّ العلم إذا لم يكن عن الصَّحابة كما جاءِ في حديث ابن مسعود، ولا كان له أصل في القرآن والسُّنَّة والإجماع فهو علمٌ يهلك به صاحبه، ولا يكون حاملُه إماماً ولا أميناً ولا مَرْضِيَّاً، كما قال ابن مسعود، وإلى هذا نزع أبو عُبَيْد ـ رحمه الله ـ.

ومثله قول الأوزاعي: العلمُ ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجىء عن واحد منهم فليس بعلم.

وقد يحتمل حديث هذا الباب: أن يكونَ أراد أنَّ أحقَّ الناس بالعلم والتفقه أهلُ الشرفِ والدّين والجاه، فإن العلمَ إذا كان عندهم لم تأنفِ النُّفوس من الجلوس إليهم وإذا كان عندَ غيرهم وجدَ الشَّيطانُ إلى احتقارهم السبيلَ، وأوقع في نفوسهم أثـرة الرّضى بالجهل أَنفَةً من الاختلاف إلى من لا حسبَ له ولا دينَ، وقد جُعلَ ذلك من أشراط السَّاعة وعلاماتِها، ومن أسبابِ رفع العلم، والله أعلم أي الأمور أراد عمر بقوله: فقد ساد بالعلم قديماً الصغيرُ والكبيرُ ورفع الله درجات من أحب.

وروى مالكٌ عن زيدِ بن أَسْلَم[٢] أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾[٣].

(١) ابن أبي العِيْص الأموي صحابي جليل، كان أمير مكة في عهد الرسول ﷺ. (م). «التقريب» [٣٨٠].

(٢) العدويّ مولى عمر، أبو عبد الله. مات سنة ١٣٦ هـ. «التقريب» [٢٢٢].

(٣) سورة الأنعام: الآية (٨٣).

قال: بالعلم يرفعُ اللَّهُ درجاتٍ من يَّشاءُ في الدُّنيا.

ومما يدلّ على أن الأصاغر من لا علم عندَه ما ذكره عبد الرزاق وغيره، عن مَعْمَرٍ عن الزُّهري قال: كان مجلسُ عمرَ مُغْتَصًّاً من القرّاء شبّاناً وكهولاً فربّما استشارَهم ويقول لا يمنعُ أحدَكم حداثَةُ سنّه أن يشيرَ برأيه؛ فإنّ العلمَ ليس على حداثة السنِّ وقِدَمِهِ، ولكنَّ اللَّهَ يَضعُه حيثُ يشاء.

وعن مكحول قال: تفقُّه الرُّعاعِ فسادُ الدين، وتفقُّهُ السَّفَلَةِ فسادُ الدنيا.

وكان سُفْيانُ إذا رأى هؤلاء النَّبَط[1] يكتبون العلمَ يتغيَّرُ وجْهُهُ؛ فقلت له: يا أبا عبدَ الله نراك إِذَا هؤلاءِ يكتُبُون العلمَ يشتدُّ عليك؟ فقال: كان العلمُ في العرب وفي سادات النّاس، فإذا خرجَ عنهم وصار إلى هؤلاء ـ يعني النَّبَط والسَّفَلة ـ غُيِّر الدِّين.

* *

بـــابُ
ذكرِ استعاذةِ رسول الله ﷺ من علم لا ينفع وسؤآله العلمَ النافعَ

١٢٣ ـ عن أنسٍ أنّ رسولَ الله ﷺ كان يقول: «اللهمّ إني أعوذُ بك من علمٍ لا ينفعُ ودعاءٍ لا يُسْمعُ وقلبٍ لا يخشعُ ونفسٍ لا تشبعُ ومن الجوع فإنَّه بئس الضجيع»[2].

وفي بعض الروايات زيادة بعد قوله: «بئسَ الضَّجيع. وأعوذُ بك من الخيانة فإنَّها بئست البطانة»[2].

١٢٤ ـ وعن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهمّ إني أعوذُ بك من

---

(١) النَّبَطُ: جيل ينزلون سواد العراق. «اللسان» [نبط].

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٦١) (م).

علم لا ينفعُ ودعاءٍ لا يسمُعُ وقلبٍ لا يخشَعُ ونفسٍ لا تشبعُ اللهمَّ إني أعوذُ بك من هؤلاء الأربع»(١).

١٢٥ ـ وعن جابر أن النبي ﷺ قال: «سَلُوا الله علماً نافعاً وتعوَّذوا بالله من علم لا ينفع»(٢).

١٢٦ ـ وعن أم سلمة أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقول إذا أصبح: «اللهمَّ إني أسأُلكَ علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلًا»(٣).

وعن أبي كَبْشَة السَّلُولي قال: سمعت أبا الدَّرْدَاء يقول: إنَّ من شر الناس عند الله منزلةً يومَ القيامة عالمٌ لا ينتفعُ بعلمه.

١٢٧ ـ وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ من أشدِّ النَّاس عذاباً يوم القيامة عالماً لا ينفعه [الله] بعلمه»(٤).

وروينا عن سلمان الفارسي أنَّه قال: «إنَّ العلمَ لا ينفد فاتّبع منه ما ينفعك».

ويقال: من لم ينفعْه قليلُ علمه ضرَّه كثيرُه.

وعن أبي هريرة قال: مثل علم لا ينفع كمثل كنز لا ينفق في سبيل الله.

وقال ابن المبارك:

حسبي بعلمي إن نفعْ ... ما الذلُّ إلاَّ في الطمعْ
مَنْ راقبَ الله رَجَعْ
عن سوءِ ما كان صَنَعْ ... ما طارَ شيءٌ فارتَفَعْ
إلاَّ كَمَا طَارَ وَقَعْ

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٦١) (م).
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٦٢) (م).
(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٦٢) (م).
(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٦٢) والاستدراك منه. (م).

وعن مالكٍ وغيرِه أنّ عبدَ الله بن سلام[1] قال لكعب: ما ينفي العلمَ عن صدورِ العلماءِ بعد أن يعلمُوه؟ قال: الطمع.

وكان مكحولٌ يقول: اللهمَّ انفعنا بالعلم وزيِّنّا بالحلم وجَمِّلْنا بالعافية.

وقال سفيان بن عُيَيْنَة: ليس شيءٌ أنفعَ من علم ينفع وليس شيءٌ أضرَّ من علم لا ينفع.

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنَّما زَهَّد الناسَ في طلب العلم ما يَرَوْن من قلَّة انتفاع من عَلِمَ بما عَلِم.

وأنشد إبراهيمُ بن محمد بن عرفة نفطويه[2] محمودَ بن الحسن الوراق:

إذا أنتَ لم ينفعْك علمُكَ لم تجدْ لعلمِـكَ مخلوقـاً من النـاس يقبلُهْ

وإنْ زانَـكَ العلمُ الذي قـد حملتـه وجـدت لـه من يجتنيـه ويحـملُهْ

* *

بــابُ
ذمِّ العالمِ على مُدَاخَلَةِ السُّلْطان الظَّالم

١٢٨ - عن ابن عبّاس عن النّبي ﷺ قال: «من سكنَ الباديةَ جَفَا ومن اتّبع الصَّيْدَ غَفِل ومن أتى السُّلطان افتتن»[3].

١٢٩ - وعن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «يكونُ عليكم أمراءُ تعرفونَ منهم وتنكرونَ فمنْ أنْكَرَ فقد بَرِىءَ ومن كره فقد سلم، ولكن من رضيَ وتابعَ فأبْعده الله، قيل يا رسول الله: أفلا نقتلهم قال لا، ما صلّوا»[4].

وقال سفيان بن عُيَيْنَة: قال أبو حازم: وجدتُ الدنيا شيئين، فتكلم بكلام طويل، ذكره ابن أبي خَيْثَمة. قال سُفْيان فقال الزُّهري: إنَّه جاري ما كنت أُرَىٰ أنَّ

(١) حليف الخزرج صحابي. مات سنة ٤٣ هـ. «التقريب» [٣٠٧].

(٢) النحويّ الواسطي. مات سنة ٣٢٣ هـ. «ابن خلكان» [١/٤٧].

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٦٣) (م).

(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٦٤) (م).

هذه عنده، فقال أبو حازم لو كنتُ غنياً لعَرَفْتني، إنّ العلماء كانوا يفرّون من السُّلْطان، ويطلبهم وإنَّهم اليومَ يأتون أبواب السلطان والسلطان يفرُّ منهم.

وعن أيوب السَّختياني[1] قال: قال لي أبو قلابة. يا أيُّوبُ احفظ عني ثلاثَ خصال: إيّاك وأبوابَ السُّلطان، وإياك ومجالسةَ أصحاب الأهواء، والزم سوقَكَ فإنّ الغنىٰ من العافية.

وقال ابن عَوْن[2]: كان الرجلُ يفرُّ بما عندَه من الأمراء جهدَه فإذا أخذ لم يجد بداً.

وعن بكر بن محمد اللَّيثي قال: سمعتُ سُفيانَ يقول: في جهنَّم وادٍ لا يسكنه إلا القرَّاء الزوَّارون للملوك.

وعن محمد بن داود البَصْري قال: لما ولي إسماعيل بن عُلَيَّة[3] على العُشُورِ، أو قال: على الصَّدقات، كتب إلى عبد الله بن المبارك يستمدُّه برجال من القُرّاء يعينُونَه على ذلك؛ فكتب إليه عبد الله:

يا جاعلَ العلم له بازياً ... يصطادُ أموالَ المساكين
احتلتَ للدُّنيا ولَذَّاتها ... بحيلةٍ تَذْهَبُ بالدِّين
فصرْتَ مجنوناً بها بعدَما ... كنتَ دواءً للمجانين
أينَ رواياتُك فيما مضى ... عن ابن عَوْن وابن سيرين
ودرسُكَ العلمَ بآثاره ... وتركُكَ أبوابَ السلاطين
تقولُ أُكْرِهْتَ فما ذا كذا ... زَلَّ حمارُ العلم في الطين
لا تبتغِ الدُّنيا بدينٍ كما ... يفعلُ ضُلَّالُ الرُّهابينِ

(١) ثقة ثبت حجة وإمام جليل. مات سنة ١٣١ هـ. «التقريب» [١١٧] [وفيه: أيُّوب بن أبي تميمة، كِيْسان السَّختياني أبو بكر البصري].
(٢) ابن عون هو: عبد الله بن عون بن أَرْطَبان، أبو عون البصري، ثقة ثبت فاضل من أقران أيوب في العلم والعمل والسن. مات سنة ١٥٠ هـ. «التقريب» (٣١٧).
(٣) إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسم الأسدي مولاهم أبو بشر البصري المعروف بابن عُليَّة، ثقة حافظ. مات سنة ١٩٣ هـ وهو ابن ثلاث وثمانين. «التقريب» (١٠٥).

وأنشد ابن المبارك:

رَأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوب ويورثُكَ الذُلَّ إدْمَانُها
وتركُ الذنوب حياةُ القلوب وخيرٌ لنفسك عصيانُها
وهل بدّل الدينَ إلا الملوك وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها
وباعوا النفوسَ فلم يربحوا ولم تغلّ في البيع أثمانُها
لقد رتع القومُ في جيفة يبين لذي العقل إنتانُها[1]

وقال محمود الوراق:

ركبوا المراكب واغتدَوْا زُمَراً إلى باب الخليفهْ
وصلوا البكور إلى الرواح ليبلغوا الرتب الشريفهْ
حتى إذا ظفروا بما طلبوا من الحال اللطيفهْ
وغدا المولّى منهم فرحاً بما تحوي الصحيفهْ
وتعسَّفُوا مَنْ تحتهم بالظلم والسير العنيفهْ
خانوا الخليفة عهدَهُ بتعسّف الطرق المخوفةْ
باعوا الأمانة بالخيانة واشتروا بالأمن جيفهْ
عقدُوا الشُّحومَ وأهزلوا تلك الأمانات السخيفهْ
ضاقت قبور القوم واتسعت قصورهم المنيفه
من كل ذي أدب ومعرفة وآراء حصيفهْ
متفقه جمعَ الحديث إلى قياس أبي حنيفة
فأتاك يصلح للقضاء بلحية فوقَ الوطيفةْ
لم ينتفع بالعلم إذْ شغفته دُنْياه الشَغُوفهْ
نسي الإآله ولاذَ في الدنيا بأسباب ضعيفهْ

---

(١) «شعر الفقهاء» (٣٣٠).

وقول أبو العتاهية[1]:

عجباً لأربابِ العُقُولِ والحرص في طلب الفضول
سُلاّبِ أكسية الأرا مل واليتامى والكهول
والجامعين المكثرين من الخيانة والغُلُول
والمؤثرين لدار رِحْلتِهِمْ على دار الحُلول
وضعوا عقولهم من الدُّ نيا بمدرجة السيول
ولَهَوْا بأطراف الفرو ع وأغفلوا علم الأصول
وَتَتَبَّعوا جمع الحطام وفارقوا أثر الرسول

وعن حذيفة قال: إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما مواقفُ الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبوابُ الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول له ما ليس فيه.

وعن ابن مسعود قال: «إنَّ على أبواب السلاطين فِتَناً كمبارِكِ الإبل، والذي نفسي بيدهْ لا يصيبون[2] من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينكم مثله أو قال مثليه.

وقال وَهْبُ بن مُنَبِّه: إنّ جمع المال[3] وغشيانَ السُّلطان لا يبقيان من حسنات المرء إلا كما يبقى ذئبان جائعان ضاريان سَقَطا في حِظارٍ فيه غنمٌ فباتا يجوسان حتّى أصبحا.

١٣٠ - وهذا المعنى قد روي عن النبي ﷺ، من حديث أبي موسى الأشعري أنه قال: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في حظيرة غنمٍ بأفسدَ لها من حبِّ المال والشّرفِ لدين المرء»[4] أو نحو هذا من قوله ﷺ.

---

(١) «الديوان» (٣٠٩).

(٢) الأشبه «لا تصيبون» بالتاء.

(٣) المذموم من جمع المال هنا وفي كل ما يذكر فيه هو أن يجعل الإنسان همه ذلك بحيث يستولي على منابع عزيمته ويلهيه عما هو أولى به.

(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٦٧) وقد شرح هذا الحديث شرحاً رائعاً الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة مطبوعة منذ فترة طويلة وسوف أقوم بإعادة نشرها بتحقيق جديد قريباً إن شاء الله تعالى. (م).

ورِوي عبد الرزاق عن أبيه قال: قلت لوهب بن منبّه: كنت ترى الرؤيا فتخبرناها فلا تلبث أن تراها كما وصفت. قال: ذهب ذلك عني مذ وُلّيت القضاء.

قال عبد الرزاق حدثت مَعْمراً بهذا الحديث، فقال: والحسنُ منذُ وليَ القضاءَ لم يحمَدُوا فهمَه.

وعن محمد بن يوسف الفريابي[1] قال: سمعت سفيان الثوري يقول: كان خيار الناس وأشرافهم والمنظور إليهم في الدّين يقومون إلى هؤلاء فيأمرونهم ويَنْهونهم يعني الأمراء وكان آخرون يلزمون بيوتَهم ليس عندهم ذلك فكانوا لا ينتفع بهم ولا يذكرون ثم بقينا حتى صار الذين يأتونهم فيأمرونهم شرارَ النَّاس والذين لزموا بيوتهم ولم يأتوهم خيار الناس.

(قف على حديث جليل) **١٣١** - وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي إذا صَلُحا صلح النّاس؛ الأُمراءُ والفقهاء»[2].

وفي رواية عنه عن النبي ﷺ قال: «صنفان إذا صلحا صلحت الأمة وإذا فسدا فسدت الأمَّةُ ؛ السلطان والعلماء»[3].

قال أبو عمر: هاهنا - والله أعلم -.

قال الفُضَيْلُ: لو أن لي دعوة مجابة لجعلتها في الإمام.

أنشدني أحمد بن عمر بن عبد الله لنفسه في قصيدة له:

نسأل الله صلاحاً للولاة الرؤساء ... فصلاحُ الدّين والدنيا صلاحُ الأمراء
فيهم يلتئِمُ الشَّمل على بُعْدِ الثناء ... وبهم قامت حدود الله في أهل العداء
وهم المغنون عنا في مواطين العَنَاء ... وذهاب العلم عنا في ذهاب العلماء
فهم أركان دين الله في الأرض الفَضَاءِ ... فجزاهم ربهم عنا بمحمود الجزاء

(١) ثقة فاضل. مات سنة ٢١٢ هـ. «التقريب» [٥١٥].
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٨٤) (م).
(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٨٤) (م).

وفي سماع أَشْهَبَ قال مالك: قال عمرُ بن الخطاب: اعلموا أنّه لا يزال الناس مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتُهم.

١٣٢ ـ وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «العلماءُ أمناءُ الرُّسول على عباد الله ما لم يخالطوا السُّلْطان ـ يعني في الظُّلم ـ فإذا فعلوا ذلك فقد خانُوا الرُّسل فاحذرُوْهم واعتزلوهم»[1].

وقال قتادة: العلماءُ كالملح إذا فَسَدَ الشيءُ صلَحَ بالملح وإذا فسد الملح لم يَصْلُح بشيء.

وقيل للأعمش: يا أبا محمد قد أحييت العلم بكثرة من يأخذه عنك فقال: لا تعجبوا فإن ثلثاً منهم يموتُون قبلَ أن يدركوا، وثلثاً يلزمون السلطان فهم شرٌّ من الموتى، ومن الثلث الثالث قليل من يُفْلح.

وقال: شرُّ الأمراء أبعدُهم من العلماء وشرُّ العلماء أقربُهم من الأمراء.

وقال محمد بن سُحْنُون: كان لبعض أهل العلم أخ يأتي القاضي والوالي بالليل ليسلّم عليهما فبلغه ذلك فكتب إليه:

أما بعد: فإن الذي يراك بالنهار يراك بالليل وهذا آخر كتاب أكتب به إليك. قال محمد: فقرأته على سُحْنُون فأعجبه. وقال: ما أسمَجَه بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيه فيسأل عنه فيقال إنه عند الأمير.

وقال سُحْنون: إذا أتى الرجلُ مجلسَ القاضي ثلاثةَ أيام بلا حاجة فينبغي أن لا تقبلَ شهادته.

قال أبو عمر: معنى هذا الباب كله في السلطان الجائر الفاسق فأمّا العدلُ منهم الفاضلُ فمداخلته ورؤيتُهُ وعونهُ على الصّلاح من أفضل أعمال البرّ ألَا ترى أن عمر بن عبد العزيز[2] إنما كان يصحبُه جلّةُ العلماءِ، مثل عروة بن الزبير وطبقته، وابن شهاب وطبقته.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٨٥) (م).

(٢) الأموي أمير المؤمنين، يعدّ من الخلفاء الراشدين، ولم يجيء بعد في الإسلام مثله، مات سنة ١٠١ هـ. «التقريب» [٤١٥ بزيادة].

وقد كان ابن شهاب يدخل إلى السلطان عبد الملك وبنيه بعده، وكان ممن يدخل إلى السلطان الشعبيُّ وقُبَيْصَةُ بنُ ذُؤيب[1] ورجاءُ بن حَيْـوة الكِنْدي أبـو المقدام، وكان فاضلاً عالماً، والحسنُ وأبو الزناد، ومالكُ بن أنس، والأوزاعيُّ، والشافعيُّ وجماعةٌ يطول ذكرهم، وإذا حضَر العالمُ عند السلطان غِبّاً فيما فيه الحاجة، وقال خيراً، ونطق بعلم، كان حسناً، وكان في ذلك رضوان الله إلى يوم يَلْقاه، ولكنها مجالسُ، الفتنةُ فيها أغلبُ، والسلامةُ منها تركُ ما فيها.

وحسبُك ما تقدم في هذا الباب من قوله ﷺ: «مَنْ أنْكَر فقد برىءَ ولكنَّ من رضي فتابعَ فأبعدَهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ».

وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: العلم لواحد من ثلاثة؛ لذي حَسَبٍ يزينُه به، أو لذي دين يَسُوسُ به دينه، أو لمن يختلطُ بالسُّلطان ويدخل إليه يتحفُه بعلمه وينفعُه به.

قال: ولا أعلم أحداً جمع هذه الخلال إلا عروةُ بنُ الزبير وعمرُ بن عبد العزيز فكلاهما جمع الحسب والدين ومخالطة السلطان.

١٣٣ ـ وقال رسول الله ﷺ: «سبعةٌ في ظلِّ الله يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه إمام عَدْلٌ فبدأ به»[2].

١٣٤ ـ وقال: «المُقْسِطُون على منابر من نُور يومَ القيامة»[3].

١٣٥ ـ وقال: «الإمامُ العَدْلُ لا تُرَدُّ دعوتُه»[4] ومثل هذا كثير.

(قف على ما كتبه عمر ابن عبد العزيز)

وعن يحيى بن أبي كثير قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: أن أجروا

---

(١) الخزاعي. مات سنة بضع وثمانين. «التقريب» [٤٥٣ وفيه: نزيل دمشق من أولاد الصحابة، له رؤية].

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٨٦) وانظر «جامع الأصول» (٩/٥٦٤) (م).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٨٦) (م).

(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٨٦) وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (٦/١٠) وعزاه لابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. (م).

على طلبة العلم الرِّزق وفرّغوهم للطلب. فهذا ومثله سيرة الإمام العَدْل وبالله التوفيق.

وعن عبد المتعالي بن صالح من أصحاب مالك قال: قيل لمالك: إنك تدخل على السُّلطان وهم يظلمون ويجورون فقال: يرحمك الله؛ فأين الكلام بالحق؟.

وعن الحسن بن علي قال: لما حجَّ هٰرون وقدم المدينة بعث إلى مالك بكيسٍ فيه خمسمئة دينار، فلمّا قَضَى نُسَكَه وانصرفَ، وقدِمَ المدينة بعثَ إلى مالكٍ؛ أنّ أميرَ المؤمنين يحبُّ أن تنتقلَ معه إلى مدينة السَّلام، فقال للرسول: قل له إنَّ الكيس بخاتمه.

١٣٦ - وقال رسول الله ﷺ: «والمدينةُ خيرٌ لَهُم لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون»(١).

* *

بـــابُ
ذمِّ الفاجرِ من العلماء وذمّ طلب العلم للمباهاة والدُّنيا

١٣٧ - عن جابرٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَعَلَّمُوا العلمَ لتُبَاهُوا به العلماءَ ولا لِتُماروا به السُّفهاء ولا لتجتازوا به المجالسَ فمن فعل ذلك فالنَّار، النَّارَ»(٢).

١٣٨ - وعن الأسود قال: قال عبد الله بن مسعود: لو أنّ أهل العلم صانوا علمَهم ووضعُوه عندَ أهله، لسادوا به أهلَ زمانهم، ولكنّهم بذلوه لأهل الدنيا، لينالوا به من دنياهم، فهانوا على أهلها.

سمعت نبيكم ﷺ يقـول: «من جعلَ الهمـومَ همـاً واحـداً كفاه الله همَّ

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٨٦) (م).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٨٧) (م).

في هامش الأصل ما نصه: هذا الوعيد لمن [لم] يرد بعلمه شيئاً من الخير، والله يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء.

قلت: وهذا الهامش الذي أشار إليه المُخْتَصِرُ قبل أن ينشر الأصل أدخله ناشر «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٨٧) إلى المتن فتنبّه. (م).

آخرته ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها وقع»[1].

وعن محمد بن يحيى بن حَبَّان[2] قال: حدثني رجل من أهل العراق أنّهم مرُّوا على أبي ذرٍّ فسألوه يحدثهم فقال لهم: تعلمون أنّ هذه الأحاديث التي يُبْتَغَى بها وجهُ الله تعالى لا يتعلمها أحدٌ يريدُ بها عَرَض الدنيا، أو قال لا يريد بها إلا عرض الدنيا فيجدُ عَرْفَ الجنّة أبداً.

قال عبد الله بن المبارك: عَرْفُها: ريحُها[3].

وعن سيّار عن عائذِ الله قال: الـذي يبتغي الأحاديثَ ليحدِّثَ بها لا يجدُ ريح الجنة.

قال أبو عمر: «عائذُ الله: هو أبـو إدريس الخَوْلاني اسمـه عائـذ الله بن عبد الله»[4].

وعن مكحول: من طلبَ الحديث ليماري به السُّفَهَاء أو ليباهيَ به العلماء أو ليصرفَ به وجوهَ الناس فهو في النار.

وعن يزيد بن قَوْدر قال: يوشك أن ترى رجالاً يطلبُون العلم فيتـغايرون عليه كما يتغاير الفُسَّاق على المرأة هو حظُّهم منه.

وعن أيوب السَّخْتياني قال: قال لي أبو قِلابَة[5]: إذا أحدثَ الله لك علماً فأحدِثْ له عبادة ولا يكن همُّك أن تحدِّثَ به.

(قف على قول ابن مسعود) وعن علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: كيف أنتم إذا لبستم فتنة يربو فيها الصَّغير ويهرم الكبير وتُتخذ سنةً متبعة يجري عليها الناس فإذا غُيِّر منها شيء قيل قد

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٨٧) (م).

(٢) ابن منقذ الأنصاري، فقيه، مات سنة ١٢١ هـ. «التقريب» [٥١٢].

(٣) «اللسان» (عرف).

(٤) سمع من كبار الصحابة ومات سنة ٨٠ هـ. «التقريب» [٢٨٩. وفيه: كان عالم الشام بعد أبي الدّرداء].

(٥) عبد الله بن زيد الجرمي، مات سنة ١٠٤ هـ. «التقريب» [(٣٠٤) وفيه: مات بالشام هارباً من القضاء].

غيرت السنة. قيل: متى ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا كثُر قراؤكم وقلّ فقهاؤكم وكثر أمراؤكم وقل أمناؤكم والتُمِسَت الدنيا بعمل الآخرة وتُفقِّه لغير العمل في الدين.

وعن سفيان بن عُيَيْنَة قال: بلغنا عن ابن عباس أنه قال: لو أنَّ حملةَ العلم أخذوه بحقه، وما ينبغي، لأحبَّهم اللَّهُ وملائكتُه والصّالحون، ولـهابَهُـمُ النَّاسُ، ولكن طَلَبُوا به الدُّنيا فأبغضَهم الله وهانُوا على الناس.

وذكر عمرُ بن شَبَّة[1] قال: حدثنا أبو حازم قال: قدمَ هشامُ بنُ عبد الملك المدينةَ فاجتمع إليه فقهاءُ النّاسِ وإلى جنبي الزُّهري. فقال لي الزُّهري: يا أبَا حازمٍ ألا تـحـدثُ النَّاسَ بعضَ أحاديثك؟ فقلت: بلى. كان النَّاسُ الفقهاءُ يستغنُون بعلمهم عن أهل الدنيا ويقضُون في علمهم ما لا يقضي أهلُ الدُّنيا في دنياهم، فكان أهلُ الدنيا يقرِّبُونهم ويعظِّمُونهم على ذلك فأصبح العلماءُ اليوم يبذلون علمَهم لأهلِ الدُّنيا رغبةً في دنياهم، فلما رأى أهل الدُّنيا موضعَ العلم عند أهله؛ زهدوا فيه، وازدادوا رغبةً في دنياهم.

وكان يقال: أشرفُ العلماءِ من هربَ بدينه عن الدُّنيا واستُصْعب قيادُه على الهوى.

١٣٩ ـ وعن أبي الدَّرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزلَ اللَّهُ في بعض الكتب، أوْ أوْحى إلى بعض الأنبياء: قُلْ للذين يتفقَّهون لغير الدين، ويتعلّمون لغير العمل، ويطلُبون الدُّنيا بعمل الآخرة، يلبَسُون للنّاس مُسُوك[2] الكباش، وقلوبُهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرُّ من الصبر، إياي يخادعون، وبي يستهزئـون، لأُتيحنَّ لهم فتنةً تذرُ الحليمَ فيهم حيراناً»[3].

(١) ابن عُبَيْدة بن زيد النُّمَيْري، أبو زيد بن أبي معاذ البصري، نزيل بغداد، صدوق، مات سنة ٢٦٢ هـ. «التقريب» (٤١٣).

(٢) مُسُوك: جمع مَسْك وهو الجلد. «اللسان» (مسك).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٨٩) (م).

١٤٠ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يخرجُ في آخر الزمان رجالٌ يختِلون الدنيا بالدِّين يلبسون اللِّباس جلودَ الضأن من اللّين ألسنتهُم أحلى من العسل، وقلوبهُم قلوبُ الذئاب، يقول الله ـ عز وجل ـ: «أبي يغترّون أم عليَّ يجترئـون فبي حلفت لأبعثنَّ على أولئك فتنةً تدعُ الحليمَ حيراناً».

وعن أبي العالية[1] قال: مكتوبٌ عندهم في الكتاب الأوَّل: ابنَ آدم! علِّم مجّاناً كما عُلِّمتُ مجاناً.

قال أبو عمر: معناهُ عندَهُم كما لم تَغْرَم ثمناً فلا تأْخُذ ثمناً والمجَّان عندهم الذي لا يأخذُ بعلمه ثمناً.

١٤١ ـ وعن أبي هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلَّم علماً مما يُبْتَغى به وَجْهَ الله لا يتعلّمه إلاّ ليُصيبَ به عَرَضاً من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة»[2]. يعني ريحها.

وعن يحيى بن أبي بكر قال: سمعتُ حسنَ بنَ صالح يقول: إنك لا تَفْقَهُ حتّى لا تُبالي في يَدَيْ مَنْ كانتِ الدُّنيا.

وعن عبد الله بن أبي صالح قال: قال عيسى: يا معشرَ القُرّاءِ والعلماءِ كيف تَضلُّون بعد علمِكُم أو تَعمون بعد بصركم من أجل دنيا دنيّة وشهوة رديّة فلكم الويل عليها، ولها الويل منكم.

١٤٢ ـ وعن يزيد بن أبي حبيب قال: سئل رسول الله ﷺ عن الشهوة الخفية فقال: «هو الرَّجل يتعلَّمُ العلم يحب أن يُجْلَسَ إليه»[3].

١٤٣ ـ وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «العلمُ علمان: علمٌ في

---

(١) أبو العالية البرَّاء البصري واسمه زياد، وقيل: كلثوم، وقيل: أذينة. مات في شوال سنة ١٩٠ هـ. «التقريب» (٦٥٣).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٩٠) (م).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٩٠) (م).

القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجَّةُ الله على ابن آدم»[1].

وعن أبي داود قال: سمعتُ سُفْيان الثَّوْري يقول: إنما يطلب الحديث ليتقى به الله ـ عز وجل ؛ فلذلك فُضِّل على غيره من العلوم، ولولا ذلك كان كسائر الأشياء.

وعن يعقوب بن إسحاق الحَضْرميّ قال: سمعتُ حمَّاد بن سَلَمة يقول: من طلب الحديثَ لغير الله مَكَرَ بِهِ.

وعن يحيى بن أيُّوب قال: سمعت ابن السمّاك يقول: قال مِسْعَر: من أراد الحديث للنَّاس فليجتهد، فإن بلاءهم شديد، ومن أراده لنفسه فقد اكتفى.

وكان شعبة حاضراً فقال: هذا والله ينبغي أن يُكْتَبَ.

وعن إبراهيم التيمي[2] قال: من طلبَ العلمَ لله عزَّ وجلَّ آتاه الله منه ما يكفيه.

وعن محمد بن عبد الله الطنافسي قال: بلغني أنّ سُفْيان الثَّوري قال: زيِّنُوا الحديثَ بأنفسكم ولا تَزَيَّنوا بالحديث.

وقال سفيانُ: زيِّن علمَكَ بنفسِكَ ولا تُزَيِّن نفسَكَ بعلمك.

وقال أيضاً: إنما يُتَعَلَّم العلمُ ليُتَّقى به الله وإنما فُضِّل العلم على غيره لأنَّه يتقى به الله ـ عز وجل ـ.

وعن ابن المبارك قال: كان يقال: تعوَّذُوا بالله من فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنةٌ لكلِّ مفتون.

١٤٤ ـ من حديث ابن وهب أنَّ رسول الله ﷺ قال: «هلاكُ أمَّتي عالمٌ فاجرٌ وعابدٌ جاهلٌ وشرُّ الشرِّ شرارُ العلماء وخيرُ الخيار خيارُ العلماء»[3].

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٩٠ - ١٩١) (م).

(٢) إبراهيم بن يزيد بن شَريك التيمي، يكنّى أبا أسماء، الكوفي، العابد، ثقة إلا أنه يرسل ويدلِّس. مات سنة ١٩٢ هـ. «التقريب» (٩٥).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٩٢) (م).

ورَوَيْنا عن الأوْزَاعيّ ـ رحمه الله ـ قال: شَكَتِ النَّواويس إلى الله ـ عز وجل ـ ما تجد من نَتَنِ جِيَفِ الكُفّار فأوحى الله إليها: بطونُ علماء السُّوء أَنْتَنُ مما أَنْتُم فيه.

وروينا عن فُضَيْل بنَ عيّاضٍ وأسدٍ بن الفرات قالا: بَلَغَنا أنَّ الفَسَقَةَ من العلماء ومن حملة القرآن يُبْدَأُ بهم يومَ القيامة قبل عَبَدَةِ الأوثان.

وقال فُضَيل بن عيّاض: لأنّ من عَلم ليس كمن لم يَعْلم.

وقال الحسنُ: عقوبة العالم موتُ القلب. قيل له: وما موت القلب؟ قال: طلبُ الدُّنيا بعمل الآخرة.

وأنشدني محمد بن إبراهيم بن مصعب لأحمد بن بِشْر في شعر له:

أحسنُ شيءٍ قيــل في عــالمٍ ... مـا أصدقَ المـرءَ ومـا أورعَـهْ
وشَــرُّ مـا عيبَ بــه أن يُـرَى ... عبـداً من الدُّنيـا لمن أطْمَعَـهْ

وقال بعض الصالحين: اللهمَّ إنّي أشكو إليكَ ظهورَ البغيَ والفَسَاد في الأرض، وما يحولُ بين الحقِّ وأهله من الطمع.

وقال الحسنُ: من أفرط في حبّ الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه، ومن ازداد علماً ثم ازداد على الدنيا حرصاً لم يزد من الله إلاّ بغضاً، ولم يزدَدْ من الدنيا إلا بُعداً.

وقد روي مثل هذا من قول الحسن مرفوعاً، والله أعلم.

١٤٥ ـ وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «من طلب العلمَ لغير اللَّهِ أو أرادَ به غيرَ الله فليتبوأ مقعده من النار»[١].

١٤٦ ـ وعنه ﷺ أنّه سئل عن شرِّ الناس فقال: «العُلماءُ إذا فَسَدُوا»[٢]. وهذه الأحاديث وإن لم يكن لها أسانيدُ قويّةٌ فإنّها قد جاءت كما ترى والقول عندي فيها كما قال ابنُ عمرَ في نحو هذا: عَشِّ ولا تَغْتَر[٣].

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٩٣) (م).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٩٣) (م).

(٣) هذا مثل وأصله أن رجلاً أراد أن يفوِّز بإبله (أي يركب بها المفازة) واتكل على عشب يجده هناك. =

وقال جعفر بن محمد: إذا رأيتمُ العالمَ محبّاً لدنياه فاتّهموه على دينكم، فإنّ كلَّ محب لشيء يحوطُ ما أحبَّ.

وروي أن الله عز وجل أوحى إلى داود: «يا داودُ لا تجعلْ بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدَّك عن طريق محبَّتي فإنَّ أولئك قطّاعُ طريقِ عبادي المُريدين، إنّ أدنى ما أنا صانعٌ بهم أنْ أنزِعَ حلاوةَ المناجاة من قُلوبهم»[1].

وعن الشَّعبي قال: يطلُع قومٌ من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار، فيقولون لهم: ما أدْخلَكُم النّار وأنما أدْخلنا الجنَّة بفضْل تأديبكم وتعليمكم؟ قالوا: إنا كنا نأمرُكم بالخير ولا نفعله.

قال أبو عمر: قد ذم الله في كتابه قوماً كانوا يأمرون الناس بأعمال البرِّ ولا يعملونَ بها ذماً ووبّخهم الله بها توبيخاً يُتْلى على طول الدَّهْر إلى يوم القيامة، فقال: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُم تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2].

قال أبو العتاهية:

وصفتَ التُّقى حَتَّى كـأنَّـك ذو تقىً ... وريحُ الخَطَايا من ثَنَاياك تَسْطَعُ[3]

وقال سَلْمُ[4] بنُ عَمْرو المعروف بالخاسر:

ما أَقْبَحَ التَّزهيدَ من واعظٍ ... يُزَهِّدُ النَّاسَ ولا يَزْهَدُ

= فقيل له: عَشِّ ولا تغترَّ بما لست منه على يقين ويروى: أن رجلاً أتى ابن عمر وابن عباس وابن الزبير فقال: كما لا ينفع مع الشرك عمل، كذلك لا يضرّ مع الإيمان ذنب.
فكلّهم قالوا له: عَشِّ ولا تَغْتَرَّ؛ يعني لا تفرط في أعمال الخير وخذ في ذلك بأوثق الأمور فإن كان الشأن على ما ترجو من الرخصة والسعة هناك، كان ما كسبت زيادة في الخير، وإن كان على ما تخاف كنت قد احتطت لنفسك. [انظر «مجمع الأمثال للميداني» (١٦/٢)].

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٩٣/١) (م).

(٢) سورة البقرة: الآية (٤٤).

(٣) «الديوان» (٢١٢) وفيه: «من ثيابكَ».

(٤) في الأصل «سالم».
سمّي الخاسر لأنه باع [مصحفاً] واشترى بثمنه طنبوراً، وكان متظاهراً بالخلافة. مات سنة ١٨٦ هـ. «ابن خلكان» [٣٥٠/٢ وانظر الأغاني ٢٦٠/١٩ وما بعدها].

لـو كـانَ في تـزهيـده صـادقـاً   أضْحَى وأمْسَى بيتَـهُ المسجـدُ
إن يـرفض الدّنيـا فمـا بـالُـه   يستمنـحُ النـاسَ ويستـرفـدُ
الـرّزق مقسومٌ على مَنْ تَـرَى   يسعَى بـه الأبيض والأسـودُ[1]

وقال أبو العتاهية:

يا واعظ النّاسِ قـد أصبحت متّهماً   إذْ عبْتَ منهم أُمـوراً أنْتَ تَـأْتيهـا[2]

وقد ذكرنا تتمة الأبيات في (باب قول العلماء بعضهم في بعض) من هذا الكتاب[3].

وعن عبد الله بن عُرْوَةَ بن الزّبير قال: أشكو إلى الله عيبي ما لا أترك، ونعتي ما لا آتي.

وقال: إنما يبكي بالدين للدُّنيا، وقد قال عبد الله بن عروة شعراً يشبه هذا الحديث:

يبكُـون بـالـدين للدّنيـا وبهجتهـا   أربـابُ دين عليهـا كلُّهـم صـادي
لا يـعمـلون لشـيء مـن مـعـادهـم   تعجّلوا حـظَّهم في العاجـل البـادي
لا يهتـدون ولا يـهـدون تـابعَـهم   ضـلَّ المقود وضـل القـائـد الهـادي

ولأبي العتاهية:

يـا ذَا الّـذي يَقْـرأُ في كتْبـهِ   مـا أمـرَ الـلَّهُ ولا يـعـمـلُ
قـد بيَّن الـرحمنُ مَقْتَ الـذي   يـأمـرُ بـالـحق ولا يـفـعـلُ
من كـان لا تُشْبـه أفعـالُـهُ   أقـوالَـه فـصَـمْتُـه أجـمـلُ
من عَـذَل النّـاس فنفسي بمـا   قـد قـارفت من ذنبهـا أعـذلُ
إنّ الـذي ينهى ويـأتي الّـذي   عنه نَهى في الحكم لا يعدِلُ

---

(١) الأبيات في «ابن خلكان» مع اختلاف طفيف في اللفظ. وهي في هجاء أبي العتاهية. وينظر «الأغاني» (١٩/٢٦٩) وفيه الأبيات مع خبره مع أبي العتاهية.
(٢) «الديوان» (٤٤١).
(٣) انظر ص (٣٤٨) من هذا الكتاب.

وراكبُ الـذنب عـلى جهـله أعـذرُ ممن كـان لا يجهـل
لا تَخْلِطَنْ مـا يقبـلُ الله مـن فعـلٍ بقولٍ منـك لا يُقبل(١)

وعن صفوان بن محرز(٢) سمع جُنْدب بن عبد الله البجلي(٣) يقول في حديث ذكره: أنّ مثل الذي يعظُ النَّاسَ وينسى نفسَه كالمصباحِ يحرقُ نفسَهُ ويضيءُ لغيره.

قال أبو عمر: أخذه بعض الحكماء فقال:

وبّخْتَ غيـرَكَ بالعمى فـأفَدْتَـهُ بصـراً وأنتَ محسِّنٌ لعمَـاكَـا
كفتيلة المصبـاح تحرقُ نفسَهـا وتنيـرُ مـوقـدَهـا وأنت كـذاكـا

وقد أخذه في غير هذا المعنى عباس بن الأحنف(٤) فقال:

صـرت كـأني ذُبَـالـةٌ نُصِبَتْ تضيءُ للنَّـاسِ وَهْيَ تحترقُ(٥)

ولقد أحسنَ أبو الأسود الدؤلي في قوله ويروى للعَرْزميّ(٦):

يـا أيُّهـا الـرّجـلُ المعلمُ غيـرَه هـلاّ لـنَفْسـك كـانَ ذا التّعـليـم
لا تـنـهَ عـن خلقٍ وتـأتي مثلَه عـارٌ عليـكَ إذاً فعـلتَ عـظيـم
وابـدأ بنفسـك فـانهها عن غيِّهـا فـإذا انتهت عنـه فـأنت حكيم
فهنـاك تُقْبـلُ إن وعـظت ويقتـدى بـالقـولِ منـكَ وينفـعُ التّعـليم
تصفُ الدواءَ لذي السّقام من الضّنا كيمـا يـصـحَّ بـه وأنت سـقيـم
وأراك تلقـحُ بـالـرَّشـاد عقـولَنَـا نصحاً وأنتَ من الـرَّشـادِ عـديمُ(٧)

---

(١) «الديوان» (٢٩٦) مع اختلاف في اللفظ.
(٢) المازني أو الباهلي، ثقة عابد. مات سنة ١٧٤ هـ. «التقريب» [٢٧٧].
(٣) ثم العَلَقِي، له صحبة مات بعد الستين. «التقريب» [١٤٢].
(٤) الحنفي اليمامي، الشاعر المشهور، وجميع شعره في الغزل. مات سنة ١٨٨ هـ، وقيل: أكثر. «ابن خلكان» [٣/ ٢٠].
(٥) «الديوان» (١٩٧) والبيت في «الوفيات» (٣/٢٣) مع بيت آخر قبله.
(٦) محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان العَرْزمي الفزاري. والعرْزمي: نسبة إلى «جبانة عرزم» في الكوفة حيث كان يسكن، شاعر حضرمي، اشتغل بالحديث. «معجم الشعراء» للمرزباني (٤١٧) و«الأعلام» (٣٥٨/٦).
(٧) «ديوان أبي الأسود» (٢٣١) مع اختلاف في النسبة والرواية وعدد الأبيات.

ولأبي العتاهية[1]:

إذا عِبْتَ أمراً فلا تأتِهِ وذو اللُّبِّ مجتنبٌ ما يَعيبُ

وقال محمدُ بنُ عيسى بن طلحة بن عبيد الله:

لا تَلُم المرْءَ على فعله وأنتَ منسوبٌ إلى مثلِهِ
من ذمَّ شيئاً وأتى مثلَه فإنَّما يُزرِي على عقلِهِ

أنشدها له الزُّبير.

وقال منصورُ الفقيه:

إنَّ قوماً يأمرُونا بالَّذي لا يَفْعَلُونَا
لمجانينُ وإن هُمُ لم يكونوا يُصْرَعُونا

وقال غيره:

إذا أنْتَ لم تعرف لذي السنِّ فضلَه عليكَ فلا تُنْكِرْ عقوقَ الأصاغر

وروي عن أبي جَعْفر محمد بن علي في قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿**فَكُبْكِبُوا فيها هُمْ وَالْغَاوُوْنَ**﴾[2] قال: قومٌ وصفوا الحقَّ والعدلَ بألسنتهم، وخالفوه إلى غيره.

وعن عبد الرحمن بن القاسم المسعودي قال: قال ابن مَسْعُود: إني لأحسَبُ أن الرجل ينسى العلم قد علِمَهُ بالذَّنب يعمَلُه.

وعن أبي أُمامة عن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ المؤمن فإنَّه ينظرُ بنُورِ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ»[3].

يريد العالم الفاضل والله أعلم.

وقال أبو العتاهية:

بكى شجوَه الإسلامُ من علمائه فما اكترثوا لما رأوا من بكائِهِ
فأكثرهم مستقبحٌ لصواب من يخالفُه مستحسِنٌ لِخطائِهِ

(١) «الديوان» (٣١).
(٢) سورة الشعراء: الآية (٩٤).
(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٩٦) وانظر «أسنى المطالب» للحوت رقم (٤٨) بتحقيقي طبع دار الفكر. (م).

فأيُّهم المرجوُّ فينا لدينه وأيهمُّ الموثوقُ فينا بِرائِهُ[1]

وقال أيضاً:

أصحُّ مَواقعِ الآراءِ مَا لَمْ يكن مُسْتَصْوَباً عندَ الجَهُولِ[2]

* *

بابُ
ما جاءَ في مسائلة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ العلماءَ يومَ القيامة عمَّا عَمِلُوا فيما عَلِمُوا

عن عبد الله بن عُكَيم[3] قال: سمعتُ ابنَ مسعودٍ بدأَ باليمين قبل الحديث فقال: «والله ما منكم من أحدٍ إلاّ سيخلو به ربُّه ـ عزَّ وجلَّ ـ كما يخلو أحدُكم بالقمر ليلةَ البدر، أو قال: لليلته، ثم يقول: يا ابنَ آدم ما غرّك بي، ابنَ آدم ما غرّك بي، ما عملتَ فيما عَلِمْت، يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟»[4].

وعن حُمَيْد بن هِلَال[5] قال: قال أبو الدَّرْدَاء: إنّ أخوفَ ما أخافُ إذا وقفتُ على الحساب أن يقال لي: قد عَلِمْتَ فماذا عَمِلْت فيما علمت؟.

وعن سليمان بن يسار[6] قال: تفرّجَ الناسُ عن أبي هريرة فقال له ناتل[7] الشامي: أيُّها الشيخ حدثنا حديثاً سمعتَه من رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) «الديوان» (٥).

(٢) لم أقع على البيت في ديوان أبي العتاهية.

(٣) الجهني أبو معبد الكوفي، مخضرم، وقد سَمِعَ كتاب النبي ﷺ إلى جهينة. مات في إمرة الحجاج. «التقريب» [٣١٤].

(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٢) (م).

(٥) العدويّ البصري، ثقة عالم. «التقريب» [١٨٢].

(٦) الهلالي المدني، مولى ميمونة وقيل: أم سلمة، ثقة فاضل وأحد الفقهاء السبعة. مات بعد المئة، وقيل: قبلها. «التقريب» [٢٥٥].

(٧) «بابل» في «المختصر» والأصل. ولعلّه تطبيع أو توهُّم.

والصواب: ناتل: بمثناة ابن قيس بن زيد، الشامي الفَلَسطيني، أحد الأمراء لمعاوية وولده. قتل سنة ٦٦ هـ. «التهذيب» (١٠/٣٩٨) و«التقريب» (٥٥٧) و«الأعلام» (٧/٣٤٣).

١٤٧ - سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أوّلُ الناس يُقْضَى فيه يوم القيامة ثلاثةٌ: رجلٌ استشهد في سبيل الله فأتى به ربُّه فعرَّفَه نعمَه فعرفَها فقال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ حتى قُتِلْت. قال: كذبت. ولكن قاتلت ليقال: هو جريء وقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتَّي أُلقي في النَّار، ورجل تعلّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرَّفه نعَمَه فعرفها فقال: فما عملت فيها؟ قال: تعلَّمت فيك العلمَ وعلَّمْتُه وقرأتُ القرآنَ. قال: كذبت ولكن ليقال: هو قارئٌ، فقد قيل، ثم أُمر به فسحبَ على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل أوسعَ اللَّهُ عليه وأعطاهُ من أصناف المال فأُتي به فعرَّفه نعمَه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن أنفقَ فيها إلا أنفقتُ فيها. قال: كذبتَ ولكن ليُقَالَ هو جواد. فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار»(١). وهذا الحديث فيمن لم يُرد بعلمِهِ ولا عَمَلِهِ وَجْهَ الله، وقد قيل في الرياء: إنَّه الشركُ الأَصْغَرُ ولا يزكو معه عملٌ، عصمنا الله برحمته.

وعن الزُّهري، عن محمود، قال: لما حضرت شَدَّادَ بنَ أوسٍ الوفاةُ قال: أخوفُ ما أخافُ على هذه الأمة الرياءُ والشَّهوةُ الخفية.

وعن سُفيان بن عُيَيْنَة قال: الشَّهوةُ الخفية؛ الذي يحبُ أن يُحمَدَ على البِرِّ.

وعن أبي الدَّرْدَاء قال: لا أخاف أنْ يُقالَ فيَّ يوم القيامة يا أبا الدَّرْدَاء ما عملت فيما جهلت، ولكن أن يقال لي يا عُوَيْمر ما عملت فيما علمت؟

١٤٨ - وعن النبيّ ﷺ أنه قال: «لا تَزُول قدماً عبدٍ يومَ القيامة حتّى يُسأل عن خمس خصالٍ: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين أكتسبه وأين أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه»(٢).

وعن أبي الدَّرْدَاء أنه قال: إنما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: أعلمت أم

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٢ - ٣) (م).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٣) وانظر روايات الحديث وتخريجها في «جامع الأصول» (١٠/ ٤٣٦ - ٤٣٧) وفي الحديث أربع خصال لا خمسة (م).

جهلت؟ فأقول: علمت فلا تبقى آيةٌ من كتاب الله - عز وجل - آمرةٌ أو زاجرةٌ إلا جاءتني تسألُني فريْضَتَها، فتسألني الآمرةُ هل ائتمرت، والزاجرة هل ازدجرت، فأعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع.

وكان سُفيان الثَّوْري يقول: وَدِدْتُ أني قرأتُ القرآن ثم وقفت.

وقال أيضاً: وددت أني أُفْلِتُ من هذا الأمر لَا لِيَ ولَا عَلَيَّ.

قال سُفْيان: وما أدركت أحداً أرْضاه إلّا قال ذلك.

(قف على ما بلغ ابن الزاهرية) وعن ابن الزّاهريّة قال: بلغني أن في بعض الكتب: أنّ الله يقول أبثُّ العلم في آخر الزّمان حتّى يعلَمَهُ الرّجلُ والمرأةُ والحرُّ والعبدُ والصَّغيرُ والكبيرُ. فإذا فعلتُ ذلك بهم، أخذتُهم بحقِّي عليهم.

* *

بـــابُ
جامعِ القَوْل في العِلْمِ والعَمَل

١٤٩ - عن رَكْبٍ المصْري قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبَىٰ لِمَنْ تَوَاضَعَ في غير مَنْقَصَةٍ وأذلّ نفسَه في غير مَسْكَنة، وأنفق مالاً جمعَه في غير مَعْصِيَة، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهلَ الذلِّ والمسكنةِ، طوبى لمن طابَ كسْبُه، وصَلُحَتْ سريرتُه، وكَرُمَتْ علانيتُه، وعزلَ عن الناس شَرَّه، طُوبَى لمن عملَ بعِلْمه، وأنفق الفضْلَ من ماله، وأمسك الفضْلَ من قوله»[1].

وقال أبو الدَّرْدَاء: ويلٌ لمن لا يعلم ولا يعمل مرة، وويلٌ لمن يَعْلم ولا يعمل سبْعَ مراتٍ.

وقال بعض الحكماء: لولا العقلُ لم يكن علمٌ، ولولا العلمُ لم يكن عمل، ولأَنْ أدع الحق جهلاً به خير من أن أدعَه زهداً فيه.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٤) (م).

وقالوا: من حجَب اللَّهُ عنه العلم عذَّبه على الجهل، وأشدُّ منه عذاباً من أقبلَ عليه العلمُ فأدبر عنه، ومن أهدىٰ الله إليه علماً فلم يعمل به.

(قف على ما قالت الحكمة) وقالوا: قالت الحكمةُ: ابنَ آدم إن التمستني وجدْتَني في حرفين؛ تعملُ بخيرِ ما تعلمُ وتدعُ شرَّ ما تعلمُ.

ويقال: إنّ في الإنجيل مكتوباً: لا تطلبُوا علمَ ما لم تعلَمُوا حتى تعملوا بما علمتم.

وقال عيسى ـ عليه السلام ـ للحواريين: بحقٍّ أقولُ لكم: إنَّ قائلَ الحكمة وسامعَها شريكان وأوْلاهما بها من حقَّقـها بعمله، يا بني إسرائيل! ما يُغني عن الأعمى مَعَه نورُ الشَّمس وهو لا يبصرها، وما يغني عن العالم كثرة العلم، وهو لا يعمل به.

(قف على قول ابن أدهم) وقال رجلٌ لابـراهيمَ بنِ أدْهم[١] قال الله عـز وجل: ﴿ادْعُـونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٢] فما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال إبراهيم: من أجل خمسةِ أشياء. قال: وما هي؟ قال عرفتم الله فلم تؤدُّوا حقَّه، وقرأتمُ القرآنَ فلم تعملوا بما فيه، وقلتم: نحبُّ الرَّسول وتـركتُمُ سُنَّتَهُ، وقلتم: نلعَنُ إبليس وأَطَعْتُمُـوه، والخامسـة تركتم عيوبكم، وأخذتم في عيوبِ الناس.

وقال عبد الله بن مسعود: إنّي لأحسَبُ الرجلَ ينسى العلمَ بالخطيئة يعمَلُها، وإن العالم من يخشى الله وتلا: ﴿إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾[٣].

١٥٠ ـ وعن عبد الله بن المِسْوَر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: أتيتك يا رسول الله لتعلِّمَني من غرائب العلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ما صنعتَ في رَأسِ العلم؟» قال: وما رأسُ العلم؟ قال: «عرفت الربَّ؟» قال: نعم، قال: «فما

---

(١) ابن منصور العِجْلي، وقيل: التميمي البلخي الزاهد. مات سنة ١٦٢ هـ. «التقريب [٨٧].
(٢) سورة غافر: الآية (٦٠).
(٣) سورة فاطر: الآية (٢٨)،

صَنَعْتَ في حقِّه». قال: ما شاءَ الله، قال: «هل عرفت الموتَ؟» قال: نعم. قال: «فما أعددتَ له؟» قال: ما شاءَ الله. قال: «اذهبُ فأَحْكم، ما هُنالك، ثم تعالَ نُعلِّمْك من غرائب العلم»(١).

وقال سُفْيان: كتب ابن منبِّه إلى مَكْحُول: إنّك امرؤٌ قد أصبتَ فيما ظهر من علم الإسلام شرفاً؛ فاطلب بما بَطُنَ من علم الإسلام عندَ الله محبةً وزُلْفى، واعلم أنّ إحدى المحبتين سوف تمنعُ منك الأخرى.

وقال الحسنُ البَصْريُّ: يبعث الله لهذا العلم أقواماً يَطْلُبونه، ولا يطلبونه حِسْبَةً، وليس لهم فيه نية، يبعثهم الله في طلبه كيلا يضيعَ العلمُ حتى لا تبقى عليه حجة.

وقال عمرُ لكعبٍ: ما يُذهبُ العلمَ من قلوبِ العُلَماءِ بعد أن حفظوه ووَعَوْه؟ فقال: يذهبه الطمعُ وتطلُّبُ الحاجاتِ إلى الناس.

وعن أُبيٍّ بن كعبٍ قال: تعلَّمُوا العلم واعملوا به، ولا تتعلَّموه لتتجمّلوا به فإنه يوشِكُ إنْ طال بكم زمانٌ أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه.

وقال معاذ بن جبل: اعلموا ما شئتم أن تعلَمُوا فلن يأجركم الله بعلمه حتّى تعمَلوا.

١٥١ - وعن عبد الرحمن بن غَنْم قال: حدثني عشرةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: كنَّا نتدارَسُ العلم في مسجد قُبَا إذْ خرجَ علينا رسول الله ﷺ فقال: «تعلَّموا ما شئتم أن تعلّموا، فلن يأجرَكم اللَّهُ حتى تَعْمَلوا»(٢).

١٥٢ - وروي عن النبي ﷺ مثلُ قولِ معاذٍ من رواية عبد الصّمد عن أنس وفيه زيادة: «إنَّ العلماءَ همتُهم الوعَايةُ وإنَّ السفهاء همَّتُهم الرواية»(٣).

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٥) (م).
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٦) (م).
(٣) ذكرها ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٦) (م).

وعن عِمْران بنِ أبي الجَعْد قال: قال عبدُ الله بن مَسْعود: إنّ الناس أحْسَنوا القول كلَّهم، فمن وافق فعلُه قولَه، فذلك الذي أصاب حظَّه. ومن خالف قولُه فعلَه فإنما يوبِّخ نفسَه.

وعن الحسن قال: اعتبروا الناس بأعمالهم ودَعُوا أقوالَهم فإن الله لم يدَعْ قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يصدِّقُه أو يكذِّبُه. فإذا سمعْت قولاً حسناً فرويداً بصاحبه فإنْ وافقَ قولُهُ فعلَه فنعمَ ونعمةَ عَيْن.

وذكر مالك: أنَّه بلغه عن القاسم بن محمد قال: أدركتُ النّاسَ وما يعجبهم القول إنما يعجبهم العمل.

وقال المأمون: نحن إلى أنْ نُوعَظَ بالأعمال أحوجُ منَّا إلى أنْ نوعَظَ بالأقوال.

وروي عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: يا حملةَ العلم اعملوا به فإنما العالمُ من علم، ثم عمل، ووافق علمهُ عملَه، وسيكون أقوامٌ يحملون العلمَ لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهُم علانيتهم، ويخالف عملُهم علْمَهم، يقعدون حلقاً فيباهي بعضهُم بعضاً، حتى إنّ الرجل ليغضبُ على جليسه أن يجلسَ إلى غيره ويدعَه، أولئك لا تصعدُ أعمالُهم في مجالسهم تلك إلى الله ـ عز وجل ـ.

وعن ابن مسعود قال: كونوا للعلم وعاةً ولا تكونوا له رواةً؛ فإنه قد يَرْعَوي ولا يروي، ويَرْوي ولا يَرْعَوي.

وعن أبي الدَّرْدَاء قال: لا تكونُ تقياً حتَّى تكونَ عالماً، ولا تكونُ بالعلم جميلاً حتى تكونَ به عاملاً.

قال أبو عمر: من قول أبي الدَّرْدَاء هذا ـ والله أعلم ـ أخذ القائل قوله: كيفَ هو متّقٍ ولا يدري ما يَتَّقي.

وعن الحسن قال: العالمُ الذي وافق علمُه عملَه ومن خالف علمُه عمَلَه فذلك راوية حديث سمع شيئاً فقاله.

ويروى أنَّ سفيانَ الثَّوري كان ينشدُ متمثلاً ـ وهي لسابقٍ البربريِّ ـ في شعر له مُطَوّل(١):

إذا العلمُ لم تعملْ به كان حجةً ... عليكَ ولم تُعْذَرْ بما أنت جاهلُهْ
فإن كنتَ قد أُوتيتَ علماً فإنَّما ... يصدّق قولَ المرءِ ما هو فاعلُهْ

وروي أنَّ الحسنَ بن أبي الحسن البصري كان يتمثَّل بها والله أعلم.

وأنشد الرِّيَاشيّ ـ رحمه الله ـ:

ما مَنْ روى أدباً فلم يعملْ به ... ويكفُّ عن زيغ الهوى بأديبِ
حتّى يكونَ بما تعلَّم عاملاً ... من صالح فيكون غيرَ معيبِ
ولقلّما تُجدي إصابةُ عالمٍ ... أعماله أعمال غير مصيبِ

وقال منصور رحمه الله:

ليس الأديب أخا الرّوا ... ية للنوادر والغريبْ
ولشعر شيخ المُحْدَثين ... أبي نُواس أو حبيبْ
بل ذو الفضائل والمرو ... ءَة والعفاف هو الأديبْ

وعن سُفْيانَ الثَّوري قال: ما عملت عملاً أخوفَ عندي من الحديث، ولوددت أني قرأت القرآن، وفرضت الفرائض، ثم كنت من عَرْض بني ثور(٢).

وعن مَكْحُولٍ في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِيْنَ إِمَامَاً﴾(٣).

قال: أئمة في التقوى يقتدي بنا المتقون.

وقال الثَّوريُّ: العلماءُ إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا.

وهكذا العلم إنما يدلُّ على الهرب عن الدنيا ليس على طلبها.

---

(١) ينظر «شعر الفقهاء» (٢٩٨) مع خلاف طفيف في اللفظ.

(٢) هم بنو ثَوْر بن عبد مناة بن أُدِّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، وهم رهط سفيان الثَّوري. وإليه نسب غارثور لنزوله قديماً فيه. «اللسان» (ثور).

(٣) سورة الفرقان: الآية (٧٤).

قال الحسن: لا ينتفع بالموعظة من تمرّ على أذنيه صفحاً كما أنَّ المطر إذا وقع في أرض سبخة لم تنبت.

وأنشد ابن عائشة[1]:

إذا قسا القلب لم تنفعه موعظةٌ كالأرض إن سبخت لم يحيها المطر
والقطر تحيى به الأرض التي قحطت والقلبُ فيه إذا ما لان مزدجر

وقال مالك بن دينار: ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظمَ من قسوة القلب.

وقال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: إذا دخلت الموعظة أذن الجاهل مرقت من الأذن الأخرى.

وقال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ القَطْرُ عن الصَّفا.

كان سوّار يقول: كلام القلب يقرع القلب وكلام اللسان يمر على القلب صفحاً.

وقال زياد بن أبي سفيان: إذا خرج الكلام؛ من القلب وقع في القلب وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان.

وأنشد رجاء بن سهل:

وكأنّ موعظةَ امرىءٍ متنازحٍ عن قوله بفعاله هذيانُ

وعن سلمان[2] قال: يُوشكُ أن يظهرَ العلمُ، ويخزَنَ العمَلُ، يتواصل النَّاسُ بألسنتهم، ويتقاطعون بقلوبهم، فإذا فعلوا ذلك طبعَ الله على قلوبهم وسمْعِهم وأبْصَارهم.

وبعضهُم يروي هذا الحديث عن سلمان عن النبيِّ ﷺ مرفوعاً.

---

(١) عبيد الله بن محمد بن عائشة واسم جده: حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التميمي وقيل له: ابن عائشة والعائشي، والعيشي، نسبة إلى عائشة بنت طلحة لأنه من ذريتها، ثقة جواد. مات سنة ٢٢٨ هـ. «التقريب» (٣٧٤)، و«الأعلام» (١٩٦/٤).

(٢) سلمان الفارسي - رضي الله عنه -.

وقال بعض الحكماء: إذا كانت حياتي حياةَ السّفيه وموتي موتَ الجاهل فما يُغني عنّي ما جمعتُ من غرائب الحكمة.

وقال الحسن: ابن آدم ما يغني عنكَ ما جمعتَ من حكمةِ الحكماءِ وأنتَ تجري في العمل مجرى السُّفهاء.

وقال أبو عبد الرحمن العَطَويّ[1]: أيَّ شيء تركت يا عارفاً بالله للممترين والجهال؟.

ومن شعر لمنصور الفقيه:

أيُّها الطالبُ الحريصُ تعلّم أنَّ للحقِّ مذهباً قد ضَلَلْتَه
ليسَ يُجدي عليك علمُك إنْ لم تكُ مستعملًا لما قد علمتَهْ
قد لَعَمْرِي اغتربْتَ في طلب الـ ـعلم وحاولتَ جمعَه فجمعتَهْ
ولقيتَ الرجالَ فيه وزا حَمْتَ عليه الجميعَ حتى سَمِعْتَهْ
ثم ضيَّعْتَ أو نَسِيْتَ وما ينفعُ علمٌ نسيتَه أو أضَعْتَهْ
وسواءٌ عليكَ علمُك إن لم يُجد علماً عليك أو ما جهلْتَهْ
كم إلى كم تخادعُ النَّفس جهلاً ثم تجري خلاف ما قد عرفتهْ
تصفُ الحقَّ والطريقَ إليه فإذا ما عَمِلْتَ خالَفْتَ سَمْتَهْ

وقال عبدُ الملك بن إدريسَ الوزيرَ الكاتبِ:

والعلمُ ليس بنافعٍ أربَابَه ما لم يُفِدْ عملًا وحسنَ تبصُّرِ
سيَّان عندي علمُ من لم يستفد عقلًا به وصلاةُ من لم يَطْهُرِ
فاعمل بعلمك توفِ نفسَكَ وَزنها لا ترضَ بالتضييع وزنَ المخسرِ

وعن علقَمَةَ قال: قال عبدُ الله بن مسعود: تعلَّمُوا تعلَّمُوا فإذا علمتم فاعملوا.

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية، من البصرة، من موالي بني ليث بن بكر، كان مُعتزلياً، وله ديوان شعر. «معجم المرزباني» (٤٣٢) و«الوفيات» (٦/٣٩).

وأنشدني ابنُ الأنباري قال: أنشدنا أحمد بن محمد بن مَسْرُوق:

إذا كنت لا ترتابُ أنَّك ميّتٌ ... ولستَ لبعدِ المَوْتِ تسعَىٰ وتعملُ
فعِلْمُكَ ما يُجدي وأنت مُفَرِّطٌ ... وذِكْرُك في الموتى معدٌّ محصّلُ

وقال منصور بن إسماعيل الفقيه:

إذا كنتَ تعلمُ أنَّ الفرا ... قَ فراقَ الحياة قريبٌ قريبْ
وأن المُعِدَّ جهازَ الرَّحيـ ... ـلِ ليوم الرحيل مصيبٌ مصيبْ
وأن المقدّم ما لا يفو ... تُ على ما يفوت معيبٌ معيبْ
وأنت في ذاك لا ترعوي ... فأمرك عندي عجيبٌ عجيبْ

وقال الحسن: الذي يفوق النَّاسَ في العلم جديرٌ أن يفوقهم في العمل.

وقال فُضَيْل بن عياض: قال لي ابن المبارك: أكثركم علماً ينبغي أن يكون أكثركم خوفاً.

وقال بعض الحكماء: ما هذا الاغترار مع ما ترى من الاعتبار؟.

وعن الحسن في قوله عز وجل: ﴿وعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُم وَلاَ آباؤُكُمْ﴾[1] قال: عُلِّمتم فعلمتم ولم تعملوا فوالله ماذا لكم بعلم؟.

وقال سفيان الثوري: يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

وعن علقمة عن عبد الله قال: ما استغنى أحدٌ بالله إلا احتاج إليه الناس وما عمل أحد بما علّمه الله إلا احتاج الناس إلى ما عنده.

وعن سفيان قال: قال إبراهيم: من تعلّم علماً يريد به وجه الله تعالى والدار الآخرة آتاه الله من العلم ما يحتاج إليه.

(قف على ما قاله سيدنا عيسى)

ويروى أن عيسى عليه السلام قال للحواريين: لست أعلِّمكم لتعجَبُوا إنَّما أعلّمكم لتعمَلُوا، ليست الحكمة القول بها، إنما الحكمة العمل بها.

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٩١).

وكان بعض الحكماء يقول: نفعنا الله وإياكم بالعلم ولا جعل حظنا منه الاستماع والتعجب.

وقال أيوب السَّختياني: قال لي أبو قلابة: يا أَيُّوبُ إذا أحدث الله لكَ علماً فأحدِثْ له عبادة ولا يكنْ هَمُّك أن تحدّثَ به.

وقال علي بن حسين: كان نقش خاتم حسين بن علي: عَلِمْتَ فاعْمَل.

وعن مالك بن مِغْول في قوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾[1]. قال: تركوا العمل به.

ومن حديث علي رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله ما ينفي عني حجَّة الجَهْلِ؟ قال: «العلم» قال: فما ينفي عني حجة العلم؟ قال: «العمل»[2].

وقال الحسن: إنّ أشدَّ الناس حسرة يوم القيامة رجلان؛ رجلٌ نظرَ إلى ما له في ميزان غيره سَعِدَ به، وشقي هو به، ورجلٌ نظر إلى علمه في ميزان غيره سعد به، وشقي هو به.

وروينا عن الشعبي أنه قال: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به وكنا نستعين على طلبه بالصوم.

وقال ابن وهب عن مالك: أنه سمعه يقول: إن حقاً على من طلب الحديث أن يكون له وقار وسكينة وخشية وأن يكون متبعاً لآثار من مضى قبله.

قال: وقال مالك لي: إنّ من إزالة العلم أن يكلّمَ العالمُ كلَّ من يسأله ويجيبه.

* *

---

(١) سورة آل عمران: (١٨٧).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١) (م).

فصـــل
من هذا الباب في كسب طالب العلمِ المالَ وما يكفيه من ذلك

قال يَحيى بن يَمان[1]: سمعت سُفْيان الثَّوري يقول: العالمُ طبيبُ هذه الأمة، والمالُ داؤها فإذا كان يجرُّ الداءَ إلى نفسه فكيف يعالج غيره؟!

قال أبو عمر: المال المذموم عند أهل العلم هو المطلوب من غير وجهه، والمأخوذ من غير حلّه، والآثار الواردة بذم المال:

١٥٣ ـ نحو قول رسول الله ﷺ: «الدِّينارُ والدِّرهمُ أهلكا من كان قبلكم وإنَّهما مهلكاكم»[2].

١٥٤ ـ ونحو قوله عليه السلام: «ما ذئبان جائعان أرسلا في حظيرة غنمٍ بأفسدَ لها من حبّ المرءِ للمال والشَّرف»[3]. وما كان في معناه من حديثه ﷺ.

ونحوَ قولِ عمر بن الخطاب: ما فتح الله الدِّينار والدِّرهم أو الذَّهب والفِضَّة على قوم إلَّا سَفَكوا دماءَهم وقطَعُوا أرحامَهُم.

ونحو هذا مما رُوِيَ عنه وعن غيره من السّلف في هذا المعنى، فوجّه ذلك كلّه عندَ أهلِ العلم والفَهْم في المال المكتسب من الوجوه التي حرّمها الله، ولم يبحها، وفي كل مالٍ لم يطع اللّهَ جامعُه في كسبه، وعصى ربَّه من أجله وبسببه، واستعان به على معصية الله وغضبه، ولم يؤدّ حقَّ الله وفرائضَه فيه ومنه، فذلك هو المالُ المذمومُ، والمكسبُ المشؤوم، وأما إذا كان المال مكتسباً من وجهِ ما أباح الله، وتأدَّت منه حقوقُه، وتقرّب فيه إليه بالإنفاق في سُبله، ومرضاته، فذلك

---

(١) العِجلي، الكوفي، صدوق، عابد، مات سنة ١٨٩ هـ بعد أن فُلِجَ وتغير حفظه. «التقريب».(٥٩٨) و«الأعلام» (١٧٧/٨).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١/٢) (م).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١/٢).

المالُ محمود، ممدوحٌ كاسبُه ومنفقُه. لا خلافَ بين العلماء في ذلك ولا يخالف فيه إلا من جهل أمرَ الله وقد أثنى الله على إنفاق المال في غير آية من كتابه، ومحالٌ أن ينفقَ من لا يكتسب.

قال الله عز وجل: ﴿الَّذِيْنَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ في سبيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلاَ أَذىً﴾[1] الآية. وقال: ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهم بالليلِ والنَّهارِ سِراً وَعَلاَنِيَةً﴾[2] وقال: ﴿لاَ يَسْتَوي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾[3] وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهم﴾[4] الآية. وقال: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[5] وقال: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ويُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[6] وقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فيضاعفَهُ لَهُ﴾[7] الآية.

وما في القرآن من هذا المعنى كثير جداً وكذلك السُّنَنَ الصِّحاح كلها تنطق بهذا المعنى، وهو الثابت عن الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين.

١٥٥ ـ قال ﷺ: «كل معروف صدقة»[8].

١٥٦ ـ وقال: «اليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى»[9]. واليدُ العليا المعطيةُ واليَدُ السفلى السائلة.

١٥٧ ـ وقال لسعد بن أبي وقاص[10]: «لأَنْ تَدَعَ ورثَتَك أغنياءَ خيرٌ من أن

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦٢).
(٢) سورة البقرة: الآية (٢٧٤).
(٣) سورة الحديد: الآية (١٠).
(٤) سورة الأنفال: الآية (٧٢).
(٥) آل عمران: الآية (٩٢).
(٦) سورة البقرة: الآية (٢٧٦).
(٧) سورة البقرة: الآية (٢٤٥).
(٨) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٢/٢) (م).
(٩) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله» (١٢/٢) (م).
(١٠) واسم أبي وقاص: مالك بن وهيب القرشي الزهري، وسيدنا سعد أحد العشرة الكرام، وهو أول من أراق دماً في سبيل الله، مات سنة ٥٤ هـ. وقيل أكثر. «أسد الغابة» [٣٦٦/٢ و«تهذيب التهذيب» ٤٨٣/٣].

تدعَهم عالةً يتكفَّفُون الناس وإنك لن تنفق نفقة إلا أُجرت فيها»[1] الحديث.

١٥٨ ـ وقال ﷺ: «أفضلُ درهمٍ درهمٌ تنفقه على عيـالـك»[2].

والآثار في هذا متواترة جداً.

١٥٩ ـ وقال ﷺ لعمرو بن العـاص: «هل لـكَ أنْ أُرْسلكَ في جيشٍ يُغْنِمُك اللَّهُ ويسلمُكَ وأرغبُ لك من المال رغبة صالحة فنعم المالُ الصالحُ للرَّجل الصالح»[3].

وقال أبو بكر الصديق[4] لعائشةَ ـ رضيَ الله عنهما ـ ما أحدٌ من خلق الله أحبُّ إليَّ غنىً بعدي منك ولا أعز عليّ فقراً بعدي منك.

وكان رسول الله ﷺ يدّخر مما أفاء الله عليه من صفاياه من فَدَك وغيرها قوتَ سنة ويجعل الباقي في الكُرَاع[5] والسلاح في سبيل الله، وهذه آثار مشهورة كرهت سياقَها بأسانيدها خشيةَ التطويل.

وعن حكيم بن قيس بن عاصم أنَّ أباه قال: يا بنيَّ عليكُم بالمال فإنّه مَنْبهةٌ للكريم ويُسْتَغْنى به عن اللئيم.

وعن ابن سيرين قال: كان ممن ترك الصامتَ[6] عبدُ الرّحمن بن عوف، وكان ممن لم يدَعْ صامتاً أبو بكر وعمرَ.

وعن عمر بن صالح بن إبراهيم قال: صالحنا امرأة عبد الرحمن بن عوف التي طلَّقها في مرضه من ربع الثمنُ على ثلاثة وثمانين ألفاً.

وعن كعب قال: كان للزُّبير ألفُ مملوك يؤدُّون الخَراجَ لم يكن يُدْخِل بيتَهُ منها درهماً.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٢) وانظر جامع الأصول» (٦/٦٢٦) (م).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٢) (م).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٢) (م).

(٤) هو أول الخلفاء الرّاشدين واسمه عبد الله بن أبي قحافة عثمان، مات سنة ١٣ هـ. «التقريب» [٣١٣].

(٥) الكُرَاع: اسم يجمع الخيل. «اللسان» (كرع).

(٦) الصَّامِتُ: الذهب والفضّة. «اللسان» (صمت).

وعن نافع: أن ابناً لعمرَ باعَ ميراثه من ابن عمر بمئة ألف درهم.

وعن قُرَّة بـن خالد[1] قال: سألنا الحسن أأوصى عمر بن الخطاب بثلث ماله أربعين ألفاً؟ قال: والله لماله كان أيسر من أن يكون ثلثه أربعين ألفاً ولكنّه لعله أوصى بأربعين ألفاً فأجازوها.

وعن زرّ قال: مات ابنُ مسعود وتركَ سبعينَ ألفِ درهم.

وعن سعيد بن المسيَّب قال: لا خيرَ فيمن لا يجمع المالَ يكفُّ به وجهَه ويؤدّي أمانته. (قف على قول ابن المسيب)

وعنه أيضاً: أنه ترك أربعمئة دينار وقال: إني والله ما تركتها إلا لأصونَ بها عرضي أو وجهي.

وعن أبي قِلَابة قال: لا تضرُّكم دنيا إذا شكرتموها لله.

وقال أيوب: كان أبو قِلَابة يقول لي: يا أيوب الزم سوقَك فإن الغنى من العافية.

وفي رواية فإن فيها غنىً عن النّاس وصلاحاً في الدّين.

وكان عبد الرحمن بن أبْزَى[2] يقول: نعم العون على الدّين اليسار.

وعن أبي ظبيان الأزدي قال: قال لي عمر بن الخطاب: ما مالك يا أبا ظبيان قال: قلت: أنا في ألفين وخمسمئة قال: فاتخذ سائماً فإنه يوشك إن يجيء أغيلمة من قريش يمنعون هذا العطاء.

وعن ابن شهاب أنّ سليمان بن عبد الملك أخبره أن عبد الرحمن بن هبيرة أخبره أن عبد الله بن عمر ركب الغابة فمَرَّ على ابن هبيرة، وهو في بيته، فقال: ألا تركب معنا فركب معه حماراً فسرنا فسكتُّ أحدّثُ نفسي. قال عبد الله بن عمر:

---

(١) السدوسي البصري، ثقة. مات سنة ١٥٥ هـ. «التقريب» [٤٥٥].

(٢) الخزاعي، مولاهم، صحابي. «التقريب» [(٣٣٦) وفيه: صحابي صغير، وكان في عهد عمر رجلاً، وكان على خراسان لعليّ].

ما لكَ؟ قلت: سكتُّ أتمنّى، قال ابن عمرو: لو كان عندي أُحُدٌ ذهباً أعلم عدده وأُخرج زكاته ما كرهت ذلك أو ما خشيت أن يضرَّني.

١٦٠ ـ وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من رُزِقَ الدُّنيا على الإخلاص لله وحدَه وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، مات والله عنه راض»[١].

وعن يوسف بن أسْباط قال: قال لي سُفْيان الثَّوري: لأَنْ أخلِّفَ عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحبُّ إليّ من أنْ احتاجَ إلى الناس.

وعن سعيد بن الجهم الجيزي قال: جمع عبد الرحمن بن شُريح وعمرو بن الحارث الصفَّ في المسجد فلمّا سلَّم الإمام قال ابن شريح لعمرو بن الحارث: يا أبا أميّة ما تقول في رجل ورث مالاً حلالاً فأراد أن يخرجَ من جميعه إلى الله زهداً في الدنيا ورغبة فيما عنده؟ قال: لا يفعلُ قال: ابن شريح، فقلت: لعمرو سبحان الله لا يفعل لا يزهد في الدنيا، فقال عمرو بن الحارث: ما أدّب الله به نبيه ﷺ أفضل من ذلك قال الله تبارك وتعالى: **﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾**[٢] ولكن يقدِّمُ بعضاً ويُمسِكُ بعضاً.

قال أبو عمر: هذه الآثار كلها إنما أوردناها هاهنا؛ لئلَّا يظن ظانّ جاهل بما يقرأ في هذا الباب أنَّ طلبَ المال من وجهه للكفاف والاستغناء عن الناس هو طلب الدنيا المكروه الممنوع منه، فإنه ليس كذلك. رحم الله أبا الدَّرْداء حيث يقول: من فِقْهِ الرَّجلِ المسلمِ استصلاحُهُ معيشتَهُ.

وقال أيضاً: صلاحُ المعيشة من صلاح الدّين وصلاحُ الدّين من صلاح العقل.

وقال الشاعر الحكيم:

ألا عائذاً بالله من بطَرِ الغنى ومن رغبةٍ يوماً إلى غير مَرْغب

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٤) (م).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٢٩).

وعن علي بن أبي جَمْلة قال: لما قَفَل النَّاسُ من القُسْطَنْطينيّة[1] لقيت يحيى بن راشد[2] أبا هشام الطَّويل فقال لي: وجدت الدين الخير.

قال: ورأيت بلالَ بن أبي الدَّرداء أميراً على دمشقَ.

وقال أبو الدرداء: ليس من حبِّك الدنيا التماسُك بما يصلحك منها.

وكان يقول: من فقهك عويمرُ إصلاحُك معيشتَك.

وقال عمر بن الخطاب: يا معشرَ القرّاء استبقوا الخيرات وابتغوا من فضل الله ولا تكونوا عيالاً على النَّاس.

ولقد أحسن منصور الفقيه في قوله وقد تنسب لغيره.

أفضل من ركعتي قنوت ونيل حظٍ من السُّكوت
ومن رجال بَنَوْا حصوناً
تصونهم داخلَ البيوت غدوُّ عبدٍ إلى معاشٍ
يرجعُ منه بفضل قوت

وهذا مما لا خلافَ فيه بين علماء المسلمين قديماً وحديثاً، وقد اختلف النَّاس في حدود الزهد والعبارة عنه بما يطولُ ذكرُه. وأحسنُ ما قيل فيه قول ابن شهاب: الزُّهد في الدُّنيا أن لا يغلبَ الحرامُ صبرَك ولا الحلالُ شكرَك. (قف على قول ابن شهاب)

وكان سُفيان الثَّوري ومالك بن أنس يقولان: الزهدُ في الدُّنيا قِصَرُ الأمل.

وعن إبراهيمَ بن الأشْعث قال: سألت فُضَيْل بن عيّاض عن الزُّهد فقال: الزُّهد القَنَاعَةُ، وفيها الغنى. قال: وسألتُه عن الورع فقال: اجتناب المحارم.

والآثار عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين في فضل الصّبر عن الدنيا، والزهد فيها، وفضل القناعة، والرضا بالكفاف، والاقتصار على ما يكفي دون التكاثر الذي يُلهي ويُطغي، أكثر من أن يحيطَ بها

---

(١) أي من حصارها على عهد معاوية بن أبي سفيان (م).

(٢) البصري، أبو بكر، مستملي أبي عاصِمَ، صدوق. مات سنة ٢١١ هـ. «التقريب» [٥٩٠].

كتابٌ أو يشتملَ عليها باب، والذين زوَىٰ الله عنهم الدنيا من الصحابة أكثر من الذين فتحها عليهم أضعافاً مضاعفة.

١٦١ ـ روينا عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الله ـ عز وجل ـ لَيَحْمي عبدَه الدّنيا كما يحمي أحدُكم مريضَه الطعام يشتهيه»(١).

وهذا ـ والله أعلم ـ نظرٌ منه ـ عزَّ وجلَّ ـ لذلك العبد فربَّ رجلٍ كان الغنى سبب فِسْقه وعِصيانه لربه وانتهاكه لحُرَمِهِ، وربَّ رجلٍ كان الفقرُ سبب ذلك كله له وربما كان سبب كفره وتعطيل فرائضه، وهما طرفان مذمومان عند العلماء.

١٦٢ ـ وقد روي عن النبي ﷺ ما يدل على ذلك من قوله عليه السلام: «اللهمَّ إني أعوذُ بك من غنىً مبطر مطغٍ وفقرٍ منسٍ»(٢).

١٦٣ ـ وكان ﷺ يقول: «اللهمَّ إني أعوذُ بك من الجوع فإنه بئس الضجيعُ وأعوذُ بكَ من الخيانة فإنَّها بئستِ البطّانة»(٣).

١٦٤ ـ وكان من دعائه ﷺ: «اللهمَّ إنّي أعوذُ بكَ من الفَقْر والفاقة والقِلَّة والذلَّة وأن أَظلم أو أُظلم أو أجهلَ أو يُجْهلَ عليّ»(٤).

١٦٥ ـ وكان من دعائه ﷺ: «اللهمَّ إنّي أسأَلُكَ الهدى والتُّقى والعافية والغنى»(٥).

والدَّليل على أن التقلُّل من الدنيا والاقتصادَ فيها والرضا بالكفاف منها والاقتصارَ على ما يكفي ويغني عن الناس أفضلُ من الاستكثار منها والرغبة فيها. وأقرب إلى السلامة ما رويناه بسندنا.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٦/٢) (م).
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٦/٢) (م).
(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٦/٢) وهو حديث حسن (م).
(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٦/٢) (م).
(٥) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٦/٢) (م).

١٦٦ - عن أسامة بن زيد[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «قمتُ على باب الجنَّة فإذا عامّةُ من دخلَها المساكينُ وإذا أصحابُ الجَدّ[٢] محبوسون إلا أصحاب النار، فقد أُمِرَ بهم إلى النّار، وقمت على باب النار، فإذا عامةُ من دخلها النِّساء»[٣].

١٦٧ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقِيدُ[٤] سَوْطِ أحدكم في الجنَّة خيرٌ من الدنيا وما فيها»[٥].

وروينا عن عبد الرحمن بن عوف[٦] أنه لما حضرته الوفاةُ بكىٰ بكاءً شديداً. فقيل له: ما يبكيك يا أبا محمد؟ فقال: كان مُصْعبُ بن عُمَير خيراً مني، توفّي ولم يترك ما يكفَّن فيه، ولم توجد له إلا بُرْدَةٌ، كان إذا غُطِّيَ بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطّيتِ بها رجلاه بدا رأسه، وبقيت بعده حتى أصبتُ من الدنيا وأصابت مني، وما أَحْسَبُني إلا سَأُحْبَسُ عن أصحابي بما فتح الله عليّ من ذلك، وجعل يبكي حتّى فاضَتْ نَفسُهُ وفارق الدُّنيا - رحمة الله عليه -.

١٦٨ - وعن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ الرِّزق ما يكفي وأفضلُ الذِّكر الخفي»[٧].

١٦٩ - وعن أبي هُرَيرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اللهمَّ اجعلْ رزقَ آلِ محمدٍ قُوتاً»[٨].

١٧٠ - وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُبَشِّرَكم يا معشرَ الفقراء؟ إنَّ فقراء المؤمنين يدخلُون الجنَّة قبلَ أغنيائهم بنصفِ يومٍ خمسمئة عام»[٩].

---

(١) ابن حارثة الكلبي الأمير الصحابي المشهور. مات سنة ٥٤ هـ. «التقريب» [٩٨].
(٢) الجَدّ: معناه هنا الغِنَى لا يختلفون فيه، هـ من الأصل. [والجَدُّ: الرزق والحظوة. اللسان (جدد)].
(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٧) (م).
(٤) أي قَدْر. [اللسان: قيد. وفيه الحديث].
(٥) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٧) (م).
(٦) القرشي الزهري أحد العشرة، أسلم قديماً ومناقبه شهيرة. مات سنة ٣٢ هـ. «التقريب» [٣٤٨].
(٧) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٨) (م).
(٨) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٨) (م).
(٩) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٨) (م).

فهذه الآثار تؤيد بعضُها في فضل القناعة والرّضى بالكفاف.

١٧١ ـ وعن خولَة بنت حكيم [(١)] عن النّبي ﷺ قال: «إنَّ الدُّنيا خَضِرة حلوةٌ فمن أخَذَها بحقِّها بورِكَ له فيها وربَّ متخوّض في مال الله ورسولِهِ له النَّارُ يومَ يلقاه» [(٢)].

وعن شقيق قال: دخل معاوية على خاله أبي هاشم بن عُتْبة يعوده، فبكى. فقال له معاويةُ: ما يبكيك يا خالي أوجعٌ تجدُه أم حرصٌ على الدنيا؟ قال: كلاً. ولكنَّ النبي ﷺ عهدَ إليّ فقال: يا أبا هاشم إنها لعلّك تدركُكَ أموالٌ يؤتاها أقوامٌ فإنما يكفيك من المال خادمٌ ومركبٌ في سبيل الله وأراني قد جمعت.

١٧٢ ـ وعن بُرَيْدَةَ الأسلميّ [(٣)] عن النبي ﷺ قال: «يكفي أحدَكم من الدنيا خادمٌ ومركبٌ» [(٤)].

وعن سعيد بن المسيب أنَّ ابنَ مسعود وسعد بن مالك عادا سلمان [(٥)] قال: فبكى فقالا له: ما يبكيك؟ قال: عهدٌ عهدَ إلينا رسولُ الله ﷺ لم يحفظْهُ منّا أحدٌ. قال: «ليكن بلاغُ أحدِكم من الدّنيا كزاد الراكب» [(٦)]. أخذه أبو العتاهية فأحسن في قوله:

إذا كنتَ في الدّنيا بَصيراً فإنّما ... بلاغُك منها مثلُ زادِ المُسافرِ [(٧)]

وعن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن جدّه قال: أُتيَ عبد الرحمن بن عوف بطعام فقال: قتل مصعب بن عمير وكان خيراً منّي فلم يوجد له إلا بُرْدة يكفَّنُ بها، وقتل حمزةُ أو رجل آخر قال إبراهيم: أنا أشك، وكان خيراً مني، فلم يوجد له

---

(١) السُّلَمِيّة، صحابية مشهورة. «التقريب» [٧٤٦].
قلت: وانظر ترجمتها ومصادرها في «جامع الأصول» (١٣/٤٤٦ - ٤٤٧) (م).
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٨) (م).
(٣) صحابي أسلم قبل بدر، مات سنة ٦٣ هـ. «التقريب» [١٢١].
(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٩) (م).
(٥) يعني سلمان الفارسي.
(٦) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٩) (م).
(٧) «الديوان» (١٤٩).

إلا بردة يكفّن بها، ما أظننا إلا قد عُجِّلَتْ لنا طيباتُنا في حياتنا الدُّنْيا وجعل يبكي.

فإن ظنَّ ظانّ جاهلٌ أن الاستكثار من الدُّنيا ليس به بأس أو غلب عليه الجهل فظنَّ أن ذلك أفضل من طلب الكفاف منها وشُبِّه عليه بقول الله عز وجل: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾[1] فيما عدّد الله ـ عز وجل ـ على النبي ﷺ من نعمةٍ عنده، فإن ذلك ليس كما ظنّ وفي الآثار التي قدمنا ما يوضح لك أن الغِنَى ليس ما ذهب إليه، واحتسبه بل هو غنى القلب، فمن وضَعَ اللَّهُ الغنىٰ في قلبه فقد أغناه، وكان ﷺ أغنى عباد الله قلباً.

وقد روي عنه بذلك ﷺ آثارٌ كثيرة تدل على ما قلنا.

١٧٣ - منها ما رويناه بالسّند عن أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «ليسَ الغِنَى عن كَثْرة العَرَض[2] إنما الغنى غنى النفس»[3]. ولقد أحسن عثمانُ بن سعدان الموصلي في نظمه معنى هذا الحديث حيث يقول:

تقنَّعْ بما يكفيك واستعمل الرِّضا ... فإنَّكَ لا تدري أتصبحُ أم تُمْسي
فليس الغنى عن كثرة المال إنَّما ... يكونُ الغنى والفقر من قبل النفس

وأخذه الخليلُ بن أحمد أيضاً فقال في جوابه سليمانَ بن حبيب بن المهلّب[4]:

أبلغ سليمانَ أنّي عنه في سَعَةٍ ... وفي غِنىً غيرَ أني لستُ ذا مالِ
سخيٌّ بنفسي أني لا أرى أحداً ... يموت هزلاً ولا يبقى على حالِ[5]
الرزقُ عن قَدَرٍ لا العجزُ ينقصُه ... ولا يزيدك فيه جَوْلُ مُحْتَالِ[6]

---

(١) سورة الضحى: الآية (٨).

(٢) «العَرْض» بسكون الراء في المختصر، والأعلى بفتحها، وعَرَضُ الدنيا: ما كان من مال. «اللسان» (عرض).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٢٠) (م).

(٤) ابن أبي صفرة الأزدي والي فارس والأهواز، كان للخليل عليه راتب، فلما أرسل في استدعائه أجابه بهذه الأبيات، وهي في «ابن خلكان». انظر (٢/٢٤٦) مع اختلاف طفيف في اللفظ.

(٥) «شحا بنفسي» في «الوفيات» (٢/٢٤٦).

(٦) «حول محتال» في «الوفيات». وجول المجتال: التطواف. «اللسان» (جول).

والفقر في النفس لا في المال تعرفه   كذا يكون الغنى في النفس لا المالِ

وقال أبو بكر بن أبي أذَينة:

كم من فقيرٍ غنيّ النفسِ تعرفُه   ومن غنيٍّ فقيرِ النَّفسِ مِسْكِيْنِ

قال أبو عمر: كان فُضَيْل بن عَيّاض رحمه الله يقول: إنما الفقرُ والغنى بعد العُرْضِ على الله؛ أي: ذلك هو الفقر حقاً.

وقال محمود الورّاق:

الفقر في النفس وفيها الغنى   وفي غنى النفس الغنى الأكبرُ
من كان ذا مال كثير ولم   يقنع فذاك الموسر المعسر
وكل من كان قنوعاً وإن   كان مقلاًّ فهو المكثر

وقال أيضاً:

غِنَى النَّفْسِ يغنيها إذا كنت قانعاً   وليس بمغنيك الكثير مع الحرص

وقال أبو حاتم إذا كان ما يكفيك لا يغنيك فليس شيء في الدنيا يغنيك.

وقال أبو العتاهية في هذا المعنى:

إنْ كان لا يُغنيكَ ما يكْفِيْكا   فكلُّ ما في الأرض لا يُغْنيكَا

وقال:

حَسْبُك مما تبتغيه القوتُ   ما أكثرَ القوتَ لِمَنْ يموتُ(١)

وقال أبو فِرَاس الحَمْداني(٢):

غنى النّفس لمن يَعْقـ   ـل خيرٌ من غنى المَالِ
وفَضْلُ النَّاسِ في الأنْفُـ   ـسِ ليسَ الفضلُ في الحالِ(٣)

(قف على كلام سيدنا سليمان بن داود) وعن خيثمة قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: كلُّ العَيْشِ جَرَّبْنَاهُ لينَهُ وشديدَهُ فوجدناه يكفي منه أدناه.

(١) البيتان في الأرجوزة ذات الأمثال. ينظر «الديوان» (٤٤٦).
(٢) واسمه الحارث بن سعيد بن حمدان من أفراد الدهر. مات سنة ٣٤٧ هـ. «ابن خلكان» [٢/٥٨].
(٣) «الديوان» (٢٤٨) تحقيق د. محمد ألتونجي.

وقال أيضاً: أُوتينا مما أوتي النّاس، وما لم يؤتوا، وعُلِّمنا مما علم الناس، ومما لم يعلَّموا فلم نجد شيئاً أفضلَ من تقوى الله في السرِّ والعلانية وكلمةِ العدل في الرِّضى والغضب، والقصد في الفقر والغنى، ولا يضرُّ مع هذا مُلك.

والكلام في هذا الباب وتقصّي القول والآثار فيه لا سبيل إليه لخروجنا بذلك عن تأليفنا وعما له قصدنا وإنما حملنا على أن عرَّجنا على ذكرنا فيه المعنى الذي اعترضنا مما وصفنا وبالله التوفيق.

* *

بـــابُ
الخَبَر عن العلم أنَّه يقودُ إلى الله عزَّ وجلَّ علَى كلِّ حال

عن الربيع بن صَبِيْحٍ[1] قال: سمعتُ الحسنَ يقول: كنا نطلبُ العلمَ للدُّنْيا فجرَّنا إلى الآخرة.

وعن عبد الرزاق قال: سمعتُ مَعْمراً يقول: كان يقال: مَنْ طلبَ العلم لغير الله يأبى عليه العلم حتى يصيِّرَه إلى الله.

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: طلبنا هذا الأمر وليس فيه نيَّة ثم جاءت النيّة بعدُ.

وعن وكيع بن الجراح يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: كنا نطلب العلم للدنيا فجرَّنا إلى الآخرة.

وعن أبي الوليد الطيالسي: أنه سمع ابن عُيَيْنَةَ منذ أكثر من ستين سنة يقول: طلبنا هذا الحديث لغير الله فأعقبنا الله ما ترون.

وقال الحسن: لقد طلب أقوامٌ هذا العلم ما أرادوا به الله وما عنده، فما زال بهم حتى أرادوا به الله وما عنده.

* *

(١) بفتح الصاد، السَّعدي، البصري، صدوق، سيء الحفظ، كان عابداً مجاهداً، قال الرامَهُرْمُزي: هو أول من صنف الكتب بالبصرة، مات سنة ١٦٠ هـ. «التقريب» (٢٠٦).

بــابُ
معرفةِ أُصولِ العلمِ وحقيقتِهِ وما الذي يَقَعُ عليه اسمُ الفقه والعلمِ مطلقاً

١٧٤ - عن عبد الله بن عمرو بن العَاص: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «العلمُ ثلاثةٌ فما سوى ذلك فهو فضلٌ؛ آيةٌ محكمةٌ، وسنّةٌ، وفريضةٌ عادلة»[(١)].

١٧٥ - وعن سليمان بن محمد الخُزَاعي قال: حدثنا هشامُ بن خالد أبو مَرْوان القرشي قال: حدثنا بَقيّة[(٢)]، عن ابن جريج، عن عطاء، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ دخل المسجدَ فرأى جمعاً من الناس على رَجُلٍ فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله علاّمة. قال: وما العلاّمة؟ قالوا: أعلمُ النَّاس بأنساب العَرَب، وأعلمُ الناس بعربية، وأعلمُ الناس بشعر، وأعلم الناس بما اختلف فيه العربُ، فقال رسول الله ﷺ: «هذا علمٌ لا ينفعُ وجهلٌ لا يضرُّ»[(٣)].

قال أبو عمر: في إسناد هذا الحديث رجلان لا يحتج بهما وهما: سليمان وبَقيَّة، فإن صحَّ كان معناه: أنه علم لا ينفعُ مع الجهل بالآية المحكَمة والسُّنةِ القائمة والفريضة العادلة، ولا ينف في وجهٍ ما، وكذلك لا يضرُّ جهله في ذلك المعنى وشبهه وقد ينفعُ ويضرُّ في بعض المعاني لأَنّ العربية والنسبَ عنصرا علم الأدب.

وعن عبد الله بن عمر قال: العلمُ ثلاثةُ أشياء: كتابٌ ناطقٌ، وسنَّةٌ ماضية، ولا أدْري.

١٧٦ - وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إنما الأُمورُ ثلاثة أمرٌ تبيّنَ لك

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٢٢) (م).
(٢) بقيَّةُ بن الوليد بن صائد بن كعب الكلاعي أبو يُحْمَد، صدوق كثير التدليس عن الضعفاء. مات سنة ١٩٧ هـ. «التقريب» (١٢٦) و«الأعلام» (٢/٦٠).
(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٢٣) (م).

رُشْدُه فاتّبعه، وأمرٌ تبين لك زَيْغُه فاجتنبْه، وأمر اختلف فيه فكِلْهُ إلى عالمه»[1].

١٧٧ ـ وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لَنْ تَضِلُّوا ما تمسّكتم بهما؛ كتابَ الله وسُنَّةَ نبيّه ﷺ»[2].

١٧٨ ـ وعن أبي بَصْرَةَ الغِفّاري[3] عن النبيّ ﷺ قال: «سألتُ ربّي ألا تجتمعَ أمتي على ضلالة فأعطانيها»[4].

وفي كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عروة: كتبتَ تسألني عن القضاء بين الناس وإنّ رأس القضاء اتّباعُ ما في كتاب الله ثم القضاء بسنّة رسول الله ﷺ ثم بحكم أئمة الهُدَى، ثم استشارة ذوي العلم والرأي.

وعن سفيان بن عيينة قال: كان ابن شُبْرُمَة يقول:

ما في القَضَاءِ شَفَاعةٌ لمخاصم ... عندَ اللّبيب ولا الفقيه العالم
أهونْ علي إذا قضيت بسنّةٍ ... أو بالكتاب برغم أنف الراغم
وقضيتَ فيما لم أجد أثراً به ... بنظائر معروفةٍ ومعالمِ

وعن ابن وهب قال: قال لي مالك: الحَكَمُ الذي يحكم به بين النّاس حكمَان: ما في كتاب الله أو أحكمته السنّة فذلك الحكم الواجب لك الصواب، والحكم الذي يجتهد فيه العالم رأيه فلعله يوفّقُ، وثالثٌ متكلّفٌ فما أحْراه ألاّ يوفّقَ.

وقال مالك: الحكمةُ والعلمُ نورٌ يهدي به الله من يشاء، وليس بكثرة المسائل.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٢٤) (م).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٢٤) (م).

(٣) واسمه حُمَيْل، وقيل: جميل والأول أصح، صحابي سكن مصر وبها توفي. «التقريب» [١٨٣] و«أسد الغابة» [٢/٦١].

(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٢٤) (م).

وقال ابن وهب في موضع آخر: سمعت مالكاً يقول: ليس الفقه بكثرة المسائل، ولكن الفقه يؤتيه الله من يشاء من خلقه.

قال ابن وضّاح: وسئل سَحْنون: أَيَسَعُ العالمُ أن يقولَ: لا أدري فيما يدري؟ فقال: أمَّا ما في كتابٍ قائم أو سُنّة ثابتة فلا يَسَعُه ذلك، وأما ما كان من هذا الرأي فإنه يَسَعُه ذلك؛ لأنه لا يَدْري أمصيبٌ هو أم مخطىء.

وذكر ابن وهب في كتاب العلم من جامعه قال: سمعتُ مالكاً يقول: إنَّ العلم ليس بكثرة الرواية ولكنَّه نورٌ جعله الله في القلوب.

وعن عَوْن بن عبد الله قال: قال عبد الله بن مسعود: ليس العلمُ عَنْ كثرة الحديث[1] إنما العلمُ خشيةُ الله.

وعن أبي فِزَارة[2] قال: قال ابنُ عبَّاس: إنَّما هو كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ فمن قال بعد ذلك شيئاً برأيه فما أدري أفي حسناته يجده أم في سيئاته.

(قف على قول الشافعي)

وعن المزني والرَّبيع بن سُلَيمان قالا: قال الشافعيُّ: ليس لأحدٍ أن يقولَ في شيء حلالٌ ولا حرامٌ إلا من جهة العلم، وجهة العلم ما نص في الكتاب أو في السنة أو في الإجماع، فإن لم يوجد في ذلك فالقياس على هذه الأصول ما في معناها[3].

قال أبو عمر: أما الإجماع فمأخوذ من قول الله: ﴿ويَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيْلِ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾[4] لأن الاختلاف لا يصحُّ معه هذا الظاهر، وقولُ النبيِّ ﷺ: «لا تجتمعُ أُمّتي على ضلالة»[5] وعندي أنّ إجماع الصّحابة لا يجوزُ خلافهم ـ والله أعلم ـ؛ لأنه

---

(١) وفي رواية بكثرة الرواية.

(٢) أبو فزراة العبسي، راشد بن كيسان، ثقة. «التقريب» (٢٠٤).

(٣) هذه العبارة في أول كتاب (الأم) للإمام الشافعي، انظر الصفحة (١٨) من رسالة الإمام الشافعي المطبوعة بمصر سنة ١٣١٥ هـ.

(٤) في المختصر والأصل «وَمَنْ» سورة النساء: ١١٥. والآية: ﴿ومَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مَن بَعْدِ ما تبيَّن لَهُ الْهُدَىٰ، ويَتَّبِعْ غيرَ سبيل المؤمنين نُوَلِّهِ مَا تولَّى ونُصْلِهِ جهنَّم وسَاءَتْ مَصِيْرا﴾.

(٥) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٢٦) (م).

لا يجوز على جميعهم جهل التأويل، وفي قول الله تعالى: **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ﴾**[1] دليل على أنَّ جماعتَهم إذا اجتمعوا حجةٌ على من خالفهم كما أنّ الرسولَ حجةٌ على جميعهم، ودلائلُ الإجماع من الكتاب والسنَّة كثيرٌ ليس كتابُنا هذا موضعاً لتفصيلها وبالله التوفيق.

وقال محمد بن الحسن: العلمُ على أربعةِ أوجه؛ ما كان في كتاب الله الناطق، وما أشبهه وما كان في سنَّة رسول الله ﷺ المأثورة، وما أشبهها، وما كان فيما أجمع عليه الصَّحابةُ ـ رحمهم الله ـ وما أشبهه، وكذلك ما اختلفوا فيه لا يخرج عن جميعه فإذا وقع الاختيار فيه على قول فهو علم نقيس عليه ما أشبهه، وما استحسنه عامة فقهاء المسلمين وما أشبهه وكان نظيراً له.

قال: ولا يخرج العلم عن هذه الوجوه الأربعة.

قال أبو عمر: قول محمد بن الحسن وما أشبهه يعني ما أشبه الكتاب وكذلك قوله في السُّنَّة وإجماع الصحابة يعني ما أشبه ذلك كلّه فهو القياس المختلف فيه في الأحكام، وكذلك قول الشافعي أو كان في معنى الكتاب والسنة هو نحو قول محمد بن الحسن، ومراده من ذلك القياس عليها وليس هذا موضع القول في القياس، وسنفرد لذلك باباً كافياً في كتابنا، إن شاء الله. وإنكار العلماء للاستحسان أكثر من إنكارهم للقياس وليس هذا موضع بيان ذلك.

١٧٩ ـ وعن أبي هريرة أنه قال: يا رسول الله من أسعدُ النَّاس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة أنه لا يسألني عن هذا الحديث أحد أوَّل منك لِمَا رأيتُ من حرصك على الحديث إنَّ أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قِبَلِ نَفْسِهِ»[2].

وفي رواية عنه قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ: ماذا ردَّ إليك ربُّك في الشَّفاعة؟

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٤٣).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٢٧) (م).

فقال: «والّذي نفسُ محمدٍ بيده لقد ظننْتُ أنّك أولُ من يسألني عن ذلك لما رأيتُ من حرصك على العلم»(١) وذكر الحديث.

قال أبو عمر: في الخبر الأول لِمَا رأيت من حرصك على الحديث، وفي هذا لما رأيتُ من حرصك على العلم، فسمّى الحديث علماً على الإطلاق، ومثل ذلك قوله ﷺ «نَضَّرَ اللَّهُ عبداً سمعَ مقالتي فوعاها ثم بلَّغها غيرَه فرُبَّ حاملِ فقهٍ غير فقيه، ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هُوَ أفقه منه»(٢) فسمّى الحديث فقهاً مطلقاً وعلماً وكذلك قوله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص إذ أذن له أن يكتب حديثه: قيّد العلم فقال له يا رسول الله، وما تقييده؟ قال: الكتابُ فأطلق على حديثه اسم العلم لمن تدبَّره وفهمَه.

١٨٠ - وعن أُبيٍّ بن كعب(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: أبا المنذر أيَّ آيةٍ مَعَكَ في كتابِ الله أعظمُ مرتين؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَه إلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوم﴾(٤). قال: فضربَ في صدري وقال: ليهنِكَ بالعلم أبا المنذر، وذكر تمام الحديث(٥).

وعن داود بن أبي عاصم(٦) أن أبا سلمة بن عبد الرحمن قال: بينا أنا وأبو هريرة عند ابن عباس جاءتْهُ امرأةٌ فقالت: توفّي عنها زوجُها وهي حاملٌ، فذكرت أنها وضعت لأدنى من أربعةِ أشهر من يوم مات عنها زوجها فقال ابن عباس: أنتِ لآخر الأَجلين. قال أبو سلمة: فقلت: إنَّ عندي من هذا علماً وذكر حديث سُبَيْعَةَ الأسلميَّة(٧).

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٧/٢) (م).
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٧/٢) (م).
(٣) الأنصاري الخزرجي سيد القراء ومن أعيان الصحابة، يكنى أبا المنذر. مات سنة ١٩ هـ وقيل أكثر. «التقريب» [٩٦].
(٤) سورة البقرة: الآية (٢٥٥).
(٥) ذكره ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٧/٢).
(٦) ابن عروة بن مسعود الثقفي المكي. «التقريب» [١٩٩].
(٧) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٧/٢ - ٢٨) (م).
وقد ذكر هذا الحديث البخاري في صحيحه في باب «وأولات الأحمال أجلهنّ أن يضعن أحمالهن» وإليك نصُّ بعض طرقه: حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن يزيد أن ابن شهاب كتب إليه: أن =

وعن ابن عباس أن عمر بن الخطاب حين خرج إلى الشام فأُخبر أن الوباء وقع فيها، واختلف عليه أصحابُ رسول الله ﷺ جاء عبدُ الرحمن بن عوف فقال: إن عندي من هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض» وذكر الحديث»[1].

وعن عطاء بـن أبي رَبَاح في قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿فإنْ تَنَازَعْتُمْ في شَيْءٍ فردُّوْهُ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[2]. قال: إلى الله؛ إلى كتاب الله وإلى الرسول قال: ما دام حياً فإذا قبض، قال: سنّته.

وعن عبد الواحد بن سليمان قال: سمعتُ ابنَ عون يقول: ثلاثٌ أُحبُّهُنَّ لي ولإخواني: هذا القرآن يتدبره الرجل ويتفكر فيه فيوشك أن يقع على علم لم يكن يعلمه؛ وهذه السنَّة يتطلبها ويسأل عنها؛ ويذر النَّاس إلا من خير.

قال أحمد بن خالد: هذا هو الحق الذي لا شك فيه.

قال: وكان ابن وضاح يعجبه هذا الخبر ويقول جيد جيد.

وكان يحيى بن أكـثم[3] يقول: ليس من العلوم كلها علم هو واجب على العلماء وعلى المتعلمين وعلى كافة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه؛ لأن الأخذَ بناسخه واجبٌ فرضاً، والعملُ به واجب لازم ديانة، والمنسوخُ لا يُعْمل به ولا ينتهى إليه؛ فالواجبُ على كل عالم علمُ ذلك، لئلّا يوجب على نفسه وعلى عباد الله أمراً لم يوجبه الله أو يضعَ عنهم فرضاً أوجَبَهُ الله.

وعن عطاء في قوله ـ عز وجل ـ ﴿أَطِيْعُوا اللَّهَ وأَطِيْعُوا الرَّسُولَ﴾[4] قال:

= عبيد الله بن عبد الله أخبره عن أبيه، أنه كتب إلى ابن الأرقم أن يسأل سُبَيْعَةَ الأسْلَمِيّة، كيف أفتاها النبيﷺ، فقالت: أفتاني إذا وضعت أن أنكح.

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٢٨) (م).

تتمة الحديث كما في البخاري: «فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه».

(٢) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٣) التميمي المروزي القاضي المشهور، فقيه، صدوق، مات سنة ٢٤٢ هـ. «التقريب» [٥٨٨].

(٤) سورة النّساء: الآية (٥٩).

إطاعة الله ورسوله اتباع الكتاب والسنة ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1] قال: أُولي العلم والفقه[2].

وعن جابر بنِ عبد الله قال: أُولي الخير.

وعن بَقِيَّةَ بن الوليد قال: قال لي الأوزاعي: يا بقيَّة العلمُ ما جاءَ عن أصحاب محمد ﷺ وما لم يجيء عن أصحاب محمد فليس بعلم، يا بَقِيَّة لا تذكر أحداً من أصحاب محمد نبيك ﷺ إلَّا بخير، ولا أحداً من أمَّتك وإذا سمعتَ أحداً يقعُ في غيره فاعلم أنه إنما يقول: أنا خيرٌ منه.

وعن قتادة في قوله عز وجل: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾[3]. قال: أصحاب محمد[4] ﷺ.

ـ وعن ابن المسيَّب أنَّه سئل عن شيء. فقال: اختلف فيه أصحاب رسول الله ﷺ، ولا أرى لي معهم قولاً.

قال ابنُ وضَّاح: هذا هُوَ الحقُّ.

قال أبو عمر: معناه ليس له أن يأتي بقول يخالفهم به.

وعن سعيد بن جُبَيْر قال: ما لم يعرفِ البَدْرِيُّونَ فليسَ من الدِّين.

وعن ابن عباس في قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[5] قال: هم الذين هاجروا مع محمد ﷺ.

وعن عبد الله بن الزُّبير قال: أنا والله لمع عثمان بالجُحْفَةِ[6] ومعه رَهْطٌ من

---

(١) الآية نفسها.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٢٦٠).

(٣) سورة سبأ: الآية (٦).

(٤) قاله ابن عباس. وقيل: جميعُ المسلمين، وهو أصحُّ لعمومه. «القرطبي» (١٤/٢٦١).

(٥) سورة آل عمران: الآية (١١٠).

(٦) الجُحْفَةُ: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة، على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام؛ إن لم يمروا على المدينة، فإن مرّوا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة. «معجم البلدان» (٢/١١٠).

أهل الشام، وفيهم حبيب بن مسلمة الفِهري[1]، إذ قال عثمان وذكر له التمتُّع بالعُمْرة إلى الحج: أن أتمُّوا الحجَّ وخلِّصوه في أشهر الحجّ فلو أخرتم هذه العمرة حتى تزوروا هذا البيت زَوْرَتين كان أفضل، فإنَّ الله قد وسَّع في الخير. فقال له علي: عمدت إلى سُنَّةِ رسول الله ﷺ ورخصةً رخَّص للعباد بها في كتابه تضيِّقُ عليهم فيها وتنهى عنها، وكانتِ لذي الحاجة ولنائي الدار، ثم أهلَّ بعمرة وحجَّة معاً فأقبل عثمانُ على الناس فقال: وهل نَهيتُ عنها؟ إني لم أنهَ عنها إنّما كان رأياً أشرتُ به فمن شاء أخذ به ومن شاء تركه. قال: فما أنسى قولَ رجل من أهل الشام مع حبيب بن مسلمة: أنظر إلى هذا كيف يخالفُ أميرَ المؤمنين والله لو أمرني لضربت عنقه، قال: فرفع حبيب يده فضرب بها في صدره، وقال: اسكت فضَّ الله فاك فإنّ أصحاب رسول الله ﷺ أعلمُ بما يختلفون فيه.

وعن ابن جريج قال: سُئلَ عطاءٌ عن المستحاضة. فقال: تصلِّي وَتَصُومُ وتقرأُ القرآن وتستثْفِرُ بثوب، ثم تطوف، فقال له سليمان بن موسى: أيحِلُّ لزوجها أن يصيبَها قال: نعم. قال سليمان: أرأي أم علم. قال: بل سمعنا إنها إذا صامت وصلَّت حلَّ لزوجها أن يُصيْبها.

وعن ابن جريج قال: سألتُ عطاءً عن رجل غريب قدم في غير أشهر الحج معتمراً ثم بدا له أن يحجَّ في أشهر الحَجّ أيكونُ متمتعاً؟ قال: لا يكون متمتعاً حتى يأتي من ميقاته في أشهر الحج قلت: أرأيٌ أم علم؟ قال: بل علم.

وعن ابن سيرين أنه سئل عن المتعة بالعمرة إلى الحج قال: كرهها عمرُ بن الخطاب وعثمانُ بن عفان فإن يكن علماً فهما أعلم مني وإن يكن رأياً فرأيهما أفضل.

وعن الأعمشِ قال: سمعتُ أبا وائلٍ شقيق بن سَلَمة يقول: لما كان يومُ

(١) القرشي المكي، نزيل الشام، وكان يسمى حبيب الروم لكثرة دخوله عليهم مجاهداً، مختلف في صحبته، والراجح ثبوتها، لكنه كان صغيراً، مات بأرمينية أميراً عليها لمعاوية سنة ٤٢ هـ. «التقريب» (١٥١).

صِفّين وحكمَ الحكمان(١)، سمعت سهل بن حُنَيْف(٢) يقول: يا أيُّها النَّاس اتَّهمُوا رأيكم فلقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ يوم أبي جَنْدلٍ(٣) ولو نستطيع أن نردّ على رسول الله ﷺ أمرَه لردَدْناه. وذكر الحديث.

وعن طَلْقِ بنِ غنَّام(٤) قال: أبطأ حفصُ بن غِياث(٥) في قضية. فقلت له: فقال: إنما هو رأيٌ ليس فيه كتابٌ ولا سنّةٌ وإنما أحزّ في لحمي فما عجلتي.

وعن أحمد بن محمد بن هانىء أبي بكر الأثرم(٦) قال: سمعتُ أبا عبد الله يعني أحمدَ بن حنبلَ، وقد عاوده السائلُ في عشرة دنانير ومئة درهم، فقال أبو عبد الله برأي: أستعفي منها وأخبرك أنّ فيها اختلافاً وأنّ من الناس من قال يزكي كل نوع على حدة ومنهم من يرى أن يجمع بينهما وتلحُّ عليّ. تقول: فما تقول أنت فيها؟ وما عسى أن أقول فيها أنا أستعفي منها كلٌ قد اجتهد فقال له رجل: ولا بدَّ أن نعرفَ مذهبك في هذه المسألة لحاجتنا إليها فغضبَ وقال: أيُّ شيء بدّ، إذا هابَ الرجل شيئاً أيُحمل على أن يقول فيه؟ ثم قال: قلت: فإنما هو رأي وإنما العلم ما جاء من فوق، ولعلنا أن نقول القول ثم نرى بعده غيره، ثم ذكر أبو عبد الله حديث عمرو بن دينار، عن جابر بن زيد أنه قيل له: يكتبون رأيك قال: تكتبون ما عسى أن أرجع عنه غداً؟ قال أبو بكر الأَثْرم: ولم يزل به السائل حتى جعل

---

(١) يعني أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص.

(٢) الأنصاري الأوسي صحابي بدري استخلفه عليّ، على البصرة، ومات في خلافته. «التقريب» [٢٥٧].

(٣) «أتى جندل» في «المختصر»، والتصويب من الأصل (٢/٣١).
يريد بذلك: يوم الحديبية إذ جاء أبو جندل بن سهيل إثر كتاب الصلح، وهو يرسف في قيوده فردّه رسول الله ﷺ إلى أبيه؛ فعظم ذلك على المسلمين، فأخبرهم رسول الله ﷺ وأخبر أبا جندل «أن الله سيجعل له فرجاً قريباً». «القرطبي» (١٦/٢٧٦).

(٤) النخعي، الكوفي، ثقة. مات سنة ٢١١ هـ. «التقريب» [٢٨٣].

(٥) ابن طَلْق بن معاوية النَّخَعي، أبو عمرو الكوفي القاضي. ثقة فقيه، مات سنة ١٩٥ هـ وقد قارب الثمانين. «التقريب» (١٧٣).

(٦) ثقة حافظ. مات سنة ٢٧٣ هـ. «التقريب» [٨٤].

يجنَح لقول من لا يرى الجمع بينهما وكأني رأيت مذهبه أن يزكي كل نوع منهما على حدته.

وذكر إسماعيل القاضي قال: قال محمد بن مسلمة: على الحاكم الاجتهاد فيما يجوز فيه الرأي وليس أحد في رأي على حقيقة أنه الحق وإنما حقيقته الاجتهاد.

وعن معن بن عيسى قال: سمعت مالك بن أنس يقول: إنما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنّة فخذوا به وكُلُّ ما لم يوافق الكتاب والسنَّة فاتركوه.

وعن مُطَرِّف قال: سمعتُ مالكاً يقول: قال لي ابنُ هُرْمز: لا تمسك على شيء مما سمعت مني من هذا الرأي فإنما أفتجرته أنا وربيعة[1] فلا تتمسك.

وعن ابن أبجر قال: قال لي الشعبي: ما حدّثوك عن أصحاب رسول الله ﷺ فخذ به، وما قالوا فيه برأيهم فَبُلْ عليه.

وعن عاصم الأحول قال: كان ابنُ سيرين إذا سئل عن شيء قال: ليس عندي فيه إلا رأي أتّهمه فيقال له: قل فيه على ذلك برأيك فيقول: لو أعلم أنّ رأيي يثبتُ لقلت فيه ولكني أخاف أن أرى اليوم رأياً وأرى غداً غيره، فأحتاج أن أتبع الناس في دورهم.

وعن خالد بن أبي عِمْران[2] عن سالم بن عبد الله بن عمر أنَّ رجلًا سأله عن شيء فقال له سالمُ: لم أسمع في هذا بشيءٍ قال له الرجل: إنّي أرضى برأيك. فقال له سالم: لَعلِّي أخبرُك برأيي ثم تذهب فأرى بعدك رأياً آخر غيره فلا أجدك.

وعن عبد الله بن عمرو أنه كان إذا سئل عن شيء لم يبلغه فيه شيء قال: إن شئتم أخبرتكم بالظَّنِّ.

---

(١) يعني ربيعة الرأي بن فروخ.

(٢) التُجيبي، قاضي أفريقية، فقيه، صدوق، مات سنة ١٢٥ هـ وقيل أكثر. «التقريب» [١٨٩].

وقد تقدم ذكرُ قولِ أبي السَّمح ـ رحمه الله ـ أنه سيأتي على الناس زمان يسمِّنُ الرجل راحلته ثم يسير عليها حتى تهزلَ يلتمسُ من يفتيه بسنَّة فلا يجد إلا من يفتيه بالظَّن.

وروي عن مالك ـ رحمه الله ـ أنه كان يقول: إنْ نظنُّ إلا ظناً وما نحن بمستيقنين.

وذكر خالد بن الحارث[1] عن عبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة ومفتيها[2] أنه قال في نفقة الولد البالغ المدرك: إنه لا تلزم الوالد. قيل له: أفيعطيهم الوالد من زكاة ماله؟ قال: إنما قولي لا تلزمه نفقتهم رأي، ولا أدري لعلَّه خطأ وأكره أن يغرّر بزكاته فيعطيها ولده الكبار وهو يجد موضعاً لا شك فيه.

وعن عطاء عن أبيه قال: سئل بعض أصحاب النبي ﷺ عن شيء فقال: إني لأستحيي من ربي أن أقول في أمة محمد برأيي.

قال عطاء: وأضعف العلم أيضاً علم النظر أن يقول الرجل رأيت فلاناً يفعل كذا ولعله قد فعله ساهياً.

(قف على قول ابن المقفع)

ومن فصل لابن المقفَّع[3] في «اليتيمة» قال: ولعمري إن لقولهم ليس الدّين خصومة أصلاً يثبت، وصدقوا ما الدين بخصومة، ولو كان خصومة لكان موكولاً إلى الناس، يثبتونه بآرائهم وظنهم، وكل موكول إلى الناس رهينة ضياع، وما يُنقم على أهل البدَع إلا أنهم اتخذوا الدين رأياً، وليس الرأي ثقة، ولا حتماً ولم يجاوز الرأيُ منزلةَ الشكّ والظنّ إلا قريباً ولم يبلغ أن يكون يقيناً ولا ثبتاً، ولستم سامعين أحداً يقول لأمر قد استيقنه وعلمه أرى أنه كذا وكذا، فلا أجد أحداً أشد استخفافاً بدينه ممن اتخذ رأيه ورأي الرجال ديناً مفروضاً.

---

(١) ابن عُبَيْد الهُمَيْجي البصري، ثقة، مات سنة ١٨٦ هـ. «التقريب» [١٨٧].

(٢) ثقة فقيه، مات سنة ١٦٨ هـ. «التقريب» [٣٧٠].

(٣) واسمه عبد الله الكاتب المشهور، الحكيم، البليغ، كان مجوسياً وأسلم، قتله المنصور العباسي سنة ١٤٢ هـ وقيل أكثر. «ابن خلكان» [٢/ ١٥١].

قال أبو عمر: إلى هذا المعنى - والله أعلم - أشار مصعب الزبيري في قوله:

فـأتـركُ مـا علمتُ لـرأي غيـري وليسَ الـرَّأْيُ كـالـعلمِ اليـقيـن

وهي أبيات كثيرة أنشدها مصعب ثم ذكر ابن أبي خيثمة أنها شعره وسنذكر الأبيات بتمامها في باب ما تكره فيه المناظرة والجدال من هذا الكتاب[1] إن شاء الله.

(قف على أن الرأي ليس بعلم) ولا أعلم بين متقدمي علماء هذه الأمة وسلفها خلافاً أنَّ الرَّأي ليسَ بعلم حقيقة. وأفضلُ ما رويَ عنهم في الرأي أنهم قالوا: نعمَ وزيرُ العلمِ الرَّأيُ الحَسَن.

وأمّا أُصول العلم: فالكتابُ والسُّنَّة. وتنقسم السُّنَّةُ قسمين:

أحدهما: إجماع تنقُلُه الكافة عن الكافة فهذا من الحجج القاطعة للأعذار، إذا لم يوجد هناك خلاف ومن ردّ إجماعهم فقد ردّ نصاً من نصوص الله، يجب استتابته عليه، وإراقة دمه إنْ لم يتب لخروجه عما أجمع عليه المسلمون وسلوكه غيرَ سبيل جميعهم.

والضرب الثاني: من السنة: خبر الآحاد الثّقات الأثبات المتّصل الإسناد فهذا يوجب العمل عند جماعة علماء الأمة الذين هم الحجة والقدوة ومنهم من يقول: إنه يوجب العلم والعمل جميعاً وللكلام في ذلك موضع غير هذا.

وعن مُوَرِّقٍ العِجْلي[2] قال: قال عمر بن الخطاب: تعلّموا الفرائضَ والسُّنَّة كما تَتَعَلَّمون القرآن.

وعن عبيد الله بن عمرو قال: قال لي إسحاق بن راشد: كان الزُّهري إذا ذُكِرَ أهلُ العراق ضعَّف علمهم، فقلت لـه: إنَّ بالكـوفة مـولىً لبني أسدَ - يعني

---

(1) انظر ص ٢٧٢.

(2) البصري، ثقة عابد، مات بعد المئة هـ. «التقريب» [٥٤٩].

الأعمشَ[1] - يروي أربعة آلاف حديث. قال: أربعة آلاف حديث؟ قلت: نعم، إنْ شئتَ حدَّثْتُكَ ببعض حديثه، أو قال بعض علمه قال: فجيء به، فجئت به فلمّا قرأه قال: والله إنَّ هذا لَعِلْمٌ وما كنت أرى أنّ بالعراق أحداً يعلَمُ هذا.

وعن محمد قال: قال شُريح: إنما أقتفي الأثر، فما وجدت في الأثر حدَّثْتُكُم به.

(قف على ما كتبه عمر بن عبد العزيز)

وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى الناس: أنّه لا رأي لأحد مع سنَّةٍ سنَّها رسولُ الله ﷺ.

وعن محمد بن عبد العزيز بن أبي رِزمة[2] قال: سمعت عبدان بن عثمان يقول: سمعتُ ابنَ المبارك يقول: ليكنِ الأمرُ الذي تعتمدُونَ عليه هذا الأثر وخذوا من الرأي ما يفسرُ لكم الحديث.

وعن سفيان: إنّما الدِّين بالآثار.

وأنشد عبدُ الله بن أحمدَ بن حَنْبلٍ عن أبيه:

دينُ النبيّ محمدٍ أخبارُ ... نعم المطيَّةُ للفتى آثارُ
لا ترغبنَّ عنِ الحديث وأهله ... فالرأي ليلٌ والحديثُ نهارُ
ولربما جهلَ الفتى أثرَ الهُدَى ... والشمس بازغةٌ لها أنوارُ

وقال بشر بن السرّي السَّقطي: نظرت في العلم فإذا هو الحديثُ والرأيُ، فوجدت في الحديث: ذكرَ النّبيّين والمرسَلين وذكر الموت، وذكر ربوبية الرَّب وجلاله وعظمتِه، وذكر الجنة والنّار، وذكر الحلال والحرام، والحث على صلة الأرحام وجمام الخير.

ونظرت في الرأي فإذا فيه المكر والخديعة، والتشاحّ، واستقصاءُ الحقّ،

---

(١) سليمان بن مِهْرَان، أبو محمد الكوفي، ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع، لكنه يدلّس. مات سنة ١٤٧ هـ. «التقريب» (٢٥٤).

(٢) المروزي، ثقة. مات سنة ٢٤١ هـ. «التقريب» [٤٩٣].

والمماكسة في الدّين، واستعمال الحيل والبعث على قطع الأرحام والتجرّي على الحرام.

وعن محمد بن سِيرِين قال: كانوا يَرَوْنَ أنّهم على الطريق ما داموا على الأثر.

وقد زدنا هذا المعنى بياناً في باب الرأي وقلت أنا:

مقـالـة ذي نصـح وذات فـوائـد   إذا من ذوي الألباب كان استمـاعها
عـليكـم بـآثـار الـنبي فـإنـهـا   من أفضـل أعمال الـرشـاد اتبـاعهـا

وعن أبي بكر الهذلي، قال: قال ليَ: الزُّهري: يا هُذَلي يعجبُك الحديثُ؟ قلت: نعم. قال: أما إنّه يعجبُ ذكورَ الرجال ويكرهُهُ مؤنَّثوهم.

وذكر أبو جعفر الطبري في «التاريخ الكبير»[1]: أنه بَلَغَهُ عن المبارك الطبري أنّه سمعَ أبا عبيد الله الوزير يقولُ: سمعتُ أبا جعفر المنصورَ يقول للمهدي: يا أبا عبد الله لا تجلسْ وقتاً إلا ومَعَك من أهل العلم من يحدِّثك، فإنّ محمد بن شهاب الزهري قال: الحديث ذَكَرٌ ولا يحبه إلا ذكورُ الرجال وصدق أخو زُهْرَةَ.

وعن أيوب السَّختياني قال: قلت لعثمان البتّي: دلَّني على باب من أبواب الفقه. قال: اسمع الاختلاف.

وعن أبي أُسَامة قال: سمعتُ سفيانَ الثَّوري يقول: إنما العلم عندنا الرُّخصة من ثِقَة، فأما التَّشديد فيحسنُه كل أحد.

وروي مثله عن مَعْمَر أيضاً.

وعن عبد الباري بن إسحاق بن أخي ذي النُّون عن عمه أبي الفيض ذي النون بن إبراهيم أنه سمعه يقول: من أعلام البصر بالدِّين معرفةُ الأصول؛ لتسلمَ من البِدَعِ والخطأ والأخذ بالأَوْثَق من الفروع احتياطاً لتأمن.

(١) تاريخ الطبري (٤٧١/٧) وما بعدها.

وعن أبي القاسم عبيد الله بن عمر بن أحمد قال: إنّ من حق البَحْث والنَّظر الإضرابُ عن الكلام في فروعٍ لم تحكم أصولها، والتماسِ ثمرةٍ لم تُغْرَسْ شجرتُها، وطلبِ نتيجة لم تعرف مقدِّماتها.

قال أبو عمر: ولقد أحسن القائل:

وكلُّ علمٍ غامضٍ رفيعِ ... فإنه بالموضع المنيع
لا يرتقى إليه إلا عن دَرَجْ ... من دونها بحرٌ طموحٌ ولجج
ولا ينالُ ذروة الغايات ... إلّا عليمٌ بالمقدمات

وقال صالحُ بنُ عبد القدوس[1]:

لن تبلغَ الفرعَ الذي رمته ... إلا ببحثٍ منك عن أُسّهِ

وقال الأصمعي: سمعتُ أعرابياً يقول: إذا ثَبَتَتِ الأُصول في القلوب نطقت الألسن بالفروع، والله يعلمُ أنَّ قلبي لك شاكر، ولساني لك ذاكر، وهيهات أن يظهرَ الودُّ المستقيم من القلب السقيم.

* *

بـاب
العبارَةِ عن حدود علم الدّيانات
وسائرِ العُلُوم المُنْتَحَلات عند جميع أهل المقالات

قال أبو عمر: حدُّ العلم عند العلماء المتكلّمين في هذا المعنى هو ما استيقنته وتبيَّنْتَهُ وكلُّ ما استيقن شيئاً وتبيّنه فقد علمه، وعلى هذا من لم يستيقن الشيء، وقال به تقليداً فلم يعلمه والتقليد عند جماعة العلماء غير الإتباع، لأنَّ الإتباعَ هو أن تتبع القائل على ما بان من فضل قوله وصحة مذهبه، والتقليد أن تقول بقولةٍ وأنت لا تعرفها، ولا وجه القول ولا معناه، وتأبى من سواه أو أن يتبين

(١) «تهذيب ابن عساكر» (٦/٣٧٣) وهو من قصيدته السينية المشهورة التي ذكرنا من قبل أنها السبب في مقتله.

لك خطأه فتتبعه مهابة خلافه، وأنت قد بان لك فساد قوله، وهذا محرمُ القولُ به في دين الله سبحانه.

والعلمُ عندَ غيرِ أهل اللسان العربي فيما ذكروا يجوز أن يترجم باللسان العربي، ويترجم معرفة، ويترجم فهماً.

والعلومُ تنقسمُ قسمين: ضروري ومكتسب.

فحدُّ الضروري ما لا يمكن العالم أن يشكّكَ فيه نفسه، ولا يدخل فيه على نفسه شبهة، ويقع له العلم بذلك قبل الفكرة والنظر، ويدرك ذلك من جهة الحس والعقل كالعلم باستحالة كون الشيء متحركاً ساكناً أو قائماً قاعداً أو مريضاً صحيحاً في حال واحدة.

ومن الضَّرُوري أيضاً وجه آخر يحصَلُ بسبب من جهة الحواس الخمس، كذوق الشيء يعلم به المرارة، والحلاوة ضرورة إذا سلمت الجارحة من آفة، وكرؤية الشيء يعلم بها الألوان والأجسام، وكذلك السمع يدرك به الأصوات.

ومن الضروري أيضاً علمُ النَّاس أن في الدينا مكة والهند ومصر والصين وبلداناً عَرفُوها وأمماً قد خلت.

وأما العلم المكتَسَبُ فهو ما كان طريقه الاستدلال والنَّظر ومنه الخفي والجلي فما قرب من العلوم الضرورية كان أجلى وما بَعُدَ منها كان أخفى.

والمعلومات على ضربين: شاهد وغائب.

فالشاهد مما علم ضرورة.

والغائب مما علم بدلالة الشاهد.

والعلومُ عند جميع أهل الديانات ثلاثةٌ: علمٌ أعلى، وعلمٌ أسفل، وعلمٌ أوسط.

(فالعلم الأعلى): عندهم علمُ الدِّين الذي لا يجوز لأحد الكلام فيه بغير ما أنزله الله في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه صلوات الله عليهم نصّاً.

(والعلم الأوسط): هو معرفةُ علومِ الدُّنيا التي يكون معرفة الشيء منها بمعرفة نظيره ويُستدَلُّ عليه بجنسه ونوعِهِ كعلم الطبّ والهندسة.

(والعلم الأسفل): هو إحكام الصناعات وضروب الأعمال مثل السباحة والفروسية والرمي والتزويق والخط وما أشبه ذلك من الأعمال التي هي أكثر من أن يجمعها كتابٌ أو يأتي عليها وصف، وإنما تحصل بتدريب الجوارح فيها.

وهذا التقسيم في العلوم كذلك هو عند أهل الفلسفة إلَّا أَنَّ العلمَ الأعلى عندهم هو: علم القياس في الأمور العُلْوية التي ترتفع عن الطبيعة والفلك مثل الكلام في حدوث العالم وزمانه والتشبيه ونفيه وأمور لا يُدركُ شيءٌ منها بالمشاهدة ولا بالحواس قد أغنت عن الكلام فيها كتبُ الله الناطقة بالحقِّ المنزَّلة بالصدق، وما صحَّ عن الأنبياء صلوات الله عليهم.

ثم العلم الأوسط والأسفل عندهم على ما ذكرنا عن أهل الأديان إلا أنّ العلم الأوسط ينقسم عندهم على أربعة أقسام هي كانت عندهم رؤوس العلوم وهي علم الحساب والتنجيم والطب وعلم الموسيقى ومعناه تأليف اللُّحون وتعديل الأصوات ووزن الأنقار وأحكام صنوف الملاهي.

وأما **علمُ الحساب**: فالصحيحُ عندهم منه معرفة العدد والضرب والقسمة والتسمية وإخراج الجذور، ومعرفة جمل الأعداد ومعنى الخط والدائرة والنقطة، وإخراج الأشكال بعضها من بعض، وما شاكل ذلك. والحساب علمٌ لا يكادُ يستغني عنه ذو علم من العلوم.

وأما التنجيم: فثمرته وفائدته عند جميع أهل الأديان جرية الفلك ومسير الدّراري ومطالع البروج ومعرفة ساعة الليل والنهار وقوس الليل من قوس النهار في كل بلد وفي كل يوم وبُعد كل بلد من خط الاستواء ومن المجرّ الشمالي والأفق الشرقي والغربي ومولد الهلال وظهوره واطلاع الكوكب للأنواء وغيرها ومغيبها واستقامتها وأخذها في الطول والعرض وكسوف الشمس والقمر ووقته ومقداره في كل بلد ومعنى سنيّ الشمس والقمر وسنيّ الكواكب.

ومن أهل العلم من ينكر شيئاً مما وصفنا أنه لا يعلم أحدٌ بالنجامة شيئاً من الغيب ولا علمَه أحدٌ قطُّ علماً صحيحاً إلا أن يكون نبيًّاً خصَّه الله بما لا يجوز إدراكه قالوا: ولا يدَّعي معرفة الغيب بها اليومَ على القطع إلا كلُّ جاهل منقوص مفتر متخرِّص إذ في إقدارهم أنه لا يمكن تحديثها إلا في أكثر من عمر الدنيا ما يكذبهم في كل ما يدعون معرفته بها. والمتخرصون بالنِّجامة كالمتخرصين بالعِيَافة والزَّجر وخطوط الكفّ والنَّظر في الكتف وفي مواضع قرض الفار، وما شاكل ذلك مما لا تقبله العقول، ولا يقوم عليه برهان ولا يصح من ذلك كله شيء؛ لأن ما يدركون منه يخطئون في مثله مع فساد أصله وفي إدراكهم الشيء وذهاب مثله أضعافاً ما يدلك على فساد ما زعموه ولا صحيح على الحقيقة إلا ما جاء في أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم.

فعن أبي بصرة قال: قال عمر: تعلَّمُوا من النُّجومِ ما تهتدون به في ظلماتِ البرِّ والبحر ثم أَمْسِكُوا(١).

١٨١ ـ وعن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد طهَّر الله هذه الجزيرة من الشرك إن لم تُضلِّلْهُم النجوم»(٢).

١٨٢ ـ وعن أبي محجن قال: أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال: «أخافُ على أُمَّتي بعدي ثلاثاً حَيْفُ الأئمة وإيمانٌ بالنجوم وتكذيبٌ بالقدر»(٣).

وأما **الطب**: فلفهم طبائع نبات الأرض وشجرها ومياهها ومعادنها وجواهرها وطعومها وروائحها، ومعرفة العناصر والأركان، وخواص الحيوان، وطبائع الأبدان والغرائز والأعضاء، والآفات العارضة، وطبائع الأزمان والبلدان، ومنافع الحركة والسكون وضروب المداواة والرفق والسِّياسة فهذا هو العلم الثاني الأوسط، وهو

---

(١) المراد أن يمسك المرء عن الاعتقاد بتأثير النجوم، كما يدل عليه ما روي عن العباس.

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٣٩) (م).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٣٩) (م).

علم الأبدان والعلم الأول الأعلى علم الأديان والعلم الثالث الأسفل ما درَّبْتَ على عمله الجوارحَ كما قدمنا ذكره.

واتفق أهلُ الأديان أن العلم الأعلى هو علم الدين؛ واتفق أهل الإسلام: أن الدين تكون معرفته على ثلاثة أقسام:

(أولها): معرفة خاصة الإيمان والإسلام وذلك معرفة التوحيد والإخلاص ولا يوصل إلى علم ذلك إلا بالنبي ﷺ فهو المؤدي عن الله والمبين لمراده، وبما في القرآن من الأمر بالاعتبار في خلق الله بالدلائل من آثار صنعته في بريته على توحيده وأزليته سبحانه والإقرار والتصديق بكل ما في القرآن وبملائكة الله وكتبه ورسله.

(والقسم الثاني): معرفة مخرج خبر الدّين وشرائعه وذلك معرفة النبي ﷺ الذي شرَعَ الله الدين على لسانه ويده ومعرفة أصحابه الذين أدوا ذلك عنه ومعرفة الرجال الذين حملوا ذلك وطبقاتهم إلى زمانك ومعرفة الخبر الذي يقطع العذر لتواتره وظهوره، وقد وضع العلماء في كتب الأصول من تلخيص وجوه الأخبار ومخارجها ما يكفي الناظر فيه ويشفيه وليس هذا موضع ذكر ذلك.

(والقسم الثالث): معرفة السنن واجبها وآدابها وعلم الأحكام وفي ذلك يدخل خبر الخاصة العدول ومعرفته ومعرفة الفريضة من النافلة ومخارج الحقوق والتداعي ومعرفة الإجماع من الشذوذ قالوا: ولا يوصل إلى الفقه إلا بمعرفة ذلك وبالله التوفيق.

قال أبو إسحاق الحوفي العلوم ثلاثة: علم دنياوي، وعلم دنياوي وأخروي، وعلم لا للدنيا ولا للآخرة؛ فالعلم الذي للدنيا علم الطلب والنجوم وما أشبه ذلك، والعلم الذي للدنيا والآخرة علم القرآن والسنن والفقه فيهما والعلم الذي ليس للدنيا ولا للآخرة علم الشعر[1] والشغل به.

* *

---

(١) لا شك أن الشعر الذي عابه هو الشعر الذي لا ثمرة له أو قصد به سوى العلوم والحق، وإن كان هناك شعر له قيمة عالية، وبهذا يزاح شيء كثير مما يعاب، وذلك بحسب الثمرة والاستعمال.

بـــابٌ
مختصرٌ في مطالعةِ كتبِ أهْلِ الكتاب والرِّواية عنهم

١٨٣ ـ عن عبد الله بن عمروٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «بلِّغوا عنّي ولو آية وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج»(١).

١٨٤ ـ وعن عمرو بن يَحْيى بن جَعْدة قال: أُتيَ النبيُّ ﷺ بكتاب في كتف فقال: «كفى بقوم حمقاً أو ضلالة أن يرغبوا عما جاءهم به نبيُّهم إلى نبي غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم»(٢) فأنزل الله عز وجل: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾(٣) الآية.

١٨٥ ـ وعن أبي نَمْلَةَ الأَنْصاريّ(٤) أنه قال: بينا أنا جالسٌ عند رسول الله ﷺ جاءه رجلٌ من اليهود فقال: يا محمدُ هل تتكلَّم هذه الجنازة؟ فقال: رسول الله ﷺ الله أعلم. فقال اليهودي: أنا أشهدُ أنّها تتكلم. فقال رسول الله ﷺ: ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا: «آمنّا بالله وكتبه ورسلُه، فإنْ كان حقاً لم تكذِّبُوهم وإن كان باطلاً لم تصدِّقوهم»(٥).

وعن ابن عباس قال: كيف تسألوهم عن شيء وكتاب الله بين أظهركم.

وعن عطاء بن يسار قال: كانت يهود يحدثون أصحاب النبي ﷺ فيسبحون، كأنهم يتعجبون. فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم» ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٦).

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٤٠) وانظر «جامع الأصول» (٨/ ١٩) (م).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٤٠ ـ ٤١) (م).

(٣) سورة العنكبوت: الآية (٥١).

(٤) صحابي، قال الواقدي: اسمه عمار، وقال ابن سعد: عمرو. وقال غيرهما: عمارة. شهد أحداً. «التقريب» [٦٧٩].

(٥) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٤١) (م).

(٦) سورة العنكبوت: الآية (٤٦).

وعن حريث بن ظُهَيْر: قال: قال عبد الله: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم، وقد أضلُّوا أنفسهم فتكذبون بحق أو تصدقون بباطل.

وفي رواية: إن كنتم سائليهم لا محالة فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه.

١٨٦ - وعن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال: «والّذي نفسُ محمدٍ بيده لو أصبحَ فيكم موسى فاتَّبَعْتُمُوه وتركتُمُوني لضلَلْتُم، إنكم حظي في الأمم، وأنا حظُّكم من النبيين».

وعن ابن عباس قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابُكم الّذي أنْزَله الله على نبيه ﷺ بينَ أظهركم أحدثُ الكتب عهداً بربّه غضاً لم يُشَب، ألم يخبركم الله في كتابه أنهم قد غيَّروا كتاب الله وبدّلوه وكتبوا الكتاب بأيديهم فقالوا: هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ألا ينهاكم العلم الذي جاءكم عن مسألتهم والله ما رأينا رجلاً منهم قطُّ يسألكم عما أنزلَ الله إليكم.

١٨٧ - وعن جابرٍ أنَّ عمرَ بنَ الخطاب أتى النبيَّ ﷺ بكتابٍ أصَابَهُ من بعض أهل الكتاب فقال: يا رسول الله إنِّي أُصَبْتُ كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب. قال: فغضب وقال: «متهوِّكُون[1] فيها يا ابنَ الخطّاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتُكُم بها بَيْضَاءَ نقيَّة لا تسألوهم عن شيء فيحدِّثونكم بحقٍّ فتكذِّبوا به أو بباطل فتصدِّقوا به، والذي نفسي بيده لو أنّ موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يَتْبَعَنِي»[2].

وقال عمر بن الخطاب لكعب: إن كنتَ تعلم أنَّها التوارةُ التي أنزلها الله على موسى بن عِمْران فاقرأها آناء الليل والنهار.

* *

(١) متهوّكون: ج متهوك: المتحيّر. اللسان (هوك). وفيه الحديث مع اختلاف في اللفظ.
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٤٢) (م).

بـــابُ
من يستحقُّ أنْ يسمَّى فقيهاً أو عالماً حقيقةً لا مجازاً ومن يجوزُ له الفُتْيا عند العلماء

١٨٨ ـ عن ابن مسعود قال: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «يا عبدَ الله بنَ مسعود قلتُ: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ الله قالَ: أَتَدَرِي أَيُّ الناس أَفْضَلُ؟ قلتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: فإنَّ أفضَلَ النَّاسِ أَفْضَلُهُمْ عَمَلًا إذاً فقِهُوا دِينَهم. قال: يا عبد الله بن مسعود. قلت: لبيك يا رسول الله. قال: أَتَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قلتُ: اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَعْلَمُ قال: أعلم النَّاس أَبْصَرُهُم بالحقِّ إذا اختلفَ النَّاسُ وَإن كان مُقَصِّراً في العمل وإنْ كَانَ يَزْحَفُ على استِهِ»(١).

قال أبو يوسف: وهذه صفة الفقهاء.

١٨٩ ـ وعن ابن مسعود قال: قَال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله بن مسعود قلت: لبيك يا رسول الله ثلاثَ مرّات. قالَ: أَتَدَرِيْ أَيُّ عُرى الإيمان أَوْثَقُ؟ قال: قلت: الله ورَسولُه أعلمُ قال: الولَاية في الله؛ الحبُّ فيه والبُغْضُ فيه». ثم قال: «يا عَبْدَ الله بن مسعود. قلت: لبَّيكَ يا رسولَ الله ثلاثَ مراتٍ. قال: أتدري أيُّ النَّاس أفضلُ؟ قال: قلت: اللَّهُ ورسولُه أعلم وقال: إنَّ أفْضَلَ النَّاسِ أفْضَلُهُم عَمَلاً إذا فَقِهُوا في دينهم». ثم قال: «يا عبد الله بن مسعود. قلت: لبّيكَ يا رسولَ الله ثلاث مرات. قال: أتَدْرِي أيّ النّاسِ أعْلَمُ؟ قال: قلت: اللَّهَ ورَسُولُه أعْلَم. قال: أعلمُ النَّاسِ أبصرُهم بالحقِّ إذا اختلفَ النَّاسُ وإن كان مقصِّراً في العَمل»(٢).

وعن أبي مرحوم المليكي قال: سمعت أمَّ الدَّرْدَاء تقول: أفْضَلُ العلمِ المَعْرِفَةُ.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٤٣) (م).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٤٣ ـ ٤٤) (م).

ومن هنا أخَذَ الشاعر قولَه والله أعلم.

خَيْـرُنَـا أَفْضَـلُنَـا مَعْـرِفَـةً وَإذَا مَـا عُـرِفَ الـلَّهُ عُبِـدْ

وعن حسان بن عطية قال: ما زادَ الله عبداً بالله علماً إلا ازداد الناس منه قرباً.

وكان الحسن البصري كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

يَسُـرّ الفتى مـا كـانَ قـدَّم من تُقىً إذَا عَـرَفَ الـدَّاءَ الـذي هُـوَ قَـاتِلُهْ

وعن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1] قال: إلاّ ليعَرْفُون.

وقال ابن جريج: إلاَّ ليَعْلَمُوا ما جَبَلْتَهُم عليه من الشّقْوة والسَّعادة.

١٩٠ ـ حدثنا عبد الرحمن بن يحيى ويحيى بن عبد الرحمن قالا: حدثنا أحمدُ بنُ سعيد قال: حدثنا محمد بن زبان قال: حدثنا الحارثُ بن مسكين قال: حدثنا ابن وهب قال: أَخْبَرَني عقبة عن نافع عن إسحاق بن أُسيد عن أبي مالك وأبي إسحاق عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «ألا أُنبِّئُكُم بالفَقِيه كلِّ الفَقِيه؟ قَالُوا: بَلَى. قال: مَنْ يُقَنِّطِ النَّاسَ من رَحْمَة اللَّهِ ولم يُؤْيِسْهُم من رَوْح الله ولم يُؤْمنهم من مَكْر الله ولا يَدَعُ القرآنَ رغبةً عنه إلى ما سواه ألا لا خَيْرَ في عبادةٍ ليسَ فيها تفقُّهٌ ولا علمٍ ليس فيه تفهُّمٌ ولا قراءةٍ ليس فيها تَدَبُّرٌ»[2].

قال أبو عمر: لا يأتي هذا الحديث مرفوعاً إلاّ من هذا الوجه وأكثرهم يوقفونه على عليّ.

وقيل للُقْمان: أيُّ النَّاسِ أَغْنَى؟ قالَ: من رضِي بما أُوتيَ. قالوا: فأَيُّهم أَعْلَم؟ قال: من ازْدَادَ من علمِ النَّاس إلى علمِهِ.

وعن كعب أنّ موسى قال: يا ربِّ أَيُّ عبادك أعلم؟ قال: عالم غَرْثان العلم.

قال ابن وهب يريد الذي لا يَشْبَعَ من العلم.

---

(١) سورة الذاريات: الآية (٥٦).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٤٤) (م).

وعن عمر مولى غُفرة أنّ موسى قال: يا رب أيُّ عبادك أعلم؟ قال: الذي يلتمس علم الناس إلى علمه.

وقال عبدُ الله بنُ مَسْعودٍ: كَفَى بخَشْيَةِ الله عِلْمَاً وكفى بالاغْترارِ باللَّهِ جَهْلاً.

١٩١ - حدّثنا خلف بن القاسم، حدثنا أبو محمد سعيد بن أحمد بن جعفر الفهري، حدثنا عبد الله بن أبي مريم قال: حدثنا عمر بن أبي سلمة التِّنيسي قال: حدثنا صدقة بن عبد الله عن إبراهيم بن أبي بكر، عن أبان بن أبي عياش، عن أبي قلابة، عن شدّاد بن أوس، عن النبي ﷺ قال: «لا يفقهُ العبدُ كلَّ الفقه حتى يمقُتَ الناسَ في ذاتِ الله ولا يفقَهُ العبدُ كلَّ الفقه حتّى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة»(١).

قال أبو عمر: في سند الحديث صَدَقَةُ بنُ عبد الله، وهو يعرفُ بالسَّمين، هو ضعيفٌ عندهم مجتمعٌ على ضعفه(٢)، وهذا حديث لا يصح مرفوعاً وإنما الصحيح فيه أنه من قول أبي الدرداء.

١٩٢ - فعن أبي قلابة عن أبي الدرداء قال: لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة ولن تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في ذات الله ثم تقبل على نفسك فتكون لها أشد مقتاً منك للنَّاس».

وعن محمد بن عُبَيْد بن حماد بن زيد قال: قلت لأيوب: أرأيت قوله حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة؟ فسكت يتفكر. قلت: أهو أن يرى له وجوهاً فهاب الإقدام عليه؟ قال: هو هذا هو هذا.

وعن أيوب قال: قال إياس بن معاوية(٣): إنه لتأتيني القضية أعرفُ لها وجهين فأيُّهما أخذت به عرفت أني قضيت بالحق.

وعن قتادة قال: من لم يعرف الاختلاف لم يشم الفقه بأنفه.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٤٥) تعليق الحافظ العراقي على «إحياء علوم الدِّين» (١/٣٢) (م).

(٢) أبو معاوية، أو أبو محمد الدمشقي. مات سنة ١٦٦ هـ، ضعيف. انظر «ميزان الاعتدال» (٢/٣١٠ - ٣١١) و«المغني في الضعفاء» (١/٣٠٧) و«التقريب» (٢٧٥) (م).

(٣) المزني، البصري، القاضي، المشهور بالذكاء. مات سنة ١٢٢ هـ. «التقريب» [١١٧].

وعن يزيد بن زُرَيع[1] قال: سمعت سعيد بن أبي عَرُوبة[2] يقول: من لم يسمع الاختلاف فلا تعدّه عالماً.

وقال محمد بن عيسى: سمعت هشام بن عبيد الله الرازي يقول: من لم يعرف اختلاف القراء فليس بقارىء، ومن لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه.

وعن عطاء قال: لا ينبغي لأحد أن يفتيَ النَّاس حتى يكون عالماً باختلاف الناس فإن لم يكن كذلك رَدَّ من العلم ما هو أوثقُ من الذي في يديه.

وكان أبو أيوب السَّختياني يقول: أجسر الناس على الفُتْيا أقلُّهم علماً باختلاف العلماء وأَمسَكُ النّاس عن الفُتْيا أعلمُهم باختلاف العلماء.

(قف على قول ابن عيينة)

قال: وقال ابنُ عُيَيْنَة: العالم الذي يعطي كلَّ شيء حقَّه.

وعن الحارث بن يعقوب قال: إنَّ الفقيهَ كلَّ الفقيه من فقه في القرآن وعرف مكيدةَ الشَّيطان.

وعن ابن القاسم قال: سئل مالك قيل له: لمن تجوز الفتوى؟ فقال: لا تجوز الفتوى إلا لمن علم ما اختلف الناسُ فيه. قيل له: اختلاف أهل الرأي؟ قال: لا؛ اختلاف أصحابِ محمّدٍ ﷺ، الناسخ والمنسوخ من القرآن، ومن حديث الرسول عليه السلام وكذا يفتي.

وقال عبد الملك بن حبيب سمعت ابن الماجَشُون يقول: كانوا يقولون: لا يكونُ إماماً في الفقه من لم يكن إماماً في القرآن والآثار، ولا يكون إماماً في الآثار من لم يكن إماماً في الفقه.

(قف على ما قاله ابن الماجشون)

قال: وقال لي ابن الماجشون: كانوا يقولون: لا يكونُ فقيهاً في الحادث من لم يكن عالماً بالماضي.

---

(١) ثقة ثبت. مات سنة ١٨٢ هـ. «التقريب» [٦٠١].

(٢) البصري، ثقة، لكنه كثير التدليس. مات سنة ١٥٦ هـ. «التقريب» [٢٣٩].

وعن علي بن الحسين بن شقيق قال: سمعت عبد الله بن المبارك يسأل: متى يسع الرجل أن يفتي؟ قال: إذا كان عالماً بالأثر بصيراً بالرأي.

وعن محمد بن المنكدر(١) قال: ما كنا ندعو الرّواية إلا روايةَ الشعر، وما كنا نقول: هذا يروي أحاديث الحكمة إلا عالم.

وقال عبد الرّحمن بن مهدي: لا يكون إماماً في الحديث من تتبَّع شواذَّ الحديث أو حدَّث بكل ما يسمعُ أو حدّث عن كل أحد.

وقال يحيى بن سلام: لا ينبغي لمن لا يعرفُ الاختلافَ أن يفتي، ولا يجوز لمن لا يعلم الأقاويل أن يقول هذا أحب إليّ.

وعن عبّاس الدُّوري(٢) قال: سمعت قَبِيْصَةَ بنَ عقبةَ(٣) يقول: لا يفلحُ من لا يعرفُ اختلافَ النَّاس.

وعن النَّضْرِ بن شُمَيْل(٤) قال: سمعت الخليل بن أحمد يقول: الرِّجالُ أربعةٌ:

فرجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم، فاتَّبعوه، وسَلُوه.

ورجلٌ لا يدري، ويدري أنه لا يدري، فذلك جاهل فعلِّموه.

ورجل يَدْري ولا يدري أنه يدري فذلك غافل فنبهوه.

ورجل لا يَدْري ولا يَدْري أنَّه لا يدري فذلك مائِقٌ فاحذَرُوه.

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: لا يكونُ إماماً في العلم من أخذَ بالشّاذِّ من العلم، ولا يكون إماماً في العلم من روى عن كل أحد ولا يكون إماماً في العلم من روى كلَّ ما سمع.

---

(١) التَّميمي، المدنيّ، ثقةٌ فاضلٌ. مات سنة ١٣٠ هـ. «التقريب» [٥٠٨].

(٢) البغدادي، ثقة، حافظ، مات سنة ٢٧١ هـ. «التقريب» [٢٩٤]. [وفيه ابن محمد بن حاتم خوارزميّ الأصل].

(٣) السُّوائي، الكوفي، صدوق، مات سنة ٢١٥ هـ. «التقريب» [٤٥٣].

(٤) المازني، النحوي، ثقة، ثبت. مات سنة ٢٠٤ هـ. «التقريب» [٥٦٢].

وروى مالك بنُ أنسٍ عن سعيد بن المسيِّب بلغَه عنه أنه كان يقول: ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذهبَ نقصُه لفضلِه، كما أنه من غلب عليه نُقْصَانُه ذهب فضله.

وقال غيره: لا يسلمُ العالمُ من الخطأ؛ فمن أخطأ قليلاً وأصاب كثيراً فهو عالم، ومن أصاب قليلاً وأخطأ كثيراً فهو جَاهِلُ.

(قف على قول مالك)

وقال مالكُ بن أنس رحمه الله: لا يؤخذ العلم عن أربعة:

سفيهٍ مُعْلنٍ السَّفَهَ.

وصاحبِ هوىً يدعو إليه.

ورجلٍ معروفٍ بالكذبِ في أحاديثِ النّاس، وإن كان لا يكذب على رسول الله ﷺ.

ورجلٍ له فضلٌ وصلاحٌ لا يعرف ما يحدث به.

وقد ذكرنا هذا الخبر عن مالك من طرق في كتاب «التمهيد» فأغنى عن ذكره هاهنا. وأشرنا إليه في هذا الباب لأنّه منه.

وعن أبي حيّان التَّيمي[1] قال: العلماءُ ثلاثةٌ؛ عالمٌ بالله وبأمر الله وعالمٌ بالله وليسَ بعالمٍ بأمر الله؛ وعالمٌ بأمر الله وليسَ بعالمٍ بالله.

فأما العالم بالله وبأمره ذلك الخائفُ لله العالمُ بسنَّته وحدوده وفرائضه، وأما العالمُ بالله وليس بعالمٍ بأمر الله فذلك الخائفُ لله وليسَ بعالمٍ بسنته ولا حدوده ولا فرائضه، وأما العالم بأمر الله وليس بعالم بالله فذلك العالم بسنته وحدوده وفرائضه وليس بخائف له.

وعن عطاء في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2] قال: من خشي اللَّهَ فَهو عالم[3].

---

(١) واسمه يحيى بن سعيد ثقة، عابد، مات سنة ١٤٥ هـ. «التقريب» (٥٩٠).

(٢) سورة فاطر: الآية (٢٨).

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (١٤/٣٤٣).

وروي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: ﴿إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ من عبادِهِ العُلَماءُ بِهِ﴾ وكذلك في مصحفه[1].

وعن أبي قلابة قال: العلماء ثلاثة؛ رجلٌ عاش بعلمه ولم يعش الناسُ معه به؛ ورجل عاش النَّاسُ بعلمه ولم يعش هو به؛ ورجل عاش بعلمه وعاش النّاسُ به معه.

وعن مجاهد قال: الفقيه من خاف الله[2].

وعن سليمان بن موسى قال: يجلس إلى العالم ثلاثة؛ رجلٌ يأخذُ كلَّ ما سمع؛ ورجل لا يحفظ شيئاً وهو جليسُ العالم؛ ورجلٌ ينتقى، وهو خيرُهم.

قال: وإذا كان علمُ الرَّجل حجازياً وخلقُه عراقياً وطاعتُه شامية يعني أنه الرجل.

وعنه قال يجلس إلى العالم ثلاثة رجل يكتب كل ما يسمع فذلك كحاطب ليل ثم ذكر مِثْله إلاّ أنّه قال إذا كان فقهُ الرّجل حجازياً وأدبُهُ عراقياً فقد كَمُل. إلى هاهنا انتهى حديثِهِ. ولم يقل: وطاعتُهُ شاميَّة.

* *

بــابُ
ما يلزَمُ العالمَ إذَا سُئِلَ عمّا لا يَدْريه من وجوهِ العلم

١٩٣ ـ عن ابن عمرَ قال: «جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أيُّ البِقَاع خيرٌ؟ قال: لا أدري. فقال: أيُّ البِقاع شرٌّ؟ قال: لا أدري. قال: سَلْ رَبَّك. فأتاه جبريل ﷺ فقال: يا جبريلُ أيُّ البِقاع خير؟ قال: لا أدري، قال: أيُّ البِقاع شرٌّ؟ قال: لا أدري. فقال: سل ربَّك؛ فانتفضَ جبريلُ انتفاضةً كادَ يصعَقُ

---

(١) قراءة ابن مسعود هي قراءة تفسيرية، ولم أقع عليها في كتب القراءات.
(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١٤/٣٤٣).

منها محمدٌ ﷺ، وقال ما أسأله عن شيء، فقال الله ـ عزَّ وجل ـ لجبريل سألك محمدٌ: أيُّ البِقاعِ خيرٌ؟ فقلت: لا أدري وسألك: أيُّ البِقاع شَرٌّ؟ فقلت: لا أدري. فأخبره: أنَّ خيرَ البِقاعِ المساجد، وأنّ شرَّ البِقاعِ الأسواق[1].

١٩٤ ـ وعن أبي هُرَيرة عن رسول الله ﷺ قال: «أحبُّ البلاد إلى اللَّهِ مساجدُها وأبغضُ البلاد إلى الله أسواقُها»[2].

١٩٥ ـ وعنه أن النبي ﷺ قال: «ما أدري أعزَيْرٌ نبي أم لا، وما أدري أتبَّعٌ ملعونٌ أم لا»[3].

١٩٦ ـ وعن عبد الرزاق عن مَعْمر عن ابن أبي ذئب عن المقبُرِيّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أدري تبَّعٌ لعينٌ أم لا وما أدري ذو القرنين نبيٌّ أم لا، وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا»[4].

زعم الدارقطني: أنّه انفرد عبد الرزاق بهذا الإسناد.

قال أبو عمر: حديثُ عُبَادَةَ بنِ الصَّامت عن النبي ﷺ فيه: «أنَّ الحدودُ كفارةٌ». وهو أثبت وأصحُّ إسناداً من حديث أبي هريرة هذا.

١٩٧ ـ فعن عبادة قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا، فمن وفى منكم فأجرُه على الله ومن أصابَ من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاءَ اللَّهُ عذَّبه، وإن شاء غفرَ له»[5].

وعن ابن سيرين قال: لم يكن أحد بعد النبي ﷺ أهيب لما يعلم من أبي بكر

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٥٠) (م).
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٥٠) (م).
(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٥٠) وانظر «الفتح الكبير» (٣/ ٧٨) (م).
(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٥٠) (م).
(٥) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٥٠) (م).

وعمر، وإنّ أبا بكر نزلت به قضية، فلم يجد في كتاب الله منها أصلاً ولا في السنة أثراً، فاجتهد رأيه ثم قال: هذا رأيي فإنْ يكـن صواباً فمن الله وإنْ يكن خطأً فمني، وأستغفرُ الله.

وعن مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه سمعه يقول: أيها الناس من علمَ منكم شيئاً فليقل، ومن لم يعلمْ فليقلْ لما لا يعلم اللَّهُ أعلم فإن من علم المرء أن يقول لما لا يعلم الله أعلم، وقد قال الله لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[1].

إنَّ قريشاً لمَّا أبطؤوا على رسول الله ﷺ بالإسلام وذكر الحديث.

وسئل الشعبي عن مسألة فقال: هي زَبَّاءُ هَلْبَاءُ[2] ذات وَبَر لا أُحسِنُها ولو أُلقيت على بعض أصحاب رسول الله ﷺ لأَعْضَلَـت به وإنما نحن في العُنُوق[3] ولسنا في النُوق. فقال له أصحابه: قد استحيينا لك مما رأينا منك. فقال: لكن الملائكة المقربين لم تستح حين قالت: ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إلاَّ ما عَلَّمْتَنَا﴾[4].

وعن ابن مسعود قال: إنَّ من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم.

قال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ من أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[5].

وعن أبي بكر الصديق أنه قال: أيُّ سماءٍ تظلُّني؟ وأيُّ أرض تقلّني؟ إذاً قلت في كتاب الله بغير علم.

---

(١) سورة صٓ: الآية (٨٦).

(٢) الزبّاء من الدواهي الشديدة، وهُلْبة هلباء داهية دهياء. «القاموس» [زبب].
[الزبّاء: الدّاهيَةُ الصَّعْبة، والهُلْبَاء: ذاتُ الشعر. اللسان (زبب) وفيه الحديث مع اختلاف في اللّفظ: كان إذَا سُئِلَ الشَّعْبيُّ عن مسألة مُعْضِلة قال: زبّاءُ ذاتُ وبر... إلخ].

(٣) جمع عَناق. وهي الأنثى من المعز، وهذه الجملة: مثلٌ يضرب في الضيق بعد السعة. «القاموس» [عنق]. [وفي «اللسان» (عنق): مالُك لعُنُوق بعد النوق].

(٤) سورة البقرة: الآية (٣٢).

(٥) سورة صٓ: الآية (٨٦).

وعن علي بن أبي طالب أنه قال: أي أرض تقلني؟ وأي سماء تظلني؟ إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم!.

وعن نافع عن ابن عمر: أنه سئل عما لا يعلم فقال: لا أدري، فلما ولّى الرجل قال: نعمًّا قال عبد الله بن عمر سئل عما لا يعلم فقال لا علم لي به.

وقال ابن وهب: وسمعت مالكاً يحدّث عن عبد الله بن يزيد بن هرمز قال: إني لأحب أن يكون من بقايا العالم بعده لا أدري ليأخذ به من بعده.

وعن مجاهد قال: سئل ابن عمر عن فريضة من الصّلب فقال: لا أدري فقيل له: ما يمنعك أن تجيبه؟ فقال: سُئِلَ ابنُ عمرَ عمّا لا يدري فقال: لا أدري.

وعن أيوب قال: تكاثرَ النّاسُ على القاسم بن محمد[1] يوماً بمنىً فجعلوا يسألونه فيقول: لا أدري. ثم قال: إنا والله ما نعلمُ كلَّ ما يسألونا عنه ولو علمنا ما كَتَمْناكُم ولا حلَّ لنا أن نكْتُمَكم.

وعن عبد الملك بن أبي سُليمان قال: سُئل سعيد بن جُبَير عن شيء، فقال: لا أعلم. ثم قال: ويلٌ للّذي يقولُ لما لا يَعْلم: إني أعلم.

وذكر الشعبيُّ عن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه خرج عليهم وهو يقول: ما أبْردَها على الكبد؟! فقيل له: وما ذلك؟ قال: أن تقول للشيء لا تعلمه: الله أعلم.

(قف على قول القاسم بن محمد)

وعن يحيى بن سَعيد عن القاسم قال: يا أهلَ العراق إنّا والله لا نعلمُ كثيراً مما تسألوننا عنه. ولأنْ يعيشَ المرءُ جاهلاً لا يعلمُ ما افتُرِضَ عليه خيرٌ له من أنْ يقولَ على الله ورسولِهِ ما لا يَعْلم.

وعن ابن عَوْن قال: كنتُ عند القاسم بن محمد إذْ جاءَه رجلٌ فسألَه عن شيء، فقال القاسم: لا أحسنُه فجعل الرَّجلُ يقول: إني دُفعت إليك لا أعرف غيرَك. فقال القاسم: لا تنظرْ إلى طُولِ لحيتي وكثرةِ النّاس حولي، والله ما أحسنه فقال شيخٌ من قريش جالسٌ إلى جنبه: يا ابن أخي الزمْها فوالله ما رأيتُك في

(١) ابن أبي بكر الصديق التَّيْميّ، ثقة، إمام وأحد فقهاء المدينة. مات سنة ١٠٦ هـ. «التقريب» (٤٥١) و«شذرات الذهب» (٢/٤٤) طبع دار ابن كثير.

مجلسٍ أنبلَ منك اليوم. فقال القاسم: واللَّهِ لأنْ تَقْطَع لساني أحبُّ إليَّ من أنْ أتكلّم بما لا علم لي به.

وعن ابن وهب قال: سمعتُ مالكاً يقولُ: سأل عبدُ الله بن نافع أيُّوب السَّخْتياني عن شيء فلم يجبه فقال: لا أراكَ فهمتَ ما سألتُك عنه. قال: بلى، قالَ: فلمَ لا تجيبني؟ قال: لا أعلمه.

وعن أحمدَ بن سِنانٍ قال: سمعتُ عبدَ الرحمن بن مهدي يقول: كنّا عند مالك بن أنس فجاءَه رجلٌ، فقال: يا يا أبا عبد الله جِئْتُكَ من مسيرة سِتَّةٍ أشهرٍ حمَّلني أهلُ بلدي مسألة أسألك عنها. قال: فسلْ. فسأله الرجلُ عن المسألة، فقال: لا أحسِنُها. قال: فبُهت الرجلُ كأنّه قد جاء إلى من يعلم كلَّ شيء. فقال: أيَّ شيءٍ أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم؟ قال: تقول لهم: قال مالك: لا أحسِنُ هذه المسألة.

وذكر ابنُ وهب أيضاً في كتاب المجالس قال: سمعتُ مالكاً يقول: ينبغي للعالم أن يألَفَ فيما أشْكَلَ عليه قولَ لا أدري؛ فإنّه عسى أنْ يهيَّأ لهُ خير.

قال ابن وهب: وكنتُ أسمعُه كثيراً ما يقول لا أدري.

وقال في موضع آخر: لو كتبنا عن مالك لا أدري لملأْنا الألْواح. قال ابنُ وهب: وسمعتُ مالكاً وذكر قولَ القاسم بن محمد لأَنْ يعيشَ المرءُ جاهلاً خيرٌ من أنْ يقولَ على الله ما لَا يَعْلم، ثم قال: هذا أبو بكر الصديق وقد خصّه اللَّهُ بما خَصَّه به من الفضل يقول: لا أدري.

قال ابنُ وهب: وحدَّثني مالك قال: كان رسولُ الله ﷺ إمام المسلمين وسيِّد العالمين يُسأل عن الشيء فلا يُجيبُ حتى يأتيَه الوحيُ.

وذكر عبدُالرّحمن بن مهدي عن مالك بعض هذا، وفي روايته هذه الملائكة قد قالت: ﴿لا عِلْمَ لَنَا﴾[1].

---

(١) سورة البقرة: الآية (٣٥).

وعن عبد الرزاق قال: قال مالك: كان ابن عباس يقول: إذا أخطأ العالم لا أدري أُصِيْبَتْ مقاتلُه.

وعن مالك بن أنس يقول: سمعتُ ابنَ عَجْلاَن يقول: إذا أغفلَ العالم لا أدري أُصيبت مقاتلُه.

وعن عقبة بن مسلم قال: صحبت ابنَ عمر أربعةً وثلاثين شهراً فكان كثيراً ما يُسْأل فيقول: لا أدري ثم يلتفت إليَّ فيقول: أتدري ما يريد هؤلاء؟ يريدونَ أن يجعَلُوا ظهورَنَا جسْراً إلى جهنَّم.

وقال أبو الدَّرْدَاء: قولُ الرَّجل فيما لا يعلَمُ لا أعلمُ نصفُ العلم.

وقال الرَّاجز:

فـإنْ جهلتَ ما سُئِلتَ عنـهُ ... ولم يكـنْ عنـدك عـلمٌ منـه
فـلا تقـل فيـه بغيـر فـهم ... إنَّ الخـطا مُـزْرٍ بـأهـل العلم
وقـلْ إذا أعيـاك ذاكَ الأمـرُ ... مـالي بمـا تسـألُ عنهُ خُبْـرُ
فـذاك شطرُ العلم عنـد العُلَمَا ... كـذاك ما زالت تقـولُ الحكما

وقـال غيـره:

إذا مـا قتلتَ الأمـر علمـاً فقـل بـه ... وإيـاكَ والأمـرَ الـذي أنتَ جـاهلُهْ

وعن أبي الذيَّال قال: تعلَّم لا أدري، ولا تعلَّم أدري؛ فإنك إن قلت: لا أدري علَّمُوك حتَّى تَدْري، وإنْ قلتَ: أدري سألوكَ حتَّى لا تَدْري.

وعن ابن مسعود قال: إن من يفتي النّاسَ في كل ما يَسْتَفْتونَه لمجنونٌ.

قال الأعمشُ: فذكرت ذلك للحَكَم بن عُتَيْبة[1] فقال: لو سمعتُ هذا منك قبل اليوم ما كنت أُفتي في كل ما أُفتي.

---

(١) أبو محمد الكِنْدي، الكوفي، ثقة ثبت فقيه، إلاّ أنه ربَّما دلّس. مات سنة ١١٣ هـ أو بعدها. «التقريب» (١٧٥).

وعن نُعَيم بن حماد قال: كان ابن عُيَيْنَة يقول: أجسرُ النَّاس على الفُتْيا أقلُّهم علماً.

وقد أفردنا باباً في تدافعُ الفَتْوى وذمٍّ من سارعَ إليها يأتي في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

* *

بـــابُ
اجتهاد الرَّأي على الأُصولِ عندَ عدم النُّصوص في حين نزولِ النَّازلة

١٩٨ - عن مُعَاذٍ أنَّ رسول الله ﷺ لما بعَثَه إلى اليمن قال له: كيفَ تصنعُ إن عَرَضَ لك قضاءٌ؟ قال: أقضي بما في كتَابِ اللَّهِ. قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنَّة رسول الله ﷺ. قال: فإنْ لم يكنْ في سنّة رسول الله قال: أجتهدُ رأيي لا آلو. قال: فضربَ بيده في صدري وقال: الحمدُ لله الذي وفّق رسولَ رسولِ الله لما يرضاه رسولِ الله»[1].

وعن شُرَيح أنَّ عمرَ كتبَ إليه: إذا أتاكَ أمرٌ فاقضِ فيه بما في كتاب الله، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله فاقضِ بما سنَّ فيه رسولُ الله، فإنْ أتاكَ ما ليسَ في كتاب الله ولم يسنَّ فيه رسولُ الله فاقضِ بمَا اجتمع عليه الناس، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله ولم يسنُّه رسول الله ﷺ ولم يتكلمْ فيه أحد فأيَّ الأمرين شئت فخذ به. هكذا قال.

وفي رواية فإنْ شئتَ أن تجتهدَ رأيَك فتقدَّم، وإن شئت أن تتأخَّرَ فتأخر، وما أرَى التأخيرَ إلاّ لك.

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: أكثرَ النَّاسُ يوماً على عبد الله يسألونه؛ فقال: يا أيُّها الناس إنّه قد أتى علينا زمانٌ ولَسْنا نقضي، ولسنا هناك، فمن ابتُلي بقضاءٍ بعدَ اليوم فليقضِ بما في كتاب الله فإنْ أتاه ما ليس في كتاب الله، ولم يقلْ فيه نبيّه

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٥٦) (م)

فليقض بما قضى به الصَّالحون، فإن أتاه أمرٌ لم يقض به الصَّالحون، وليس في كتاب الله، ولم يقض فيه نبيُّه فليجتهدْ رَأْيَه، ولا يقولَنَّ إنّي أرى وأَخافُ، فإنَّ الحلالَ بيّنٌ والحرامَ بيّنٌ، وبين ذلك أمورٌ مُشْتَبهات فدَعُوا ما يُريبكم لِمَا لا يُريبكم.

قال أبو عمر: هذا يوضح لك أن الاجتهاد لا يكون إلا على أصولٍ يُضَافُ إليها التحليلُ والتحريمُ، وأنّه لا يجتهدُ إلاَّ عالِمٌ بها ومن أشكلَ عليه شيءٌ لزمه الوقوفُ، ولم يُجزْ له أن يحيلَ على الله قولاً في دينه لا نَظيرَ له من أصلٍ، ولا هو في معنى أصل، وهو الذي لا خلافَ فيه بين أئمة الأمصار قديماً وحديثاً فتدبَّره.

وعن الشَّعْبي قال: لما بعثَ عمرُ شُرَيْحاً على قضاء الكوفة قال له: انظر ما تبيَّن لك في كتاب الله فلا تسألْ عنه أحداً، وما لم يتبيَّنْ لك في كتاب الله، فاتبعْ فيه سنَّةَ رسول الله ﷺ، وما لم يتبيَّنُ لكَ في السُّنَّة فاجتهدْ رأيَك.

وعن عبد الله بن مسعود قال: من عرضَ له قضاءٌ فليقضِ بما في كتاب الله فإن جاء ما ليس في كتاب الله فليقضِ بما قضى به نبيُّه ﷺ فإن جاءه أمرٌ ليس في كتاب الله، ولم يقضِ به نبيُّه ﷺ، فليقضِ بما قضى به الصَّالحُون فليجتهد رأيه فليُقرَّ ولا يستحي.

وهذا أوضحُ بياناً فيما ذكرنا لقوله فإن لم يَحسن ومن لا علم له بالأصول فمعلوم أنه لا يحسن.

وعن عبد اللهبن أبي يزيد قال: سمعتُ ابنَ عباس إذا سُئِلَ عن شيء فإن كان في كتاب الله قال به، فإن لم يكن في كتاب الله، وكان عن رسول الله ﷺ قال به، فإن لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله، وكان عن أبي بكرٍ وعمرَ قال به، فإن لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله ﷺ ولا عن أبي بكر وعمر اجتهد رأيَهُ.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كنَّا إذا أتانا الثّبْت عن عليٍّ لم نعدل به.

وعن مسروق قال: سألتُ أُبيَّ بنَ كعب عن شيء فقال: أكانَ هذا؟ قلت: لا. قال: فأَجِمَّنا حتّى يكونَ فإذا كان اجتهدنا لكَ رأْيَنا.

وروينا عن ابن عبّاس أنّه أرسلَ إلى زيد بن ثابت: أفي كتاب الله ثلثُ ما بقي؟ فقال زيد: إنما أقول برأيي وتقولُ برأيك.

وعن ابن عمرَ أنه سُئِلَ عن شيء فعله. أرأيتَ رسولَ الله ﷺ يفعل هذا؟ أو شيءٌ رأيتَهُ. قال: بل شيءٌ رأيتُه.

وعن أبي هريرة أنه كان إذا قال في شيء برأيه قال هذه من كَيْسي.

وعن ابن مسعود أنه قال: في غير ما مسألة أقول فيها برأيي.

وعن أبي الدرداء أنه كان يقول: إيّاكم وفراسةَ العُلَمَاء احذروا أنْ يَشْهَدُوا عليكم شهادةً تكُبْكُمُ على وجوهكم في النارِ فواللَّهَ إنَّه الحقُّ يقذفه الله في قلوبِهم ويجعلُه على أبصارهم.

وقد روي مرفوعاً: إيَّاكُم وفِرَاسةَ العلماء فإنّهم ينظُرُون بنور الله.

١٩٩ ـ وعن محمد بن عبد السلام الخُشني عن إبراهيم بن أبي الفيّاض البَرْقي، عن سُليمان بن بديع الإسكندراني عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد المُسَيّب عن عليٍّ بن أبي طالب قال: قلتُ: يا رسولَ الله الأمرُ ينزلُ بنا لم ينزل فيه قرآنٌ ولم تمضِ منك فيه سنَّة. قال: «اجْمعُوا له العالِمِيْنَ، أو قال العابدين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ولا تَقْضُوا فيه برأي واحد»(١).

قال الخشني كتبتُ عن الرّياشي هذا الحديث.

وعن موسى بن الحسن بن موسى الكوفي عن إبراهيم البرقي عن سُلَيمان بن بديع عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيَّب عن عليٍّ بن أبي طالب قال: قلت: يا رسول الله الأمر ينزل بعدك لم ينزلْ به القُرْآنُ ولم نسمع منك فيه شيئاً قال: اجمَعُوا له العابدين من المُؤْمنين واجعلوه شُورَى بينكُم ولا تَقْضُوا فيه برأي واحد.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٥٩) (م).

قال أبو عمر: هذا حديث لا يُعْرفُ من حديث مالك إلاّ بهذا الإسناد ولا أصل له في حديث مالك عندهم ولا في حديث غيره وإبراهيم البرقي وسليمان بن بديع ليسا بالقويين ولا ممن يحتج به ولا يعول عليه.

وعن عمر أنه قال لعلي وزيد: لولا رأيكما اجتمع رأيي ورأي أبي بكر، كيف يكون ابني ولا أكون أباه يعني الجد.

وعن عمر أنه لقي رجلاً فقال: ما صنعت؟ فقال: قضى عليٌّ وزيد بكذا فقال: لو كنت أنا لقضيت بكذا قال: فما يمنعك والأمر إليك؟ قال: لو كنت أردُّك إلى كتاب الله أو إلى سنة رسول الله ﷺ لفعلت. ولكني أردك إلى رأي والرأي مشترك فلم ينقض ما قال علي وزيد، وهذا كثير لا يحصى.

وعن عبيدة قال: قال علي: اجتمع رأيي ورأي عمر على عتق أمهات الأولاد ثم رأيت بعدُ أن أرقّهن فقلت له: إن رأيك ورأي عمر في الجماعة أحبُّ إلى من رأيك وحده في الفرقة.

وقال ابن وهب عن ابن لهيعة: إن عمر بن عبد العزيز استعمل عروة بن محمد السَّعدي[1] من بني سعد بن بكر وكان من صالحي عُمّال عمر بن عبد العزيز على اليمن وأنه كتب إلى عمر يسألُه عن شيء من أمر القضاء، فكتب إليه عمرُ لعمري ما أنا بالنَّشيط على الفُتْيا ما وجدت منها بدّاً وما جعلتُك إلا لتكفيني وقد حملتك ذلك فاقض فيه برأيك.

وقال عبدُ الله بن مَسْعود: ما رآه المؤمنون[2] حسناً فهو عندَ الله حَسَنٌ، وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح.

---

(١) مات بعد سنة ١٢٠ هـ. «التقريب» (٣٨٩).

(٢) قال الله تعالىٰ: ﴿إنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذِيْنَ إذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهم، وَإذا تُلِيَتْ عَلَيْهِم آيَاتُه، زَادَتْهُم إيْمَاناً، وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون﴾ [سورة الأنفال: الآية (٢)].
وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ الَّذينَ هُمْ في صَلاَتِهم خَاشِعُونَ، والَّذيْنَ هُمْ عن اللَّغْوِ مُعْرِضُون والَّذِيْنَ هُم للزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، والَّذينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [سورة المؤمنون: الآيات (١ - ٥)]. إلى آخر الآيات الواردة بذلك فهؤلاء هم المؤمنون الذين يعنيهم ابنُ مسعود وكلامه فيهم.

وعن الجديدي أنَّ أبا سَلَمة بن عبد الرحمن قال للحسن: أرأيت ما تفتي به النَّاسَ أشيءٌ سمعته أم برأيك؟ فقال الحسن: لا والله ما كلُّ ما نفتي به النَّاس سمعناه، ولكن رأْيُنا لهم خيـر من رأيهم لأنفسهم.

وعن عبدِ الله بن الحارثِ الجُمَحي قال: كان ربيعةُ في صَحْنِ المَسْجد جالساً فجازَ ابنُ شهابٍ داخلاً من باب دار مَرْوان بحذاءِ المَقْصُورة، يريد أن يسلِّم على النَّبي ﷺ، فعرضَ له ربيعةُ فلقِيَهُ فقال له: يا أبا بكر ألا تَسْخَرُ بهذه المسائل؟ فقال: وما أصنع بالمسائل؟ فقال: إذا سئلت عن مسألة فكيف تصنع؟ قال: أحدِّثُ فيها بما جاء عن النبي ﷺ، فإنْ لم يَكُنْ عن النبيِّ ﷺ فعن أَصْحَابه ـ رضي الله عنهم ـ، فإن لم يكن عن أصحابه اجتهدتُ رأيي، ثم قال: ما تقول في مسألة كذا وكذا؟ فقال: حدَّثني فلانٌ عن فلان عن النبي ﷺ كذا وكذا. فقال ربيعةُ: طلبت العلمَ غُلاماً ثم سكنتَ به أَدَامىٰ.

قال لي عليُّ بن يحيى: وأَدَامَىٰ[1] ضَيْعَةٌ لابن شهابٍ على نحو ثمانِ ليالٍ.

(قف على قول محمد بن الحسن) وقال محمد بن الحسن: من كان عالماً بالكتاب والسُّنَّة وبقول أصحاب رسول الله ﷺ وبما استحسن فقهاءُ المسلمين وَسِعَهُ أن يجتهدَ رأيَه فيما ابتُلِيَ به، ويقضي به ويُمْضيَه في صلاته، وصيامِه، وحجِّه، وجميعِ ما أمر اللَّهُ به، ونهى عنه، فإذا اجتهد ونظرَ وقاسَ على ما أشبه، ولم يألُ وسِعَه العملُ بذلك وإن أخطأ الذي ينبغي أن يقول به.

(قف على قول الشافعي) وقال الشافعيُّ: لا يقيسُ إلاّ من جمع آلات القياس وهي:

العلم بالأحكام من كتاب الله فرضِهِ وأدبِهِ وناسخِه ومنسوخِه وعامّه وخاصِّه وإرشاده وندبه ويستدلُّ على ما احتمل التأويل منه بسُنَن الرسول ﷺ، وبإجماع المسلمين، فإذا لم تكن سنَّةٌ ولا إجماع فالقياس على كتاب الله، فإن لم يكن

(١) في الأصل: «أداما» والتصويب من «معجم ياقوت» (١/١٢٥).
وفيه: أدامَى: بالفتح والقصر، قال أبو القاسم السَّعدي: أدَامى موضع بالحجاز، فيه قبرُ الزُّهري العالم الفقيه.

فالقياس على سنة رسول الله ﷺ فإن لم يكن فقياس على قول عامة السَّلَف الّذين لا يعلمُ لهم مخالفاً، ولا يجوز القول في شيء من العلم إلا من هذه الأوجه أو من القياس عليها، ولا يكونُ لأحدٍ أن يقيسَ حتى يكون عالماً بما مضى قبله من السُّنن وأقاويل السَّلف، وإجماع الناس واختلافهم، ولسان العرب ويكون صحيح العقل حتى يفرّقُ بين المُشتبه ولا يعجل بالقول ولا يمتنعُ من الاستماع ممّن خالفه، لأنّ له في ذلك تنبيهاً على غفلة، ربما كان منه أو تنبيهاً على فضل ما اعتقد من الصواب، وعليه بلوغُ غاية جهده والإنصاف من نفسه حتّى يعرفَ من أين قال ما يقوله.

(قف على حرص السلف في اجتماع الكلمة)

قال: فإذا قاس من له القياس واختلفوا وسع كلاًّ أن يقولَ بمبلَغِ اجتهادِهِ ولم يسعْهُ اتّباع غيرِه فيما أدَّاه إليه اجتهادُه.

والاختلاف على وَجْهين فما كان منصوصاً لم يحلَّ فيه الاختلاف، وما كان يحتملُ التأويل أو يُدْرَكُ قياساً فذهب المتأوّل أو القائس إلى معنىً يحتملُ وخالفه غيره لم أقل إنه يضيق عليه ضيق الاختلاف في المنصوص.

قال أبو عمر: قد أتى الشافعي في هذا الباب بما فيه كفاية وشفاء وهذا باب يتّسع فيه القول جداً، وقد ذكرنا منه كفاية، وقد جاء عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من اجتهاد الرأي والقول بالقياس على الأصول عند عدمها ما يطول ذكره وسترى منه ما يكفي في كتابنا هذا إن شاء الله.

وممَّن حُفظ عنه أنَّه قال وأفتى مجتهداً برأيه وقائساً على الأصول فيما لم يجد فيه نصاً من التابعين:

فمن **أهل المدينة**: سعيدُ بن المسيَّب، وسُليمان بن يَسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وعُبَيْد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وخارجَةُ بن زيد، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير، وأبان بن عثمان، وابن شهاب. وأبو الزّناد، وربيعة، ومالك، وأصحابه، وعبد العزيز بن أبي سلمة، وابن أبي ذِئْبٍ.

ومن **أهل مكة واليمن**: عطاءٌ، ومجاهدٌ، وطاووسٌ، وعكرمةٌ، وعمرُو بنُ دينار، وابن جُرَيج. ويحيـى بن أبي كثير. ومَعْمر بن راشد، وسعيد بن سالم، وابن عُيَيْنَة، ومُسْلم بن خالد، والشافعيّ.

ومن **أهل الكوفة**: عَلْقَمَةُ والأسودُ، وعُبَيْدة، وشُرَيْح القاضي، ومَسْرُوق، ثم الشَّعبيْ. وإبراهيم النَّخَعي وسعيد بن جُبَيْر، والحارث العُكْلي، والحكم بن عُتَيْبة، وحماد بن أبي سليمان. وأبو حنيفة وأصحابه، والثَّوْري، والحسنُ بن صالح، وابنُ المبارك. وسائر فقهاء الكوفيين.

ومن **أهل البصرة**: الحسَنُ وابن سِيْرين، وقد جاء عنهما وعن الشَّعبي ذَمُّ القياس ومعناه عندنا قياس على غير أصل، لئلا يتناقضَ ما جاء عنهم، وجابرُ بن زيد أبو الشَّعْثَاء. وإياسُ بن معاوية، وعثمان البَتّي، وعُبَيْد الله بن الحسن، وسَوَّار القاضي.

ومن **أهل الشام**: مَكْحُول، وسليمان بن موسى، والأَوْزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، ويزيدُ بن جابر.

ومن **أهل مصر**: يزيد بن أبي حبيب، وعمرو بن الحارث، واللَّيث بن سعد، وعبدُ الله بن وهب، وسائرُ أصحاب مالك: ابن القاسم، وأشهب، وابن عبد الحكم، ثم أَصْبَغ.

وأصحاب الشافعي: المُزَني، والبُوَيْطي، وحَرْمَلة، والرَّبيع.

ومن **أهل بغداد** وغيرهم من الفقهاء: أبو ثور، وإسحاق بن راهْوَيه، وأبو عُبَيد القاسم بن سلّام، وأبو جعفر الطَّبَريّ.

واختلف فيه عن أحمد بن حنبل وقد جاء عنه منصوصاً إباحة اجتهاد الرأي والقياس على الأصول في النازلة تنزل وعلى ذلك كان العلماء قديماً وحديثاً عندما ينزل بهم أمرٌ ولم يزالوا على إجازة القياس حتى حدّث إبراهيم بن سيار النَّظام[1]

(١) البصري، توفي ٢٢١ هـ وهو من أئمة المعتزلة، وكان عظيم الذكاء فصيحاً. «النجوم الزاهرة» (٢/٢٣٤)، و«الأعلام» (١/٤٣).

وقومٌ من المعتزلة، سلكوا طريقهُ في نفي القياس والاجتهاد في الأحكام وخالفوا ما مضى عليه السَّلف فممَّن تابع النَّظام على ذلك: جعفرُ بن حرب، وجعفرُ بن مبشّر، ومحمد بن عبد الله الإسكافي وهؤلاء معتزلة أئمة في الاعتزال عند منتحليه.

واتَّبعهم من أهل السنة على نفي القياس في الأحكام: داود بن علي بن خلف الأصبهاني[1] ولكنه أثبت الدليل وهو نوع واحد من القياس سنذكره إن شاء الله.

وداود غير مخالف للجماعة والسنة في الاعتقاد والحكم بأخبار الآحاد.

وذكر أبو القاسم عبيد الله بن عمر في كتاب «القياس» من كتبه في الأصول فقال: ما علمت أحداً من البصريين ولا غيرهم ممن له نباهة سبق إبراهيم بن النظّام إلى القول بنفي القياس والاجتهاد ولم يلتفت إليه الجمهور، وقد خالفه في ذلك أبو الهذيل وقمعه فيه وردَّه عليه هو وأصحابه.

قال: وكان بشر بن المعتمر شيخ البغداديين ورئيسهم من أشدّ الناس نصرة للقياس واجتهاد الرأي في الأحكام هو وأصحابه، وكان هو وأبو الهذيل كأنّهما ينطقان في ذلك بلسان واحد.

قال أبو عمر: بشر بن المعتمر وأبو الهذيل من رؤساء المعتزلة وأهل الكلام، وأما بشر بن غياث المَريسي فمن أصحاب أبي حنيفة المغرقين في القياس الناصرين له الدائنين به ولكنه مبتدع أيضاً قائل بالمخلوق.

وسائر أهلِ السنَّة وأهلِ العلم على ما ذكرت لك إلا أن منهم من لا يرى القول بذلك إلا عند نزول النازلة، ومنهم من أجاز الجواب فيها لمن يأتي بعدُ وهم أكثر أئمة الفتوى وبالله التوفيق.

٢٠٠ ـ وعن أبي عثمان الطُّنْبُذي[2] رضيع عبد الملك بن مروان قال:

---

(١) إمام جليل ومن كلامه: «خير الكلام ما دخل الأذن بغير إذن». مات سنة ٢٧٠ هـ. «ابن خلكان» [٢/٢٥٥].

(٢) مسلم بن يَسَار، مولى الأنصار، «التقريب» (٥٣١).

سمعتُ أبا هُرَيرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من أُفْتِيَ بغيرِ علمٍ كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمرٍ يعلَمُ الرُّشْدَ في غيره، فقد خانه»[1].

قال أبو عمر: اسم أبي عثمان الطُّنْبُذي مُسْلم بن يسار.

وعن ابن عباس: من أفتى بفتيا وهو يعمى عنها كان إثمها عليه.

وعن ابن مسعود قال: لا يَقُولنَّ أحدُكم أرى وإنّـي وإنّي أخافُ، دَعْ ما يُرِيْبُك إلى ما لا يُرِيبك.

* *

بـــابُ
نكتةٍ يستدَلُّ بها على استعمال عموم الخطاب في السُّننَ والكتاب وعلى إباحة ترك ظاهر العموم للاعتبار بالأصول

٢٠١ ـ عن أبي هُرَيْرة قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ على أُبيِّ بن كعب وهو يصلِّي فقال رسولُ الله ﷺ: «يا أُبي فالتفتَ إليه ولم يجبْه وصلّى فخفَّفَ ثمّ انْصَرَفَ إلى رسول الله ﷺ. فقال رسولُ الله ﷺ: يا أُبي ما منعك أن تجيبَني إذْ دعوتك؟ فقال: يا رسول الله! كنت أصلي. قال: أفلم تجد فيما أُوحي إليَّ أن: ﴿اسْتَجِيْبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيْكُمْ﴾[2] قال: بلى يا رسولَ الله! ولا أعود إن شاء الله»[2].

٢٠٢ ـ وعن أبي سعيد بن المعلَّى[3] قال: كنت أُصلي فمرَّ بي النبيُّ ﷺ ثم ذكر نحو هذه القصة المروية في أُبيّ.

وروي عن ابن مسعود أنه جاء يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فسمعه يقول:

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٦٣) (م).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٢٤). والحديث في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٦٤) (م).

(٣) الأنصاري، المدني، يقال: اسمه رافع بن أوس، وقيل: الحارث، ويقال: ابن نفيع صحابي، مات سنة ٧٣ هـ. «التقريب» (٦٤٤).

اجلسوا فجلسَ بباب المسجد فرآه النبي ﷺ فقال له: تعالَ يا عبدَ الله بن مسعود.

ذكره أبو داود في كتاب الجمعة من «السُّنن»[1].

وسمعَ عبدُ الله بن رواحة وهو بالطريق رسولَ الله ﷺ وهو يقول: اجلسُوا فجلسَ في الطّريق، فمرّ به رسولُ الله ﷺ فقال: ما شأنك؟ فقال: سمعتُك تقول: اجلسوا فجلست. فقال له النبيُّ ﷺ زادك الله طاعة.

ويدخل في هذا الباب قول عثمان بن مظعون، للبيد بن ربيعة حين سمعه يُنْشِدُ في المسجد الحرام:

ألا كلُّ شَيْءٍ ما خَلاَ اللّهَ باطلُ

فقال عثمان: صدقت، فقال لبيد: وكُلُّ نعيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ[2].

فقال: كَذَبْت.

وإنما صدَّقه في الأُولى لأنّه عموم لا يلحقُه خصوص، وكذَّبه في الثانية لأنّ نعيمَ الجنَّة دائمٌ لا يزول، وكان لبيد حينئذٍ كافراً.

وهذا الباب كثيرٌ جداً لا سبيل إلى تقصّيه لكثرته.

٢٠٣ ـ وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلّي أحدٌ العصرَ إلَّا في بني قُرَيْظة»[3] فأدركَهُم وقتُ العصر في الطَّريق، فقال بعضُهم: لا نُصَلّي حتى نأتيهَا، وقال بعضُهم: بل نصلّي، ولم يُرد منا ذلك، فذُكر ذلك للنّبي ﷺ فلم يعنّف واحدة من الطائفتين.

قال أبو عمر: هذه سبيل الاجتهاد على الأُصول عند جماعة الفقهاء ولذلك لا يردّون ما اجتهد فيه القاضي وقضى به إذا لم يردّ إلا إلى اجتهاد مثله وأما من أخطأ منصوصاً من كتاب الله أو سنّة رسوله ﷺ بنقل الكافة أو بنقل العدول فقولُه وفعلُه عندَهم مردودٌ إذا ثبت الأصلُ فافهم وبالله التوفيق.

* *

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٦٤) وهو عند أبي داود رقم (١٠٩١) (م).

(٢) «ديوان لبيد» (٤٤) دار صادر وينظر «الأغاني» (١٥/٣٧٤) وجاء الخبر فيه في معرض تبرؤ عثمان بن مَظْعُون من جوار الوليد بن المغيرة.

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٦٥) (م).

بـــابٌ
مختصرٌ في إثْبات المقايسَة في الفقه

قد تقدَّمَ ذكرُ اجتهاد الرّأي وذكرنا في ذلك الباب حديثَ مُعَاذٍ، وغيرِه وهو الحجَّةُ في إثبات القياس عند جميع الفقهاء القائلين به، وهم الجمهور.

قال الله تبارك وتعالى:

﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾[1] وهذا تمثيل الشيء بعِدْله ومثْله وشبْهه ونظيره وهو نفس القياس عند الفقهاء.

٢٠٤ ـ ورويَ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال له رجل في حديث أبي ذرّ وغيره: يا رسول الله ﷺ أيقضي أحدنا شهوتَه ويُؤْجَر؟ قال: «أرأيت لو وَضَها في حرام أكانَ يأثمُ» قال: نعم. قال: «فكذلك يؤجر أفتجزون بالشَّرِّ ولا تجزَوْن بالخير»[2].

ومن هذا الباب حديث أبي هريرة.

٢٠٥ ـ أنّ رجلاً من فَزَارة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «إنّ امرأتي ولدَتْ غلاماً أسودَ». الحديث. لأنه بيّن له فيها أنّ الحُمْرَ من الإبل قد تنتج الأوْرق إذا نَزَعه عرق[3] فكذلك المرأةُ البيضاء تلد الأسود إذا نَزعه عرقٌ[4].

---

(١) سورة المائدة: الآية (٩٥).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٦٥) وأصل الحديث عند مسلم رقم (١٠٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه (م).

(٣) ذكر هذا الحديث البخاري في «صحيحه» في باب إذا عرّض بنفي الولد قال:
حدثنا يحيى بن قزعة، حدثنا مالك عن ابن هاشم عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود، فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم. قال: فأنّى ذلك؟! قال: لعله نزعة عرق، قال: فلعله ابنك هذا نزعة عرق. هـ.
وفي «المدونة» رواية سحنون عن ابن القاسم في باب اللّعان مثل هذا الحديث، عن يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة، إلاّ أنّ فيه بدل «فأنّىٰ ترى ذلك جاءها، قال: يا رسولَ اللّه عرقٌ نَزعها». إلى آخر الحديث.

(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٦٦ ـ ٦٧) (م).

٢٠٦ ـ وقال ﷺ لعمرَ حينَ سأله عن قُبلة الصائم امرأته: أرأيت لو تمضْمَضَ بماء ومجَّه وهو صائم؟ فقال عمر: لا بأس. قال: فكذلك هذا[١].

٢٠٧ ـ وفي حديث الخثعميَّة في الحجّ عن أبيها أرأيت لو كانَ على أبيك دَينٌ فقضيتِه أكان ذلك ينفعه؟ قالت: نعم. قال: فدين الله أحق.

٢٠٨ ـ وقال ﷺ: «محرّمُ الحلالِ كمستحلِّ الحرام»[٢].

٢٠٩ ـ وقال: «يحرُمُ من الرضاع ما يحرُم من النسب»[٣].

وفي كتاب عمر إلى أبي موسى: واعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور.

٢١٠ ـ وقايس زيد بن ثابت عليَّ بن أبي طالب في المُكَاتِب، وقايسه أيضاً في الجَدِّ، واتفقا في أنّه لا يحجب الأخوة فقاسه عليّ وشبّهه بسيل انشعبت منه شعبةٌ ثم انشعب من الشعبة شعبتان، وقاسه زيد على شجرة انشعبت منها غصنٌ وانشعب من الغصن غصنان لأنَّ قولهما في الجد واحد في أنه يشارك الأخوة ولا يحجبهم.

وقاس ابن عباس الأضراس بالأصابع. وقال: عقلهما سواء اعتبرها بها.

وقال الشّعبي: إنَّا نأخذ في زكاة البقر فيما زاد على الأربعين بالمقاييس.

وقال إبراهيم النَّخَعي: ما كل شيء نسأل عنه نحفظه ولكنَّا نعرف الشيء بالشيء ونقيس الشيء بالشيء.

وفي رواية أُخرى عنه قيل له: أكلُّ ما تفتي به الناس سمعته؟ قال: لا. ولكن بعضَهُ سمعتُ وقستُ ما لم أسمع على ما سمعت.

وعنه أيضاً أنه قال: إني لأسمع الحديثَ فأقيس عليه مائة شيء.

وقال المُزَنيّ: الفقهاءُ من عصر رسول الله ﷺ إلى يومنا وهلم جرّاً استعملوا المقاييس في الفقه في جميع الأحكام في أمر دينهم.

قال: وأجمعوا أنّ نظيرَ الحق حقٌّ ونظير الباطل باطل.

---

(١) ذكره ابن عبد البر «في جامع بيان العلم وفضله» (٢/٦٦) (م).

(٢) (٣) ذكر ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٦٦) (م).

قال: فلا يجوزُ لأحد إنكار القياس؛ لأنه التشبيه بالأمور والتمثيل عليها.

قال أبو عمر: ومن القياس المجمع عليه صيدُ ما عدا الجوارح قياساً على الكلاب لقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِنَ الْجَوارِحِ مُكَلِّبِيْنَ﴾[1].

وقال عزَّ وجل: ﴿والَّذِيْنَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾[2] فدخل في ذلك المُحْصَنُون قياساً.

وكذلك قولُه في الإماء ﴿فَإِذا أُحْصِنَّ﴾[3] فدخل في ذلك العبيدُ قياساً عند الجمهور إلا من شذّ ممن لا يكادُ يعدّ خلافاً.

وقال في جزاء الصيد المقتول في الحرم ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمُ مُتَعَمِّداً﴾[4] فدخل فيه قتلُ الخطأ قياساً عند الجمهور إلا من شذَّ لأنه أتلف ما لا يملك قياساً على مال غيره إذا أتلفه عمداً أو أخطأه.

وقال: ﴿يَا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُم الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ من قَبْلِ أَنْ تَمسُّوهُنَّ فَمَا لَكُم عَلَيْهِنَّ من عِدَّةٍ تعتدُّونَها﴾[5] فدخل في ذلك الكتابيات قياساً، فكل من تزوّج كتابيّة وطلّقها قبل المسيس لم يكن عليها عدة، والخطابُ قد ورد بالمؤمنات.

وقال في الشَّهادةِ في المُدَاينات ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْن فرَجُلٌ وامْرَأَتَان﴾[6] فدخل في معنى قوله: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُم بدَيْن إِلَى أَجلٍ مُسَمًّى﴾[7] قياساً على الدَّين المواريث والودائعِ والغُصُوب وسائر الأموال، وأجمعوا على توريث البنتين الثلثين قياساً على الأختين وهذا كثير جداً يطول الكتاب بذكره.

---

(١) سورة المائدة: الآية (٤).
(٢) سورة النُور: الآية (٤).
(٣) سورة النساء: الآية (٢٥).
(٤) سورة المائدة: الآية (٩٥).
(٥) سورة الأحزاب: الآية (٤٩).
(٦) سورة البقرة: الآية (٢٨٢).
(٧) سورة البقرة: الآية (٢٨٢).

وقال فيمن أعسر بما بقي عليه من الرِّبا: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾[1] فدخل في ذلك كل معسر بدَيْن حلال وثبت ذلك قياساً والله أعلم.

ومن هذا الباب توريث الذكر ضعفي ميراث الأنثى منفرداً وإنما ورد النصُّ في اجتماعهما بقوله: ﴿يُوصِيْكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[2].

ومن هذا الباب أيضاً قياس التَّظاهر بالبنت على التظاهر بالأُم، وقياس الرقبة في الظهار على الرقبة في القتل، بشرط الإيمان وقياس تحريم الأختين وسائر القرابات من الإماء على الحرائر في الجمع بينهن في التسرّي والنكاح، وهذا لو تقصَّيناه لطال به الكتاب، والله الموفق للصواب.

وقال أبو محمد اليَزِيْدي[3] في القياس:

(قف على أبيات جليلة)

مــا جهــولٌ لعــالمٍ بمُــدانِ ... لا ولا العيُّ كــائنٌ كــالبيــانِ
فـإذا ما عميت فـاسأل تخبّـر ... أنَّ بعضَ الأخبـار مثلُ العَيَـانِ
ثمّ قِسْ بعضَ ما سمعتَ ببعضٍ ... وائْتِ فيمـا تقـول بـالبرهـانِ
لا تكنْ كالحمارِ تحمـلُ أسفا ... راً كمـا قد قـرأت في القرآنِ
إنّ هـذا القياسَ في كـلِّ أمرٍ ... عنـد أهـل العقـول كـالميـزانِ
لا يجوزُ القياس في الدّين إلا ... لـفـقـيـه لـديـنـه صـوّانِ
ليس يغني عن جاهلٍ قولُ مفتٍ ... عن فـلان وقـولـه عن فـلانِ
إنْ أتــاهُ مـسـتـرشـداً أفـتـاه ... بحـديثين فيهـمـا معنيـانِ
إنّ من يحمـلُ الحـديثَ ولا يعْـرفُ فيـه التـأويـلَ كـالصَّيـدلاني
حين يَلقيَ لـدَيـه كـلُّ دواءٍ ... وهـو بالـطبِّ جاهـلٌ غيرُ وانِ

(١) سورة البقرة: الآية (٢٨٠).
(٢) سورة النساء: الآية (١١).
(٣) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي مولاهم وسمي اليزيدي لصحبته يزيد بن منصور خال المهدي توفي سنة ٢٠٢ هـ. «المؤتلف والمختلف» (٤٩٨).

حكّم اللّهُ في الجزاءِ ذوَيْ عَدْ   لٍ من الصَّيد بالّذي يَريانِ
لم يوقّتْ ولم يسمِّ ولكنْ   قال فيه فليحكُم العَدْلانِ
ولنا في النبي صلّى عليه الله والصَّالحون كلَّ أوانِ
أسوةٌ في مقالِهِ لِمُعاذٍ   إقضِ بالْرأي إن أتَى الخَصْمانِ
وكتابُ الفاروق يرحمه اللّه إلى الأشعريِّ في تبيانِ
قِسْ إذا أشكلت عليك أمورٌ   ثم قلْ بالصَّواب للرَّحمنِ

وقال أبو عمر: القياس والتَّشبيه والتمثيل من لغة العرب الفصيحة التي نزل بها القرآن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ والمَرْجَانُ﴾(١) وقوله: ﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾(٢) وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾(٣) يعني في قلب المؤمن: ﴿كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْبَاحٌ﴾(٤) وقوله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُمْ يومَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُوْنَ لم يَلْبَثُوا إلَّا سَاعةً من نهارٍ﴾(٥). وقوله: ﴿فَسُقْنَاهُ إلى بَلَدٍ ميتٍ فأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتها كذَلِكَ النُّشُورِ﴾(٦) وقوله: ﴿وأَحْيَيْنَا به بلدةً مَيْتاً كذلك الخُرُوج﴾(٧) وما كان مثله من ضربِهِ عز وجلَّ الأمثال للاعتبار وحكمه للنَّظير بحكم النظير، ومثله كثير، والمعنى في ذلك كله وما كان مثله الاشتباه في بعض المعاني وهو الوجه الذي جرى عليه الحكم لأن الاشتباه لو وقع من جميع الجهات كان ذلك الشيء بعينه ولم يوجد تغاير أبداً فإنَّ النشور ليس كإحياء الأرض بعد موتها إلّا من جهة واحدة وهي التي جرى إليها الحكم والمراد وكذلك الجزاء بالمثل من النَّعم لا يشبه الصَّيد من كل جهة وكذلك قول الله في الكفار: ﴿كأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَة فرَّت من قَسْورة﴾(٨)

(١) سورة الرحمن: الآية (٥٨).
(٢) سورة يونس: الآية (٢٤).
(٣) سورة النور: الآية (٣٥).
(٤) سورة النور: الآية (٣٥).
(٥) سورة الأحقاف: الآية (٣٥).
(٦) سورة فاطر: الآية (٩).
(٧) سورة قٓ: الآية (١١).
(٨) سورة المدثر: الآية (٧٤).

و ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ﴾ (١) وقع التشبيه من جهة عَمَى القُلوب والجَهْل ومثل هذا كثير.

وقال ابنُ شُبْرُمة:

احكمْ بما في كتابِ اللَّهِ مقتدياً وبالنَّظائر فاحكم وبالمقاييس

وأنشدَ أبو عبيدةَ مَعْمَر بن المثنّى لقسِّ بن ساعدة (٢) وأنشدها غيره للأُقَيْشرِ الأَسَدي (٣):

يا أيها السَّائلُ عمَّا مضى من علمِ هذا الزَّمَن الذاهبِ
إنْ كنتَ تبغي العلمَ أو نحوَهُ في شاهدٍ يخبرُ عن غائبِ
فاعتبرْ الشَّيءَ بأشباهه واعتبر الصَّاحبَ بالصَّاحبِ

وقال منصور:

تأنَّ في الأمر إذا رُمْتَه تَبَّين الرُّشدَ من الغيّ
لا تتبعن كلَّ نار ترى فالنَّارُ قد توقد للكيّ
وقسْ على الشيء بأشكاله يدلُّك الشيء على الشيّ

وقال غيره:

إذا أعيا الفقيهَ وجودُ نص تعلّق لا محالة بالقياس

ولأبي الفتح البُسْتي:

أنتَ عينُ الحورِ نصاً وقياساً وبيَانُ الحق نصٌّ وقياسُ

* *

(١) سورة الفرقان: الآية (٤٤).

(٢) ابن عمرو، خطيب العرب وشاعرها، وحليمها وحكيمها في عصره. أدركه الرسول ﷺ قبل النُبوّة، ورآه بعكاظ، فكان يأثُر عنه كلاماً سمعه منه وسئل عنه، فقال: «يُحشَر أُمَّةً وحدَه». «الأغاني» (١٥/٢٤٦).

(٣) لقب غلب عليه، واسمه المغيرة بن عبد الله بن معرض، عُمُر طويلاً، وكان ماجناً يشرب الخمرة والأبيات في «الأغاني» (١١/٢٥٨) مع خلاف في اللّفظ.

بـــاب
في خطأ المجتهدين من المفتين والحكام

٢١١ ـ عن ابن بُرَيْدَة(١) عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «القُضَاةُ ثلاثةٌ قاضيان في النَّارِ وقاضٍ في الجنَّةِ، قاضٍ قَضَى بغير الحق، وهو لا يعلم، فأهلكَ حقوقَ النَّاس، فذلك في النَّار، وقاضٍ قضى بالحق، وهو يعلم فذلك في الجنة»(٢).

وعن خلف بن خليفة(٣) قال: قال أبو هاشم الرُّمَّاني: لولا حديثُ ابنِ بُرَيْدة لقلت: إن القاضي إذا اجتهد فليسَ عليه سبيل ولكن قال ابن بُرَيْدة: عن أبيه، قال النبي ﷺ: «القضاةُ ثلاثةٌ: قاضٍ في الجنَّة واثنان في النَّار قاضٍ عرفَ الحقَّ فقضى به فذلك في الجنة وقاضٍ قضَى بالجهل فذلك في النار وقاضٍ عرف الحقَّ وجارَ في الحكم فهو في النار»(٤).

وعن حكيم بن جبير(٥) عن ابن بُرَيْدة قال: أراد يزيد بن المهلَّب أن يستعملَه على قضاء خُراسان فقال: ابن بُرَيْدة لقد حدَّثني أبي عن النبي ﷺ في القضاء حديثاً لا أقضي بعده قال: «القضاةُ ثلاثةٌ اثنان في النَّار وواحدٌ في الجنة، قاضٍ علمَ الحقَّ فقضى به فهو من أهلِ الجنَّة، وقاضٍ علمَ الحقَّ، فجار متعمداً فهو من أهل النار، وقاضٍ قضى بغير الحق، واستحيا أنْ يقولَ لا أعلمُ، فهو في النار»(٦).

وعن قتادة قال: سمعت أبا العالية قال: قال علي: القضاةُ ثلاثة قاضيان في النَّار وقاض في الجنة. فأما اللّذان في النار؛ فرجلٌ جارَ متعمّداً فهو في النار،

---

(١) هو عبد الله بن بُرَيْدة بن الحصيب الأسلمي ثقة. مات سنة ١٠٥ هـ وقيل: أكثر. «التقريب» [٢٩٧].
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٦٩ ـ ٧٠) (م).
(٣) ابن صاعد الأشجعي، مولاهم، الكوفي، صدوق اختلط في آخر عمره. «التقريب» [١٩٤].
(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٧٠) (م).
(٥) الأسدي الكوفي ضعيف رمي بالتشيّع. «التقريب» [١٧٦].
(٦) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٧٠ ـ ٧١) (م).

ورجلٌ اجتهد فأخطأ فهو في النار، وأما الذي في الجنة فرجل اجتهد فأصاب الحق فهو في الجنة. قال قتادة: فقلت لأبي العالية: ما ذنب هذا الذي اجتهد فأخطأ قال: ذنبه ألّا يكون قاضياً إذا لم يعلم.

وعن عبد الله بن مَوْهَب[1] أنْ عثمانَ بنَ عفّان[2] قال لابن عمر: اذهب فأفت بين الناس قال: أو تعافيني يا أمير المؤمنين قال: فما تكره من ذلك وكان أبوك يقضي؟ قال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من كان قاضياً فقضى بالعدل فبالحرا[3] أن ينقلبَ منه كفافاً». فما أرجو بعد ذلك؟

وعن الحسن بن أبي الحسن قال: واللّهِ لولا ما ذكره اللّهُ من أمر هذين الرَّجلين يعني داود وسليمانَ لرأيتُ أنَّ القضاةَ قد هلكوا؛ فإنّه أثنى على هذا بعلمه وعذَرَ هذا باجتهاده.

٢١٢ ـ حدثني عبد الوارث قال: حدَّثنا قاسمٌ قال: حدّثنا المطّلبُ بنُ شُعَيْب قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثنا اللّيْث بن سعد عن ابن الهادي عن محمد بن إبراهيم عن بِشْر بن سعيد عن أبي قَيْس مولى عمرو بن العاص أنّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا حكمَ الحاكمُ واجتهدَ وأصابَ فلهُ أجران، وإنْ حكمَ فاجتهدَ ثم أخْطأ فله أجر»[4].

فحدثت بهذا الحديث أبا بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم، فقال: هكذا حدّثني أبو بكر بن عبد الرحمن عن أبي هريرة.

---

(١) الشامي، قاضي فلسطين لعمر بن عبد العزيز، ثقة. «التقريب» [٣٢٥].

(٢) ابن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين، وأحد السابقين الأولين والخلفاء الأربعة والعشرة المبشرة، استشهد سنة ٣٥ هـ. «التقريب» [٣٨٥].

(٣) قال في القاموس: والحرا: الخليق، ومنه: بالحرا أن يكون ذاك، وإنّه لحرىً بكذا، وحريٌّ كغنيّ وحر. والأولى لا تثنى ولا تجمع. [حرى].

(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٧١) (م).

(٥) عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدّاراوردي، أبو محمد الجهني، مولاهم، صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطىء، قال النسائي: حديثه عن عبيد الله العمري منكر، مات سنة ١٨٦ هـ. «التقريب» (٣٥٨).

ورواه الدارَوَرْدي(٥) عن يزيد بن عبد الله بن الهاديُّ فحدثت بهذا الحديث أبا بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم فقال: هكذا حدثني أبو سلمة، عن أبي هريرة فجعل مكان أبي بكر بن عبد الرحمن أبا سلمة، والقولُ قولُ اللَّيث ـ والله أعلم ـ.

كذلك ذكره الشافعي وأبو المصعب وغيرهما عن الدارَوَرْدي.

٢١٣ - وروى عبد الرزاق عن مَعْمَر عن سُفْيان الثَّوري عن يحيى بن سعيد، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، عن أبي سَلَمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حكَمَ الحاكمُ فاجتهدَ فأصابَ فلهُ أجران وإذا حكم فاجتهدَ فأخطأ فله أجر»(١).

قال البخاري: لم يَرْوِ هذا الحديث عن مَعْمر غير عبد الرزاق وأخشى أن يكون وَهِمَ فيه يعني في إسناده.

قال أبو عمر: اختلف الفقهاء في تأويل هذا الحديث فقال قوم: لا يؤجر من أخطأ لأنَّ الخطأ لا يؤجَرُ أحدٌ عليه وحَسْبه أن يُرْفَع عنه المأثم.

وردُّوا هذا الحديث بحديث بُرَيدة المذكور في هذا الباب وبقوله: «تجاوز الله لأُمتي عن خَطَئهَا ونسيانها»(٢).

وبقول الله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾(٣) ونحو هذا.

وقال آخرون يُؤْجَرُ في الخطأ أجراً واحداً على ظاهر حديث عمرو بن العاص؛ لأنَّ رسولَ الله ﷺ قد فرّق بين أجرِ المخطىء والمصيب فدَلَّ أنَّ المخطيءَ يؤجر، وهذا نص ليسَ لأحد أن يرده.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٧٢) وهو عند البخاري رقم (٧٣٥٢) بهذا اللفظ من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه. (م).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٧٢) (م).

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٥).

(نقف على قول الشافعي)

وقال الشافعي ومن قال بقوله: يؤجَرُ، ولكنه لا يؤجر على الخطأ لأن الخطأ في الدِّين لم يُؤْمر به أحدٌ وإنما يؤجر لارادته الحق الذي أخطأه.

قال المُزَني: فقد أثبت الشافعي في قوله: هذا أن المجتهد المخطىء أحدث في الدين ما لم يؤمر به ولم يكلَّفه وإنما أجر في نيته لا في خَطَئِهِ.

قال أبو عمر: لـم نجد لمالك في هذا الباب شيئاً منصوصاً إلا أنَّ ابن وهب ذكر عنه في كتاب: العلم من «جامعه». قال: سمعتُ مالكاً يقول: من سعادة المرء أن يوفَّقَ للصواب والخير ومن شقاوة المرء أن لا يزال يخطىء.

وفي هذا دليل أن المخطيء عنده وإن اجتهد فليس بمرضيٍّ الحال ـ والله أعلم ـ.

وذكر إسحاق بن إسماعيل القاضي في «المبسوط» قـال: قال محمـد بن مَسْلَمة: إنما على الحاكم الاجتهادُ فيما يجوزُ فيه الرّأي فإذا اجتهد وأرادَ الصَّواب بجُهْد نفسه فقد أدَّى ما عليه أخطأ أو أصاب.

قال: وليس أحدٌ في رأبي على حقيقة أنَّه الحقُّ وإنما حقيقته الاجتهاد فإن اجتهد وأخطأ في عقوبة إنسان فمات لم تكن عليه كفَّارة ولا دِيَّة؛ لأنه قد عمل بالذي أمر به.

قال: وليس يجوز لمن لا يعلم الكتاب والسُّنة ولا ما مضى عليه أولو الأمر أن يجتهد رأيَه فيكونُ اجتهاده مخالفاً للقرآن والسنة والأمر المجتمع عليه.

هذا كله قول محمد بن مَسْلَمة، على ما ذكره عنه إسماعيل القاضي.

وذكر عبيد الله بن عمرَ بن أحمد الشافعي البغدادي في كتابه في «القياس» جُمَلاً مما ذكر الشافعي رحمه الله في كتابه «الرسالة البغدادية» وفي «الرسالـة المصرية» وفي كتاب «جماع العلم» وفي كتاب «اختلاف الحديث في القياس» وفي «الاجتهاد» وقال: في هذا من قول الشافعي دليلٌ على ترك تخطئة المجتهدين بعضِهم لبعض؛ إذ كل واحد منهم قد أدّى ما كُلِّف باجتهاده إذا كان ممن اجتمعت فيه آلة القياس، وكان ممن له أن يجتهدَ ويقيسَ.

قال: وقد اختلف أصحابُنا في ذلك فذكر مذهب المزني[1] قال: وقد خالفه غيرُه من أصحابنا. قال: ولا أعلم خلافاً بين الحذاقِ من شيوخ المالكيين ونظَّارهم من البغداديين، مثل إسماعيل بن إسحاق القاضي وابنُ بُكَيْـر[2] وأبي العبَّاس الطيالسي، ومن دونهمْ مثل شيخِنا عمر بن محمد بن أبي الفرج المالكي، وأبي الطيِّب محمد بن محمد بن إسحاق بن راهْوَيه، وأبي الحسن بن المنتاب وغيرهم من الشيـوخ البغداديين والمصـريين المالكيين كـلٌ يحكي أنَّ مذهب مـالك ـ رحمه الله ـ في اجتهاد المجتهدين والقائسين إذا اختلفوا فيما يجوزُ فيه التأويل من نوازل الأحكام أنَّ الحقَّ من ذلك عند الله واحدٌ من أقوالهم واختلافهم، إلَّا أنَّ كلَّ مجتهد إذا اجتهد كما أُمِرَ وبالغ ولم يألُ وكان من أهل الصّناعة ومعه آلة الاجتهاد فقد أدى ما عليه، وليس عليه غير ذلك، وهو مأجور على قصده الصّواب، وإن كان الحقُّ عند الله من ذلك واحداً، قال: وهذا القول هو الذي عليه عمل أكثر أصحاب الشافعي. قال: وهو المشهور من قول أبي حنيفة فيما حكاه محمد بن الحسن، وأبو يوسف، وفيما حكاه الحُذَّاق من أصحابهم، مثل عيسى بن أبان، ومحمد بن شجاع البلخي، ومن تأخر عنهم مثل أبي سعيد البرذعي، ويحيى بن سعيد الجرجاني، وشيخنا أبي الحسن الكرخي، وأبي بكر البخاري المعروف بحدّ الجسم، وغيرهم ممن رأينا وشاهدنا وبالله التوفيق.

قال أبو عمر: قد اختلف أصحاب مالك فيما وصفنا واختلف فيه قـول الشافعي ولذلك اختلف فيه أصحابه، والذي أقول به: إنّ المجتهدَ المخطيء لا يأثمُ إذا قَصَد الحق، وكان ممَّن له الاجتهاد، وأرجو أن يكون له في قصده الصَّواب، وأراد به له أجر واحد إذا صحَّت نيَّتُه في ذلك.

---

(١) هو إسماعيل بن يحيى المزني، من أصحاب الإمام الشافعي، إمام زاهد مجتهد، مات سنة ٢٦٤ هـ بمصر. «ابن خلكان» [١/٢١٧].

(٢) يحيى بن عبد الله المخزومي، مولاهم، المصري، ثقة في سماعه من الليث وتُكلِّم في سماعه من غيره. مات سنة ٢٣١ هـ. «التقريب» [٥٩٢].

وعن مسعود بن الحَكَم[1] قال: أُتيَ عمرُ في زوج وأم ٍ وإخوة لأم وإخوة لأب وأم فأَعطى الزَّوجَ النِّصفَ وأعطى الأمَّ السُدْسَ وأعطى الثلثَ الباقي للإخوة للأم دون بني الأب والأم. فلمّا كان من قابل أُتي فيها فأعطى الزوج النصفَ والأمَّ السدسَ وشرَّك بين بني الأم وبني الأب والأم في الثلث، وقال: إن لم يزدْهُم الأب قرباً لم يزدهم بعداً فقام إليه رجل فقال: يا أميرَ المؤمنين شهدتُك عامَ أوَّل قضيت فيها بكذا وكذا. فقال عمر: تلك على ما قضينا وهذه على ما قضينا.

* *

بـــاب
نفي الالتباس في الفرق بين الدَّليل والقياس وذكر من ذمَّ القياس على غير أَصْل وما يردُّه من القياس أَصْلُ

قال أبو عمر: لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنَّة وهم أهل الفقه والحديث في نفي القياس في التَّوحيد وإثباته في الأحكام إلَّا داود بن علي بن خلف الأصبهاني ثم البغدادي[2]، ومن قال بقوله فإنهم نفوا القياس في التوحيد والأحكام جميعاً.

وأما أهل البدع فعلى قولين في هذا الباب سوى القولين المذكورين؛ منهم من أثبت القياس في التوحيد والأحكام جميعاً، ومنهم من أثبته في التوحيد ونفاه في الأحكام.

وأما داود بن علي ومن قال بقوله: فإنهم أثبتوا الدليل والاستدلال في الأحكام وأوجبوا الحكم بأخبار الآحاد العدول كقول سائر فقهاء المسلمين في الجملة

---

(١) ابن الربيع الأنصاري المدني. يروي عن بعض الصحابة. «التقريب» [٥٢٨].

(٢) المعروف بالظاهري، كان زاهداً متقللاً كثير الورع، مات في بغداد سنة ٢٧٠ هـ. ابن خلكان (٢/٢٥٧). وهو صاحب المذهب الظاهري.

والدليل عند داود ومن تابعه نحو قول الله جل وعز: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُم﴾[1] لو قال قائل: فيه دليل على شهادة الفُسَّاق كان مستدلاً مصيباً، وكذلك قوله: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبأٍ﴾[2] كان فيه دليل على قبول خبر العدل ونحو قول الله جل وعز: ﴿إِذَا نُودِيَ للصَّلَاةِ من يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ الله﴾[3] دليل على أنّ كل مانع من السعي إلى الجمعة واجب تركه؛ لأن الأمر بالشيء يقتضي النهي عن جميع أضداده، ونحو قول النبي ﷺ: «مَنْ باعَ نخلاً قد أُبِّرت فثمرَتُها للبائع إلا أن يَشْتَرطَ المُبْتَاع»[4] دليلٌ على أنها إذا بيعت ولم تؤبّر فثمرتُها للمُبْتَاع، ومثل هذا النحو حيث كان من الكتاب والسنَّة.

وقال سائرُ العلماء:

في هذا الاستدلال قولان: أحدهما أنه نوعٌ من أنواع القياس، وضرب منه على ما رتَّب الشافعيُّ وغيره من مراتب القياس وضروبه، وأنّه يدخلُه ما يدخل القياس من العلل.

والقول الآخر أنَّه هو النصُّ بعينه وفحوى خطابه.

قال أبو عمر: القياسُ الذي لا نختلفُ فيه أنّه قياسٌ هو تشبيه الشيء بغيره، إذا اشتبه والحكم للنظير بحكم نظيره إذا كان في معناه، والحكم للفرع بحكم أصله إذا قامت فيه العلة التي من أجلها وقع الحكم، ومثال القياس: أن السنَّةَ المجتمع عليها وردت بتحريم البرُّ بالبُرّ والشَّعير بالشَّعير والتَّمر بالتَّمر والذَّهَب بالذَّهب والوَرِق بالوَرِق والملح بالملح إلا مثلاً بمثل ويداً بيد. فقال قائلون من الفقهاء القائسين: حكم الزبيب والسُّلت والدُّخن والأرز كحكم البر والشعير والتمر وكذلك الحِمَّص[5] والفول وكل ما يكال ويؤكل ويُدَّخر ويكون قوتاً وإداماً وفاكهة

---

(١) سورة الطلاق: الآية (٢).

(٢) سورة الحجرات: الآية (٦).

(٣) سورة الجمعة: الآية (٩).

(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٧٤) (م).

(٥) والحِمَّصُ: بكسر الميم. وفيه خلاف. «اللسان» (حمص).

مدّخرة؛ لأنّ هذه العلَّة في البُرِّ والشَّعير والتَّمر والملح موجودة، وهذا قول مالك وأصحابه ومن تابعهم.

وقال آخرون: العلَّة في البُرِّ وما ذكر معه في الحديث من الذَّهب والوَرِق والتَّمر والشَّعير أن ذلك كله موزون أو مكيل فكل مكيل أو موزون فلا يجوز فيه إلا ما يجوز في السنَّة من النَّسَأ والتفاضل. هذا قول الكوفيين ومن تابعهم.

وقال آخرون: العلَّة في البُرّ أنه مأكول وكل مأكول فلا يجوز إلا مِثْلًا بمثلٍ يداً بيد سواء كان مدّخراً أو غير مدَّخر، وسواء كان يكال أو يوزن أو لا يكال أو لا يوزن. هذا قول الشافعي ومن ذهب مذهبه وقال بقوله.

وقال الشافعي: الذهب والوَرِقُ لا يشبههما غيرهما من الموزونات لأنّهما قيم المتلفات وأثمان المبيعات فليستا كغيرهما من المذكورات معهما لأنهما يجوز أن يسلما في كل شيء سواهما وإلى هذا مال أصحاب مالك في تعليل الذهب والورق خاصة.

وقال داود: البُرُّ بالبرِّ والشَّعيرُ بالشَّعير، والذَّهب بالذَّهب، والوَرِقُ بالوَرِقُ، والتَّمرُ بالتَّمر، والمِلْحُ بالملح، هذه الستة الأصناف لا يجوز شيء منها بجنسه إلّا مِثْلًا بمثل يداً بيد ولا يجوز شيء منها بجنسه ولا بغير جنسه منها نسيئة وما عدا ذلك كله فبيعه جائز نسيئة ويداً بيد متفاضلًا وغير متفاضل لعموم قوله عزو جل: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[1].

فكل بيع حلال إلّا ما حرّمه الله في كتابه أو على لسان رسوله ولم يحكم بشيء بما في معناه ولم يعتبر المعاني والعلل، وما أعلم أحداً سبقه إلى هذا القول إلا طائفةً من أهل البصرة، مبتدعة إبراهيم بن سيَّار النظَّام ومن سلك سبيله.

وأما فقهاء الأمصار، فلكل واحد منهم سلفٌ من الصَّحَابة والتَّابعين وقد ذكرنا حجة كل واحد منهم وما اعتلَّ به من جهة الأثر والنظر في كتاب «التمهيد» فأغنى عن ذكره هاهنا.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٧٥).

وأما داود[1] فلم يقس على شيء من المذكورات الستّ في الحديث غيرها وردَّ العلماءُ عليه هذا القول وحكموا لكل شيءٍ مذكور بما في معناه وردُّوا على داود ما أصَّل بضروب من القول، وألزموه صنوفاً من الالتزامات، يطول ذكرها لا سبيل إلا الإتيان بها في كتابنا هذا وحجج الفريقين كثيرة جداً من جهة النظر قد أفردوا لها كتباً.

واحتج من ذهب مذهب داود من جهة الأثر بما حدَّثَنَاهُ عبد الوارث بن سفيان، قال:

٢١٤ ـ حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا عُبَيْد بن عبد الواحد بن شريك، قال: حدثنا نُعيم بن حماد، قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن جريج بن عثمان الرحبي، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوفٍ بن مالك الأشجعي[2] قال: قال رسول الله ﷺ: «تفترق أُمّتي على بضعٍ وسبعين فرقةً أعظمها على أمتي فتنةً قومٌ يقيسون الدِّين برأيهم يحرِّمون ما أحلَّ الله ويحلُّون ما حَرَّم الله»[3].

قال أبو عمر: هذا عند أهل العلم بالحديث حديث غير صحيح حملوا فيه على نُعَيْم بن حمّاد[4].

وقال أحمدُ بنُ حنبل ويحيى بنُ معين: حديثُ عوفِ بن مالك هذا لا أَصلَ

وأما ما روي عن السلف في ذمّ القياس فهو عندنا: قياس على غير أصل أو قياس يُردُّ به أصلٌ.

---

(١) يعني: «الظاهري».

(٢) أبو حمّاد، ويقال: غير ذلك. صحابي مشهور من مسلمة الفتح، وسكن دمشق ومات سنة ٧٣ هـ. «التقريب» (٤٣٣).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٧٦) (م).

(٤) ابن معاوية بن الحارث الخزاعي، أبو عبد الله المروزي، نزيل مصر، صدوق يخطىء كثيراً فقيه، عارف بالفرائض، مات سنة ٢٢٨ هـ. «التقريب» (٥٦٤).

فعن الحسن قال: أول من قاس إبليس، وإنما عبدت الشمس والقمر بالمقاييس.

وعن عامر قال مسروق: لا أَقيس شيئاً بشيء. قلتُ: لِمَ؟ قال: أخشى أن تزلَّ رجلي.

وعن مسروق قال: لا أقيس شيئاً بشيء فتزلّ قدمي بعد ثبوتها.

(قف على قول الشعبي) وعن الشعبي قال: إياكم والقياس وإنكم إن أخذتم به أحللتم الحرام وحرّمتم الحلال، ولأن أتَغَنّى غنية أحبُّ إلي من أن أقول في شيء برأيي.

٢١٥ ـ وعنه قال رسول الله ﷺ: «لا تهلِكُ أُمَّتي حتى تقعَ في المقاييس فإذا وقعت في المقاييس فقد هَلَكَتْ»[١].

وقد ذكرنا من هذا المعنى زيادة في باب ذم الرأي من هذا الكتاب لأنّه معنى منه وبالله التوفيق.

فاحتجَّ من نفي القياس بهذه الآثار ومثلها وقالوا في حديث معاذ: إنَّ معناه أن يجتهد رأيه على الكتاب والسنة.

وتكلم داود في إسناد حديث معاذ وردَّه ودفعه من أجل أنه عن أصحاب مُعاذ ولم يُسمَّوْا.

قال أبو عمر: وحديث معاذ صحيح مشهور رواه الأئمة العدول وهو أصل في الاجتهاد والقياس على الأصول. وسائر الفقهاء قالوا في هذه الآثار وما كان مثلها في ذم القياس: إنّه القياس على غير أصل، والقول في دين الله بالظن ألا ترى إلى قول من قال منهم: أوَّل من قاس إبليس لأن إبليس ردَّ أصل العلم بالرأي الفاسد والقياس لا يجوز عند أحد ممن قال به إلا في رد الفروع إلى أصولها لا في رد الأصول بالرأي والظنّ وإذا صَحّ النصُّ من الكتاب والأثر بطل القياس. ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٧٦) (م).

مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أمراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ﴾[1] الآية. وأيُّ أصلٍ أقوى من أمر الله تعالى لإبليس بالسجود وهو العالم بما خلق منه آدم وما خلق منه إبليس، ثم أمره بالسجود له فأبى واستكبر لعلَّة ليست بمانعة من أن يأمره الله بما يشاء فهذا ومثله لا يحل ولا يجوز.

وأمّا القياس على الأصول والحكم للشيء بحكم نظيره فهذا ما لا يختلف فيه أحدٌ من السلف بل كل من روي عنه ذم القياس قد وجد له القياس الصحيح منصوصاً لا يدفع هذا إلا جاهل أو مُتَجاهل مخالف للسلف في الأحكام.

وقال مَسْروقُ الورَّاقُ:

كُنَّا من الدِّين قبلَ اليوم في سَعَةٍ ... حتَّى ابتلينا بأصحاب المقاييس
قاموا من السُّوق إذْ قلّت مكاسبُهم ... فاستعملوا الرأي عند الفقر والبؤس
أما العُريب فقوم لا عطاءَ لهم ... وفي الموالي علامات المفاليس

فلقيه أبو حنيفة فقال: هجوتنا نحن نرضيك فبعث إليه بدراهم فقال:

إذا ما أهل مصرٍ بادَهونا ... بآبدة من الفتيا لطيفه
أتيناهم بمقياسٍ صحيحٍ ... صليب من طراز أبي حنيفه
إذا سمع الفقيه به وعاه ... وأثبته بحبر في صحيفه

قال أبو عمر: اتصلت هذه الأبيات ببعض أهل الحديث والنظر من أهل ذلك الزمن فقال:

إذا ذو الرأي خاصم عن قياس ... وجاء ببدعة منه سخيفه
أتيناهم بقول الله فيها ... وآثار مبرزة شريفه

وقد رُوِيَتْ في ذمّ الرأي والقياس آثار كثيرة وسنفرد لها باباً في كتابنا هذا إن شاء الله.

* *

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (٣٦).

بــابٌ
جامعٌ في بيان ما يَلْزم النَّاظر في اختلاف العلماء

قال أبو عمر: اختلفَ الفُقهاءُ في هذا الباب على قولين:

أحدهما: أنّ اختلافَ العلماء من الصحابة ومن بعدهم من الأئمة رحمةٌ وتوسِعَةٌ، وجائز لمن نظر في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ أن يأخذَ بقول من شاء منهم، وكذلك الناظر في أقاويل غيرهم من الأئمة ما لم يعلم أنّه خطأ، فإذا بان له أنَّه خطأٌ لخلافه نصَّ الكتاب أو نصَّ السنَّة أو إجماع العلماء لم يسعْه اتباعُه، فإذا لم يَبِن له ذلك من هذه الوجوه جازَ له استعمال قوله، وإن لم يعلم صوابه من خطئه وصار في حيّز العامة التي يجوز لها أن تقلِّد العالم إذا سألته عن شيء، وإن لم تعلم وجهه.

هذا قول يروى معناه عن عمر بن عبد العزيز والقاسم بن محمد وعن سُفْيان الثَّوري إن صحَّ عنه، وقال به قوم، ومن حجَّتهم على ذلك قوله ﷺ: «أصحابي كالنُّجوم فبأيِّهم اقتديتم اهتديتم»(١).

وهذا مذهب ضعيفٌ عند جماعة من أهل العلم. وقد رفضه أكثرُ الفقهاء وأهل النَّظر ونحن نبين الحجة عليه في هذا الباب إن شاء الله على ما شرطناه من التقريب والاختصار ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

على أن جماعة من أهل الحديث متقدمين ومتأخّرين يميلون إليه.

وقد نظم أبو مُزَاحم الخاقاني(٢) ذلك في شعر له، وهو:

أعـوذُ بـعـزَّة الله الـسـلامِ ... وقـدرتـه من البـدَعِ العـظامِ

أبـيّـنُ مـذهـبي فـيـمـن أراه ... إماماً في الحلال وفي الحرام

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٧٨/٢) (م).

(٢) موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، أبو مزاحم، أول من صنف في التجويد، كان عالماً بالعربية، شاعراً، من أهل بغداد. له قصيدة في الفقهاء مخطوطة. توفي سنة ٣٢٥ هـ. «معجم الشعراء للمرزباني» (٣٨٠) و«الأعلام» (٣٢٥/٧).

كمـا بيّنْتُ في القُـرّاءِ قـولي   فـلاحَ القولُ معتلياً أمـامي[1]
ولا أعـدو ذوي الآثـار منهم   فهم قصـدي وهم بدرُ التمـام
أقـولُ الآن في الفقهـاء قـولاً   على الإنصاف جدّ به اهتمامي
أرَى بعـد الصَّحَابـة تـابعيهم   لـذي فتيـاهمُ بهمُ ائْتمـامي
علمتُ إذا عزمت على اقتدائي   بهم أني مصيبٌ في اعتـزامي
وبعـد التـابعيـن أئمـةً لـي   سـأذكـر بعضهم عنـد انتظام
فسفيـانُ العـراق ومـالـكٌ في   حـجـازهـم وأوزاعـي شـآم
ألا وابن المبـارك قـدوةٌ لي   نعم والشـافعيُّ أخـو الكـرام
وممن أرتـضي فـأبـو عـبيـد   وأرضى بـابن حنبـل الإمـام
فـآخـذ من مقـالهم اختيـاري   ومـا أنا بـالمباهي والمسـامي
وأخـذي بـاختـلافهم مبـاح   لتـوسيـع الإلـه على الأنـام
ولست مخالفاً إن صح لي عن   رسـول اللّهِ قـولٌ بـالكـلام
إذا خـالفتُ قـولَ رسـول ربي   خشيتُ عقـاب ربّ ذي انتقام
ومـا قال الـرَّسول فـلا خلافَ   لـه يـا رب أبلِغْـهُ سَـلَامي

قال أبو عمر: قد يحتمل قوله: (فآخذُ من مقالِهِمْ اختياري) وجهين:

أحدُهما: أن يكونَ مذهبُه في ذلك كمذهب القاسم بن محمد ومن تابعه من العلماء أن الاختلاف سعةٌ ورحمةٌ.

والوجه الآخر: أن يكونَ أراد آخذ من مقالهم اختياري أي أصيرُ من أقاويلهم إلى ما قام عليه الدليل، فإذا بان لي صحته اخترته، وهذا أولى من أن يُضَاف إلى أحد الأخذ بما أرادَه في دين الله بغير برهان ونحنُ نبين هذا إن شاء الله.

فعن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: لقد نفَعَ اللَّهَ باختلاف أصحاب النبي ﷺ في أعمالهم لا يعمل العامل بعمل رجل منهم إلا رأى أنه في سعة ورأى أنَّ خيراً منه قد عمله.

---

(١) يشير إلى قصيدته في التجويد.

وفي رواية عنه لقد أوسع الله على الناس باختلاف أصحاب محمد ﷺ، أيّ ذلك أخذت به لم يكن في نفسك منه شيء.

(قف على كلام عمر بن عبد العزيز)

وعن رجاء بن جميل قال: اجتمع عمر بن عبد العزيز والقاسم بن محمد فجعلا يتذاكران الحديث قال: فجعل عمرُ يجيء بالشيء مخالفاً فيه القاسم، قال: وجعل ذلك يشقُّ على القاسم، حتى تبيّن فيه، فقال له عمر: لا تفعل فما يسرُّني أن لي باختلافهم حُمرِ النَّعَم.

وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال: لقد أعجبني قولُ عمر بن عبد العزيز: ما أحبُّ أنّ أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا لأنه لو كان قولاً واحداً كان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يُقْتَدَى بهم فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان في سعة.

قال أبو عمر: هذا فيما كان طريقه الاجتهاد.

وعن أسامة بن زيد قال: سألت القاسم بن محمد عن القراءة خلفَ الإمام فيما لم يجهر فيه. فقال: إن قرأت فلك في رجالٍ من أصحاب رسول الله ﷺ أسوة، وإذا لم تقرأ فلكَ في رجالٍ من أصحاب رسول الله ﷺ أسوة.

وعن يحيى بن سعيد قال: ما برح أُولو الفتوى يفتون فيحل هذا ويحرِّم هذا فلا يرى المحرِّمُ أنَّ المحلَّ هلك لتحليله ولا يري المحلُّ أنّ المحرم هلك لتحريمه.

قال أبو عمر: فهذا مذهب القاسم بن محمد ومن تابعه وقال به قومٌ، وأما مالك والشَّافعيُّ ومن سلك سبيلَهما من أصحابهما، وهو قول اللَّيث بن سعد والأوزاعي وأبو ثور وجماعة أهل النَّظر أن الاختلافَ إذا تدافع فهو خطأ وصواب

(قف على ما يلزم عند الاختلاف)

والواجب عند اختلاف العلماء طلب الدليل من الكتاب والسنَّة والإجماع والقياس على الأصول على الصّواب منها وذلك لا يعدم فإن استوت الأدلّة وجب الميل مع الأشبه بما ذكرنا بالكتاب والسنّة فإذا لم يبن ذلك وجب التوقف ولم يجز القطع إلا بيقين فإن اضطُّر أحد إلى استعمال شيء من ذلك في خاصة نفسه جاز له ما يجوز

للعامة من التقليد، واستعمل عند إفراط التشابه والتشاكل وقيام الأدلة على كل قول بما يعضده قوله ﷺ: «البرُّ ما اطمأنَّت إليه النفسُ، والإثم ما حاكَ في الصَّدر، فدعْ ما يُريْبك إلى ما لاَ يُريبك»[1].

هذا حال من لا ينعم النظر وهو حال العامة التي يجوز لها التقليد فيما نزل بها وأفتاها بذلك علماؤها.

(قف على ما يلزم أهل الفتيا) وأما المُفْتون فغير جائزٍ عند أحد ممن ذكرنا قوله: لا أن يفتي ولا يقضي حتى يبينّ له وجه ما يفتي به من الكتاب أو السنَّة أو الإجماع أو ما كان في معنى هذه الأوجه.

فعن الشعبي قال: اجتمعنا عند ابن هبيرة في جماعة من قرّاء أهل الكوفة والبصرة فجعل يسألهم حتى انتهى إلى محمد بن سيرين فجعل يسأله فيقول له: قال فلان: كذا، وقال فلان: كذا، وقال فلان: كذا، فقال ابن هبيرة: قد أخبرتني عن غير واحد فبأيّ قول آخذ؟ قال: اختر لنفسك. فقال ابن هبيرة: قد سمع الشيخ علماً لو أعين برأي، وذكر تمام الخبر.

(قف على قول مالك) وعن أشهب قال: سئل مالك عن اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ فقال خطأ وصواب فانظر في ذلك.

وعن يحيى بن إبراهيم بن مُزَيّن عن أصْبَغ قال: قال ابن القاسم: سمعت مالكاً واللَّيْثَ يقولان في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ: ليس كما قال ناسٌ فيه توسعة ليس كذلك إنما هو خطأ وصواب.

قال يحيى: وبلغني أن اللَّيث بن سعد قال: إذا جاء الاختلاف أخذنا فيه بالأحوط.

وعن ابن القاسم عن مالك أنه قال في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ مخطيء ومصيب فعليك بالاجتهاد.

وعن ابن وهب قال: قال لي مالك يا عبد الله أدّ ما سمعتَ وحسْبُك، ولا

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٨١/٢) وأصله عند مسلم رقم (٢٥٥٣) (١٤) و(١٥) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه. (م).

تحمل لأحد على ظهرك واعلم إنما هو خطأ وصواب فانظر لنفسك فإنه كان يقال: أخسر الناس من باع آخرته بدنياه وأخسر منه من باع آخرته بدنيا غيره.

وذكر إسماعيل بن إسحاق في كتابه «المبسوط» عن أبي ثابت قال: سمعت ابن القاسم يقول: سمعت مالكاً والليث بن سعد يقولان في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ، وذلك أن ناساً يقولون: فيه توسعة. فقالا: ليس كذلك إنما هو خطأ وصواب.

(قف على التحقيق في اختلاف الصحابة)

قال إسماعيل القاضي: إنما التوسعة في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ توسعة في اجتهاد الرأي فأما أن تكون توسعة لِأن يقول الإنسان بقول واحد منهم من غير أن يكون الحق عنده فيه فلا، ولكن اختلافهم يدل على أنهم اجتهدوا فاختلفوا.

قال أبو عمر: كلام إسماعيل هذا حسن جدًّاً.

وفي سماع أشهب سئِلَ مالكٌ عمن أخذ بحديث حدَّثه ثقة عن أصحاب رسول الله ﷺ أتراه من ذلك في سعة، فقال: لا والله حتى يصيب الحق، وما الحق إلا واحد، قولان مختلفان يكونان صواباً جميعاً ما الحق والصواب إلَّا واحد.

وعن أبي خالد الخاصي قال: قلت لسحنون[1]: تقرأ لي كتاب «القسمة». قال: على أن لا أقول منه[2] إلا بخمس.

وعن إسماعيل بن يحيى المُزَني قال: قال الشافعي في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ: أصير منها إلى ما وافق الكتابَ أو السنَّةَ أو الإجماعَ، أو كان أصح في القياس. وقال في قوم الواحد منهم: إذا لم يحفظ له مخالفاً منهم صرتُ إليه، وأخذت به، إن لم أجد كتاباً ولا سنَّةً ولا إجماعاً ولا دليلاً منها، هذا إذا وجدت معه القياس. قال وقلَّما يوجد ذلك.

قال المُزَني: فقد تبيَّن أنه قَبِلَ قولَه بحجَّة. ففي هذا مع اجتماعهم على أن

(١) عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، أبو سعيد، الملقب سحْنُون، الفقيه المالكي، انتهت الرئاسة في العلم بالمغرب إليه. مات سنة ٢٤٥ هـ. «ابن خلكان» (١٨٠/٣).

(٢) في المختصر «فيه». والصواب من الأصل (٨٢/٢).

العلماء في كل قرن ينكر بعضهم على بعض فيما اختلفوا فيه قضاءً بيِّنٌ، على أن لا يقال إلا بحجة وأن الحق في وجه واحد ـ والله أعلم ـ.

(قف على ما قاله الشافعي)

قال أبو عمر: وقد ذكر الشافعي في كتاب «أدب القضاة»: أن القاضي والمفتي لا يجوز له أن يقضي ويفتي حتى يكونَ عالماً بالكتاب، وبما قال أهل التأويل في تأويله، وعالماً بالسُّنن والآثار، وعالماً باختلاف العلماء، حسنَ النَّظر، صحيحَ الأوَدِ[1] وَرِعاً مشاوِراً فيما اشتبه عليه، وهذا كلُّه مذهبُ مالك.

وسائر فقهاء المسلمين في كل مِصر يشترطون أنَّ القاضي والمفتي، لا يجوز أن يكونَ إلا في هذه الصفات.

واختلف قولُ أبي حنيفة في هذا الباب، فمرّة قال: أمّا أصحابُ رسول الله ﷺ فآخذ بقول من شئت منهم، ولا أخرج عن قول جميعهم، وإنّما يلزمني النَّظَرُ في أقاويل من بعدهم من التابعين ومن دونهم.

قال أبو عمر: جعل للصحابة في ذلك ما لم يجعل لغيرهم وأظنه مالَ إلى ظاهر حديث: أصحابي كالنجوم ـ والله أعلم ـ. وإلى نحو هذا كان أحمد بن حنبل يذهب فعن محمد بن عبد الرحمن الصَّيْرفي قال: قلت لأحمد بن حنبل: إذا اختلف أصحاب رسول الله ﷺ في مسألة: هل يجوز لنا أن ننظر في أقوالهم لنعلم مع من الصواب منهم، فنتّبعه فقال لي: لا يجوزُ النَّظر بين أصحاب رسول الله ﷺ. فقلت: كيف الوجه في ذلك؟ قال: تقلد أيّهم أحببت.

قال أبو عمر: لم يُرَ النظر فيما اختلفوا فيه خوفاً من التطرُّق إلى النظر فيما شجَرَ بينهم وحاربَ فيه بعضهم بعضاً.

وقد روى السَّمْتي[2] عن أبي حنيفة أنه قال في قولين للصحابة: أحدُ القولين خطأ والمأثم فيه موضوع.

---

(1) آده الأمر: بلغ منه المجهود. والأوَدُ أيضاً: العوج، وفي حديث نادبة عمر ـ رضي الله عنه ـ: واعُمَراه! أقام الأود، وشفى العَمَد. «القاموس» [أود و«اللسان» (أود). وفيه الحديث].

(2) يوسف بن خالد بن عمير، أبو خالد البصري، مولى بني ليث، تركوه، وكذبه ابن معين وكان من =

ورُوي عن أبي حنيفة رضي الله عنه: أنه حكم في طَسْت تمر ثم غَرِمه للمقضي عليه، فلو كان لا يشك أن الذي قضى به هو الحق، لما تأثّم عن الحق الذي ليس عليه غيره، ولكنّه خاف أن يكونَ قضى عليه بقضاءٍ أغفل فيه فضمن من حيث لا يعلم، فتورع فاستحلَّ ذلك بغرمه له؛ لأنَّ المال إذا استهلك عمداً أو خطأً وجب ضمانه، وقد جاء عنه في غير موضع في مثل هذا قد مضى القضاء.

(قف على أدلة اجتماع الكلمة)

وقد ذكر المُزَني رحمه الله في هذا حججاً أنا أذكرها هنا إن شاء الله.

قال المزني: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غير اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيْهِ اخْتِلَافاً كَثِيْراً﴾[1] فذم الاختلاف وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِيْنَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾[2] الآية.

وقال: ﴿فإنْ تنازَعْتُمْ في شَيءٍ فردُّوهُ إلى اللَّهَ والرَّسُولِ إنْ كُنْتُم تُؤْمِنُونَ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيْلاً﴾[3] وعن مجاهد وعطاء وغيرهما في تأويل ذلك قال: إلى الكتاب والسنة.

قال المزني: فذمَّ الله الاختلاف وأمر عنده بالرجوع إلى الكتاب والسنة فلو كان الاختلاف من دينه ما ذمَّه ولو كان التَّنازُع من حكمه ما أمرهم بالرجوع عنده إلى الكتاب والسنة.

قال: ورُوِي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «احذروا زَلّة العالم»[4].

وعن عمر ومعاذٍ وسلمان مثل ذلك في التخويف من زلّة العالم.

قال: وقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فخطَّأ بعضهم بعضاً ونظر بعضُهم في أقاويل بعض وتعقّبها، ولو كان قولهم كلُّه صواباً عندهم لما فعلوا ذلك.

= فقهاء الحنفيّة. مات سنة ١٨٩ هـ. «التقريب» (٦١٠).

(١) سورة النساء: الآية (٨٢).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٠٥).

(٣) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٨٤) وانظر «مسند الفردوس» للديلمي رقم (٩٥) (م).

وقد جاء عن ابن مسعود في غير مسألة أنه قال: أقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأ فمني، واستغفر الله.

(قف على غضب عمر من الاختلاف)

وغضب عمر بن الخطاب من اختلاف أُبيٍّ بن كعب وابن مسعود في الصلاة في الثّوب الواحد. إذ قال أُبيٌّ: إنَّ الصَّلاةَ في الثوب الواحد حسنٌ جميلٌ. وقال ابن مسعودُ إنَّما كان ذلك والثياب قليلة فخرج عمر مغضباً؛ فقال: اختلف رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن ينظرُ إليه ويؤخذ عنه، وقد صدق أُبيٌّ ولم يألُ ابن مسعود ولكنّي لا أسمع أحداً يختلف فيه بعد مقامي هذا إلاّ فعلت به كذا وكذا.

وعن عمر في المرأة التي غاب عنها زوجها، وبلغه أنه يُتحدثُ عندَها؛ فبعث إليها مَن يعظُها، ويذكّرُها، ويوعِدُها إن عادت، فمَخَضَتْ، فولدَتْ غلاماً، فصوّتَ، ثم مات؛ فشاور أصحابه في ذلك. فقالوا: والله ما نرى عليك شيئاً: ما أردت بهذا إلا الخير، وعليٌّ حاضرٌ. فقال ما ترى يا أبا حسن؟! فقال: قد قال هؤلاء، فإن يكُ هذا جُهْدُ رأيهم فقد قَضَوْا ما عليهم، وإن كانوا قارَبُوكَ[1] فقد غشُّوك، أما الإثم فأرجو أن يضَعَهُ اللَّهُ عنك بنيتك، وما يعلم منك، وأما الغُلَام فقد والله غرَمتَ. فقال له: أنت والله صدقتني. أقسمت عليك لا تجلس حتى تقسّمَها على بني أبيك، يريد بقوله: (بني أبيك) أي بني عدي بن كعب رَهْط عمر رضي الله عنه.

(قف على تفسير آيات إقامة الدين)

وعن أبي العالية في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّيْنِ مَا وَصَّى بِهِ نُوْحاً والَّذي أوْحَيْنَا إلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إبْرَاهِيْمَ وَمُوْسَى وَعِيْسَى أنْ أقِيمُوا الدِّيْنَ ولا تَتَفرَّقُوا فيْهِ﴾[2] قال: إقامة الدين إخلاصه: ﴿وَلَا تَتَفرَّقُوا فِيْهِ﴾ يقول: لا تتعادوا عليه، وكونوا عليه إخواناً، قال: ثم ذكر بني إسرائيل وحذَّرهم أن يأخذوا بسنتهم فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُم العلمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾[3]. فقال أبو العالية: بغياً على

---

(١) قارب في أمره: إذا اقتصد. «اللسان» (قرب).

(٢) سورة الشورىٰ: الآية (١٣).

(٣) سورة الشورىٰ: الآية (١٤).

الدُّنيا وملكها وزخرفها وزينتها وسلطانها ﴿وَإِنَّ الَّذِيْنَ أُورِثُوا الكِتَابَ مِنْ بَعدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيْبٍ﴾[1] قال: من هذا الإخلاص.

* *

بـــاب

ذكر الدَّليل في أقاويل السَّلف على أن الاختلاف خطأ وصواب يلزم طلب الحجّة عندَه وذكر بعض ما خطّأ فيه بعضُهم بعضاً وأنكره بعضهم على بعض عند اختلافهم وذكر معنى قوله ﷺ أصحابي كالنجوم

عن سعيد بن جُبَيْر قال: قلت لابن عباس: إن نَوْفاً البِكَالي[2] يزعم أن موسى صاحب الخَضِر ليس موسى بني إسرائيل. فقال: كذب.

حدثني أُبيٌّ بن كعب عن النبي ﷺ فذكر الحديث بطوله.

قال أبو عمر: قد رَدَّ أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه قول الصحابة في الرِدَّةِ وقال: والله لو مَنَعُوني عِقَالاً[3] أو قال: عَناقاً مما أعْطَوْه رسولَ الله ﷺ لجاهدْتُهم عليه.

وقطعَ عمرُ بنُ الخطاب اختلافَ أصحاب رسول الله ﷺ في التكبير على الجنائز وردّهم إلى أربع.

---

(١) سورة الشورى: الآية (١٤).

(٢) ابن فَضالة، شامي، مستور، وإنما كذّب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب. مات بعد التسعين. التقريب» [٥٦٧].

(٣) أي زكاة عام من الإبل والغنم، والعَنَاق: زكاة عامين [اللسان (عقل). وفيه قول أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ والعِقال: الحبل الذي كان يُعقل به الفريضة التي كانت تؤخذ في الصدقة].

وسمع سلمانُ بن ربيعة[1] وزيدُ بن صوحان الضبيّ[2] ابنَ معبَد مُهلًّا بالحجِّ والعُمْرَةِ معاً. فقال: أحدُهما لصاحبه لهَذا أضلُّ من بعيرِ أهْلِه. فأُخبر بذلك عمر. فقال: لو لَمْ يقولا شيئاً، هُديتَ لسنة نبيِّك.

وردّت عائشة قول أبي هريرة: تقطعُ المرأةُ الصَّلاةَ. وقالت: كان رسولُ الله ﷺ يصلِّي وأنا معترضةٌ بينَه وبينَ القِبْلة.

وردَّت قول ابن عمر: الميت يعذَّب ببكاءِ أهلهِ عليه.

وقالت: وهِمَ أبو عبد الرحمن أو أخطأ أو نسي.

وكذلك قالت له في عُمَرِ رسول الله ﷺ؛ إذ زعم ابنُ عمرَ أنّه اعتمر أربعَ عُمَرٍ. فقالت عائشة: هذا وهم منه، على أنه قد شهدَ مع رسول الله ﷺ عُمرَه كلَّها، ما اعتمر رسولُ الله ﷺ إلا ثلاثاً.

وأنكر ابنُ مسعود على أبي هريرة قوله: من غَسَّل ميتاً فليغتسل، ومن حَمَله فليتوضَّأ. وقال فيه قولاً شديداً. وقال: يا أيُّها النَّاسُ لا تَنْجَسُوا من موتاكم.

وقيل لابن مسعود: إنَّ سلمانَ بن ربيعة وأبا موسى الأشعري قالا في بنتٍ وبنت ابن وأخت: إنَّ المال بين البنتِ والأختِ يقسم نصفين، ولا شيء لبنت الابن. وقالا للسائل: وائت ابنَ مسعود فإنَّه سيتابعنا. فقال ابن مسعود: لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين، بل أقضي فيها بقضاء رسول الله ﷺ للبنت النصف ولابنة الإبن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللأخت.

وأنكر جماعةُ أزواج النبي ﷺ على عائشة رضاع الكبير ولم تأخذ واحدةٌ منهن بقولها في ذلك.

وأنكر ذلك أيضاً ابنُ مسعودٍ على أبي موسى الأشعري وقال: إنما الرَّضاعة ما أنبت اللحم والدَّم؛ فرجع أبو موسى إلى قوله.

(١) الباهلي أبو عبد الله سلمان الخيل، يقال له صحبة، ولاه عمر قضاء الكوفة، وغزا أرمينية في زمن عثمان فاستشهد. «التقريب» [٢٤٦].

(٢) الذي في أسد الغابة: هو العبدي لا الضبي، وقال الكلبي: إن له صحبة قتل يوم الجمل. [أسد الغابة (٢/٢٩١) وانظر «طبقات ابن سعد» (٦/٨٥)].

وأنكر ابن مسعود على عليّ: أنه أحرق المرتدِّين بعد قتلهم (وقيل قبل قتلهم والأوَّل أصح) واحتج ابنُ مسعود بقوله ﷺ: «من بدَّلَ دينه فأضربوا عنقه»[1] فبلغ ذلك علياً فأعجبه قوله.

قال أبو عمر: لأنَّ رسولَ الله ﷺ لم يقل فاضربوا عنقه ثم احرقوه. ورُفع إلى علي بن أبي طالب: أن شُرَيْحاً[2] قضى في رجل وَجد آبقاً[3]، فأخذه ثم أبَق منه أنه يضمَـن العبد. فقال علي: أخطأ شُرَيح وأساءَ القضاء. بل يحلف بالله لأبق منه وهو لا يعلم وليس عليه شيء.

وعن عمر: في الجارية النُّوبية التي جاءَت حاملاً إلى عمر فقال لعلي وعبد الرحمن ما تقولان؟ فقالا: أقضاء غير قضاء الله تلتمس؟ قد أقرّت بالزنا؛ فحُدَّها. وعثمان ساكت فقال عمر لعثمان: ما تقول؟ فقال: أراها تستهلُّ به، وإنما الحدّ علىٰ من علِمهُ. فقال عمر: القول ما قلتَ ما الحد إلا على من عَلِمَه.

وقيل لابن عباس: إن علياً يقول لا تؤكل ذبائح نصارى العرب لأنهم لم يتمسكوا من النصرانية إلا بشرب الخمر. فقال ابن عباس: تؤكل ذبائحهم لأن الله يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُم فَإِنَّهُ مِنْهُم﴾[4].

وعن ابن عمر: في هذا الذي توالى عليه رمضانان بَدَنتان مقلَّدتان، فأُخبر ابن عباس بقوله فقال: وما للبُدْن وهذا يُطعم ستين مسكيناً. فقال ابن عمر: صدق ابن عباس امض لما أمرَكَ به.

وقال علي رضي الله عنه: المكاتب يعتق إذا عجز يعتق منه بقدر ما أدّى. فقال زيد: هو عبدٌ ما بقي عليه درهم. وقال عبد الله بن مسعود إذا أدَّى الثلثَ فهو غريم.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٨٦) (م).

(٢) القاضي، ابن الحارث بن قيس الكوفي، النخعي، القاضي، أبو أمية، ثقة مخضرم وقيل: له صحبة. مات بعد الثمانين، وله مئة وثمان سنين، ويقال: حكم سبعين سنة. «التقريب» (٢٦٥).

(٣) الآبق: العبد الهارب. «اللسان»: (أبق).

(٤) سورة المائدة: الآية (٥١).

وعن عمرَ بنَ الخطاب إذا أدّى الشطرَ فلا رِقَّ عليه. وقال شُرَيح: إذا أدّى قيمته فهو غريم.

وعن ابن مسعود أيضاً مثله.

وقال زيد وابن عمر وعثمان وعائشة وأم سلمة هو عبدٌ ما بقي عليه درهم.

وروى وكيع عن إسماعيل بن عبد الملك قال: سألت سعيدَ بنَ جُبَيْر عن ابنةٍ وابنيْ عمٍّ؛ أحدهما أخ لأم فقال: للابنة النصف وما بقي فلابن العم الذي ليس بأخ لأم. قال: وسألت عطاءً. فقال: أخطأ سعيدُ بن جبير للابنة النصف وما بقي بينهما نصفان. قال يحيى بن آدم والقول عندنا قول عطاء؛ لإنَّ الابنةَ والأخت لا تحجب العُصْبة ولم تزده الأم إلا قرباً.

وعن إسماعيل بن أبي خالد قال: قلت للشَّعبي إن إبراهيم قال في الرجل: يكون له الدَّيْن على الرجل إلى أجل فيضع له بعضاً ويعجل له بعضاً إنه لا بأس به وكرهه الحكَمُ. فقال الشعبي: أصابَ الحكمُ وأخطأ إبراهيمُ.

وقيل لسعيد بن جُبَيْـر: إنَّ الشعبي يقول: العُمْـرَةُ تطوُّع. فقـال: أخطأ الشَّعبي.

وذكر لسعيد بن المسيّب قول شُرَيْح في المكاتب فقال أخطأ شُرَيْح.

وعن شعبة قال: قال قتادة: قلت لابن المسيب إن شريحاً قال يُبدأ بالمكاتبة قبل الدَّين أو يشرك بينهما شكّ شعبة قال ابن المسيب أخطأ شريح وإن كان قاضياً. قال زيد بن ثابت يبدأ بالدِّين.

وعن مغيرة قال: ما رأيت الشعبي وحماداً تماريا في شيء إلا غلبه حمّاد إلّا هذا، سئل عن القوم يشتركون في قتل الصيد وهم حُرُم فقال حماد عليهم جزاء واحد وقال الشعبي: على كل واحد منهم جزاء ثم قال الشعبي: أرأيت لو قتلوا رجلاً ألم يكن على كل واحد منهم كفارة فظهر عليه الشعبي.

وقال عبد الرزاق عن الثَّوري في رجل قال لرجل: بعني نصف دارك مما يلي

داري. قال هذا بيعٌ مردود لأنه لا يدري أين ينتهي بيعه ولو قال أبيعك نصف الدار أو ربع الدار جاز. قال عبد الرزاق: فذكرت ذلك لمَعْمَر فقال: هذا قول سواء كله لا بأس به.

وعن قتادة أنّ إياس بن معاوية أجاز شهادة رجل وامرأتين في الطلاق. قال قتادة: فسئل الحسن عن ذلك فقال: لا تجوز شهادة النساء في الطّلاق. قال: فكُتب إلى عمر بن عبد العزيز بقول الحسن وقضاء إياس فكتب عمر أصاب الحسن وأخطأ إياس.

قال أبو عمر: هذا كثيرٌ في كتب العلماء، وكذلك اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين ومَن بعدهم من المخالفين، وما ردّ فيه بعضُهم على بعضٍ لا يكاد يحيط به كتاب فضلاً عن أن يجمع في باب، وفيما ذكرنا منه دليلٌ على ما عنه. سكَتْنَا، وفي رجوع أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعضٍ وردّ بعضهم على بعض دليلٌ واضح على أنّ اختلافهم عندهم خطأ وصواب، ولولا ذلك كان يقول كل واحد منهم جائز ما قلتَ أنت، وجائز ما قلت أنا وكلانا نَجْمٌ يُهْتَدَى به، فلا علينا شيءٌ من اختلافنا.

قال أبو عمر: والصَّواب مما اختلف فيه وتدافع وجه واحد ولو كان الصَّوابُ في وجهين متدافعين ما خطّأ السلفُ بعضُهم بعضاً في اجتهادهم وقضائهم وفتواهم والنَّظر يأبَى أن يكونَ الشيءُ وضدُّه صواباً ولقد أحسن القائل:

إثبات ضدّين معاً في حال ... أقبحُ ما يأتي من المحال

ومن تدبر رجوعَ عمرَ إلى قول مُعاذٍ في المرأة الحامل، وقوله: لولا معاذ هلكَ عمرُ، علم صحَّةَ ما قلنا.

وكذلك رجعَ عثمانُ في مثلها إلى قول عليّ، وروي أنّه رجع في مثلها إلى قول ابن عباس، وروي أنَّ عمر إنما رجع فيها إلى قول علي، وليس كذلك. إنما رجعَ عمرُ إلى قول مُعاذٍ في التي أراد رَجْمها حاملاً، فقال له معاذ: ليس لك على ما في بطنها سبيل، ورجع إلى قول علي في التي وضعت لستَّة أشهرٍ.

وروى قتادة عن ابن أبي حَرْب بن أبي الأسود عن أبيه، أنه رفع إلى عمر امرأة ولدت لستَّةِ أشهر، فهمَّ عمر برجمها، فقال له علي: ليس ذلك لك قال الله تبارك وتعالى: ﴿والوالداتُ يُرْضِعْنَ أولادَهُنَّ حَوْلَيْن كاملين﴾[1] وقال: ﴿وَحَمْلُه وفِصَالُه ثَلاثُونَ شهراً﴾[2] لا رجم عليها فخلَّى عمرُ عنها، فولدت مرَّة أخرى لذلك الحدّ.

ذكرَهُ عفَّان عن يزيد بن زُرَيْع عن سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قَتَادة، ورَجع عثْمانُ عن حَجْبه الأخِ بالجدِّ إلى قول عليٍّ، ورجع عمرُ وابنُ مسعود عن مقاسَمَةِ الجدِّ إلى السُّدسِ إلى قول زَيْد في المقاسمة إلى الثلث، ورجع عليٌّ عن موافقته عمر في عتق أمهات الأولاد، وقال له عبيدة السَّلْماني: رأيُك مع عمر أحب إلي من رأيك وحدك وتمادى عليٌّ على ذلك فأرقّهنّ.

ورجع ابنُ عمر إلى قول ابن عبَّاس فيمن توالى عليه رمضانان.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رُدّوا الجَهالات إلى السنَّة.

وفي كتاب عُمَر إلى أبي موسى الأشعري: لا يمنعنَّكَ قضاءٌ قضيتَه بالأمسِ راجَعْتَ فيه نفسك وهُدِيْتَ فيه لرُشْدِكَ أن ترجعَ فيه إلى الحق فإنَّ الحقَ قديمٌ والرُّجوعَ إلى الحق أَوْلى من التَّمادي في الباطل. (قف على ما كتبه عمر)

وروي عن مطرِّف بن الشِّخِّير أنَّه قال: لو كانتِ الأهواء كلُّها واحداً لقال القائلُ: لعل الحقَّ فيه فلمّا تشعَّبت وتفرَّقَتْ عَرَفَ كلُّ ذي عقل أنَّ الحق لا يتفرَّق. (قف على أن الحق لا تفرق فيه)

وعن مجاهد ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفين﴾[3] قال: أهل الباطل: ﴿إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾[4] قال: أهلُ الحقِّ ليس بينهم اختلاف[5]. وقال أشهب: سمعت مالكاً

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٣٣).

(٢) سورة الأحقاف: الآية (١٥).

(٣) سورة هود: الآية (١١٨).

(٤) سورة هود: (الآية نفسها).

(٥) «القرطبي» (١١٤/٩). وفيه: قاله مجاهد وقتادة.

يقول[1]: ما الحق إلا واحدٌ، قولانِ مختلفانِ لا يكونان صواباً جميعاً، ما الحقُّ والصَّوابُ إلا واحدٌ، قال أشهب: وبه يقول الليث.

قال أبو عمر: الاختلاف ليس بحجةٍ عندَ أحدٍ علمتُهُ من فقهاء الأمة إلا من لا بصَرَ له، ولا معرفة عنده، ولا حجة في قوله.

قال المزني: يقال لمن جوّز الاختلافَ وزعمَ أنَّ العالِمَيْنِ إذَا اجتهدا في الحادثة فقال أحدُهما: حلال، والآخر: حرام، فقد أدّى كلٌّ واحدٍ منهما جُهْدَهُ، وما كلّف، وهو في اجتهاده مصيبُ الحقِّ: أبِأصْلٍ قلتَ هذا أم بقياس فإن قال: بأصلٍ. قيل له: كيف يكون أصلاً والكتاب أصل ينفي الخلاف! وإن قال: بقياس. قيل: كيف تكون الأصول تنفي الخلاف ويجوز لك أن تقيسَ عليها جواز الخلاف هذا ما لا يجوِّزُه عاقلٌ، فضلاً عن عالم.

ويقال له: أليسَ إذا ثبت حديثان مختلفان عن رسول الله ﷺ في معنى واحد أحلّه أحدُهما، وحرَّمه الآخر، وفي كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ دليل على إثبات أحدهما ونفي الآخر أليس يُثْبَتُ الذي يثبته الدليلُ ويبطل الآخر؟ ويبطل الحكم به، فإن خفي الدّليل على أحدهما وأشكل الأمر فيهما وجَبَ الوقوف.

فإذا قال: نعم - ولا بد من نَعَم؛ وإلا خالفَ جماعة العلماء - قيل: فلِمَ لا تصنعُ هذا برأي العالِمَيْنِ المختلفين فتُثبت منهما ما يثبته الدَّليل وتُبطل ما أبطله الدليل؟؟!.

قال أبو عمر: ما ألزمه المُزَني عندي لازم؛ فلذلك ذكرتُه وأضفتُه إلى قائله لأنّه يقال: من بركة العلم أن تضيفَ الشيءَ إلى قائله. وهذا باب يتسع فيه القول.

وقد جمعَ الفقهاء من أهل النظر في هذا وطـوَّلوا وفيما لوَّحنا مَقْنَعٌ ونصابٌ كافٍ لمن فهِمَه وأنصفَ نفسه، ولم يخادعْها بتقليد الرجال.

وعن ابن وضَّاح قال: سمعت سَحْنُون يقول: قال ابن القاسم: من صَلَّى خلف أهل الأهواء يعيد في الوقت. قلت لسَحْنُون: ما تقول أنت؟ قال: أقول إن الإعادة ضعيفة قلت له: إن أَصْبَغَ بن الفَرَج يقول: يعيدُ أبداً في الوقت وبعده إذا

(1) المصدر السابق نفسه.

صلَّى خلف أحدٍ من أهل الأهواء والبدع. فقال سَحْنُون: لقد جاء من رأى الإعادة عليهم في الوقت وبعده ببدعة أشد من بدعة صاحب البدعة.

قال أبو عمر: لأصحابنا من ردّ بعضهم لقول بعض بدليل وبغير دليل، شيءٌ لا يكادُ يُحْصَى كثرةً ولو تقصّيته لقام منه كتابٌ كبيرٌ أكبرُ من كتابنا هذا ولكنّي رأيتُ القصدَ إلى ما يلزم أولى وأوجب؛ فاقتصرنا على الحجة عندَنا وبالله عصْمَتُنا وتوفيقنا، وهو نعم المولى، ونعم المستعان.

قال المُزَني ـ رحمه الله ـ في قول رسول الله ﷺ: «أَصْحَابي كَالنُّجوم». قال: إن صحَّ هذا الخبر، فمعناه فيما نقلوا عنه وشهدوا به عليه، فكلُّهم ثقة مؤتمن على ما جاء به، لا يجوز عندي غير هذا، وأما ما قالوا فيه برأيهم فلو كان عند أنفسهم كذلك ما خطّأ بعضُهم بعضاً ولا أنكرَ بعضُهم على بعض ولا رجعَ منهم أحدٌ إلى قول صاحبه فتدبَّر.

وعن محمد بن أيوب الرِّقِّي قال: قال لنا أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزَّار: سألتهم عمّا يُروى عن النبي ﷺ مما في أيدي العامة، يروونه عن النبي ﷺ أنّه قال: «إنّما مثلُ أصحابي كمثل النجوم أو أصحابي كالنجوم فبأيِّها اقتَدَوْا اهتَدَوْا» قالوا: هذا الكلام لا يصحُّ عن النبي ﷺ، رواه عبدالرحيم بن زيد العَمِّي عن أبيه عن سعيد بن المسيَّب، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ.

وربما رواه عبد الرحيم، عن أبيه، عن ابن عمر، وإنما أتى ضَعْفُ هذا الحديث من قبل عبد الرحيم بن زيد[1]؛ لأن أهل العلم قد سكتوا عن الرواية لحديثه، والكلامُ أيضاً منكرٌ عن النبي ﷺ.

وقد روي عن النبي ﷺ بإسناد صحيح: «عليكمْ بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين المهديين بعدي فَعضُّوا عليها بالنَّواجذ»[2].

---

(١) ابن الحواري، أبو زيد، متروك، كذَّبه ابنُ مُعين. مات سنة ١٨٤ هـ. «التقريب» (٣٥٤).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٠) وهو عند أبي داود رقم (٤٦٠٧) والترمذي رقم (٢٦٧٦) وابن ماجه رقم (٤٢) وأحمد في «المسند» (١٢٧/٤) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وأوله: «أوصيكم بتقوى الله والسَّمع والطاعة. . .» وهو حديث صحيح. (م).

وهذا الكلام يعارضُ حديثَ عبد الرحيم لو ثبت فكيف ولم يثبت؟ والنبي ﷺ لا يبيحُ الاختلافَ بعده من أصحابه ـ والله أعلم ـ هذا آخر كلام البزَّار.

قال أبو عمر: قد روى أبو شهاب الخيّاط عن حمزة الجَزري عن نافع عن ابن عمرَ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما أصْحابي مثلُ النُّجوم فأيُّهم أخذتمُ بقولِهِ اهتَدَيْتُم».

وهذا إسناد لا يصح ولا يرويه عن نافع من يحتج به، وليس كلام البزّار بصحيح على كل حال لأن الاقتداء بأصحاب النبي ﷺ منفردين إنما هو لمن جهل ما يُسأل عنه، ومن كانت هذه حاله فالتقليد لازم له، ولم يأمر أصحابه أن يقتديَ بعضُهم ببعض، إذا تأوَّلوا تأويلًا سائغاً جائزاً ممكناً في الأصول، وإنما كلُّ واحد منهم نجم جائز أن يقتديَ به العاميُّ الجاهلُ بمعنى ما يحتاج إليه من دينه، وكذلك سائر العلماء مع العامة ـ والله أعلم ـ.

وقد روي في هذا الحديث إسناد غير ما ذكر البزَّارُ عن سلَّام بن سليم قال: حدثنا الحارث بن غُصَين عن الأعمش عن أبي سُفْيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أصحابي كالنُّجوم بأيِّهم اقتديتُم اهتديتم».

قال أبو عمر: هذا إسناد لا تقوم به حجة لأن الحارث بن غُصَيْن مجهول.

وعن الحكم بن عُتَيْبة قال: ليس أحدٌ من خلق الله إلّا يؤخذ من قوله، ويترك، إلا النّبي ﷺ.

وعن ابن أبي عمر قال: حدثنا سفيان بن عُيَيْنَة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: ليس أحد من خلق الله إلا وهو يُؤْخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ.

وعن عبد الله بن وهب قال: سمعتُ سُفْيان يحدث عن عبد الكريم عن مجاهد أنه قال: ليس أحدٌ بعد رسول الله ﷺ إلّا وهو يُؤْخذ من قوله ويُتْرك.

وعن يونس بن عبد الأعلى قال: حدثنا ابن عُيَيْنَة عن عبد الكريم عن مُجَاهد مثله.

وعن الحسن بن محمد بن الصبّاح الزَّعْفراني قال: حدَّثنا سُفْيان بن عُيَيْنة عن عبد الكريم عن مجاهد مثله أيضاً.

قال أبو عمر: وافق الحسنُ الزَّعفرانيُّ ويونُسُ بنَ عبد الأعلى ابنَ وَهَبٍ في إسناد هذا الحديث وخالفهم ابن أبي عمر وكلا الحديثين صحيحٌ إن شاء الله. وجائز أن يكون عند ابن عُيَيْنَة هذا الحديث عن عبد الكريم الجَزْرِي(١) وابن أبي نجيح(٢) جميعاً عن مجاهد.

وعن خالد بن الحارث قال: قال سليمان التيمي: لو أخذْتَ برخصة كل عالم اجتمع فيك الشرّ كله.

وفي رواية عنه: إن أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشَرُّ كله.

قال أبو عمر: هذا إجماع لا أعلم فيه خلافاً.

* *

بـــابُ
ما يكرهُ فيه المناظرةُ والجدالُ والمِرَاءُ

قال أبو عمر: الآثار كلُّها في هذا الباب المرويّة عن النبي ﷺ إنما وردت في النَّهْي عن الجدال والمِرَاءِ في القرآن.

٢١٦ - وروى سعيدُ بن المسيَّب، وأبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «المِراءُ في القرآن كفر»(٣).

ولا يصحُّ عن النبي ﷺ فيه غيرُ هذا بوجه من الوجوه، والمعنى: أن يتمارى

---

(١) الخِضْرمي، مولى بني أمية، ثقة متقن. مات سنة ١٢٧ هـ. «التقريب» [٣٦١]. [وفيه: بالخاء والضاد المعجمتين نسبة إلى قرية من اليمامة].

(٢) عبد الله بن يسار الثقفي، مولاهم رُمي بالقدر ودلّس، مات سنة ١٣١ هـ وقيل: بعدها. «التقريب» [٣٢٦].

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩٢) (م).

اثنان في آية يجحدُها أحدُهما ويدفعُها، أو يصيرُ فيها إلى الشك. فذلك هو المِراء الذي هو الكفر.

وأمَّا التَّنازُعُ في أحكام القرآن ومعانيه فقد تنازع أصحابُ رسول الله ﷺ في كثير من ذلك، وهذا يبينُ لك أن المِراءَ الذي هو كُفْرٌ، هو الجُحُود والشكُّ. كما قال عز وجل. ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾[1].

ونهى السَّلَفُ ـ رحمهم الله ـ عن الجدال في الله جلَّ ثناؤُهُ في صفاته وأسمائه.

وأما الفقهُ فأجمعوا على الجدال فيه والتَّناظر؛ لأنه علم يحتاج فيه إلى ردِّ الفروع إلى الأصول، للحاجة إلى ذلك، وليس الاعتقادات كذلك؛ لأن الله عزَّ وجل لا يوصف عند الجماعة أهلِ السُّنَّة إلا بما وصف به نفسه أو وصفَه به رسوله ﷺ، أو أجمعت الأمة عليه، وليس كمثله شيء فيدرَكُ بقياس أو بإنعام نظر وقد نهينا عن التفكر في الله، وأمرنا بالتفكر في خلقه الدَّالِّ عليه، وللكلام في ذلك موضع غير هذا. والدين قد وصل إلى العذراء في خِدْرها[2] والحمد لله.

(قف على كلام عمر بن عبد العزيز) وعن يحيى بن سعيد قال: قال عمرُ بنُ عبد العزيز: من جعلَ دينَهُ غَرَضاً للخُصُومات أكثر التنقُّل.

وعن المُغيرة عن إبراهيم قالوا: كانوا يكرهون التلوُّنَ في الدين.

وعن عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي: أن عمرَ بن عبد العزيز قال: إذا رأيت قوماً يتناجَوْن في دينهم دونَ العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضَلَالة.

(قف على كلام حذيفة والأوزاعي) وعن خالدِ بنِ سعيد قال: دخل أبو مَسْعود على حُذَيْفَةَ قال: اعهد إليَّ. قال: أو لم يأتك اليَقينُ؟ قال: بلى. قال: فإنَّ الضَّلالةَ حقَّ الضلالة أن تعرفَ ما كنتَ

---

(١) سورة الحج: الآية (٥٥).

(٢) هذا ما يقوله أبو عمر رحمه الله في عصره، ولو كان في عصرنا هذا الذي غشيته سحب الجهالات والضلالات فماذا يقول؟
فعلى أهل العلم أن يتَّعظوا بهذا ويعملوا على إرشاد الناس إلى الهَدْيِ القويم والصراط المستقيم وليحذروا أن يدخلوا في عموم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللّهَ والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُم وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال: الآية (٢٧)].

تُنْكِرُ وتنكرُ ما كنتَ تعرفُ، وإيّاك والتلوُّنَ في دين الله، فإنَّ دينَ الله واحد.

وقال الأوزاعي: بلغَني أنَّ الله إذا أراد بقوم شراً ألزَمَهُم الجدَلَ ومنَعَهم العملَ.

وعن الفَزَاري قال: سئل عمرُ بنُ عبد العزيز عن قتال أهل صِفّين. قال: تلكَ دماءٌ كفَّ الله عنها يدي لا أريد أن ألطِّخَ بها لساني.

وعن العَوَّام بن حَوْشَب[1] عن إبراهيم التيمي في قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُم العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ﴾[2]. قال: الخصومات بالجدال في الدين. قال: وقال معاوية بن عمر: إياكم وهذه الخصومات فإنَّها تحبط الأعمال.

وعن أبي يعلى منذر بن يعلى الثوري[3] عن ابن الحنفية[4] قال: لا تنقضي الدُّنْيا حتى تكونَ خصوماتهم في ربهم.

وقال ابن عباس: لا يزال أمر هذه الأُمة مُقَارباً حتى يتكلموا في الوِلْدَان والقدر.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تكون خصومات الناس في ربهم»[5].

قال عبد الملك بن محمد الرَّقَاشي[6] فذكرت ذلك لعلي بن المديني فقال: ليس هذا بشيء إنما أراد حديث محمد بن الحنفية: لا تقوم الساعة حتى تكون خصوماتهم في ربهم.

وقال الهيثم بن جميل: قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله الرجل يكون عالماً بالسُّنة أيجادل عنها؟ قال: لا ولكن يخبر بالسنة فإن قبلت منه وإلا سكت.

---

(١) الشيباني ثقة ثبت فاضل، مات سنة ١٤٨ هـ. «التقريب» [٤٣٣].

(٢) سورة المائدة: الآية (١٤).

(٣) الكوفي ثقة فاضل. «التقريب» [٥٤٦].

(٤) هو محمد بن علي بن أبي طالب. كان كثير العلم والورع شديد القوّة. مات سنة ٨١ هـ وقيل أكثر. «ابن خلكان» [٤/ ١٦٩].

(٥) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٤) (م).

(٦) البصري صدوق يخطىء، مات سنة ٢٧٦ هـ. «التقريب» [٣٦٥].

وعن أحمد بن زهير قال: قال لي مُصْعَب بن عبد الله: ناظرني إسحاق بن أبي إسرائيل فقال: لا أقول كذا ولا أقول غيره يعني في القرآن. فناظرته فقال: لم أقف على الشك، ولكني أقول كما قال: أَسْكُتُ كما سكت القوم قال: فأنشدته هذا الشعر فأعجبه وكتبه وهو شعر قيل منذ أكثر من عشرين سنة:

(قف على أبيات جميلة جداً)

أأقعد بعدما رجفت عظامي | وكان الموت أقربَ ما يليني
أجادل كل معترض خصيم | وأجعل دينه غَرضاً لديني
فأترك ما علمتُ لرأي غيري | وليس الرأي كالعلم اليقين[1]
وما أنا والخصومة وهي لَبْسٌ | تَصرَّف في الشمال وفي اليمين
وقد سُنّت لنا سُننٌ قوام | يلحن بكل فجّ[2] أو وَجين
وكان الحقُّ ليسَ به[3] خفاء | أغر كغُرة الفلَق المبين
وما عوضٌ لنا منهاج جهم | بمنهاج ابن آمنة الأمين
فأما ما علمتُ فقد كفاني | وأما ما جهلت فجنّبوني
فلست مكفّراً أحداً يصلّي | وما أحرمكمُ أن تكفروني
وكنّا إخوة نرمي جميعاً | فنرمي كل مرتاب ظنين
فما برح التكلُّف إن رمينا | بشأن واحد فرق الشؤون
فأوشك أن يخرّ عِمادُ بيت | وينقطع القَرين عن القرين

قال أبو عمر: كان مُصْعبُ بن عبد الله الزبيري شاعراً محسناً ذكر له ابن أخيه الزُّبير بن بَكّار أشعاراً حساناً يرثي بها أباهُ عبدَ الله بن مصعب بن ثابت وهذا الشعر عندهم له لا شك فيه ـ والله أعلم ـ.

(قف على كلام الإمام مالك)

وعن مُصْعب بن عبد الله الزبيري قال: كان مالك بن أنس يقول: الكلام في

---

(١) في الأصل المطبوع: «اليقيني» والتصويب من «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩٤).

(٢) الفجُّ: الطريق الواسع بين جبلين كالفُجاج بالضم. والوَجِيْن: شط الوادي. «القاموس» [فجَّ ـ وجن].

(٣) في المختصر والأصل «له». والتصويب من «معجم الشعراء» للمرزباني (٤٠٢) وفيه أربعة أبيات من النص، وقد سبقت ترجمةُ الشاعر من قبلُ.

الدين أكرهه، ولم يزل أهلُ بلدنا يكرهونه وينهَوْن عنه نحو الكلام في رأي جهم، والقدر، وما أشبه ذلك ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل فالسكوت أحبُّ إليَّ، لأني رأيت أَهل بلدنا ينهَوْن عن الكلام في الدّين إلا فيما تحته عمل.

قال أبو عمر: قد بيّن مالك رحمه الله أن الكلام فيما تحته عمل هو المباح عنده وعند أهل بلده، يعني العُلَمَاءَ منهم رضي الله عنهم، وأخبر أنّ الكلام في الدين نحو القول في صفاتِ الله وأسمائه وضربَ مثلاً فقال: نحو قول جهم والقدر، والذي قاله مالك ـ رحمهُ الله ـ عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديماً وحديثاً، من أهل الحديث والفتوى، وإنما خالف ذلك أهلُ البدع المُعْتَزِلَةُ وسائرُ الفرق، وأما الجماعةُ فعلى ما قال مالك رحمه الله، إلا أن يضطرَّ أحد إلى الكلام فلا يسعه السكوت، إذا طمع بردِّ الباطل، وصرف صاحبه عن مذهبه، أو خشي ضلال عامة، أو نحو هذا.

قال ابن عيينة: سمعت من جابر الجعفي[1] كلاماً خشيت أن يقع عليّ وعليه البيت.

وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعتُ الشافعيَّ يوم ناظره حَفْصُ الفرد[2] قال لي: يا أبا موسى لأن يلقى اللَّهَ عزَّ وجلَّ العبدُ بكل ذنب ما خلا الشرك خيرٌ من أن يلقاه بشيء من الكلام.

لقد سمعت من حفصٍ كلاماً لا أقدرُ أن أحكيه.

وعن الشافعي: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفرُّوا منه كما يُفرُّ من الأسد.

---

(١) الكوفي، ضعيف رافضي، مات سنة ١٢٧ هـ. «التقريب» [١٣٧].

(٢) من المُجْبِرَة، وكان من أهل مصر، قدم البصرة، فسمع بأبي هذيل، واجتمع معه وناظره، فقطعه أبو الهذيل، «البيان والتبيين» (١/ ٢٥ التعليق (٢) . وذكره ابن النديم في «الفهرست» (٢٥٥).

وقال: إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمَّى أو الاسم المسمَّى فاشهد عليه أنّه من أهل الكلام ولا دين له.

وعنه قال: حُكمي في أهل الكلام أنْ يُضْرَبوا بالجَريد، ويُطَافَ بهم في القبائل، هذا جزاء من تَرَكَ الكتاب والسنَّة وأخذ في الكلام.

وقال أحمد بن حنبل لا يفلحُ صاحبُ كلامٍ أبداً ولا تكادُ ترى أحداً نظرَ في الكلام إلَّا وفي قلبه دَغَلٌ(١).

وقال مالك: أرأيتَ إن جاءه من هو أجدل منه أيَدَعُ دينه كلَّ يوم لدينٍ جديد.

وعن الحسن بن زياد اللُّؤْلُؤي، وقال له رجل في زُفر بن الهُذَيل(٢): أكان ينظر في الكلام؟ فقال: سُبحانَ الله ما أحمقك! ما أدركت مشيختنا زُفَر، وأبا يوسف، وأبا حنيفة، ومن جالسنا وأخذنا عنه، يهمُّهم غير الفقه والاقتداء بمن تقدمهم.

وروينا أنَّ طاووساً ووهب بن منبه التقيا؛ فقال طاووس لوهب: يا أبا عبد الله بلغَني عنك أمرٌ عظيم. فقال: ما هو؟ قال: تقول: إن الله حمل قومَ لوطٍ بعضَهم على بعض. قال: أعوذ بالله ثم سكتا. قال: فقلت: هل اختصما؟ قال: لا.

قال أبو عمر: أجمعَ أهلُ الفقه والآثار في جميع الأمصار أنّ أهل الكلام أهلَ بدع وزَيْغ، ولا يعدُّونَ عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهلُ الأثر والتفقّه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والمَيْزِ والفَهْم.

وعن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إسحاق بن خُويز مِنْداد المصري المالكي في كتاب الإجارات من كتابه «في الخلاف». قال مالك: لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدَع والتَّنْجيم، وذكر كتباً ثم قال: وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتبُ أصحابِ الكلام من المعتزلة وغيرهم وتفسخ

---

(١) الدَّغَلُ محركةً: دَخَلٌ في الأمر مفسد. [اللسان: (دغل)].

(٢) العَنْبري، الفقيه الحنفي جمع بين العلم والعبادة. مات سنة ١٥٨ هـ. «ابن خلكان» [٢/٣١٧].

الإجارة في ذلك، قال: وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك، وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك: لا تجوز شهادة أهل البدع، وأهل الأهواء. قال: أهلُ الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهلُ الكلام فكلُّ متكلِّمٍ فهو من أهل الأهواء والبدع، أشْعَرياً كان أو غيرَ أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً، ويُهْجَر، ويؤدَّبُ على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها.

قال أبو عمر: ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله، أو صَحَّ عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمّة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له، ولا يُناظر فيه.

وعن الأوزاعي قال: كان مكحول والزُّهري يقولان: أَمِرُوا هذه الأحاديث كما جاءت.

وقد رَوينا عن مالك بن أنس والأوْزاعي وسُفيان الثَّوري وسُفيان بن عُيَيْنة ومَعْمَر بن راشد[1] في الأحاديث في الصفات أنّهم كلَّهم قالوا: أَمِرُّوها كما جاءت.

قال أبو عمر: نحو حديث التنزُّل، وحديث إن الله خلق آدم على صورته، وأنه يُدخل قَدمَهُ في جهنم، وأنه يضَعُ السَّموات على إصْبَع، وأن قلوب بني آدم بين إصبعين من أُصابع الرحمن، يقلّبها كيف شاء، وأنّ ربكم ليس بأعور؛ وما كان مثل هذه الأحاديث وقد شرحنا القول في هذا الباب من جهة النظر والأثر وبَسَطْنَاهُ في «كتاب التمهيد» عند ذكر حديث التنزُّل. فمن أراد الوقوف عليه تأمّله هناك، على أني أقول لا خيرَ في شيء من مذاهب أهل الكلام كلِّهم وبالله التوفيق.

وعن هشام قال: كان الحسن يقول: لا تجالسوا أهلَ الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم.

وعن جعفر عن رجل من فقهاء أهل المدينة قال: إن الله تباركَ وتَعالى علِمَ علماً علَّمه العباد وعلِمَ علماً لم يعلّمه العباد فمن تطلَّب العلم الذي لم يعلمه العباد لم يزدَدْ منه إلا بُعداً قال: والقدر منه.

(١) الأزدي مولاهم: البصري، ثقة ثبت وفي روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيء. مات سنة ١٥٤ هـ. «التقريب» [٥٤١].

وعن سعيد بن جبير قال: ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين.

وقال جعفر بن محمد: النَّاظرُ في القدر كالنّاظر في عين الشمس، كلما ازداد نظراً ازداد حيرة.

قال أبو عمر: ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثقاة وجاء عن الصحابة وصحَّ عنهم فهو علم يُدان به، وما أُحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فبدعة وضلالة، وما جاء في أسماء الله وصفاته عنهم سُلِّمَ له، ولم يُناظَر فيه، كما لم يُناظِروا.

قال أبو عمر: رواها السَّلف وسكتوا عنها، وهم كانوا أعمق النَّاس علماً، وأوسعهم فهماً، وأقلهم تكلفاً، ولم يكن سكوتهم عن عِيٍّ، فمن لم يسعْهُ ما وَسِعَهم فقد خاب وخسر.

وعن عبد ربه قال: كان الحسن في مجلس فذكر أصحاب محمد ﷺ فقال: إنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمَقها علماً، وأقلَّها تكلّفاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ فَتَشَبَّهُوا بأخلاقهم، وطرائقهم، فإنهم وربِّ الكعبة على الهَدْي المستقيم.

وعن إبراهيم قال: لم يُدَّخر لكم شيء خُبيء من القوم لفضل عندكم.

وعن حذيفة أنه كان يقول: اتقوا الله يا معشر القرّاء وخذوا طريق من كان قبلكم، فلعمري لئن اتبعتموه فلقد سبقتم سبقاً بعيداً ولئن تركتُموه يميناً وشمالاً لقد ضَلَلْتم ضلالاً بعيداً.

وعن قتادة قال: قال ابن مسعود: من كان منكم متأسّياً فليتأسَّ بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم.

٢١٧ ـ وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلّ قوم بعد

هُدىً، إلا لُقِّنوا الجدل، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[1].

قال أبو عمر: تناظر القوم وتجادلوا في الفقه ونُهوا عن الجدال في الاعتقاد لأنه يَؤُول إلى الانسلاخ من الدين. ألا ترى مناظرة بِشْر[2] في قوله عز وجل: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[3] حين قال: هو بذاته في كل مكان. فقال له خصمه: فهو في قَلَنسُوتك وفي حشك[4] وفي جوف حمار.

تعالى الله عما يقولون، حكى ذلك وكيعٌ رحمه الله، وأنا والله أكره أن أحكي كلامهم، ـ قبحهم الله ـ فعن هذا وشبههِ نهى العلماء.

وأما الفقه فلا يوصل إليه ولا يُنال أبداً دون تناظر فيه وتفهّم له.

وذكر ابن وهب في «جامعه»[5]. قال: سمعت سليمان بن بلال[6] يقول: سمعت ربيعة يُسأل: لمَ قُدِّمَتْ البقرةُ وآل عُمرانَ وقد نزل قبلهما بضعٌ وثمانون سورة وإنما أنزلتا بالمدينة؟ فقال ربيعة: قد قدِّمتا وأُلِّف القرآنُ على علمٍ ممَّن أَلَّفه، وقد اجتمعوا على العلم بذلك، فهذا مما يُنتهى إليه ولا يُسأل عنه. وعن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد[7] عن أبيه قال: وايم الله إن كنا لنلتقط السُّنَنَ من أهل الفقه والثقة، ونتعلمها شبيهاً بتعلمنا آي القرآن، وما برح من أدركنا من أهل الفقه

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٥٨).

(٢) بشر المَرِيْسيّ فقيه حنفي، اشتغل بالكلام، وجرّد القول بخلق القرآن، وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة، وإليه تنسب الطائفة المريسيَّةُ من المرجئة. مات سنة ٢١٩ هـ ببغداد. «ابن خلكان» (٢٧٧/١).

(٣) سورة المُجَادِلة: الآية (٧).

(٤) الحِشّ، مثلث بالحاء: المخرَجُ لأنّهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين. «القاموس» [حشّ].

(٥) عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء المصري أبو محمد فقيه من الأئمة، من أصحاب الإمام مالك له كتب منها «الجامع» في الحديث. مات سنة ١٩٧ هـ. بمصر. «ابن خلكان» (٣٦/٣) و «الأعلام» (١٤٤/٤).

(٦) التميمي مولاهم، ثقة، مات سنة ١٦٢ هـ. «التقريب» [٢٥٠].

(٧) عبد الله بن ذكوان المدني مولى قريش صدوق تغيَّر حفظه لمّا قدم بغداد، مات سنة ١٧٤ هـ. «التقريب» [٣٤٠].

والفضل من خيار أولية الناس، يعيبون أهل الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي وينهون عن لقائهم ومجالستهم ويحذّرون مقاربتَهم أشدَّ التحذير، ويخبرون أنهم أهلُ ضلال وتحريف لتأويل كتاب الله وسُنَن رسول الله ﷺ وما توفي رسول الله ﷺ حتى كره المسائل وناحية التنقيب والبحث وزجر عن ذلك، وحذَّرَهُ المسلمينَ في غير موطن حتى كان من قوله كراهية لذلك: «ذَرُوني ما تركتكم فإنَّما هلَكَ الـذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم»[1] ولقد أحسن القائل:

قـد نقَّر النَّـاسَ حتى أحدثُـوا بدعـاً ... في الدِّين بالرأي لم تُبْعث بها الرسلُ
حتى استخـفَّ بـدين الله أكـثـرُهم ... وفي الـذي حُمّلوا من دينه شُغُـلُ

٢١٨ ـ وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «أَلَا هَلَـكَ المُتَنَطِّعُون ثلاثاً»[2].

وعن زكريا بن يحيى قال: سمعتُ الأصمعي يقول: قال عبدُ الله بن حسن: المِرَاءُ يُفسدُ الصَدَاقة القديمة، ويحلُّ العقدة الوثيقة، وأقل ما فيـه أن تكون المغالبةُ، والمغالبةُ أمتنُ أسبابِ القطيعة.

وعن جعفر بن عَوْن[3] قال: سمعت مِسْعَراً يقول يخاطب ابنه كِدَاماً:

إنِّي منحتُـك يـا كِـدَام نصيحتي ... فـاسمعْ لقـول أبٍ عليـك شفيقِ
أمـا المِزَاحـة والمِرَاء فـدَعْهُمـا ... خُـلُقـان لا أرْضَـاهُمـا لصَـديقِ
إنِّـي بلوتُـهـمـا فـلم أحْـمَـدْهـمـا ... لـمـجـاورٍ جـاراً ولا لـرفـيـقِ
والجهـلُ يُـزري بـالفتى في قـومـه ... وعـروقُـه فـي النـاس أيُّ عـروقِ

وقد رويت هذه الأبيات لِمسعر بن كدام[4] من وجوه فاقتصرت منها على ما حضرني ذكره.

* *

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩٨) (م).
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩٩) وهو عند مسلم رقم (٢٦٧٠) (م).
(٣) المخزومي صدوق. مات سنة ٢٠٦ هـ وقيل أكثر. «التقريب» [١٤١].
(٤) الهلالي الكوفي ثقة ثبت فاضل. مات سنة ١٥٣ هـ. «التقريب» [٢٥٨ من ثقات أهل الحديث، كان =

بـــابُ
إثباتِ المناظرةِ والمجادلةِ وإقامة الحجّة

قال الله عزَّ وجل: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ كَانَ هُوْداً أَوْ نَصَارَى تلك أمانيُّهُم قُلْ هَاتُوا برهانَكُم إنْ كُنْتُمْ صادقين﴾[1].

وقال: ﴿لِيَهْلِكَ مِنْ هَلَكَ عَن بيّنةٍ ويَحْيى مَن حَيَّ عن بيّنة﴾[2] والبيّنة: ما بان به الحق.

وقال: ﴿إِنْ عِنْدَكُم مِنْ سُلْطانٍ بِهَذَا﴾[3]. قال المفسرون[4]: من حُجةٍ قالوا: والسلطان: الحجة.

وقال الله جل وعز: ﴿قُلْ فللَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ﴾[5].

وقال: ﴿يَوْمَ تَأْتي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾[6].

٢١٩ ـ وعن أنس بن مالك في قوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِم﴾[7].

قال: كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه، وقال: «هل تدرون ممّ ضحكت» وذكر شيئاً، ثم قال: «في مجادلة العبد ربَّه يومَ القيامة قال: يقولُ يا ربِّ ألم تجرْني من الظلم؟ قال: بلى. قال: فإني لا أجيزُ عليَّ اليوم شاهداً إلاَّ من نفسي، قال: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيْباً﴾[8] كذا قال: فيختم على فيه ويقال

= يقال له: «المُصْحَف» لعظم ثقته بما يرويه. «تهذيب التهذيب» (١٠/١١٣) و«شذرات الذهب» (٢/٢٥٢) طبع دار ابن كثير و«الأعلام» (٧/٢١٦)].

(١) سورة البقرة: الآية (١١١).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٤٢).

(٣) سورة يونس: الآية (٦٨) وهي في الأصل والمختصر: «قُلْ هَلْ عِنْدَكُم...».

(٤) «القرطبي» (٨/٣٦١).

(٥) سورة الأنعام: الآية (١٤٩).

(٦) سورة النحل: الآية (١١١).

(٧) سورة يس: الآية (٦٥).

(٨) سورة الإسراء: الآية (١٤). وفي الأصل والمختصر «شهيداً».

لأركانه: انطقي فتنطق بأعماله، ثم يخلّى بينه وبين الكلام فيقول: بعداً لكنّ فعنكنّ كنت أُناضل»[1].

وقال تعالى: ﴿إنّكم يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[2].

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلىٰ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيْمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللَّهُ المُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيْتُ قالَ أَنا أُحْيِي وَأُمِيْتُ قالَ إبراهيمُ فإنّ اللَّهَ يَأْتي بالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِها من المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾[3]. يقول: فانقطع وخصم، ولحقه البَهْتُ عند أخذ الحجة له.

ووصف الله عزَّ وجل خصومة إبراهيم ﷺ قومه وردَّه عليهم وعلى أبيه في عبادة الأوثان: ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيْه وقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّماثيلُ الّتي أنْتُم لَهَا عَاكِفُونَ﴾[4] إلى قوله: ﴿أُفٍّ لَكُمْ ولِمَا تَعْبُدُونَ من دُونِ اللهِ﴾[5] الآيات كلّها.

ونحو هذا في سورة الظُّلة[6]: ﴿إِذْ قالَ لأَبِيْهِ وَقَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ قالوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِيْنَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُم أَوْ يَضُرُّونَ﴾[7] فحادوا عن جواب سؤاله هذا؛ إذ انقطعوا وعجزوا عن الحجة فقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[8] وهذا ليس بجواب عن هذا السؤال، ولكنه حَيْدةٌ وهربٌ عما لزمهم، وهو ضرب من الانقطاع.

وقال عزَّ وجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيْمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾[9] قالوا: بالعلم والحجة.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٠٠) (م).
(٢) سورة الزمر: الآية (٣١).
(٣) سورة البقرة: الآية (٢٥٨).
(٤) سورة الأنبياء: الآية (٥٢).
(٥) سورة الأنبياء: الآية (٦٧).
(٦) سورة الظُّلة: هي سورة الشعراء . من قوله تعالىٰ: ﴿فَكَذَّبوه فأخذهم عذاب يوم الظُّلَّة﴾ سورة الشعراء: الآية (١٨٩).
(٧) سورة الشعراء: الآيات (٧٠ - ٧٣).
(٨) سورة الشعراء: الآية (٧٤).
(٩) سورة الأنعام: الآية (٨٣).

وقال في قصة نوح: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قد جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالنا﴾[1] الآيات إلى قوله: ﴿وأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾[2].

وقال في قصة موسى ﷺ: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُما يَا مُوسَى﴾[3] الآيات إلى قوله: ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾[4].

وكذلك قول فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ العَالَمين﴾[5] إلى قوله: ﴿أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بشيءٍ مُبِيْن﴾[6] يعني ـ والله أعلم ـ بحجة واضحة أدحض بها حجتك.

وقال عزَّ وجل: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَّبْدَأُ الخلقَ ثُمَّ يعيدُه قُلْ اللَّهُ يَبدأُ الخلقَ ثُمَّ يعيدُهُ فأنَّى تُؤْفَكُون﴾[7] إلى قوله: ﴿أَفَمَنْ يَّهْدِي إِلى الحَقِّ أحقُّ أن يُتَّبَع أم مَّن لَّا يَهِدِّي إلا أنْ يُهدَى فما لَكُم كَيْفَ تَحْكُمُون﴾[8].

فهذا كله تعليم من الله للسؤال والجواب والمجادلة.

وجادل رسول الله ﷺ أهل الكتاب وباهَلَهم بعد الحجة قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيْسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾[9] الآية. ثم قال: ﴿فَمَنْ حاجَّكَ فيه من بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ﴾[10] الآية. وقال ﷺ: «إنَّكم تَخْتَصِمُون إليَّ ولعلَّ بعضَكم أنْ يكونَ ألحنَ بحجَّتِهِ مِن بعْض»[11] الحديث.

وجادل عمر بن الخطاب اليهود في جبريل وميكائيل فقال جماعة من (قف على مجادلة عمر لليهود)

(١) سورة هود: الآيات (٣٢ ـ ٣٥).
(٢) سورة هود: الآية (٣٥).
(٣) سورة طَه: الآية (٤٩).
(٤) سورة طَه: الآية (٥٥).
(٥) سورة الشعراء: الآية (٢٣).
(٦) سورة الشعراء: الآية (٣٠).
(٧) سورة يونس: الآية (٣٤).
(٨) سورة يونس: الآية (٣٥).
(٩) سورة آل عمران: الآية (٥٩).
(١٠) سورة آل عمران: الآية (٦١).
(١١) الحديث:

المفسرين [1] كان لعمرَ أرضٌ بأعلى المدينة فكان يأتيها، وكان طريقُهُ على موضع مدارسة اليهود، وكان كلّما مرّ دخل عليهم، فسمع منهم، وأنّه دخل عليهم ذات يوم فقالوا: يا عمر! ما من أصحاب محمد أحدٌ أحب إلينا منك إنهم يمرُّون بنا فيؤذوننا، وتمرّ بنا فلا تؤذينا، وإنا لنطمعُ فيك. فقال لهم عمر: أيُّ يمين فيكم أعظم؟ قالوا: الرحمن. قال: فبالرحمن الذي أنزل التوراةَ على موسى بطُورِ سَيْناء أتجدونَ محمداً عندكم نبياً؟ فسكتوا. قال: تكلّموا ما شأنكم؟ والله ما سألتكم وأنا شَاكٌ في شيء من ديني. فنظر بعضهم لبعض، فقام رجل منهم فقال: أخبروا الرجل أو لأخبرنّه. قالوا: نعم إنا لنجده مكتوباً عندنا، ولكنّ صاحبه من الملائكة الذي يأتيه بالوحي هو جبريل، وجبريل عدوّنا، وهو صاحب كلّ عذابٍ وقتالٍ وخَسْفٍ، ولو أنه كان وليَّه ميكائيلُ لآمنا به، فإنّ ميكائيلَ صاحبُ كلِّ رحمةٍ، وكل غيثٍ، قال لهم: فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطُوْرِ سَيْناء أين ميكائيل؟ وأين جبريل من الله؟ قالوا: جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، قال عمر؛ فأشهد أن الذي هو عدوٌ للذي عن يمينه هو عدو للذي عن يَساره، والذي هو عدو للذي عن يساره هو عدوٌ للذي عن يمينه، وأنه من كان عدوّاً لهما فإنه عدوّ لله، ثم رجع عمر ليخبرَ النبي ﷺ؛ فقرأ عليه: **﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجبريْلَ فإنَّه نزَّله على قَلْبِكَ بإِذْنِ اللّهِ مُصَدّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِيْن، مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وملائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيْلَ وَمِيْكَالَ فإِنَّ اللّهَ عدوٌّ للكَافِرِيْن﴾** [2] الآيات. فقال عمر. والذي بعثك بالحق لقد جئت وما أريد إلا أن أخبرك. فهذا مما صدَّق اللّهُ فيه قول عمر واحتجاجه، وهو باب من الاحتجاج لطيف مسلوك عند أهل النظر. وتركنا إسناد هذا الخبر، وسائر ما أوردناه من الأخبار في هذا والباب الذي قبله وبعده لشهرتهما في التفاسير والمصنفات.

وأخبر النبي ﷺ: أن آدم احتج مع موسى، قال ﷺ: «فحج آدم موسى»[3].

---

(١) «أسباب النزول للواحدي» (١٩).

(٢) سورة البقرة: الآية (٩٧ـ٩٨).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٠٢/٢) (م).

وقال جل وعز: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[1] فأثنى على المؤمنين أهل الحق، وذم أهل الكفر والباطل.

قال المفسرون[2]: نزلت هذه الآية في حمزة بن عبد المطلب وعُبيدة بن الحارث وعلي بن أبي طالب وعُتبةَ وشَيْبة ابني ربيعة والوليد بن عُتبةَ.

وعن قيس بن عُبَاد[3] قال: سمعت أبا ذرّ يقسم لنزلت هذه الآيات ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾[4] إلى قوله: ﴿العزيز الحميد﴾ في هؤلاء الرَّهط الستة يومَ بَـدْرٍ في علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب[5] وعبيدة بن الحارث بن المطلب[6] وعُتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة[7].

وتجادل أصحاب رسول الله ﷺ يوم السَّقيفة[8] وتدافعوا، وتقرروا، وتناظروا حتى صار الحق في أهله، وتناظروا بعد مبايعة أبي بكر في أهل الرِّدة وفي فصول يطول ذكرها، واحتجوا على أبي بكر بقول رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها حقنوا دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها وحسابهم على الله»[9]. فقال أبو بكر: من حقِّها الزكاة والله لأقاتِلَنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة ولو مَنَعوني عَناقاً، ويروى عِقالاً لقاتلتهم عليه.

---

(١) سورة الحج: الآية (١٩).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١٢/٢٥) وقد نقل ذلك عن الإمام السُّهيلي في «التعريف والإعلام» الورقة (٨٤) من المنسوخ. (م).

(٣) الضّبيعي البصري ثقة مخضرم. مات بعد الثمانين ووهم من عدّه في الصحابة. «التقريب» [٤٥٧].

(٤) سورة الحج: الآيات (١٩ ـ ٢٤).

(٥) عمّ رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب. وسيدنا حمزة سيد الشهداء، أسلم في السنة الثانية من البعثة واستشهد في غزوة أحد سنة ثلاث من الهجرة. «أسد الغابة» [١/٥٢٨ طبع دار الفكر ببيروت].

(٦) القرشي من المسلمين السابقين شهد بدراً وجرح بها ثم توفي في عودته. «أسد الغابة» [٣/٥٥٣].

(٧) «القرطبي» (١٢/٢٥).

(٨) «الطبري» (٣/٢٠٣).

(٩) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٠٢) (م).

فبان لعمر وغيره من الصحابة الذين خالفوا أبا بكر في ذلك أن الحق معه فتابعوه.

وكذلك يجب على من خالف صاحبه وناظره أن ينصرفَ إليه إذا بان له الحق في قوله.

وقوله ﷺ: «إلَّا بحقها»، مثل قوله عزَّ وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [1].

وعن طارق بن شهاب قال: لما جمع أبو بكر أهل الرِّدَّة قال: اختاروا مني حرباً مجلية أو سِلْماً مخزية. قالوا: أما الحرب المجلية فقد عرفناها فما السلم المخزية قال: تَدُون قتلانا ولا نَدِي قتلاكم. فقام عمر بن الخطاب فقال: قتلانا قتلوا في سبيل الله لا يودون. قال: وننزع عنكم الحلقة والكراع يعني السلاح، والخيل. قاله ابن ماهان، قال: وتلزمون أذناب الإبل، حتى يُرِيَ الله خليفة رسوله ﷺ والمؤمنين ما شاء.

وعن زِرّ بن حُبَيْش قال: قلت لحذيفة: صلَّى رسول الله ﷺ في بيت المقدس، فقال: أنت تقول: صلَّىٰ فيه يا أصلع؟!. قلت: نعم بيني وبينك القرآن. قال حذيفة: هات. من احتج بالقرآن فقد أفلح فقرأتُ عليه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا من الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [2].

فقال حذيفة: أين تجده صلّى فيه؟ وذكر الحديث.

وناظر عليٌّ رضي الله عنه الخوارج حتى انصرفوا.

(قف على مناظرة ابن عباس للحرورية)

وناظرهم ابن عباس أيضاً بما لا مدفع فيه من الحجة من نحو كلام علي، ولولا شهرة ذلك وخشية طول الكتاب لاجتليت ذلك على وجهه.

فعن ابن عباس قال: لما اجتمعت الحَرُورية يخرجون على عليّ قال: جعل

(١) سورة الأنعام: الآية (١٥١).

(٢) سورة الإسراء: الآية (١).

يأتيه الرجل فيقول: يا أمير المؤمنين القوم خارجون عليك. قال: دعوهم حتى يخرجوا، فلما كان ذات يوم قلت: يا أمير المؤمنين أَبردْ بالصلاة فلا تَفُتْني حتى آتي القوم. قال: فدخلت عليهم وهم قائلون فإذا هم مسهَّمةٌ[1] وجوههم من السهر فقد أثر السجود في جباههم كأن في أيديهم ثَفِن[2] الأبل عليهم قُمصٌ مرحضةٌ[3] فقالوا: ما جاء بك يا ابن عباس وما هذه الحُلّة عليك؟ قال: قلت ما تعيبون من هذه؟ فلقد رأيت رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من ثياب اليمنيَّة. قال: ثم قرأت هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّباتِ من الرِّزْق﴾[4].

فقالوا: ما جاء بك؟ فقال: جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله، جئت لأبلِّغكم عنهم وأبلِّغهم عنكم فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُون﴾[5].

فقال بعضهم: بلى فلنكلِّمنّه. قال: فكلمَني منهم رجُلان أو ثلاثةٌ. قال: قلت: ماذا نقمتم عليه. قالوا: ثلاثاً فقلت: ما هنَّ؟ قالوا: حكم الرجال في أمر الله. وقال الله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للَّهِ﴾[6].

قال: قلت: هذه واحدة وماذا أيضاً؟ قال: فإنه قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم فلئن كانوا مؤمنين ما حلّ قتالهم ولئن كانوا كافرين لقد حلّ قتالهم وسِبَاؤهم. قال: قلت: وماذا أيضاً؟ قالوا: ومَحَا نفسَهُ من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين، قال: قلت: أرأيتكم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة

---

(١) متغيّرة «اللسان» [سهم].

(٢) جمع ثفنة وهي من البعير والناقة الركبة وما يقع على الأرض من أعضائه، إذا استناخ وغلُظ كالركبتين وغيرهما. «اللسان» [ثفن].

(٣) مغسولة. «اللسان» [رحض].

(٤) سورة الأعراف: الآية (٣٢).

(٥) سورة الزخرف: الآية (٥٨)

(٦) سورة يوسف: الآية (٤٠).

رسوله ما ينقض قولكم هذا أترجعون؟ قالوا: وما لنا لا نرجع؟ قال: قلت: أما قولكم حكّم الرجالَ في أمر الله فإنّ الله قال في كتابه: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمنوا لا تَقْتُلوا الصَّيْد وأنتم حُرمٌ ومَنْ قَتَلَهُ مِنْكُم مُتَعَمِّداً فجزاءٌ مثلُ ما قَتَل من النَّعم يحْكُمُ به ذَوا عَدْلٍ منكم﴾(١).

وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإن خِفْتُم شِقَاقَ بَيْنِهما فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وحكَماً مِنْ أَهْلِها﴾(٢) فصيّر الله ذلك إلى حكم الرجال، فنشدتكم الله أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين، وإصلاح ذات بينهم أفضل، أو في دَمِ أرنب، ثمن ربع درهم، وفي بضع امرأة؟ قالوا: بلى هذا أفضل. قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قال: فأما قولكم قاتل فلم يَسبِ ولم يغنم. أفتسبُّوا أُمَّكم عائشة؟ فإن قلتم نسبيها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم. وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم، فأنتم تردَّدون بين ضلالتين أخرجت من هذه؟ قالوا: بلى. قال: وأما قولكم محا نفسَه من إمرة المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضَوْن إنَّ نبيَ الله يومَ الحُدَيبية حينَ صالح أبا سُفيان وسُهَيْلَ بنَ عمرو قال رسول الله: اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ فقال أبو سُفيان وسهيلُ بنُ عمرو: ما نعلم أنَّك رسولُ الله، ولو نعلمُ أنَّك رسولُ الله ما قاتلناك. قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إنك تعلمُ أنِّي رسولك أمحُ يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو»(٣).

قال: فرجعَ منهم ألفان وبقي بقيتهم فخرجوا فقُتِلُوا أجمعين(٤).

وعن أبي البَخْتَري(٥) والشعبي وأصحابِ عليّ: أنه لما ظهر على البصرة «يومَ

---

(١) سورة المائدة: الآية (٩٥).

(٢) سورة النساء: الآية (٣٥).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٠٤) (م).

(٤) «الكامل» للمبرد (٢/١٠٦).

(٥) هو سعيد بن فيروز الطائي مولاهم، الكوفي، ثقة، ثبت، فيه تشيع قليل، مات سنة ٨٣ هـ. «التقريب» [٢٤٠].

الجمل» جعل لهم ما في عسكر القوم من السّلاح، ولم يجعل لهم غير ذلك، فقالوا: كيف تحلُّ لنا دماؤُهم ولا تحلّ لنا أموالُهم ولا نساؤُهم.

قال: هاتوا أسهامكم فاقرَعوا على عائشة. فقالوا: نستغفرُ اللَّهَ فخصمَهُم عليٌّ، وعرَّفهم أنها إذا لم تحلّ لم تحل بنوها.

(قف على مجادلة عمر بن عبد العزيز للحرورية)

وعن هشام بن يحيى الغّساني عن أبيه قال: خرجَتْ عليَّ الحَروريَّة بالموصل، فكتبتُ إلى عمرَ بن عبد العزيز بمخرجهم، فكتب إليّ يأمرني بالكفّ عنهم، وأن أدعوَ رجالاً منهم فأحملهم على مراكب من البريد، حتى يقدُموا على عمر فيجادلهم، فإن يكونوا على الحق اتّبعهم، وإن يكن عمر على الحق اتبعوه، وأمرني أن أرتهن منهم رجالاً وأن أعطيَهم رهناً يكون في أيديهم حتّى تنقضيَ الأمورُ وأجَّلهم في سيرهم ومقامهم ثلاثة أشهر فلمّا قدموا على عمرَ أمر بنزولهم، ثم أدخلهم عليه، فجادلهم حتى إذا لم يجد لهم حجةً رجعت طائفةٌ منهم، ونزعوا عن رأيهم، وأجابوا عمر. وقالت طائفة أخرى: لسنا نجيبك حتى تكفّر أهلَ بيتك وتلعنهم، وتبرّأ منهم. فقال عمر: إنه لا يَسَعُكُمْ فيما خرجتم له إلا الصدقُ أعلموني هل تبرأتم من فِرْعونَ أو لَعَنْتُموه أو ذكَرْتُموه في شيء من أموركم؟ قالوا: لا، قال: فكيف وسعكم تركه ولم يصف الله عبداً بأخبث من صفته إياه، ولا يسعني تركُ أهل بيتي ومنهم المحسن والمسيء والمخطىء والمصيب وذكر الحديث.

وعن محمد بن سليم أحد بني ربيعة بن حنظلة بن عديّ قال: بعثني وعَوْنَ بن عبد الله عمرُ بن عبد العزيز إلى خوارج خرجت بالجزيرة فذكر الخبر، في مناظرة عمر للخوارج، وفيه قالوا: خالفتَ أهل بيتك وسمَّيتهم الظلمة، فإما أن يكونوا على الحق أو يكونوا على الباطل، فإن زعمت أنك على الحق وهم على الباطل، فالعنهم وتبرَّأ منهم، فإن فعلت فنحن منك، وأنت منا، وإن لم تفعل فلست منا ولسنا منك. فقال عمر: إني قد علمت أنَّكم لم تتركوا الأهلَ والعشائر وتعرَّضْتم للقتل والقتال إلا وأنتم تَرَوْن أنكم مصيبون، ولكنكم أخطأتم وضَلَلْتمُ وتركتم الحقَّ، أخبروني عن الدّين أواحدٌ أو اثنان، قالوا: لا بل واحد. قال:

فيسعكم في دينكم شيء يعجز عني قالوا: لا. قال: أخبروني عن أبي بكر وعمر ما حالهما عندكم؟ قالوا: أفضل أسلافنا أبو بكر وعمر. قال: ألستم تعلمونَ أنّ رسول الله ﷺ لما توفي ارتدت العرب فقاتلهم أبو بكر فقتل الرجال وسبى الذريَّة والنساء. قالوا: بلى. قال: عمر بن عبد العزيز فلما توفي أبو بكر قام عمر ردّ النساء والذراري على عشائرهم. قالوا: بلى. قال: عمر فهل تبرأ عمر من أبي بكر ولعنه بخلافه إياه. قالوا: لا. قال: فتتولّونهما على اختلاف سيرتهما. قالوا: نعم. قال عمر: فما تقولون في بلال بن مرداس؟ قالوا: من خير أسلافنا بلال بن مِرْداس؟ قال: أفلستم قد علمتم أنه لم يزل كـافَّـاً عن الدماء والأموال وقد لطخ أصحابهُ أيديهم في الدماء والأموال فهل تبرأت إحدى الطائفتين من الأخرى أو لعنَتْ إحداهما الأخرى. قالوا: لا. قال: فتتولونهما جميعاً على اختلاف سيرتهما. قالوا: نعم. قال عمر: فأخبروني عن عبد الله بن وهب الرّاسبي حين خرج من البصرة هو وأصحابهُ يريدون أصحابكم بالكوفة فمرُّوا بعبد الله بن خبّاب فقتلوه وبقروا بطن جاريته ثم عدَوْا على قوم من بني قطيعة فقتلوا الرجال وأخذوا الأموال وغلوا الأطفال في المراجل وتأولوا قول الله: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُم يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كفَّاراً﴾[1].

ثم قدموا على أصحابهم من أهل الكوفة وهم كافُّون عن الفروج والدماء والأموال فهل تبرّأتْ إحدى الطائفتين من الأخرى، أو لعنت إحداهما الأخرى؟ قالوا: لا. قال عمر: فتتولونهما على اختلاف سيرتهما. قالوا: نعم. قال عمر: فهؤلاء الذين اختلفوا بينهم في السيرة والأحكام لم يتبرأ بعضهم من بعض على اختلاف سيرتهم ووسِعَهم ووسِعَكم ذلك ولا يسعني حين خالفت أهل بيتي في الأحكام والسيرة حتى ألعنَهم وأتبرأ منهم. أخبروني عن اللّعن أفرض على العباد؟ قالوا: نعم. قال عمر: لأحدهما متى عهدُك بلعن فِرْعون؟ قال: ما لي بذلك عَهْدٌ منذ زمان. فقال عمر: هذا رأسٌ من رؤوس الكفر ليس لكَ عهدٌ بلعنه منذ زمان وأنا

---

(١) سورة نوح: الآية (٢٧).

لا يسعني أن ألعنَ من خالفتُهم من أهل بيتي وذكر تمام الخبر.

قال أبو عمر: هذا عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه، وهو ممن جاء عنه التغليظ في النهي عن الجدال في الدين وهو القائل من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التّنقُّل، فلما اضطر وعرف الفَلَج في قوله ورجا أن يهدي الله به لزمه البيان فبيَّن وجادل، وكان أحد الراسخين في العلم رحمه الله. قال بعض العلماء: كل مجادل عالم وليس كل عالم مجادلاً، يعني أنه ليس كل عالم يتأتى له الحجة ويحضره الجواب ويسرع إليه الفهم بمَقْطع الحجة ومن كانت هذه خصاله فهو أرفع العلماء وأنفعهم مجالسة ومذاكرة، والله يُؤتي فَضْلَهُ مَن يَّشاء. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمْ﴾[1].

قال أبو إبراهيم المزني[2] - رحمه الله - لبعض مخالفيه في الفقه: من أين قلتم كذا وكذا؟ ولم قلتم كذا وكذا؟ فقال له الرجل: قد علمتَ يا أبا إبراهيم أنا لسنا لِميّة. فقال المزني: إن لم تكونوا لمية فأنتم إذن في عميّه.

وعن العباس بن عبد العظيم العَنْبري قال: كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه عليُّ بن المديني راكباً على دابة. قال: فتناظرا في الشَّهادة وارتفعت أصواتُهما حتى خِفْتُ أن يقع بينهما جفاء، وكان أحمدُ يرى الشهادة وعليٌّ يأبى ويدفع، فلما أراد عليٌّ الانصراف، قام أحمد فأخذ بركابه، وسمعت أحمدَ في ذلك المجلس يقول: لا ننظر بين أصحاب محمد ﷺ فيما شجر بينهم، ونَكِلُ أمرَهم إلى الله والحجة في ذلك حديث حاطب.

قال أبو عمر: كان أحمد بن حنبل رحمه الله يرى الشهادة بالجنة لمن شهد بدراً والحُدَيْبِيَة أو لمن جاء فيه أثرٌ مرفوع على ما كان منهم من سفك دماء بعضهم بعضاً وكان عليّ بن المديني يأبى ذلك ولا يصحّح في ذلك أثراً.

---

(١) سورة الحديد: الآية (٢١) وسورة الجمعة: الآية (٤).

(٢) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، صاحب الإمام الشافعي. توفي سنة ٢٦٤ هـ. «ابن خلكان» (٢١٧/١).

(قف على تناظر الصحابة والعلماء)

وأما تناظر العلماء وتجادلهم في مسائل الأحكام من الصَّحابة والتّابعين ومَنْ بَعدهم فأكثرُ من أن يُحصى، وسنذكرُ منها شيئاً يُستدَلُّ به.

قال زيدُ بن ثابت لعليٍّ في المُكَاتب: أكنتَ راجمَه لو زنى؟ قال: لا. قال: فكنت تجيز شهادته؟ قال: لا. قال: فهو عبدٌ ما بقي عليه دِرْهم.

وقد ذكر مَعْمر عن قتادة أن علياً قال في المكاتب: يورَّث بقدر ما أدَّى ويجلد الحد بقدر ما أدّى ويعتق بقدْر ما أدَّى ويكون دينه بقدْر ما أدّى.

واحتج زيد أيضاً على من خالفه من الصَّحابـة إذْ خاصموه في ذلك بأن المكاتبين كانوا يدخلون على أمهات المؤمنين ما بقي على أحد من كتابتهم شيء، وبقول زيد يقول فقهاءُ الأمصار.

وناظر عبيد الله بن عمر أباه في المال الذي أعطاه إيّاه أبو موسى الأشْعري هو وأخاه، وقال عبد الله: لو تلف المال ضمّناه فلنا ربحه بالضّمان.

وقال سُليمان بن يَسَار في الحامل تلدُ ولداً ويبقى في بطنها ولد آخر إنَّ لزوجها عليها الرجعةَ. وقال عكرمة: لا رَجْعَة له عَلَيْها لأنّها قد وضعت فقال له سليمان: أيحلُّ لها أن تتزوج؟ قال: لا. قال: خُصم العبد.

وقال ابن عباس: ليتَّق اللَّهَ زيدٌ أيجعلُ ولد الولد بمنزلة الولد ولا يجعل أبَ الأب بمنزلة الأب إن شاء باهَلْته عند الحجر الأسود.

وعن ابن عباس من شاء باهَلْته أنَّ الظِّهار ليس من الأَمة إنما قال الله: **﴿مِنْ نِسَائِهِمْ﴾**(1).

وقيل لمجاهد في هذه المسألة: أليسَ الله ـ جلَّ وعز ـ يقول: **﴿والذين يُظَاهِرُون من نسائهم﴾**(2) أفليس الأَمةُ من النّساء؟ فقال مجاهد: قد قال الله: **﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِّجَالِكُم﴾**(3) أفليس العبد من الرجال أفتجوز شهادته.

(1) سورة المجادلة: الآية (2) والآية: **﴿الَّذِيْنَ يُظَاهِرُوْنَ مِنْكُم مِنْ نِّسَائِهِم مَا هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ...﴾** الآية.
(2) الآية نفسها.
(3) سورة البقرة: الآية (282).

يقول كما أن العبدَ من الرجال غير المراد بالشهادة فكذلك الأَمَةُ من النساء غير المراد بالظهار. وهذا عين القياس.

وناظر أبو هريرة عبد الله بن سلّام في الساعة التي في يوم الجمعة على حسب ما ذكره مالك في «موطئه».

وناظر سعيدُ بنُ المسيَّب ربيعةَ في أصابع المرأة.

وناظر عمرُ بن الخطَّاب أبا عبيدة في حديث الطَّاعون أرأيت لو كانت لك إبل هبطتَ بها وادياً الحديث.

وهذا أكثرُ من أن يُحصى.

(قف على إن الاحتجاج بالعلم سائغ)

وفي قول الله ـ عزّ وجل ـ: ﴿فَلِمَ تُحَاجُّون فيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾[1] دليل على أن الاحتجاج بالعلم مباح سائغ لمن تدبّر.

ومن مليح الاحتجاج والكرّ على الخصم؛ ما روى حماد بن سَلَمة عن الأزرق بن قَيْس، أنّ الأَحنفَ بنَ قيس: كان يكرَهُ الصَّلاة في المقصورة، فقال له رجل: يا أبا بحر لم لا تُصَلّي في المقصورة؟ فقال الأحنف: وأنتَ لم تَصل فيها؟ قال: لا أترك. قال الأحنف: فلذلك لا أصلي فيها. وهذا ضرب من الاحتجاج وإلزام الخصم بديع.

وقال المُزَني: لا تعدو المناظرة إحدى ثلاث: إما تثبيت لمَا في يديه أو انتقال عن خطإٍ كان عليه، أو ارتياب فلا يقدم من الدّين على شك، قال: وكيف ينكر المناظرة من لم ينظر فيما به يردّها. قال: وحقُّ المناظرة أن يرادَ بها الله ـ عز وجل ـ وأن يقبل منها ما يتبين.

وقالوا: لا تصحُّ المناظرة ويظهر الحق بين المتناظرين حتى يكونا متقاربين أو مستويين في مرتبة واحدة من الدّين والفَهْم والعقل والإنصاف، وإلا فهو مِراءٌ ومُكَابرة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٦٦).

وقال سليمان بن عمران: سمعت أسدَ بنَ الفُرات يقول: بلغني أن قوماً كانوا يتناظرون بالعراق في العلم، فقال قائل: من هؤلاء؟ فقيل له: قوم يقتسمون ميراثَ رسولِ الله ﷺ.

(قف على كلام عمر بن عبد العزيز) وذكر ابن مزين قال: حدّثنا عيسى عن ابن القاسم عن مالك قال: قال عمر بن عبد العزيز: رأيتُ مُلاحاة الرّجال تلقيحاً لألبابهم.

قال مالك: وقال عمرُ بن عبد العزيز: ما رأيت أحداً لاحى الرجال إلا أخذ بجوامعِ الكلم.

قال يحيى بن مزين يريد بالملاحاة ههنا: المخاوضة والمراجعة على وجه التعليم والتفهم والمدارسة ـ والله أعلم ـ.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: ما ناظرتُ قطُّ رجلاً مفنناً في العلوم إلّا غلبتُه ولا ناظرني رجلٌ ذو فنّ واحد من العلم إلا غلبني فيه.

وعن محمد بن عبد الله بن الحكم قال: لو رأيتَ الشافعيَّ يناظرُ لظَنَنْتَ أنَّه سبُعٌ يأكُلُك. وعنه قال الشافعي: علّم الناس الحجج.

* *

بـــابُ
فسادِ التَّقْليد ونفيه، والفرق بين التقليد والاتباع

قد ذمّ الله تَبَارَكَ وتعالى التقليدَ في غيرِ موضع من كتابه فقال: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهم أَرْبَاباً مِنْ دُوْنِ اللَّهِ**﴾(١).

وروي عن حُذَيْفة وغيره قالوا: لم يعبدُوهم من دون الله ولكن أحلّوا لهم وحرَّمُوا عليهم فاتّبعوهم.

٢٢٠ ـ وقال عديُّ بن حاتم: أتيتُ رسول الله ﷺ وفي عنقي صَلِيْبٌ. فقال

(١) سورة التوبة: الآية (٣١).

لي: يا عديُّ ألقِ هذا الوثن من عُنُقك وانتهيت إليه، وهو يقرأ سورة براءة، حتى أتى على هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[1] قال: قلت يا رسول الله: إنا لم نتخذهم أرباباً. قال: «بلى أليس يحلُّون لكم ما حرَّم اللَّهُ عليكم فتحلّونه ويحرِّمون عليكم ما أُحِلَّ لكم فتحرمونه؟ فقلت: بلى. فقال: تلك عبادتهم».

وعن أبي البَخْتَريّ في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْباباً مِنْ دُوْنِ الله﴾[2].

قال: أما إنهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكنَّهم أمروهم فجعلوا حلالَ الله حرامَه، وحرامَه حلالَه، فأطاعوهم، فكانت تلك الربوبية.

وعنه قال: قيل لحذيفة في قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُوْنِ اللَّهِ﴾[3] أكانوا يعبدونهم فقال: لا. ولكن كانوا يحلّون لهم الحرام فيحلّونه ويحرّمون عليهم الحَلاَلَ فيُحَرِّمونه.

وقال ـ جل وعز ـ: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلكَ في قَرْيَةٍ من نَّذِيْر إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوها إنّا وَجَدْنا آباءنا على أُمَّةٍ وإنّا على آثارهم مُقْتَدُون * قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُم عَلَيْهِ آباءَكم﴾[4]. فمنعهم الاقتداء بآبائهم عن قبول الاهتداء فقالوا: ﴿إنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾[5] وفي هؤلاء وفي مثلهم قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿إنَّ شرَّ الدَّوابِّ عِندَ للَّه الصُّمُ البكمُ الَّذين لا يعقِلون﴾[6].

وقال: ﴿إذْ تبرَّأَ الَّذيْن اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ورَأَوْا العَذَابَ وتقطَّعَتْ بِهِمْ الأَسْباب وَقَالَ الَّذيْنَ اتّبعوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّة فنتبرَّأَ منهم كما تَبَرَّأوا منّا كذلك يُريهمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِم﴾[7].

(١، ٢، ٣) الآية نفسها.
(٤) سورة الزخرف: الآيات (٢٣ ـ ٢٤).
(٥) الآية نفسها.
(٦) سورة الأنفال: الآية (٢٢).
(٧) سورة البقرة: الآية (١٦٦).

وقال جلَّ وعزَّ عائباً لأهل الكفر وذاماً لهم: ﴿ما هَذِهِ التَّماثيلُ الَّتي أنتمُ لَهَا عَاكِفُونَ قالُوا وَجَدْنا آباءنا كَذَلِكَ يَفْعَلُون﴾ [1].

وقال: ﴿إنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنا فأضلُّونا السَّبِيْلا﴾ [2].

ومثل هذا في القرآن كثير من ذمّ تقليد الآباء والرؤساء.

(قف على احتجاج العلماء في إبطال التقليد)

وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما، وإيمان الآخر، وإنما وقع التشبيه بين التقليدين بغير حجة للمقلّد، كما لو قلَّد رجلٌ فكفر وقلد آخرُ فأذنب وقلَّد آخرُ في مسألة دنياه فأخطأ وجهَها، كان كلُّ واحد ملوماً على التقليد بغير حجة؛ لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضاً، وإن اختلفت الآثام فيه. وقال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضلَّ قوماً بَعْدَ إذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبيِّنَ لَهُمْ ما يَتّقُونَ﴾ [3].

وقد ثبت الاحتجاج بما قدمنا في الباب قبل هذا وفي ثبوته إبطال التقليد أيضاً فإذا بَطُلَ التقليدُ بكل ما ذكرنا وجبَ التسليمُ للأصول التي يجب التسليم لها وهي الكتاب والسُّنة، أو ما كان في معناهما بدليل جامع بين ذلك.

(قف على ما خافه الرسول على أمته)

٢٢١ - وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه، عن جده، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأَخافُ على أمَّتي من بعدي من أَعْمالٍ ثلاثة، قال: وما هي يا رسولَ الله؟ قال: أخافُ عليهم من زلَّة العالم ومن حكْمٍ جائر ومن هوىً متبع» [4].

٢٢٢ - وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ أنه قال: «تركت فيكم أمرين لَنْ تضلُّوا ما تمسكتم بهما كتابَ اللَّهِ وسنَّة رَسوله» [5].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٥٢).
(٢) سورة الأحزاب: الآية (٦٧).
(٣) سورة التوبة: الآية (١١٥).
(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٠) (م).
(٥) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٠) (م).

وعن زياد بن حُدَيْر[1] قال: قال عمر: ثلاثٌ يَهدمنَّ الدين زلةُ عالمٍ وجدالُ منافقٍ بالقرآن وأئمةٌ مضلُّون.

وعن الحسن قال: قال أبو الدرداء: إنّ فيما أخشى عليكم زلة العالم وجدال المنافق بالقرآن والقرآن حق، وعلى القرآن منار كأعلام الطريق.

وعن ابن شهاب أنَّ معاذَ بن جبل كان يقول كلَّ يوم في مجلسه قلّما يخطئه أن يقول ذلك: اللهم حَكَمٌ قِسْطٌ هلَك المُرْتابون إن وراءكم فِتَناً يكثر المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والأسود والأحمر فيوشكُ أحدُهم أن يقولَ: قد قرأت القرآن فما إنْ أظنُّ أن يتَّبعوني حتى أبتدعَ لهم غيره فإياكم وما ابتدع، فإنَّ كلّ بدعة ضلالة، وإياكم وزيغة الحكيم، فإنَّ الشيطانَ قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة، وإنَّ المنافق قد يقول كلمة الحق فتلَقّوا الحق عمن جاء به، فإن على الحق نوراً. قالوا: وكيف زيغة الحكيم؟ قال: هي الكلمةُ تروعُكم وتُنْكِرُونها وتقولون: ما هذه؟ فاحذروا زيغته ولا تصدَّنَّكم عنه فإنه يوشك أن يفيء وأن يراجع الحق، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيمة فمن ابتغاهما وجدهما. (قف على قول معاذ)

وعن عبيد الله بن سَلَمة قال: قال مُعاذُ بن جبل: يا معشرَ العرب كيف تصنعون بثلاث؟ دنيا تقطعُ أعناقَكم، وزلةِ عالمٍ، وجدالِ المنافق بالقرآن؟ فسكتوا، فقال: أما العالم فإن اهتدى فلا تقلّدوه دينَكم، وإن افتتن فلا تقطعوا منه أناتكم، فإنّ المؤمن يُفَتَتَن ثم يَتُوب، وأما القرآن فله منارٌ كمنار الطريق، لا يخفى على أحد، فما عرفتم منه فلا تسألوا عنه، وما شككتم فكِلُوه إلى عالمه، وأما الدّنيا فمن جعلَ الله الغنى في قلبه، فقد أفلح، ومن لا فليس بنافعته دنياه.

وعن أبي البَخْتَريّ قال: قال سلمان: كيف أنتم عند ثلاث زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، ودنيا تقطع أعناقكم؟ فأما زلة العالم فإن اهتدى فلا تقلدوه دينكم، وأما مجادلة منافق بالقرآن فإنَّ للقرآن مناراً كمنار الطريق، فما عرفتم منه فخذوه،

(١) الأسدي، وله ذكر في الصحيح، ثقة عابد. «التقريب» (٢١٨).

وما لم تعرفوه فكلوه إلى الله، وأما دنيا تقطعُ أعناقكم فانظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم.

وشبَّه الحكماءُ زَلَّة العالم بانكسار السفينة؛ لأنها إذا غرقت غرقَ معها خلقٌ كثير.

(قف على أن العالم لا يجوز له أن يفتي بما لا يعرف دليله)

وإذا صحَّ وثبت أنّ العالم يزلُّ ويخطىءُ لم يجز لأحدٍ أن يفتي ويدين بقول لا يعرف وجهه.

وعن ابن مسعودٍ أنه كان يقول: أغد عالماً أو متعلّماً ولا تغدُ إمَّعة فيما بين ذلك.

قال ابن وهب: فسألت سُفيانَ عن الإمَّعة، فحدثني عن أبي الزَّعراء عن أبي الأَحوص عن ابن مسعود قال: كنا ندعو الإمَّعة في الجاهلية الذي يُدْعى إلى الطعام فيذهب معه بآخر، وهو فيكم اليوم المحقّب دينه الرجال.

وعن أبي العالية الرِّياحي قال: سمعتُ ابنَ عبَّاس يقول: ويل للاتباع من عثرات العالم. قيل: كيف ذلك؟ قال: يقول العالم شيئاً برأيه، ثم يجد من هو أعلم برسول الله ﷺ منه، فيتركُ قولَه ذلك ثم تمضي الأتباعُ.

(قف على كلام سيدنا علي)

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكُمَيْل بن زياد النَّخَعيّ[1] وهو حديث مشهور عند أهل العلم، يستغني عن الإسناد لشهرته عندهم: يا كُمَيْل إنّ هذه القلوب أوعيةٌ فخيرُها أوْعاها للخير، والناس ثلاثة: فعالمٌ ربّاني، ومتعلِّم على سبيل نجاة؛ وهمجٌ رَعاع، أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، ثم قال: إن هاهنا لعلماً ـ وأشارَ بيده إلى صدره ـ لو أَصَبتُ له حَمَلة لقد أصبت لَقِناً[2] غيرَ مأمون يستعملُ الدِّين للدُّنيا، ويستظهرُ بحجج الله على كتابه

(١) ثقة، رمي بالتشيّع من الثانية، مات سنة ٨٢ هـ. «التقريب» (٤٦٢). [وهو عامل علي رضي الله عنه على «هَيْت». «شرح نهج البلاغة» (٦٣٢) دار البلاغة].

(٢) في «شرح نهج البلاغة» للأستاذ العلامة الشيخ محمد عبده ما نصُّه: اللَّقِن بفتح فكسر من يفهم بسرعة إلّا أن العلم لا يطبع أخلاقه على الفضائل، فهو يستعمل وسائل الدين لجلب الدنيا ويستعين بنعم الله على إيذاء عبادةً. انظر «شرح نهج البلاغة» (٦٩٢) التعليق (٣).

وبنعمه على معاصيه، أفّ لحامل حقّ لا بصيرة له، ينقدحُ الشكُّ في قلبه بأول عارض من شبهة، لا يدري أين الحق إنْ قال: أخطأ وإنْ أخطأ لم يدرِ؛ مشغوفٌ بما لا يدري حقيقتَه فهو فتنة لمن فُتن به وإنَّ من الخير كلِّه من عرَّفه اللَّهُ دينَه وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف دينه[1].

وعن الحارث الأعور قال: سئل علي بن أبي طالب عن مسألة فدخل مبادراً ثم خرج في حذاء ورداء وهو متبسم. فقيل له يا أمير المؤمنين: إنَّك كنتَ إذا سُئِلتَ عن المسألة تكون فيها كالسِّكَّة المحماة. قال: إني كنت حاقِناً ولا رأي لحاقن[2]، ثم أنشأ يقول:

إذَا المُشْكِلات تصدَّين لي ... كشفتُ حقائقَها بالنظرْ
فإن بَرَقَتْ في مَخِيْلِ الصَّوَا ... ب عمياءُ لا يَجْتليها البَصَر
مقنَّعةٌ بغيوبِ الأُمو ... ر وضعتُ عليها صحيح الفِكَر
لساناً كشِقْشِقَةِ الأرْجـ ... ـي أو كالحُسام اليماني الذَّكر
وقلباً إذا استنطقه الفنونُ ... أبرَّ عليها بواهٍ دِرر
ولست بإمَّعة في الرجال ... يُسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مِذْرَبُ الأصغرين ... أُبين معَ ما مضى ما غبر[3]

(١) في «شرح نهج البلاغة» زيادة نذكرها تتميماً للفائدة هي:
كذلك يموتُ العلمُ بموتِ حامليه، اللهمَّ بلىٰ! لا تخْلُو الأرضُ من قائمٍ لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلاّ تبطُلَ حججُ الله وبيِّناتُه. وكم ذا وأين أولئك؟
أولئك والله الأقلُّونَ عدداً، والأعظَمون قدراً، يحفظُ اللَّهُ بهم حججَهُ وبيِّنَاتِهِ حتى يودعوها نُظَراءَهم ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجمَ بهمُ العلمُ على حقيقة البصيرة،وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنِسُوا بما استوحَشَ منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحلِّ الأعلى.
أولئك خلفاءُ اللَّه في أرضه والدعاةُ إلى دينه. آهِ، آهِ، شوقاً إلى رؤيتهم. [انصرف إذا شئت]. ينظر «شرح نهج البلاغة» (٦٩١)، وهي كلمة بليغة قالها رضي الله عنه لكُمَيْل بن زياد النخعي.

(٢) الحاقن: الذي له بول شديد. وفي الحديث: «لا رأي لحاقبٍ ولا حاقن». «اللسان» (حقن).

(٣) من الشعر المنسوب إلى الإمام علي «الديوان» ص(٦٧). والمسألة فيه مع خلاف في بعض الألفاظ. والأبيات في «الأمالي» (٢/١٠١).

قال أبو علي: المَخِيْل السحاب يخال فيه المطر. والشقشقة ما يخرجه الفحل من فيه عند هياجه، ومنه قيل لخطباء الرِّجال شقاشق(١).

وأبرّ: زاد على ما تستنطقه. والإمَّعة: الأحمق الذي لا يثبُتُ على رأي. والمِذْرب: الحادّ. وأصغراه قلبُه ولسانه(٢).

قال أبو عمر: من الشقاشق ما رويناه بالسند عن أنس، أنّ عمرَ رأى رجلاً يخطب فأكثرَ؛ فقال عمر: إن كثيراً من الخطب من شقاشق الشيطان(٣).

وعن علي قال: إياكم والاستِنان بالرجال فإنَّ الرجلَ يعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلبُ لعلمِ الله فيه؛ فيعملُ بعمل أهل النار فيموتُ وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فينقلبُ لعلم الله؛ فيعملُ بعمل أهل الجنـة فيموت وهو من أهل الجنة فإن كنتم لا بدَّ فاعلين فبالأموات لا بالأحياء.

(قف على قول ابن مسعود وعلى أبيات جليلة)

وقال ابن مسعود: ألا لا يقلدنَّ أحدُكم دينَه رجلاً، إن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنّه لا أُسوة في الشرِّ.

وأنشد الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي رضي الله عنه لنفسه وكان أفضلَ أهل زمانه:

تـريـد تنـام على ذي الشُّبَـه ... وعـلَّكَ إن نمـت لم تـنـتـبـه
فجـاهـدْ وقلّد كتـاب الإلّـه ... لـتـلقـى الإلّـه إذا مُـتَّ بـه
فقـد قلّد الـنـاسُ رهبـانَـهم ... وكـلٌ يـجـادل عـن راهِـبـه
ولـلحـق مـسـتـنـبطٌ واحـد ... وكـلٌ يـرى الحق في مـذهبـه
ففيـمـا أرى عجـبٌ غيـرَ أنَّ ... بـيـانَ التـفـرق من أعـجبـه

وثبت عن النبي ﷺ مما قد ذكرناه في كتابنا هذا أنه قال: «تذهبُ العلماءُ ثم

(١) «اللسان» (شقق) وفيه البيت الرابع منسوباً إلى الإمام علي رضوان الله عليه.
(٢) «الأمالي» (٢/١٠١).
(٣) انظر «اللسان» (شقق).

يتَّخذ الناسُ رؤَساءَ جهالاً يُسألون فيُفْتُون بغير علم فيَضِلُّون ويُضِلُّون»[1].

وهذا كله نفي للتقليد وإبطال له لمن فهمه، وهُدي لرشده.

وعن سفيان بن عُيَيْنَة قال: اضطجع ربيعة مقنَّعاً رأسه وبكى. فقيل: ما يبكيك؟ فقال: رياءٌ ظاهر وشهوةٌ خفيّة، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجورِ أمهاتهم، ما نهوهم عنه انتهوا، وما أمروهم به ائتمروا.

وقال أيوب ـ رحمه الله ـ: ليس تعرفُ خطأً معلمك حتى تجالسَ غيره.

وقال عُبَيْد الله بن المعتز: لا فرقَ بين بهيمة تُقادُ وإنسان يقلِّد.

وهذا كله لغير العامّة، فإنَّ العامّة لا بدّ لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها لأنها لا تتبيَّنُ موقعَ الحجّة، ولا تصل بعدم الفهم إلى علم ذلك؛ لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة ـ والله أعلم ـ.

(قف عـلى أن التقليد للعوام)

ولم يختلف العلماء أنّ العامة عليها تقليدُ علمائها وأنّهم المرادون بقول الله ـ عزَّ وجل ـ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُم لاَ تَعْلَمُون﴾[2].

وأجمعوا على أنّ الأعمى لا بدَّ له من تقليد غيره ممن يثق بمَيْزِه بالقبلة إذا أشكلت عليه، فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به، لا بدَّ له من تقليد عالمه، وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا، وذلك والله أعلم لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم، والقول في العلم.

وقد نظمت في التقليد وموضعه أبياتاً رَجَوْتُ في ذلك جزيل الأجر لما علمت أنّ من الناس من يُسرع إليه حفظُ المَنْظُوم ويتعذَّر عليه المنثور وهي من قصيدة لي:

يا سائلي عن موضع التقليدِ خُذْ   عنِّي الجواب بفهمِ لبّ حاضر
وأَصِخْ إلى قولي ودِنْ بنصيحتي   واحفظ عليَّ بوادري ونوادري

---

(1) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١١٤) (م).

(2) سورة النحل: الآية (٤٣)، وسورة الأنبياء: الآية (٧).

لا فـرقَ بيـن مـقـلّد وبـهـيـمـةٍ   تـنـقـادُ بـيـن جـنـادلٍ ودَعَـاثِـر
تَبَّـاً لقـاضٍ أو لـمفـتٍ لا يَـرَى   عـدلاً ومعنـىً للمقـال السـائـرِ
فـإذا اقتـديت فبـالكتـاب وسُنَّـة المَـ - ـبعـوث بـالـدِّين الحنيف الـطَّاهـر
ثم الصَّحـابـة عنـد عُـدْمـك سنةً   فـأولاك أهـل نهىً وأهــل بصائـر
وكـذاك إجمـاع الـذين يلونَـهـم   من تـابعيهـم كـابـراً عن كـابـر
إجـمـاع أمـتـنـا وقـول نـبـيـنـا   مثـل النصوص لـدى الكتاب الـزاهر
وكـذا المـدينـة حجَّـة إن أجمعـوا   مـتـتـابـعـيـن أوائـلا بـأواخـر
وإذا الخـلاف أتى فدونَـك فـاجتهـد   ومـع الـدَّليـل فمِـلْ بفهمٍ وافـر
وعلى الأصول فقسْ فُروعك لا تقس   فـرعـاً بفـرعٍ كـالجهـول الحـائـر
والشـرُّ مـا فيـه فـديتـك أُسـوة   فـانـظر ولا تحفـل بزلـة مـاهـر

٢٢٣ ـ وعن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قال عليَّ ما لم أَقُلْ فليتبوَّأْ مقعدَه من النَّار، ومن استشارَ أخاه فأشارَ عليه بغير رُشْدِه فقد خانه، ومن أفتى بفُتْيا من غيرِ تثبُّتٍ فإنما إثمُها على من أفتاه»[(١)].

وعن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: من أفتى بفُتيا وهو يعمىٰ عنها كان إثمُها عليه.

(قف على كلام المزني)

وقد احتجَّ جماعة من الفقهاء وأهل النظر على من أجاز التقليدَ بحججٍ نظريَّةٍ عقليَّةٍ بعدما تقدم، فأحسنُ ما رأيتُ من ذلك قولَ المُزَني ـ رحمه الله ـ وأنا أورده.

قال: يقال لمن حكم بالتقليد: هل لك من حجَّةٍ فيما حكمت به؟ فإن قال: نعم، أَبْطَلَ التقليدَ لأنَّ الحجَّة أوجبَتْ ذلك عنده لا التقليد. وإن قال: حكمت فيه بغير حجة قيل له: فلمَ أرقتَ الدماء، وأبحت الفروج، وأتلفت الأموال، وقد حرّم الله ذلك، إلا بحجة. قال الله عز وجل: ﴿إِنْ عِنْدَكُم مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾[(٢)] أي من حجَّة بهذا قال: فإن قال: أنا أعلم أنّي قد أصبتُ وإن لم أعرف الحجة لأني

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١١٥) (م).
(٢) سورة يونس: الآية (٦٨) «هل عندكم» في المختصر والأصل.

قلّدت كبيراً من العلماء، وهو لا يقول إلا بحجة خفيت عليّ. قيل له: إذا جاز لك تقليد معلِّمك لأنّه لا يقول إلا بحجةٍ خفيت عليك، فتقليدُ معلمِ معلمك أولى لأنه لا يقول إلا بحجة خفيت على معلمك كما لم يقل معلمك إلا بحجة خفيت عليك. فإن قال: نعم ترك تقليد معلمه إلى تقليد معلم معلمه وكذلك من هو أعلى حتى ينتهي الأمر إلى أصحاب رسول الله ﷺ، وإن أبى ذلك نقض قولَه، وقيل له: كيف يجوزُ تقليد من هو أصغر منه وأقل علماً؟ ولا يجوز تقليد من هو أكبر، وأكثر علماً، وهذا متناقض، فإن قال لأنَّ معلِّمي وإن كان أصغرَ فقد جمع علمَ من هو فوقه إلى علمه، فهو أبصرُ بما أخذ، وأعلمُ بما ترك، قيل له: وكذلك من تعلَّم من معلمك، فقد جمع علم معلمك، وعلم من فوقه إلى علمه فيلزمك تقليده وترك تقليد معلمك، وكذلك أنت أولى أن تقلد نفسك من معلمك لأنَّك جمعتَ علمَ معلمِك وعلمَ من هو فوقَهُ إلى علمك، فإن أفاد قوله جعل الأصغر ومن يحدث من صغار العلماء أولى بالتقليد من أصحاب رسول الله ﷺ.وكذلك الصاحب عنده يلزمه تقليد التابع والتابع من دونه في قياس قوله، والأعلى الأدنى أبداً وكفى بقول يؤول إلى هذا قبحاً وفساداً.

قال أبو عمر: وقال أهل العلم والنظر حد العلم التبيّن وإدراك المعلوم على ما هو بِهِ فمن بان له الشيء فقد علمه. قالوا: والمقلّد لا علم له، ولم يختلفوا في ذلك. (قف على حد العلم وأن المقلد لا علم له)

ومن هاهنا ـ والله أعلم ـ قال البُحْتري[1] في محمد بن عبد الملك الزيّات[2] وزير المعتصم:

عـرَف العالِمُـون فضلَكَ بالعلـ ـم وقـالَ الجُهَّـالُ بـالتَّقليـد
وأرَىٰ النَّاسَ مُجْمعين على فَضْـ ـلك من بين سيّـد ومَسُـود[3]

---

(١) أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي البحتري الشاعر المشهور ولد بمنبج. توفي سنة ٢٨٣ هـ وقيل غير ذلك. «ابن خلكان» (٢١/٦).

(٢) الوزير أبو جعفر مدحه الكتّاب والشعراء، وكان شاعراً مجيداً وفاضلاً نبيلاً وزر لثلاثة من خلفاء بني العباس، المعتصم والواثق والمتوكل. قتل في التَّنُّور سنة ٢٣٣ هـ. «ابن خلكان» (٩٤/٥).

(٣) «ديوان البحتري» (٦٣٨/١) تحقيق الأستاذ حسن كامل الصيرفي.

(قف على الفرق بين التقليد والاتباع)

وقال أبو عبد الله بن خويزْ مِنداد المصريّ المالكي: التقليدُ معناه في الشَّرع الرُّجوع إلى قولٍ لا حجَّة لقائله عليه، وذلك ممنوع منه في الشريعة والاتّباع ما ثبتت عليه حجة، وقال في موضع آخر من كتابه: كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قولُه لدليلٍ يوجب ذلك فأنت مقلّده، والتقليدُ في دين الله غيرُ صحيح، وكلُّ من أوجبَ عليكَ الدّليل اتّباع قوله فأنتَ متَّبعُ والاتّباع في الدّين مسوّغ، والتقليد ممنوع.

(قف على كلام ابن هرمز)

وذكر محمد بن حارث في أخبار سَحْنُون بن سعيد، عن سَحْنُون قال: كان مالك بن أنس، وعبد العزيز بن أبي سلمة[1]، ومحمد بن إبراهيم بن دينـار[2]، وغيرهم يختلفون إلى ابن هُرْمُز[3] فكان إذا سأله مالك وعبد العزيز أجابهما، وإذا سأله ابن دينار وذووه لم يجبهم. فتعرّض له ابنُ دينار يوماً. فقال له: يا أبا بكر لِمَ تستحلُّ مني ما لا يحلُّ لك؟ قال له: يا ابن أخي وما ذاك؟ قال: يسألكَ مالكٌ وعبدُ العزيز فتجيبُهما، وأسألك أنا وذويَّ فلا تجيبنا، فقال: أوَقَعَ ذلك يا ابن أخي في قلبِك؟ قال: نعم. قال: إني قد كبرَ سنِّي، ورقَّ عظمي، وأنا أخاف أن يكون خالطَني في عقلي مثلُ الذي خالطني في بدني، ومالكٌ وعبدُ العزيز عالمان فقيهان إذا سَمعا منّي حقّاً قبلاه وإذا سمعا خطأً تركاه، وأنت وذووك ما أجبتكم به قبلتموه.

قال محمد بن حارث: هذا والله هو الدِّين الكامل، والعقلُ الراجح، لا كمن يأتي بالهذَيان، ويُرِيْدُ أن ينزلَ من القلوب منزلة القرآن.

(قف على آخر كلمة تقال لمن قال بالتقليد)

قال أبو عمر: يقال لمن قال بالتقليد: لم قلت به، وخالفت السلف في ذلك، فإنّهم لم يقلّدوا فإن قال: قلّدت لأنّ كتابَ الله ـ عزَّ وجل ـ لا علمَ لي بتأويله، وسنّةَ رسوله لم أُحْصِها، والذي قلَّدته قد علم ذلك؛ فقلدتُ من هو أعلم مني.

قيل له: أمَّا العلماء إذا اجتمعوا على شيء من تأويل الكتاب أو حكاية سنَّةٍ

(١) المدنيُّ نزيلُ بغدادَ. «التقريب» [٣٥٧].

(٢) المدني لقبه صَنْدَل ثقة فقيه. مات سنة ١٨٢ هـ. «التقريب» [٤٦٥].

(٣) هو يزيد بن هرمز المدني، ثقة. سبقت ترجمته.

عن رسول الله ﷺ، أو اجتمع رأيُهم على شيء فهو الحق، لا شك فيه، ولكن قد اختلفوا فيما قلَّدت فيه، بعضُهم دون بعض فما حجَّتُك في تقليد بعضٍ دونَ بعضٍ، وكلُّهم عالم، ولعلَّ الذي رغبتَ عن قوله أعلمُ من الذي ذهبتَ إلى مذهبه، فإن قال: قلدته لأني علمت أنه صواب. قيل له: علمت ذلك بدليل من كتاب أو سنة أو إجماع؟ فإن قال: نعم. فقد أبطل التقليد وطولب بما ادَّعاه من الدليل وإن قال: قلَّدته لأنه أعلم مني. قيل له: فقلِّد كل من هو أعلم منك، فإنك تجدُ من ذلك خلقاً كثيراً ولا يُحْصَى من قلّدته إذا علَّتُكَ فيه أنه أعلم منك، وتجدهم في أكثر ما ينزل بهم من السؤال مختلفين فلِمَ قلّدت أحدهم؟ فإن قال: قلّدته لأنه أعلمُ النّاس. قيل له: فهو إذاً أعلم من الصحابة وكفى بقول مثل هذا قبحاً. وإن قال: إنَّما أقلّد بعض الصحابة؟ قيل له: فما حجتك في ترك من لم تقلّد منهم، ولعلّ من تركت قولَه منهم أعلمُ وأفضلُ ممن أخذت بقوله على أن القول لا يصحُّ لفضل قائله، وإنما يصح بدلالة الدليل عليه.

وقد ذكر ابن مزين، عن عيسى بن دينار، عن ابن القاسم، عن مالك قال: ليسَ كلّما قالَ رجلٌ قولاً، وإن كان له فضلٌ يتَّبع عليه لقول الله: ﴿الَّذِيْنَ يَسْتَمِعُون الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه﴾[1] فإن قال قِصَري وقلَّة علمي، يحملني على التقليد. قيل له: أمّا من قلد فيما ينزل به من أحكام شريعته عالماً يتفق له على علمه فيصدر في ذلك عما يخبره به فمعذور؛ لأنه قد أتى ما عليه وأدَّى ما لزمه، فيما نزل به لجهله ولا بدّ له من تقليد عالمه فيما جهله لإجماع المسلمين أن المكفوف يقلد من يثق بخبره في القِبْلة، لأنه لا يقدر على أكثر من ذلك، ولكن من كانت هذه حاله هل تجوز له الفتوى في شرائع دين الله فيحمل غيره على إباحة الفروج، وإراقة الدماء، واسترقاق الرقاب، وإزالة الأملاك، وتصييرها إلى غير من كانت في يديه بقولٍ لا يعرف صحته، ولا قام له الدليل عليه، وهو مقرّ أن قائله يخطىء ويصيب، وأنّ مخالفَه في ذلك ربما كان المصيب، فيما خالفه فيه، فإن أجاز الفتوى لمن جهل

(١) سورة الزمر: الآية (١٨).

الأصل والمعنى لحفظه الفروع لزمه أن يجيزه للعامة وكفى بهذا جهلاً ورداً للقرآن. قال الله عزَّ وجل: ﴿ولاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْم﴾[1] وقال: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

وقد أجمع العلماء أن ما لم يُتبيّن ويستيقن فليس بعلم وإنما هو ظن، والظنُّ لا يغني من الحق شيئاً.

وقد مضى في هذا الباب عن النبي ﷺ وعن ابن عباس فيمن أفتى بفُتْيا وهو يَعْمى عنها أن إثمها عليه، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[3].

ولا خلاف بين أئمة الأمصار في فساد التقليد فأغنى ذلك عن الإكثار.

٢٢٤ ـ وعن ابن شهاب قال: حدّثني أبو عثمان بن سَنَّة[4] أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ العلم بَدأ غريباً وسَيَعُودُ غريباً كما بدأ، فطُوبَىٰ يومئذٍ للغرباء»[5].

وعن مالك بن أنس عن زيد بن أَسْلم في قول الله عزَّ وجل: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾[6] قال: بالعلم.

٢٢٥ ـ وعن كثير بن عبد الله، عن أبيه، عن جده أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»[7]. قيل: يا رسول الله. ومن الغرباء؟ قال: «الذين يُحيُونَ سنَّتي ويعلّمونها عباد الله».

وكان يقال: العلماءُ غرباءُ لكثرةِ الجُهَّال.

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٣٦).
(٢) سورة الأعراف: الآية (٢٨).
(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١٩/٢) (م).
(٤) الخُزَاعي الدِّمشقي مقبولٌ، ووهم من زعمَ أنَّ له صحبة، فإنَّ حديثَه مرسلٌ. «التقريب» [٦٥٧].
(٥) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١٩/٢) بهذا اللفظ، والمشهور في الحديث اللفظ التالي: «بدأ الإسلام غريباً...» وهو عند مسلم رقم (١٤٥) (م).
(٦) سورة الأنعام: الآية (٨٣).
(٧) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٢٠/٢) (م).

بـــابُ
ذكرِ من ذمِّ الإكْثَار من الحديث دونَ التفهُّم له والتفقُّه فيه

عن الشَّعبي عن قَرَظة بن كعب[1]. قال: خرجنا فشيَّعَنا عمرَ إلى صِرار [2] ثم دعا بماءٍ فتوضَّأ، ثم قال لنا: أتدرون لِمَ خرجتُ معكم؟ قلنا: أردت أن تُشيّعنا وتكرمَنا. قال: إن مع ذلك لحاجةً؛ خرجتُ لها إنكم تأتونَ بلدةً لأَهْلِها دَوِيٌّ بالقرآن كدويِّ النَّحْل، فلا تصدّوهم بالأَحَاديث عن رسول الله ﷺ، وأنا شريكُكُم.

قال قَرَظَةُ فما حدَّثتُ بعدَهُ حديثاً عن رسول الله ﷺ.

وعنه أيضاً قال: قال لنا أَقِلُّوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم.

وفي رواية عن قَرَظَةَ أيضاً، قال: خرجنا نريد العراقَ فمشى معنا عمرُ إلى صِرَار، فتوضّأ فغسلَ اثنتين، ثم قال: أتدرون لم مَشَيْتُ معكم. قالوا: نعم نحنُ أصحابُ رسول الله ﷺ مَشَيْتَ مَعَنا فقال: إنَّكم تأتون أهلَ قريةٍ لهم دويٌّ بالقرآن كدويِّ النَّحْل فلا تصدُّوهم بالأحاديث؛ فتشغَلُوهم جَوِّدُوا القرآن، وأقلُّوا الرّواية عن رسول الله ﷺ، امضوا وأنا شريككم، فلما قدم قَرَظَةُ. قالوا: حدِّثْنا. قال: نهانا عمرُ بنُ الخطاب.

وعن عُرْوة بن الزُّبير عن عائشةَ قالت: ألا يُعْجبك أبو هُرَيْرة جاء يجلس إلى جانب حجرتي يحدِّثُ عن رسول الله ﷺ يسمعني وكنت أسبّح، فقام قبل أن أقضي تسبيحي، ولو أدركته لرددتُ عليه: إنَّ رسولَ الله ﷺ لم يكن يسرُدُ الحـديث كسَرْدِكُم.

وعن أبي الطُّفَيْل قال: سمعتُ عليّاً على المنبر يقول: أتحبّون أن يُكذَّبَ اللَّهُ ورسولَهُ، لا تحدّثُون الناس إلاَّ بما يعلمون.

---

(١) ابن ثَعْلَبة الأنصاريّ، صحابي شهد الفتوح بالعراق، ومات في حدود الخمسين على الصحيح. «التقريب» [٤٥٤].

(٢) موضع بغرب المدينة كما في «القاموس». [صرر].

[صِرَار: موضعٌ على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق. «ياقوت» (٣/٣٨٩)].

وعن أبي هريرة أنه كان يقول: حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين فأمّا أحدهما فَبَثَثْتُه، وأما الآخر فلو بَثَثْتُه لقطعتُم هذا البُلعوم - والبلعوم: الحلقوم -.

وعنه أنه قال: لقد حَدَّثْتُكم بأحاديثَ لو حدَّثتُ بها زمنَ عمرَ بنِ الخطاب لضربني عمر بالدّرَّة.

قال أبو عمر: احتجَّ بعض من لا علم له ولا معرفة من أهل البدع وغيرهم الطّاعنين في السُّنن بحديث عُمَر هذا قوله: أقلّوا الرّواية عن رسول الله ﷺ وبما ذكرنا في هذا الباب من الأحاديث وغيرها، وجعلوا ذلك ذَريعة إلى الزُّهد في سنن رسول الله ﷺ التي لا يوصل إلى مراد كتاب الله إلا بها، والطّعنِ على أهلها ولا حجّة في هذا الحديث، ولا دليل على شيء مما ذهبوا إليه من وجوه، قد ذكرها أهل العلم.

منها أنَّ وجه قول عمر إنما كان لقوم لم يكونوا أَحْصَوْا القرآن فخشيَ عليهم الاشتغال بغيره عنه إذْ هو الأَصْلُ لكلِّ علم، هذا معنى قول أبي عُبَيْد في ذلك.

واحتج بما رواه عن حجّاج عن المسعودي عن عَوْن بن عبد الله بن عُتْبَة: مَلّ أصحاب رسول الله ﷺ مَلة فقالوا: يا رسول الله، حدثنا، فأنزل الله عزَّ وجل: **﴿اللَّهُ أَنْزَلَ أَحْسَنَ الحَدِيْثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُودُهُمْ﴾**(١) إلى آخر الآية. قال: ثم مَلّوا ملّة أخرى، فقالوا: يا رسول الله. حدثنا شيئاً فوق الحديث ودون القرآن، يعنون القصص؛ فأنزل: **﴿آلَرَ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِيْنِ﴾**(٢) إلى قوله: **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾**(٣) الآية.

قال: فإن أرادوا الحديث دلّهم على أحسن الحديث وإنْ أرادوا القَصَصَ دلَّهم على أَحْسَنِ القَصَص.

---

(١) سورة الزمر: الآية (٢٣).

(٢، ٣) سورة يوسف: الآيات (١ - ٣).

وقال غيره: إنما نهىٰ عمرُ عن الحديث عمّا لا يفيد حكماً ولا سنَّة، وطعن غيرهم في حديث قَرَظة هذا، وردّوه لأن الآثار الثابتة عن عمر خلافه.

فمنها ما روى ابن عباس عن عمر بن الخطاب في حديث السقيفة أنَّه خطب يوم جُمُعةٍ فحَمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإني أُريد أنْ أقولَ مقالة قد قُدِر لي أن أقولـها، مَن وَعاها، وعَقَلها، وحَفِظَها، فليحدّث بها حيث تنتهي به راحلتُه، ومن خشي أنْ لا يعيَها فإني لا أُحِلّ له أن يكذب عليَّ. إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل معه الكتاب، فكان مما أنزل معه الرَّجْم وذكر الحديث.

وهذا يدل على أن نهيه عن الإكثار وأمره بإقلال الرواية عن رسول الله ﷺ إنَّما كان خوفَ الكذِبِ على رسول الله ﷺ وخوفاً من أن يكونوا مع الإكثار يحدّثون بما لم يتَيَقَّنوا حفظه ولم يَعُوه، لأنَّ ضبط من قلّت روايته أكثر من ضبط المستكثر، وهو أبعد من السَّهو والغلط، الذي لا يُؤْمَن مع الإكثار، فلهذا أمرهم عمر بالإقلال من الرواية، ولو كره الرواية وذمّها لنهى عن الإقلال منها والإكثار، ألا تراه يقول: فمن حفظها ووعاها فليحدِّثْ بها فكيف يأمرهم بالحديث عن رسول الله ﷺ وينهاهم عنه، هذا لا يستقيم، بل كيف ينهاهم عن الحديث عن رسول الله ﷺ ويأمرهم بالإقلال منه، وهو يندبهم بالحديث عن نفسه بقوله: من حفظ مقالتي ووعاها، فليحدث بها حيث تنتهي به راحلته، ثم قال: ومن خشي ألَّا يعيها، فلا يكذب عليَّ. وهذا يوضِّح لك ما ذكرنا والآثار الصحاح عنه من رواية المدينة بخلاف حديث قَرَظة وإنما يدور على بيان عن الشعبي، وليس مثله حجة في هذا الباب لأنه يعارض السُّنَنَ والكتاب.

قال الله عزّ وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(١).

وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾(٢).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (٢١).
(٢) سورة الحشر: الآية (٧).

وقال فيه: ﴿النَّبِيُّ الْأُمِيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾[1].

وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ﴾[2].

ومثل هذا في القرآن كثيرٌ، ولا سبيل إلى اتّباعه والتأسّي به والوقوف عند أمره إلا بالخبر عنه، فكيف يتوهَّم أحدٌ على عمرَ أنّه يأمرُ بخلاف ما أمر الله به، وقد قال رسول الله ﷺ: «نضَّرَ اللَّهُ امرأً سمعَ مقالتي فوعاها ثم أدّاها إلى من لم يسمعها»[3] الحديث.

وفيه الحضّ الوَكيد على التبليغ عنه ﷺ.

وقال: «خذوا عنّي» في غير ما حديث: «وبلّغوا عني».

والكلام في هذا أوضح من النهار، لأولي النهى والاعتبار.

ولا يخلو الحديث عن رسول الله ﷺ من أن يكون خيراً أو شرّاً، فإن كان خيراً ولا شك فيه أنه خير، فالإكثار من الخير أفضل، وإن كان شرّاً ولا يجوز أن يتوَهَّمَ أنَّ عمرَ رضي الله عنه يوصيهم بالإقلال من الشر، وهذا يدلك على أنه إنما أمرهم بذلك خوفَ مواقعة الكذب على رسول الله ﷺ، وخوف الاشتغال عن تدبر السُّنَنِ والقُرآن، لأن المُكْثِرَ لا تكاد تراه إلا غير متدبِّرٍ ولا متفقه.

وذكر مُسْلم بن الحجَّاج في كتاب «التمييز» بسنده عن قيس بن عبّاد. قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: من سمِعَ حديثاً فودَّاه[4] كما سمِعَ فقد سلم.

ومما يدل على هذا ما قد ذكرناه فيما يروى عن عمر أنه كان يقول: تعلَّمُوا الفرائضَ والسُّنَّة كما تتعلمون القرآن فسوَّى بينهما.

(١) سورة الأعراف: الآية (١٥٨).
(٢) سورة الشورىٰ: الآيات (٥٢ ـ ٥٣).
(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٢٢) (م).
(٤) أي «فأداه». (م).

وعن مورّق العِجْلي قال: كتب عمر: تعلَّموا السُّنَّة والفرائض واللَّحن كما تتعلمون القرآن.

قالوا: اللحن: معرفة وجوه الكلام وتصرفه والحجة به.

وعمر رضي الله عنه هو الناشِدُ للنَّاس في غير موقف، بل في مواقف شَتَّى مَن عنده علم عن رسول الله ﷺ في كذا نحو ما ذكره مالك وغيره عنه، في توريثِ المَرْأَة من دِيَةِ زوجها، وفي الجنين يسقطُ ميتاً عند ضرب بطن أمِّه، وغير ذلك، مما لو ذكرناه طال به كتابنا وخرجنا عن حدّ ما له قصدُنا، وكيف يُتَوَهَّم على عمر ما توهمه الذين ذكرناه قولهم، وهو القائل: إياكم والرَّأْيَ فإنّ أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها.

وقد ذكرنا هذا الخبر بإسناده عن عمرَ في بابه من كتابنا هذا، وعمرُ أيضاً هو القائل: خيرُ الهَدْيِ هديُ محمدٍ ﷺ.

وهو القائل: سيأتي قوم يجادلونَكُم بشُبُهات القرآن فخذوهم بالسُّنَن؛ فإنَّ أصحاب السُّنَنَ أعلمُ بكتاب الله عز وجل.

وقد يحتمل عندي أن تكون الآثار كلُّها عن عمرَ صحيحة متفقة، ويخرج معناها، على أن من شك في شيء تركه ومن حفظ شيئاً وأتقنه جاز له أن يحدّث به، وإن كان الإكثار يحملُ الإنسان على التقحّم في أن يحدِّثَ بكل ما سمع، من جيّد ورديّ وغثٍ وسمين، وقد قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يحدِّثَ بكلِّ ما سَمع»[1].

وهو حديث ثابت من حديث شعبة.

ولو كان مذهب عمر ما ذكرنا لكانت الحجة في قول رسول الله ﷺ دون قوله، فهو القائل: نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعَاهَا ثُمَّ أَدَّاهَا وبَلَّغها.

وقد تقدم ذكره في هذا الكتاب.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٢٤) وهو عند مسلم رقم (٥) (م).

٢٢٦ ـ وعن ثابت بن قيس[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «تسمعون ويُسمعُ منكم ويُسْمَع ممن يَسْمَع منكم»[٢].

ومثله عن ابن عباس.

قال أبو عمر: الذي عليه جماعة فقهاء المسلمين وعلماؤهم ذمُّ الإكثار دون تَفَقُّهُ ولا تدبُّر، والمكثر لا يأمَنُ مواقعة الكذب على رسول الله ﷺ لروايته عمَّن يُؤمَن وعمَّن لا يُؤمن.

٢٢٧ ـ وعن مَعْبَد بن كعب بن مالك. قال: سمعتُ أبا قتادة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إياكُم وكَثْرةُ الحديث ومَنْ قَالَ عنّي فلا يَقُولَنَّ إلاَّ حقَّاً».

وعن خالد بن عبد الله يقول: سمعت ابن شُبْرُمة يقول: أَقْلِل الرِّواية تَفْقَه.

وعن قيس بن رافع[٣] قال: سمعت شُفَيَّ[٤] الأصْبَحي يقول: لتُفتحنَّ على هذه الأمة خزائنُ كلِّ شيءٍ حتى تُفْتَحَ عليهم خزائنُ الحديث.

وعن شعيب بن حرب[٥] قال: كنَّا عند سُفْيان يوماً، فتذاكرنا الحديث. فقال: لو كان في هذا الحديث خير لنقصَ كما ينقُصُ الخيرُ ولكنَّه شرّ فأراه يزيدُكما يزيدُ الشرّ.

وعن حماد بن زيد[٦] قال: قال لي سفيان الثوري: يا أبا إسماعيل لو كان في هذا الحديث خير لنقص كما ينقص الخير.

وعن زكريّا القطّان قال: رأيتُ سفيان بن عُيَيْنة وقد أَلجأَهُ أصحابُ الحديث

---

(١) ابن شمّاس الخزرجي خطيب الأنصار، ومن كبار الصحابة، استشهد باليمامة. «التقريب» [١٣٣].
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٢٤) (م).
(٣) الكوفي مجهول. «التقريب» [٤٥٦].
(٤) ابن ماتع الأصبحي، ثقة، أرسل حديثاً فذكره بعضهم من الصحابة خطأ. مات في خلافة هشام [قاله خليفة]. «التقريب» [٢٦٨].
(٥) المدائني، نزيل مكة، ثقة عابد، مات سنة ١٩٧ هـ. «التقريب» [٢٦٧].
(٦) الأزدي الجَهْضَمي البصري، ثقة فقيه. مات سنة ١٧٩ هـ. «التقريب» [١٧٨].

إلى الميلِ الأخْضَرِ فالتفت إليهم فقال: ما أدري الذي تطلبونَه من الخير، ولو كانَ من الخير لنقصَ كما ينقصُ الخير.

قال أبو عمر: هذا كلامٌ خرجَ على ضجر، وفيه لأولي العلم نظر، وقد أخذه بكر بن حماد فقال:

لقد حُفَّت الأقلامُ بالخلق كلهم ... فمنهم شقيٌّ خـائبٌ وسعيـدُ
تمـرُّ الليالي بـالنُّفوس سـريعـةً ... ويبـدىء ربي خلقَـه ويعيـدُ
أرى الـخيـرَ في الدُّنيا يقلُّ كثيره ... وينقُصُ نقصـاً والحديثُ يـزيدُ
فلو كان خيراً قلَّ كالخيـر كلِّه ... وأحسبُ أنّ الخيـر منـه بعيـدُ
ولابن معين في الرجال مقـالة ... سيسـأل عنها والمليـك شهيـدُ
فإن يكُ حقـاً قولُـه فهي غيبة ... وإن يك زوراً فالقصاص شديدُ
وكـل شيـاطين العبـاد ضعيفـة ... وشيطان أصحاب الحديث مريدُ

قال أبو عمر: قد ردّ هذا القولَ على بكر بن حمّاد جماعةٌ نظماً فمن ذلك ما أخبرني غيرُ واحد عن مَسْلَمة بن القاسم، قال: ذاكرتُ أبا الأصابع عبد السلام بن يَزيد بن غياث الإشبيلي رفيقي أبيات بكر بن حماد هذه ونحن في المسجد الحرام وسألته الردّ عليه فعارضه بشعر أوله:

تباركَ من لا يعلمُ الغيبَ غيرُه ... ومَنْ بـطشُه بـالمعتدين شـديدُ

وفيه:

تعرَّضت يا بكرَ بن حمّادٍ خطةً ... بأمثالها في النَّاس شـابَ وليدُ
تقـول بـأنّ الخيـر قـلّ كثيـرُه ... وأخبـرتنـا أنَّ الحـديث يـزيـدُ
وصيّـرته إذْ زادَ شـرّاً وقام في ... ضميـرك أنَّ الخيـرَ منه بعيـد
فلم تأتِ منه الحق إذْ قلت فيه ... بالعموم وأنت المرءُ كنتَ تحيدُ
وما زال ذا قسمين حقاً وباطلاً ... فهـذا خـلاخيـلُ وذاك قيـودُ
وذا ذهب محض وذلـك آنُـكٌ ... وذا وَرِقٌ صـافٍ وذاك حـديـدُ
وهـذا أميـر في الأنـام معـظم ... وذاك طـريد في البـلاد شريـدُ

فذمّك هـذا في المقال مـذمَّمٌ وذمّـك هذا في الفعـال حميدُ
وألزمت هذا ذنب ذا كمعـاقب ظبـاءً بـذنب قـارفته أسـودُ
وهـل ضرَّ أحـراراً كراماً أعِزّة إذا جـاورَتهم في النديّ عبيـدُ
ولولا الحديثُ المحتوي سُننَ الهدى لقامت على رأس الضلال بُنُودُ
وقـول رسول الله يُعـرَفُ حـدُّه فليس لـه عنـد الرُّواة مـزيـدُ
وما كان من إفـك وزور فإنّـه كعـدّة رمـلٍ تحتـويـه زُرود
وليس له حدٌ وفي كلِّ ساعـةٍ يـزيـدُ جـديـداً يقتفيه جـديـدُ
ولابن معين في الذي قال أسوةٌ ورأي مصيبٌ للصّـواب سديـدُ
وأجـرٌ بـه يُعلي الإلّـه محلَّهُ وينـزله في الخلد حيثُ يـريدُ
يناضل عن قول النبي ويطرد الـ أبـاطيـلَ عن أحـواضـه ويـذودُ
وجِلّة أهـل العلم قالـوا بقولـه ومـا هو في شيء أتـاه فـريـدُ
وقلت وليس الصدقُ منك سجية وشيطان أصحاب الحديث مريدُ
وما الناس إلا اثنان برّ وفـاجر فقولك عن سُبْل الصّوابِ حيودُ
وكـل حـديثيّ تـأزّر بـالتقى فـذاك امرؤٌ عنـد الإلّه سعيـدُ
ولو لم يقل أهل الحديث بديننا فمن كـان يروي علمـه ويفيدُ
همُ ورثوا علم النبوة واحتَـوَوْا من الفضل ما عنه الأنام رقودُ
وهم كمصابيح الدُّجى يُهتدَىٰ بهم ومـا لهم بعدَ الممـات خمـودُ
عليك ابن غيَّاث لزومَ سبيلهم فحـالهم عنـد الإلّـه حميـدُ

وعن ابن شَوْذَب[1] قال: قال مطر الوراق: العلماءُ مثل النجوم فإذا أظلمت تسكَّع الناس[2].

---

(١) الخراساني، واسمه عبد الله، سكن البصرة ثم الشام، صدوق عابد، مات سنة ١٥٦ هـ. «التقريب» [٣٠٨].

(٢) تسكّع الناس: تمادوا في الباطل قاموس [سكع].
[وفي «اللسان» (سكع): تسكّع في أمره: لم يهتدِ لوجهته].

وعن مطر، أنه سأله رجلٌ عن حديث، فحدّث به، فسأله عن تفسيره، فقال: لا أدري، إنما أنا زَامِلَةٌ[1]. فقال له الرَّجلَ جزاك الله من زاملة خيراً، فإنّ عليك من كلِّ حلوٍ وحامض. وعنه أيضاً أنّه قال في قول الله ـ جل وعز ـ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرنا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[2] قال: هل من طالب علم فيعان عليه.

قال أبو عمر: أما طلبُ الحديث على ما يطلبه كثيرٌ من أهل عصرنا اليوم دون تفقـه فيه ولا تدبُّر لمعانيه، فمكروه عند جماعة أهل العلم. (قف على قول أبي عمر ولو كان في عصرنا ماذا يقول)

وعن أبي سليمان الدَّارَاني[3] قال: دخلنا على سُفْيان بن سعيد الثوري، وهو بمكة في بيت جالساً في زاويته على جلد، فقال لنا: ما جاء بكم فوالله لأنّا إذا لم أرَكُم خيرٌ مني إذا رأيتكم.

قال أبو سليمان: فسكَتْنا، وتكلم بعضنا بكلام، فقطعه علينا. فما برحنا حتّى تبسَّم إلينا.

وعن محمد بن المثنى البزّار، قال: سمعت بشرَ بن الحارث يقول: سمعت أبا خالد الأحمر[4] يقول: يأتي على الناس زمانٌ تعطَّلُ فيه المصاحفُ لا يُقْرأُ فيها؛ يطلبون الحديث والرأي[5]؛ ثم قال: إياكم وذلك فإنَّه يُصْفِقُ الوجه ويكثِرُ الكَلاَمَ، ويَشْغَلُ القلب.

وعن أبي عبد الرحمن الضرير يقول: سمعتُ وكيعاً يقول: قيل لداود الطائي: ألا تحدّث؟ قال: ما راحتي في ذلك، أكون مستملياً على الصبيان فيأخذون عليّ

(١) الزاملة: الناقة التي يحمل عليها. القاموس [زمل].

(٢) سورة القمر: الآيات (١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠).

(٣) عبد الرحمن بن أحمد الداراني، العنسي، أصله من واسط، ونسبته إلى داريّا. توفي سنة ٢٠٥ هـ وقيل: سنة ٢١٥ هـ. «ابن خلكان» (١٣١/٣) وفي «فوات الوفيات» (٢٦٥/٢) وفيه وفاته سنة ٢٢٥ هـ. والله أعلم.

(٤) واسمه سليمان بن حيان الأزدي الكوفي، صدوق، يخطىء. مات سنة ١٩٦ هـ. «التقريب» [٢٥٠].

(٥) ليت طلاب زماننا يطلبون الحديث والرأي ولا يطلبون الغباوة والجهل، فهذه سيرة الرسول ﷺ وهذا علم الأخلاق الدينية، قلّ أن تجد من يعرفهما بين الذين يدَّعون طلب العلوم الإسلامية أرشدهم الله لخيرهم، وعرّفهم منهاج سلفهم آمين.

سَقَطي، فإذا قاموا من عندي، يقول قائل منهم: أَخْطَأَ في كذا ويقول آخر غلط في كذا ما راحتي في ذلك، ترى عندي شيئاً ليس عند غيري.

قال: وقيل لداود الطائي: كم تلزم بيتك؟ ألا تخرج؟ قال: أكرهُ أنْ أحملَ رجلي في غير حقّ.

وعن أحمد بن عبد الله بن أبي الحَوَارِي[1] قال: قلت لأبي بكر بن عيّاش[2]: حدّثنا قال: دَعُونَا من الحديث؛ فإنا قد كبرنا ونسينا الحديث، جيئونا بذكر المعاد والمقابر؛ إن أَرَدْتم الحديث فاذهبوا إلى هذا الذي في بني رُؤَاس يعني: وكيعاً، قلت: إني رجل من أهل الشام. قال: ذاكَ أهون لك عندي.

وعن أحمد بن عبد الله بن يونس[3] قال: سمعتُ الفُضَيْل بن عياضٍ يقول: إن لم نُؤْجَر على هذا الحديث لقد شَقِيْنَا.

(قف على كلام فضيل ابن عياض)

وعن ابن أبي الحَوَارِيّ قال: أتينا فُضَيْل بنَ عياض، سنة خمسٍ وثمانين ومئة، ونحن جماعةٌ فوقفنا على الباب، فلم يؤذَن لنا بالدخول، فقال بعضُ القوم: إن كان خارجاً لشيءٍ فسيخرج لتلاوة القرآن. قال: فأمرنا قارئاً فقرأ فاطلع علينا من كَوَّة فقلنا: السلامُ علَيْك ورحمة الله. فقال: وعليكم السلام. قلنا: كيف أنت يا أبا علي وكيف حالك؟ قال: أنا من الله في عافية، ومنكم في أذىً، وإنّ ما أنتم فيه حدَث في الإسلام فإنا لله وإنا إليه راجعون ما هكذا كنا نطلب العلم، ولكنَّا كنَّا نأتي المشيخة، فلا نرى أنفسَنا أهلاً للجلوس معهم في الحِلَق؛ فنجلسُ دونهم، ونسترقُ السمع، فإذا مرَّ الحديثُ سألناهم إعادته وقيّدناه، وأنتم تطلبون العلم بالجَهْل، وقد ضيَّعْتم كتابَ الله، ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاءً لما تريدون، قال: قلنا: قد تعلمنا القرآن، قال: إنَّ في تعليمكم القرآن شُغْلاً لأَعْمَارِكم وأعمار

---

(١) التغلبي، ثقة زاهد. مات سنة ٢٤٦ هـ. «التقريب» [٨١].

(٢) الأسدي الكوفي المقرىء مشهور بكنيته والأصح أنها اسمه ثقة عابد. مات سنة ١٩٤ هـ. «التقريب» [٦٢٤].

(٣) الكوفي التميمي اليربوعي، ثقة حافظ. مات سنة ٢٢٧ هـ. «التقريب» [٨١].

أولادكم. قلنا: كيف يا أبا علي؟ قال: لن تعلَّموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومُحْكمَه من متشابهه، وناسخَه من منسوخه. فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فُضَيْل وابن عُيَيْنَة. ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: **﴿يَا أَيُّها النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم موعظةٌ من ربّكم وشِفاءٌ لما في الصُّدور وهدىً ورحمةٌ للمؤمِنِيْنَ قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هو خيرٌ مِمَّا يَجْمَعُون﴾**[1].

وعن سيف بن هارون[2] عن عفّان أو عمّار رجل من أهل البَرَاجِم[3] قال: سمعتُ الضَحّاك بن مُزَاحم[4] يقول: يأتي على الناس زمانٌ يعلَّق فيه المَصْحَفُ حتى يعشِّشَ عليه العنكبوتُ لا ينتفع بما فيه، ويكون أعمالُ النَّاس بالروايات والأحاديث.

وعن الحسن بن زياد قال: سمعت فُضَيْل بن عيّاض يقُولُ لأصحاب الحديث: لِمَ تُكْرِهُوني على أمرٍ تَعْلَمون أنّي كارِهٌ له، لو كنت عبداً لكم فكرهتكم كان نَوْلكم[5] أن تبيعوني، ولو أعلم أني لو دفعت إليكم ردائي في هذا ذهبتم عني، لدفعته إليكم.

وكان سفيانُ الثَّوري يقول: أنا فيه ـ يعني الحديث ـ منذُ ستينَ سنة وَدِدْتُ أني خرجتُ منه كَفافاً لا عليَّ ولا لي.

وعنه قال: ليتني أنْفَلِتُ منه كفافاً لا عليَّ ولا لي.

وعن الثَّوريِّ عمن سمع الشَّعبي يقول: ليتني أنفلتُ من علمي كَفافاً لا لِيَ ولا عليَّ.

---

(١) سورة يونس: الآيات (٥٧، ٥٨).

(٢) البُرْجُمي الكوفي، ضعيف. «التقريب» [٢٦٢].

(٣) البَرَاجِمُ: أحياءٌ من بني تميم. «اللسان» (بَرْجَم).

(٤) الهلالي الخراساني صدوق، كثير الإرسال. مات بعد المئة. «التقريب» [٢٨٠].

(٥) قال في القاموس: نَوْلك أن تفعل كذا، أي ينبغي لك [نَوَل].

(قف على سماع ابن عيينة من الثوري)

وعن يحيى بن مُعين يقول: سمعت ابن عُيَيْنَة يقول: عن سفيان الثَّوري أنه قال: ما تريد إلى شيء إذا بلغت منه الغاية تمنيت أن تنفلت منه كَفافاً.

وعن يموت بن المُزَرَّع[1] قال: إذا رأيتَ الشيخ يعدُو فاعلم أنَّ أصحابَ الحديثِ خلفَه.

وعن محمد بن سلّام قال: قال عمرُ بن الخطاب: ما رأيت علماً أشرفَ ولا أهلاً أسخفَ من أهل الحديث.

وعن سفيان بن عُيَيْنَة قال: سمعتُ مِسْعراً يقول: من أبغضَني جعلَه اللَّهُ مُحدِّثاً، وَوَدِدْتُ أن هذا العلم كان حملَ قوارير، حملته على رأسي فوقع فتكسَّر، فاسترحت من طُلّابه.

وعن إبراهيم بن سعيد قال: سمعت سفيان بن عُيَيْنَة يقول ونظر إلى أصحاب الحديث فقال: أنتم سُخْنة عين[2] لو أدْرَكْنا وإياكم عمرَ بنَ الخطّاب لأوجَعَنا ضَرْباً.

وعن محمد بن بكّار العَيْشي قال: سمعت ابن أبي عديّ يقول: قال شُعبة: كنتُ إذا رأيت رجلاً من أهل الحديث يجيء أفرح به، فصرتُ اليومَ ليسَ شيءٌ أبغضَ إليّ من أن أرى واحداً منهم.

وعن يحيى بن سعيد القطان[3] قال: سمعت شُعْبة يقول: إنّ هذا الحديث يصدُّكم عن ذكر الله وعن الصَّلاة، فهل أنتم منتهون.

قال أبو عمر: بلغَني عن جماعة من العلماء أنهم كانوا يقولون إذا حدّثوا بحديث شُعبة هذا، وأيّ شيء كان يكون شُعبة لولا الحديث.

قال أبو عمر: إنّما عابوا الإكثار خوفاً من أن يرتفع التدبُّر والتفهُّم، ألا ترى

---

(١) العبدي، من عبد القيس، البصري، شاعر، أديب، من مشايخ العلم وهو ابن أخت الجاحظ. مات سنة ٣٠٣ هـ، وقيل: ٣٠٤. «ابن خلكان» (٥٣/٧) و«الأعلام» (٢٠٩/٨).

(٢) نقيض قُرّتها. «اللسان» [سخن].

(٣) البصري، ثقة، متقن، إمام، حافظ، قدوة، مات سنة ١٩٨ هـ. «التقريب» [٥٩١].

إلى ما حكاه بشر بن الوليد، عن أبي يوسف. قال: سألني الأعمش عن مسألة وأنا وهو لا غير فأجبته. فقال لي: من أين قلت هذا يا يعقوب؟ فقلت: بالحديث الذي حدَّثتني أنت، ثم حدَّثته فقال لي: يا يعقوب إني لأحفظُ هذا الحديث من قبل أن يجتمع أبواك، ما عرفتُ تأويله إلى الآن.

وروي نحو هذا أنه جرى بين الأعمش وبين أبي يوسف وأبي حنيفة فكان من قول الأعمش: أنتم الأطباء ونحن الصيادلة ومن ههنا قال اليزيدي:

إنَّ منْ يحمــلُ الحــديثَ ولا يعرفُ فيه التأويل كالصَّيْدلاني

وقد تقدَّم ذكر هذه الأبيات بتمامها في كتابنا هذا(١).

وعن عبيد الله بن عمرو قال: كنتُ في مجلس الأعْمَش، فجاءه رجلٌ فسأله عن مسألة، فلم يجبْه فيها، ونظر فإذا أبو حنيفة فقال: يا نعمانُ قل فيها. قال: القول فيها كذا. قال: من أين؟ قال: من حديث كذا أنتَ حدّثتناه. قال: فقال الأعمشُ: نحن الصيادلة وأنتم الأطباء.

وعن يحيى بن سعيد القطان قال: رواة الشعر أيقظ وأعقل من رواة الحديث؛ لأن رواة الحديث يروون موضوعاً ومصنوعاً كثيراً ورواة الشِّعر ساعة ينشدون المصنوع يتفقدونه، ويقولون هذا مصنوع.

وذكر ابن مقسم قال: سمعت ابن أبي داود يقول: سمعت أبي يقول: الحديثُ لا يحتملُ حُسْنَ الظَنّ.

وعن شريح بن يونس قال: سمعت يحيى بن يمان يقول: يكتب أحدُهم الحديثَ، ولا يتفهَّمُ ولا يتدبَّرُ، فإذا سُئِل أحدُهم عن مسألة جلس كأنه مكاتب.

قال أبو عمر: في مثل هذه يقول الشاعر(٢):

زوامــلُ لـلأشعــار لا علمَ عنـدَهُم بــجَيِّــدهــا إلا كــعِلْم الأبــاعــرِ

(١) في الصفحة: (٢٣٨).

(٢) هو: مروان بن أبي حفصة أبو السِّمْط وقيل: أبو الهنْدَام. مات سنة ١٨٢ هـ ببغداد. «ابن خلكان» =

لَعَمْـرُكَ مـا يـدري البَعيـرُ إذَا غـدا   بـأَحْمَـالِـهِ أوراحَ، مـا في الغَـرَائِـرِ

وقال عمّار الكَلْبي:

إنّ الـرُّوَاة على جَهْـل بمـا حملوا   مثلَ الجمال عليهـا يُحْمَلُ الـوَدَعُ[1]
لا الـوَدْع ينفعُهُ حَمْـل الجمـالِ لـه   ولا الجمـال بحمـلِ الـوَدْعِ تنتفـعُ

وأنشد الخُشَني ـ رحمه الله ـ:

قـطعتَ بـلادَ اللَّه للعلمِ طـالـبـاً   فحمّلتَ أسفـاراً فصرْت حمـارَهـا
إذَا مـا أرادَ الـلَّهُ حـتـفـاً بـنَـملةٍ   أتـاح جَنَـاحَيْـنِ لهـا فـأَطَـارَهـا

وقال منذرُ بنُ سعيد:

انعق بمـا شئتَ تجـد أنصـاراً   ورم أسـفـاراً تـجـد حـمَـارا
يحمـلُ ما وضعت من أسفـارِ   مَـثَـلُه كَـمَـثَـلِ الـحـمـارِ
يحمـلُ أسفـاراً لـه ومـا درىٰ   إن كـان فيها صـواباً أو خـطا
إن سُئِلُوا قـالـوا كـذَا رَوَيْنـا   مـا إن كـذبنـاه ولا اعتـدينـا
كبيـرهم يصغـرُ عنـد الحفـل   لأنّـه قـلَّد أهـل الـجـهـل

(قف على قول أبي يوسف) قال أبو يوسف القاضي: من تتبعَ غرائبَ الأحاديث كذَب، ومن طلبَ الدِّين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس.

وعن سفيان بن حُسَين قال: قال لي إياس بن معاوية: أراك تطلب الأحاديث والتفسير، فإياك والشّناعة فإنّ صاحبها لن يَسْلم من العيب.

وعن أبي السائب، قال: سمعت حفصَ بن غياث يقول: سمعت الأعمش يقول ـ يعني لأصحاب الحديث ـ: لقد رَدَدْتموه حتى صار في حلقي أمرَّ من العلقم ما عَطَفْتم على أحدٍ إلا حَمَلْتُمُوه على الكذب.

= (١٨٩/٥) والبيتان في اللسان (زمل). وفيه: «بأوساقه» بدلاً من «أحماله».

(١) الوَدَع: مناقيف صفار تخرج من البحر، تُزَيَّن بها العثاكيل. «اللسان» (وَدَع).

وعن أبي بكر بن عياش، قال: سمعت مغيرة الضبي يقول: والله لأنا أشدّ خوفاً منهم من الفساق، يعني أصحاب الحديث وفيما رواه عبدان عن ابن المبارك أنه قال: ليكن الذي تعتمد عليه الأثر، وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث.

وقال مالك: ينبغي أن تتبع آثار رسول الله ﷺ، لا تتبع الرَّأي. (قف على قول مالك)

وقال وكيع: كنَّا نَسْتَعين على حفظ الحديث بالعمل به، وكنا نستعينُ على طلبه بالصَّوْم.

وعن ابن أبي ليلى قال: لا يَفْقه الرجلُ في الحديث حتى يأخذَ منه ويَدع.

وكان حمزة بن محمد بن علي الكناني يقول: خرَّجت حديثاً واحداً عن النبي ﷺ من مائتي طريق، أو من نحو من مائتي طريق يشك أبو محمد، قال: فداخلني من ذلك من الفرح غير قليل وأعجبت بذلك قال: فرأيت ليلة من الليالي يحيى بن معين في المنام فقلت له: يا أبا زكريا خرّجت حديثاً عن النبي ﷺ من مائتي طريق قال: فسكتَ عنّي ساعةً ثم قال: أخشى أن يدخلَ هذا تحت: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾(١).

وقال عمّار بن رُزَيْق لابنه، ورآه يطلبُ الحديثَ: يا بنيّ اعمل بقليله تزهد في كثيره.

٢٢٨ ـ وعن أبي عُتْبَة الخَوْلاني، أنّ النبي ﷺ قال: «إنَّ الله تبارَكَ وَتَعالى لا يزالُ يغرسُ في هذا الدّين غرْساً يستعملُهم بطاعته»(٢). (قف على حديث جليل)

قال أبو يعقوب: بلغَني عن أحمدَ بن حنبل قال: هم أصحاب الحديث.

وعن قُرَاد أبي نوح عبد الرحمن بن غَزْوان(٣) قال: سمعت شُعْبة يقول: إذا رأيت المحبرة في بيت إنسان فارحمه وإن كان في كمّك شيء فأطعمه.

* * *

(١) سورة التكاثر: الآية (١).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٣٣) (م).

(٣) الضبيّ ثقة له أفراد، مات سنة ١٨٧ هـ. «التقريب» [٣٤٨].

بـــابُ
ما جاءَ في ذمّ القَوْل في دين الله بالرّأي والظنّ والقياس على غيرِ أصلٍ وعيبِ الإكثار من المسائل دُوْنَ اعتبار

٢٢٩ ـ عن عُرْوةَ بنِ الزبير قال: حجَّ علينا عبد الله بن عمرو بن العاص، فجلست إليه، فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ اللَّهَ لا ينزِعُ العلمَ من الناس بعد أن أعطاهموه انتزاعاً ولكن ينتزعه منهم معَ قبضِ العلماء بعلمهم فيبقى ناسٌ جُهّال يستفتون فيفتون برأيهم فَيَضِلُّون ويُضلُّون»(١).

قال عروة: فحدثت بذلك عائشة. ثم إن عبد الله بن عمرو حجَّ بعد ذلك فقالت لي عائشة: يا ابن أختي انطلق إلى عبد الله فاستثبت لي منه الحديثَ الذي حدَّثْتني به عنه. قال: فجئته فسألته، فحدثني به كنحو ما حدثني، فأتيتُ عائشةَ فأخبرتُها فعجبت، وقالت: والله لقد حفظَ عبد الله بن عمرو.

٢٣٠ ـ وعن عوف بن مالك الأَشْجَعي قال: قال رسول الله ﷺ: «تفترقُ أمَّتي على بضعٍ وسبعينَ فرقةً أعظمُها فتنةً قومٌ يقيسون الدّين برأيهم يحرِّمونَ به ما أحلَّ اللَّهُ ويحلُّون به ما حرَّم الله»(٢).

وفي رواية فيحلُّون الحرامَ ويحرِّمون الحلالَ.

وروي عن يَحيى بن مُعين أنه قال: حديثُ عوف بن مالك الذي يرويه عيسى بن يونُس ليسَ له أصل، ونحوَه عن أحمد بن حنبل.

قال أبو عمر: هذا هو القياس على غير أصلٍ والكلام في الدين بالتخرُّص والظَّن، ألا ترى إلى قوله في الحديث: يحلون الحرام، ويحرمون الحلال، ومعلومٌ أنَّ الحلالَ ما في كتاب الله أو سنَّة رسوله تحليلُه، والحرام ما في كتاب الله أو سنةَ

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٣٣) (م).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٣٤) (م).

رسوله تحريمَه، فمن جهل ذلك، وقال فيما سُئِلَ عنه بغير علم، وقاس برأيه الأمور حرَّم ما أحلَّ اللَّهُ بجهله، وأحلَّ ما حرَّم الله من حيث لم يعلم، فهذا هو الذي قاس برأيه فضلّ وأضلَّ، ومن ردّ الفروع إلى أصولها ولم يقل برأيه.

٢٣١ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعملُ هذه الأمةُ بُرْهةً بكتاب الله، وبُرْهَة بسنَّة رسول الله ﷺ، ثم يعملُون بالرَّأي، فإذا فعلوا ذلك فقد ضَلُّوا»(١).

وعن ابن شهاب أنّ عمرَ بنَ الخطّاب قال، وهو على المنبر: يا أيها الناس إنَّ الرأي إنما كان من رَسُول الله ﷺ مصيباً لأنّ اللَّهَ كان يُريه، وإنما هو منا الظنُّ والتكلُّف. (قف على عمر بن الخطاب)

وعن محمد بن إبراهيم التميمي(٢) أن عمر بن الخطاب قال: أصبح أهلُ الرأي أعداءَ السُّنَن أَعْيَتْهم الأحاديثُ أَن يَعُوها وتفلَّتت منهم أن يَرْوُوُها فاشتقُّوا الرأي.

وعن عبيد الله بن عمر أنّ عمر بن الخطّاب قال: اتقوا الرأي في دينكم.

قال سَحْنُون: يعني البدع.

وعن صدقة بن أبي عبد الله أنّ عمر بن الخطاب كان يقول: إن أصحابَ الرأي أعداءُ السنن أعيتهم أن يحفظوها وتفلَّتت منهم أنْ يَعُوها واستحْيُوا حين سئلوا أن يقولوا لا نعلم، فعارضوا السُّنن برأيهم فإيَّاكم وإيَّاهم.

وعن عمرو بن حُريث قال: قال عمرُ: إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلُّوا وأضلُّوا.

وعن محمد بن إبراهيم التميمي قال: قال عمر بن الخطاب: إياكم والرأي؛

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٣٤/٢) وهو عند أبي يعلى في «مسنده» (٢٤٠/١٠) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٩/١) وقال: رواه أبو يعلى وفيه عثمان بن عبد الرحمن الزهري متفق على ضعفه. (م).

(٢) المدني، ثقة له أفراد. مات سنة ١٢٠ هـ. [ابن الحارث بن خالد]. «التقريب» [٤٦٥].

فإن أصحاب الرأي أعداء السُّنَن أَعيتهم الأحاديث أن يَعُوها وتفلَّتَتْ منهم أن يحفظوها، فقالوا في الدّين برأيهم.

قال أبو بكر بن داود: أهلُ الرأي أهلُ البدع. وهو القائل في قصيدته في السنة:

وَدَعْ عنـك آراء الـرِّجـال وقـولَهم ... فقـولُ رسـول الله أَزْكى وأشـرحُ

وعن مَسْروق عن عبد الله قال: لا يأتي عليكم زمانٌ إلا وهو شرٌّ من الذي قبله، أما إني لا أقول أميرٌ خيرٌ من أمير، ولا عامٌ أخصبُ من عام ولكنْ فقهاؤكم يذهبون، ثم لا تجدون منهم خلفاً، ويجيء قومٌ يقيسون الأمورَ برأيهم.

وعن مسروق أيضاً، عن عبد الله بن مَسْعود، أنه قال: ليس عامٌ إلا الّذي بعده شرٌّ منه، لا أقولُ عامٌ أمطرُ من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أميرٌ خيرٌ من أمير، ولكنْ ذهابُ خياركم وعلمائكم، ثم يحدُثُ قومٌ يقيسون الأمورَ برأيهم فيُهدَمُ الإسلامُ ويُثْلَم.

وعن منذر الثَّوْري عن الربيع بن خُثَيْم[1] أنّه قال له عبدُ الله: ما علَّمك اللَّهُ في كتابه من عـلمٍ فاحمدِ الله، وما استأثَرَ عليك به من علمٍ فكِلْه إلى عالمه، ولا تتكلَّفْ؛ فإن الله - جل وعز - يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِيْن إنْ هُوَ إلاّ ذكرٌ للعالَمين ولَتَعْلَمُنَّ نبأَهُ بعدَ حين﴾[2].

٢٣٢ - وعن مكحول عن أبي ثَعْلبة الخُشني قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ اللَّهَ فرضَ فرائضَ فلا تضيِّعُوها ونَهىٰ عن أشياءَ فلا تنتهكُوها وحدَّ حدوداً، فلا تَعْتَدُوها، وَعَفَا عن أشياءَ رحمةً لكُم لا عَنْ نسيانٍ، فلا تَبْحَثُوا عنها»[3].

---

(١) الثوري الكوفي ثقة عابد مخضرم، قال له ابن مسعود: لو رآك النبي ﷺ لأحبك. مات سنة ٦١ هـ. «التقريب» [٢٠٦].

(٢) سورة صٓ: الآيات (٨٦ - ٨٧ - ٨٨).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٣٦/٢) وانظر تخريجه في «متن الأربعين النووية» ص (٧٩ - ٨٠) بتحقيقي، طبع مكتبة دار العروبة بالكويت. (م).

وعن أبي فَزَارة قال: قال ابن عباس: إنّما هو كتابُ الله وسنّةُ رسوله، فمن قال بعد ذلك برأيه فما أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيئآته؟

وعن عبيد الله بن أبي جعفر قال: قال عمرُ بن الخطاب: السنَّةُ ما سنَّه الله ورسولهُ لا تجعلوا خَطَأَ الرَّأي سنةً للأمة.

وعن هشام بنَ عُرْوة: أنه سمع أباه يقول: لم يزل أمر بني إسرائيلَ مستقيماً حتى أدركَ فيهم المولَّدُون أبناءُ سَبَايا الأمم فأخَذُوا فيهم بالرأي فأضلُّوا بني إسرائيل.

(قف على قول الشافعي في القياس)

وعن عيسى بن أبي عيسى، عن الشَّعبي، أنّه سمعَه يقول: إيَّاكم والمقايَسَةَ، فوالذي نفسي بيده لئن أخذتم لتُحِلُنَّ الحرام ولتحرّمُنَّ الحلال، ولكن ما بلغكم من حفظٍ عن أصحاب رسول الله ﷺ فاحفظوه.

وعن الشَّعبي قال: إنما هلكتُمْ حينَ تركتم الآثارَ وأخذتم بالمقاييس.

وعن ابن سِيْرين قال: كانوا يَرَوْن أنه على الطريق ما دَامَ على الأثر.

وعن محمد بن عبد العزيز قال: سمعتُ علي بن الحسن بن شَقيق يقول: سمعتُ عبد الله بن المبارك يقول لرجل: إن ابتليت بالقضاء فعليك بالأثر.

وعن عبد الله بن المبارك عن سُفيان قال: إنّما الدّين بالآثار.

وعن عَبْدانَ بن عُثْمَانَ قال: سمعتُ عبد الله بن المبارك يقول: ليكنِ الَّذي تعتمدُ عليه هذا الأثر، وخذ من الرأي ما يفسِّرُ لك الحديث.

وعن شُرَيح أنه قال: إن السنَّةَ سبقت قياسَكم؛ فاتبعوا، ولا تبتدعوا فإنكم لن تضلّوا ما أخذتم بالأثر.

وروى عمرو بن ثابت[1] عن المغيرة عن الشَّعبي قال: إن السُّنَّةَ لم توضعْ بالمقاييس.

---

(١) الكوفي. مولى بكر بن وائل، ضعيف رمي بالرفض. مات سنة ١٧٢ هـ. «التقريب» [٤١٩].

(قف على قول الحسن)

وعن الحسن قال: إنما هَلَكَ من كان قبْلَكم حينَ تشعَّبَتْ بهم السُّبُل، وحادوا عن الطريق؛ فتركوا الآثار، وقالوا في الدين برأيهم، فضلُّوا، وأضلُّوا.

وعن مسروق قال: من يرغب برأيه عن أمر الله يضلّ.

وعن رجل من قريش أنّه سمعَ ابنَ شهابٍ يقول وهو يذكر ما وقع فيه الناس من هذا الرأي وتركهم السنن فقال: إن اليهود والنصارى إنما انسلخوا من العلم الذي كان بأيديهم حين اشتقوا الرأي وأخذوا فيه.

وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يقول: السُّنَنَ السُّنَنَ؛ فإنّ السُّنن قِوام الدين. قال: وكان عروة يقول: أزهدُ الناس في عالمٍ أهلُه.

قال أبو عمر: اختلفَ العلماءُ في الرّأي المقصود إليه بالذم والعيب في هذه الآثار المذكورة في هذا الباب عن النبي ﷺ، وعن أصحابه رضي الله عنهم، وعن التابعين لهم بإحسان.

فقالت طائفة: الرأي المذموم هو البدع المخالفة للسنن في الاعتقاد كرأي جَهْم[1] وسائر مذاهب أهل الكلام؛ لأنهم قوم استعملوا قياسَهم وآراءهم في رد الأحاديث فقالوا: لا يجوز أن يُرَى اللَّهُ عَزَّ وجل في القيامة، لأنه عز وجل يقول: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَار﴾[2] فردّوا قول رسول الله ﷺ: «إنكم تَرَون ربكم يوم القيامة»[3].

وتأولوا في قول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلىٰ رَبّها نَاظِرَة﴾[4] تأويلاً لا يعرفه أهلُ اللِّسان ولا أهل الأثر.

وقالوا: لا يجوز أن يُسأَلَ الميت في قبره لقول الله عز وجل: ﴿أَمتَّنا اثْنَتَيْنَ

(١) جَهْم بن صفوان ـ صاحب الجهمية ـ سبقت ترجمته.
(٢) سورة الأنعام: الآية (١٠٣).
(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٣٨/٢) (م).
(٤) سورة القيامة: الآية (٢٢)

وأَحَيْيْتَنَا اثْنَتَيْن﴾[1] فردوا الأحاديث المتواترة في عذاب القبر وفتنته.

وردوا الأحاديث في الشفاعة على تواترها، وقالوا لن يخرج من النار من دخل فيها، وقالوا: لا نعرف حوضاً ولا ميزاناً ولا نعقل ما هذا، وردُّوا السنن في ذلك كله برأيهم وقياسهم إلى أشياء يطول ذكرها من كلامهم في صفات الباري، تبارك وتعالى، وقالوا: علم الباري محدثٌ في حين حدوث المعلوم؛ لأنه لا يقع علمه إلا على معلوم فراراً من قدم العالم بزعمهم؛ فلهذا قال أكثر أهل العلم: إن الرأي المذموم المعيب المهجور، الذي لا يحل النظر فيه ولا الاشتغال به الرأي المبتدع، وشبهه من ضروب البدع.

وعن أحمد بن سنان[2] قال: سمعت الشافعي يقول: مَثَل الذي ينظرُ في الرّأي ثم يتوبُ منه مَثَلُ المجنون الذي عولِجَ حتى برىء، فأعقل ما يكون قد هاجَ به.

وعن أبي بكر بن أبي داود قال: سمعت أبي يقول: سمعتُ أحمدَ بن حنبل يقول: لا تكادُ ترى أحداً نَظَر في هذا الرأي إلا وفي قلبه دَغَل.

(قف على قول الجمهور في الرأي المذموم) وقال آخرون وهم جمهور أهل العلم: الرأي المذموم المذكورُ في هذه الآثار عن النبي ﷺ وعن أصحابه والتّابعين هو القولُ في أحكام شرائع الدِّين بالاستحسانِ والظُّنون، والاشتغالُ بحفظ المعضلات والأُغلوطات، وردُّ الفروع والنوازل بعضها على بعض قياساً، دون ردّها على أصولها والنظر في عللها واعتبارها، فاستعمل فيها الرأي قبل أن تنزل، وفُرِّعَتْ وشُقِّقَتْ قبل أن تقع، وتُكلِّمَ فيها قبل أن تكون بالرأي المضارِع للظَّن، قالوا: ففي الاشتغال بهذا والاستغراق فيه تعطيل للسنن والبعث على جهلها وترك الوقوف على ما يلزم الوقوف عليه منها، ومن كتاب الله عز وجل ومعانيه، واحتجوا على صحة ما ذهبوا إليه من ذلك بأشياء.

---

(١) سورة غافر: الآية (١١).
(٢) ابن أسد بن حبان أبو جعفر القطان الواسطي، ثقة حافظ، مات سنة ١٥٩ هـ. «التقريب» [٨٠].

منها ما رويناه بالسند عن ابن عمر قال: لا تسألوا عما لم يكن؛ فإني سمعتُ عمرَ يلعنُ من سأَلَ عمَّا لم يكن.

وعن معاويةَ بن أبي سُفيان أنّ النبي ﷺ: نهى عن الأُغلوطات.

فسَّرَهُ الأَوْزَاعيُّ قال؛ يعني صِعَاب المسائل.

وعن معاوية أيضاً أنهم ذكروا المسائل عنده فقال: أَمَا تَعلمونَ أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن عُضْل المسائل.

واحتَجُّوا أيضاً بحديث سَهْل بن سعد وغيره: أَنَّ رسولَ الله ﷺ كره المسائلَ وعابَها، وبأنه ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ يكرَهُ لكم قيلَ وقال، وكثرةَ السُّؤال»[1].

٢٣٣ ـ فعن عبد الرحمن بن مهدي قال: حدَّثنا مالكٌ عن الزُّهري عن سَهْل ابن سعد قال: لعنَ رسول الله ﷺ المَسائِلَ وعابَها.

هكذا ذكره أحمدُ بنُ زهير بهذا الإسناد وهو خلاف لفظ الموطأ.

قال الدَّارَقُطني: لم يُروِ عبدُ الرّحمن بن مهدي عن مالك في حديث اللِّعان إلا هذه الكلمة، وتابَعَه على ذلك قُراد أبو نوح، ونوح بن مَيْمُون المضروب عن مالك، فذكر حديث عبد الرحمن بن مهدي من رواية أبي خَيْثَمة سواء.

فعن مالك عن ابن شهاب عن سهل بن سعد قال: كَرِهَ رسولُ الله ﷺ المسائلَ وعابَها.

وعن الأَوْزاعي عن عبد الله ابن أبي لُبابةَ قال: وددتُ أنَّ حظِّي من أهل هذا الزمان أنْ لا أسألهم عن شيء ولا يسألوني عن شيء، يتكاثرون بالمسائل كما يتكاثر أهلُ الدَّراهم بالدَّراهم.

وفي سماع أشهب سئل مالك عن قول رسول الله ﷺ: أَنهاكُم عن قيلٍ وقال، وكَثْرةِ السُّؤال؟ فقال: أمَّا كثرةُ السُّؤالِ فلا أدْرِي أهُوَ ما أنتم فيه مما أنهاكُم عنه من كثرة المسائل فقد كره رسول الله ﷺ المسائل وعابَها.

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٤٠) (م).

وقال الله: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[1].

فلا أدري أهو هذا أم السُّؤَال في مسألة النَّاس في الاستعطاء.

وقد ذكرنا القولَ في قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال، مبسوطاً في كتاب «التمهيد» والحمد لله.

٢٣٤ ـ واحتجوا أيضاً بما رواه ابنُ شهاب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص[2] أنَّه سمعَ أباه يقول: قال رسول الله ﷺ: «أعظمُ المسلمين جُرماً من سُئِل عن شيءٍ لم يحرم على المسلمين فحرَّم عليهم من أجل مسألته»[3]. (قف على حديث جليل)

٢٣٥ ـ وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ذَرُوني ما تركتُكُم فإنَّما أهلكَ الذين من قبلكم سؤالهُم واختلافُهم على أنبيائهم فإذا نَهيْتُكُم عن شيءٍ فاجتنبوه وإذَا أمرتُكُم بشيءٍ فخذُوا منهُ ما استطعتم»[4].

وعن طاووس قال: قال عمرُ بن الخطاب وهو على المنبر: أُحرّجُ بالله على كلِّ امرىءٍ سَأل عن شيءٍ لم يكن فإنَّ اللَّهَ قد بيَّن ما هو كائن.

وعن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد ﷺ، ما سألُوه إلا عن ثلاثة عشرة مسألة حتى قبضَ ﷺ كلُّهن في القرآن: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾[5] ﴿يسألُونَك عن الشَّهْرِ الحَرَام﴾[6] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾[7] ما كانوا يسألون إلَّا عما ينفعهم.

قال أبو عمر: ليس في الحديث من الثلاث عشرة مسألة إلّا ثلاث[8] قالوا:

---

(١) سورة المائدة: الآية (١٠١).

(٢) الزهري المدني ثقة. مات سنة ١٠٤ هـ.

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٤١/٢) (م).

(٤) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٤١/٢) (م).

(٥) سورة البقرة: الآية (٢١٧).

(٦) سورة البقرة: الآية (٢٢٢).

(٧) سورة البقرة: الآية (٢٢٠).

(٨) قلت ولعلّ العشرة الباقية هي: ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ [البقرة: ١٨٩]، وفيها أيضاً [٢١٩]. =

ومن تدبّر الآثار المروية في ذم الرأي المرفوعة وآثار الصحابة والتابعين في ذلك، علم أنه ما ذكرنا. قالوا: ألا تَرَى أنَّهم كانوا يكرَهُونَ الجوابَ في مسائل الأحكام، ما لم تنزل. فكيف بوضْعِ الاستحسانِ والظّن والتكلُّف وتسْطير ذلك واتخاذه ديناً؟.

٢٣٦ ـ وذكروا من الآثار أيضاً ما رويناه بالسَّنَد عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَعْجَلُوا بالبليَّةِ قبلَ نزولِهَا، فإنَّكم إلَّا تَفْعَلُوا أوْشَكَ أنْ يكونَ فيكم مَنْ إذا قالَ سُدِّدَ ووفِّق فإنَّكُم إن عجلتم تشتَّتَ بكم الطرق هاهنا وهاهنا»(١).

وعن مسروق قال: سألتُ أُبيَّ بنَ كعب عن مسألة فقال: أكانت هذه بعد؟ قلت: لا. قال: فأَجِمَّني(٢) حتى تكون.

وعن خارجةَ بن زَيْد بن ثابت(٣) عن أبيه: أنه كان لا يقول برأيه في

= ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ وفيها ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾.
وفي النساء [٣٢]: ﴿واسألوا الله من فضله﴾.
(فائدة): أخرج البزار عن ابن عباس. قال: ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد، ما سألوه إلّا عن اثنتي عشرة مسألة كلها في القرآن، وأورده الإمام الرازي بلفظه أربعة عشر حرفاً وقال: ثمانية في البقرة: ﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ [١٨٦]، ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ [١٨٩]. ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم﴾ [٢١٥]. ﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ [٢١٧]، ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ [٢١٩]، ﴿ويسألونك عن اليتامى﴾ [٢٢٠]، ﴿ويسألونك ماذا ينفقون، قل العفو﴾ [٢١٩]، ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ [٢٢٢].
قال والتاسع: ﴿يسألونك ماذا أُحِلّ لهم﴾ المائدة [٤].
والعاشر: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ [الأنفال: ١].
والحادي عشر: ﴿لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين﴾ [يوسف: ٧].
والثاني عشر: ﴿يسألونك عن الجبال﴾ [طه: ١٠٥]، والثالث عشر: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ [الإسراء: ٨٥].
والرابع عشر: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ [الكهف: ٨٣].
قلت: السائل عن الروح وعن ذي القرنين مشركو مكة واليهود، كما في أسباب النزول [للواحدي: ٢٢٠] لا الصحابة، فالخالص اثنا عشر كما صحت به الرواية.

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٤٢/٢) (م).
(٢) أجِمّني: أرِحْني. «اللسان» (جمّ).
(٣) الأنصاري ثقة فقيه، مات سنة ١٠٠ هـ. «التقريب» [١٨٦].

شيء حين يُسأل عنه حتَّى يقول: أَنَزَلَ أمْ لا؟ فإن لم يكن نزل لم يقل فيه، وإن يكنْ وَقَع تكلَّم فيه.

قال: وكان إذا سئل عن مسألة فيقول: أوقعت؟ فيقال له: يا أبا سعيد ما وقعت، ولكنَّا نُعدّها، فيقول دعوها فإنْ كانت وقعت أخبرهم.

قال ابن وهب وأخبرني ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال: ما سمعت أبي يقول في شيء قط برأيه. قال: وربما سُئِلَ عن الشيء فيقولُ هذا من خالص السلطان.

وروينا عن بشر بن الحارث قال: قال سفيان بن عُيَيْنَة: من أحبَّ أن يُسأل وليس بأهل أن يُسأل فما ينبغي أن يُسأل.

قال ابن وهب وأخبرني بكر بن مُضَر[1] عن ابن هُرْمز قال: أدركتُ أهلَ المدينة وما فيها إلا الكتابُ والسُّنَّة، والأمرُ ينزلُ فينظر فيه السلطان، قال: وقال لي مالكٌ: أدركتُ أهل هذه البلاد وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذي في الناس اليوم. قال ابن وهب: يريدُ المسائل.

وقال مالك: إنما كان الناس يُفْتُون بما سمعوا، وعلموا، ولم يكن هذا الكلام الذي في النَّاس اليوم.

وعن ابن سيرين قال: قال عمر بن الخطاب لأبي مَسْعود عُقْبَة بن عمرو[2]: أَلَمْ أُنَبَّأْ أنَّكَ تُفْتي النَّاس، ولسْتَ بأمير. ولِّ حارَّهَا مَنْ تَولَّى قارَّها[3].

وكان عمر بن الخطاب يقول: إياكم وهذه العُضْـل[4]، فإنهـا إذا نزلت بعثَ اللَّهَ إليها من يقيمُها ويفسِّرها.

---

(١) ابن محمد بن حكيم المصري أبو محمد أو أبو عبد الملك. ثقة ثبت. مات سنة ١٧٣ هـ. «التقريب» [١٢٧].

(٢) ابن ثعلبة الأنصاري، أبو مسعود البدري، صحابي جليل، مات قبل الأربعين، وقيل: بعدها. «التقريب» [٣٩٥].

(٣) «وَلِّيَ» في الجامع والمختصر وهو غلط. ومعناه: وَلِّ شرَّها من تولّى خيرَها. وهو في «اللسان» (قرر).

(٤) العُضَل: الشديدة.

وعن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان سألَ ابنَ شهابٍ عن شيء، فقال له ابن شهاب: أكان هذا يا أميرَ المؤمنين؟ قال: لا. قال: فدَعْه فإنه إذا كانَ أتى اللَّهُ بفرجٍ.

وعن مجاهد، عن ابن عمر قال: يا أيها النّاس لا تَسْألوا عمَّا لم يكن، فإنَّ عمرَ كان يلعنُ من سألَ عمَّا لم يكن.

وعن موسى بن عليّ[1] عن أبيه قال: كان زيد بن ثابت إذا سأله إنسانٌ عن شيء قال: اللَّه أكانَ هذا؟ فإن قال: نعم نظرَ، وإلَّا لم يتكلم.

وعن عامر قال: أتىٰ زيدَ بنَ ثابتٍ قومٌ فسألوه عن أشياءَ فأخبرهم بها فكتبُوها، ثم قال: لو أخبرناه، قال: فأتوه فأخبروه فقال: أغَدْراً لعلَّ كلَّ شيء حدثتكم به خطأ، إنما اجتهدتُ لكم رأيي.

وعن عمرو بن دينار قال: قيل لجابر بن زيد[2]: إنهم يكتبون ما يسْمَعُون منك. قال: إنا للَّه وإنَّا إليه راجعون؛ يكتبون رأياً أرجع عنه غداً.

(قف على اهتمام أمراء السلف بجمع العلماء في المسائل المشكلة)

وعن المُسَيَّب بن رافع[3] قال: كان إذا جاء الشيءُ من القضاء ليس في الكتاب ولا في السُّنَّة سمّي صوافي الأمراء فيرفعُ إليهم فجُمع له أهل العلم فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق.

وذكر الطبري في كتاب «تهذيب الآثار» له: حدثنا الحسن بن الصبّاح البزَّار[4] قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الحُنَيْني[5] قال: قال مالكٌ: قُبضَ رسولُ الله ﷺ وقد تمَّ هذا الأمر واستُكْمِلَ، فإنما ينبغي أن تتبعَ آثار رسول الله ﷺ،

---

(١) اللَّخمي البصري، صدوق، ربما أخطأ. مات سنة ١٧٣ هـ. «التقريب» [٥٥٣].

(٢) أبو الشعثاء الأزدي ثم الجَوْفي البصري، مشهور بكنيته ثقة فقيه. مات سنة ٩٣ هـ وقيل أكثر. «التقريب» [١٣٦].

(٣) الأسدي الكوفي. مات سنة ١٠٥ هـ. «التقريب» [٥٣٢].

(٤) أبو علي الواسطي نزيل بغداد، صدوق يَهِمُ. عابد فاضل، مات سنة ٢٤٩ هـ. «التقريب» [١٦١].

(٥) لمدني نزيل طرسوس. مات سنة ٢١٦ هـ. «التقريب» [٩٩].

ولا تتَّبع الرأي، فإنه متى اتبع الرأي جاء رجلٌ آخر أقوى في الرأي منك فاتبعته، فأنت كلَّما جاء رجلٌ عليك اتَّبعتَه أرى هذا لا يتم.

وقال عبدانُ: سمعتُ عبدَ الله بن المبارك يقول ليكُنْ الَّذِي تعتمد عليه الأثر وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث، قال: وقال ابن المبارك: قال مالك بن دينار لقتادة: أتدري أيَّ علم رفعتَ قمت بين الله وبين عباده؟ فقلت: هذا يصلح وهذا لا يصلح.

وعن يحيى بن سعيد قال: جاءَ رجلٌ إلى سعيد بن المُسَيَّب فسأله عن شيء فأملَّه عليه[1]، ثم سأله عن رأيه فأجابه. فكتبَ الرجل، فقال رجلٌ من جلساء سعيد: أيُكتب يا أبا محمد رأيُك؟ فقال سعيدٌ للرجل: ناولْنيها فناوله الصحيفة فخرقَهَا.

وعن عبد الله بن وهب أنّ رجلاً جاء إلى القاسم بن محمد فسَأله عن شيء فأجابه، فلمَّا ولَّى الرجلُ دعاه، فقال له: لا تقلْ إن القاسمَ يزعمُ أن هذا هو الحق، ولكن إنِ اضطررت إليه عملت به.

وعن العباس بن الوليد بن مَزْيد[2] قال: أخبرني أبي قال: سمعتُ الأَوْزاعيّ يقول: عليكَ بآثار من سلَفَ، وإن رفضَكَ النَّاس، وإيّاك وآراءَ الرجال وإنْ زَخْرَفُوا لك القول.

وذكر البخاريُّ عن ابن بُكَير عن اللَّيْثِ قال: قالَ رَبيعةُ لابن شِهاب: يا أبا بكر إذا حدَّثت النّاسَ برأيك، فأخبرهم أنَّه رأيُك وإذا حَدَّثت الناس بشيء من السُّنَّة فأخبرهم أنّه سُنَّة؛ لا يظنُّوا أنه رأيُك.

وعن ابن وهب قال: قال مالكُ بن أنسٍ وهو يُنْكر كثرة الجواب للمسائل: يا عبد الله ما علمته فقلْ به ودلَّ عليه، وما لم تعلمْ فاسكتْ عنه، وإياك أن تتقلَّدَ للنَّاسِ قلادةَ سَوْءٍ.

---

(١) قال في «القاموس»: (أَمَلَّه) قال له، فكتب.

(٢) العُذري البيروتي، صدوق، عابد، مات سنة ٢٦٩ هـ. «التقريب» [٢٩٤].

(قف على كلام الإمام مالك)

وعن عبد الله بن مسلمة القَعْنَبيّ[1] قال: دخلت على مالك فوجدته باكياً فسلمتُ عليه، فردَّ عليّ، ثم سكتَ عنّي يبكي، فقلت له: يا أبا عبد الله ما الذي يُبْكيك فقال لي: يا ابن قَعْنَب إنَّا لِلَّهِ على ما فَرَط مني، ليتني جُلِدْتُ بكل كلمة تكلَّمْتُ بها في هذا الأمر بِسَوْط، ولم يكن فَرَطَ منّي ما فَرَطَ من هذا الرأي، وهذه المسائل، وقد كانت لي سَعَة فيما سَبَقْتُ إليه.

وعن أبي عُثْمان سعيد بن محمد الحدّاد قال: سمعتُ سَحْنُون بن سعيد[2] يقول: ما أدري ما هذا الرأي سُفِكَتْ به الدّماءُ، واستُحِلَّت به الفروجُ، واستُخِفَّت به الحقوقُ، غيرَ أنَّا رأينا رجلاً صالحاً فقلَّدناه.

وعن مخلد بن الحسين عن الأوزاعي، قال: إذا أرادَ اللَّهُ أن يحرِمَ عبدَهُ بركةَ العلم أَلْقَى على لسانِهِ الأغاليط.

وروينا عن الحسن أنه قال: إنَّ من شِرَار عبادِ اللَّهِ الذين يجيئون بشرار المسائل يفتِنُون بها عبادَ الله.

(قف على قول أيوب)

وعن حمّاد بن زيد قال: قيل لأيوب: ما لَكَ لا تنظر في الرأي؟ فقال أيوب: قيل للحمار ما لك لا تجترُّ، قال: أكرَهُ مَضْغَ الباطل.

وروَيْنا عن رقَبَة بن مَصْقَلَة[3] أنه قال لرجل رآه يختلف إلى أبي حنيفة: يا هذا يكفيك من رأْيه ما مضغتَ وترجعُ إلى أهلك بغير ثقة.

وسئل رَقَبةُ بن مَصْقَلـة عن أبي حنيفة فقال: هو أعلمُ الناس بما لم يكُن وأجْهَلَهُم بما قد كان.

---

(١) الحارثي البصري ثقة عابد كان ابن معين وابن المديني لا يقدمان عليه في الموطأ أحداً، مات سنة ٢٢١ هـ بمكة. «التقريب» [٣٢٣].

(٢) أبو سعيد عبد السلام بن سعيد الملقب سحنون، أصله من حمص، وولد في القيروان ومات فيها سنة ٢٤٠ هـ. ولقب بسَحْنُون: باسم طائر حديد في المغرب لشدة ذكائه. «ابن خلكان» (١٨٠/٣) و «الأعلام» (٥/٤).

(٣) العبدي، الكوفي، ثقة مأمون، وكان يمزح، مات سنة ١٢٩ هـ. «التقريب» [٢١٠].

وقد روي هذا القول عن حفص بن غياث في أبي حنيفة يريد أنه لم يكن له علمٌ بآثار من مضى ـ والله أعلم ـ.

وعن صالح بن مُسْلم قال: سمعتُ الشعبيَّ يقول: والله لقد بغَّض هؤلاءُ القومُ إليَّ المسجدَ حتَّى لَهُوَ أبغضُ إليَّ من كِنَاسَة دَاري، قلت: من هم يا أبا عمرو؟ قال: الآرائيّون. قال: ومنهم الحَكَمُ وحَمَّادُ وأصحابُهما.

وعن عطاء بن السائب قال: قال الربيع بن خُثَيْم: إياكم أن يقولَ الرَّجلُ لِشيء: إنّ اللَّهَ حرَّمَ هَذا أو نهى عنه، فيقول الله: كذَبْتَ لم أحرمْه ولم أنهَ عنه. قال: أو يقول: إنَّ الله أحلَّ هذا وأمَرَ به فيقول: كذبْتَ لم أحلَّه ولم آمرْ به.

وذكر ابنُ وَهب وعتيق بن يَعْقُوب أنَّهما سمعا مالكَ بنَ أنس يقول: لم يكنْ من أمرِ النَّاس ولا مَنْ مضى من سلفنا ولا أدركتُ أحداً أقتدي به يقولُ في شيء: هذا حلالٌ وهذا حرامٌ، ما كانوا يجترئون على ذلك، وإنما كانوا يقولون: نكرَهُ هذا، ونرى هذا حسناً وننفي هذا، ولا نرى هذا، وزادَ عتيق بن يعقوب: ولا يَقُولون حلالٌ ولا حرامٌ. أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُم مِنْهُ حَرَاماً وحَلَالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُون﴾[1].

الحلال ما أحلّه اللَّهُ ورسولهُ، والحرامُ ما حرَّمه الله ورسوله.

قال أبو عمر: معنى قول مالك هذا: أن ما أخذ من العلم رأياً واستحساناً لم نَقُلْ فيه حلالٌ ولا حرامٌ ـ والله أعلم ـ.

وقد روي عن مالك أنه قال في بعضها: ما كان ينزل فيسأل عنه فيجتهد فيه رأيه: ﴿إِن نَّظُنّ إِلاّ ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِيْن﴾[2].

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول:

وما كلُّ الظنون تكونُ حقاً ... ولا كلُّ الصَّوابِ على القياس[3]

(١) سورة يونس: الآية (٥٩).
(٢) سورة الجاثية: الآية (٣٢).
(٣) «الديوان» (١٩٥).

وعن الزَّبْرقان السرَّاج قال: قال أبو وائل: لا تُقَاعِدْ أصحابَ أرأيت.

وعن الشعبي قال: ما كلمةٌ أبغض إليَّ من أرأيت.

وعن داود الأوْدي قال: قال لي الشعبي: احفظ عني ثلاثاً لها شأن إذا سألت عن مسألة فأجبت فيها، فلا تتبع مسألتك أرأيت؟ فإن الله يقول في كتابه: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾[1] حتى فرغ من الآية.

والثانية: إذا سُئلت عن مسألة فلا تقس شيئاً بشيء فربّما حرَّمت حلالاً أو حَلَّلتَ حراماً.

والثالثة: إذا سُئلت عمَّا لا تعلمُ، فقل: لا أَعْلَمُ وأنا شريكُكَ.

وعن الشعبي قال: إنما هَلَكَ من كان قبلَكُم في أرأيت.

وعن يحيى بن أيوب قال: بلَغَني أنَّ أهلَ العلم كانوا يقولون: إذا أرادَ اللَّهُ أنْ لا يعلَم عبدُهُ خيراً شَغَلَهُ بالأغاليط.

وعن سفيان بن عُيَيْنَة قال: قال ابن شبرمة: أنا أوَّلُ من سمَّى أصحاب المسائل الهداهد.

وقـال:

سـألْنَـا فَلَمْ نَـأْلُ وعمَّ سؤالُنـا وكمْ من عَريفٍ طوَّحَتْه الهَدَاهِدُ

وعن عبد الله بن مسلمة القرشي قال: سمعت مالكاً يقول: ما زال الأمرُ معتدلاً حتى نشأ أبو حنيفة فأخذ فيهم بالقياس فما أفلحَ ولا أنجحَ.

وعن خالدِ بن نزار[2] قال: سمعتُ مالكاً يقول: لو خرجَ أبو حنيفة على هذه الأمة بالسَّيف كان أيسرَ عليهم مما أظهرَ فيهم، يعـني من القياس والرَّأي.

وعن ابن عُيَيْنَة قال: لم يزلْ أمرُ الكوفة معتدلاً حتى نشأ فيهم أبو حنيفة.

قال موسى: وهو من أبناء سبايا الأمم، أمُّه سِنْديّة وأبوهُ نَبَطي والذين ابتدعوا

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٤٣).

(٢) الغسّاني الأيلي، صدوق، يخطىء، مات سنة ٢٢٢ هـ. «التقريب» [١٩١].

الرأي ثلاثة وكلهم من أبناء سبايا الأمم وهم ربيعةُ بالمدينة، وعثمان البُتِّي بالبصرة، وأبو حنيفة بالكوفة.

قال أبو عمر: أفرط أصحاب الحديث في ذمِّ أبي حنيفةَ وتجاوزوا الحدَّ في ذلك والسببُ الموجب لذلك عندهم إدخالُه الرأيَ والقياسَ على الآثار، واعتبارهما، وأكثرُ أهل العلم يقولون: إذا صحَّ الأثرُ بَطُلَ القياسُ والنَّظر، وكان ردُّه لما ردَّ من أخبار الآحاد بتأويلٍ محتمل، وكثير منه قد تقدمه إليه غيره، وتابعه عليه مثله، ممن قال بالرأي وجلُّ ما يوجد له من ذلك ما كان منه اتباعاً لأهل بلده كإبراهيم النَّخعي، وأصحاب ابن مسعود إلا أنه أغرقَ وأفرطَ في تنزيل النَّوازل هو وأصحابه، والجواب فيها برأيهم واستحسانهم؛ فأتى منهم في ذلك خلافٌ كبير للسَّلف، وشنعٌ هي عندَ مخالفيهم بدعٌ، وما أعلم أحداً من أهل العلم إلاّ وَلَهُ تأويلٌ في آية، أو مذهبٌ في سُنَّة، رَدَّ من أجل ذلك المذهب سنَّةً أخرى بتأويل سائغٍ أو ادعاء نسخ، إلاَّ أنَّ لأبي حنيفة من ذلك كثيراً، وهو يوجد لغيره قليل.

وعن اللَّيث بن سعد أنه قال: أحصَيْتُ على مالك بن أنس سبعين مسألة كلُّها مخالفةٌ لسنَّة النبي ﷺ مما قال مالك فيها برأيه. قال: ولقد كتبت إليه أَعظُه في ذلك.

قال أبو عمر: ليسَ لأحدٍ من علماء الأمَّة يُثْبتُ حديثاً عن النبي ﷺ ثم يردُّه دون ادّعاء نسخ عليه بأثر مثلِه أو بإجماعٍ أو بعملٍ يجب على أصله الانقياد إليه أو طعن في سنده، ولو فعل ذلك أحدٌ سقطعت عدالته، فضلاً أن يتخذ إماماً، ولزمه إثم الفسق ولقد عافاهم الله عز وجل من ذلك.

ونَقَموا أيضاً على أبي حنيفة الإرجاء ومن أهل العلم من يُنْسَبُ إلى الإرجاء كثيرٌ لم يُعن أحد بنقل قبيح ما قيل فيه كما عنوا بذلك في أبي حنيفة لإمامته، وكان أيضاً مع هذا يُحْسَدُ ويُنْسَبُ إليه ما ليس فيه، ويُخْتَلق عليه ما لا يليق به، وقد أثنى عليه جماعةٌ من العلماء وفضَّلُوه.

ولعلّنا إن وجدنا نشطة أن نجمع من فضائله وفضائل مالك أيضاً والشافعي

والثَّوري والأوزاعي كتاباً أمّلنا جمعه قديماً في أخبار أئمة الأمصار ـ إن شاء الله ـ.

وعن عبّاس بن محمد الـدُّوري(١) قال: سمعت يحيى بن مُعين يقـول: أصحابُنا يُفْرطون في أبي حنيفة وأصحابه فقيل له: أكان أبو حنيفة يكذب؟ فقال: كان أنبلَ من ذلك.

وعن مسلمة بن شبيب قال: سمعت أحمدَ بن حنبل يقول: رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كلُّه رأي وهو عندي سواء وإنما الحجة في الآثار.

وعن الدَّارَوَرْدي قال: إذا قال مالك: وعليه أدركتُ أهلَ بلدِنا والمجتمع عليه عندنا فإنّه يريد: ربيعةَ بنَ أبي عبد الرّحمن وابنَ هُرْمز.

وذكر محمد بن الحسين الأزدي الحافظ الموصلي(٢) في الأخبار التي في آخر كتابه في «الضعفاء»(٣) قال: يحيى بن معين ما رأيت أحداً أُقدّمه على وكيع، وكان يفتي برأي أبي حنيفة وكان يحفظُ حديثَه كلَّه، وكان قد سمع من أبي حنيفة حديثاً كثيراً.

قال الأزدي: هذا من يحيى بن معين تحامُل، وليس وكيع كيحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي وقد رأى يحيىٰ بن معين هؤلاء وصحبهم. قال: وقيل ليحيىٰ بن مُعين: يا أبا زكريا أبو حنيفة كان يصدُقُ في الحديث قال: نعم صدوق، وقيل له: فالشافعي كان يكذب؟ قال: ما أحبُّ حديثَهُ ولا ذِكْرَه.

قال أبو عمر: لم يتابع يحيى بنُ مُعين أحدٌ في قوله في الشافعي، وقال الحسن بن علي الحلواني قال لي شَبَابَةُ بن سَوَّار(٤): كان شعبةُ حسنَ الرأي في

---

(١) أبو الفضل البغدادي، خوارزمي الأصل، ثقة حافظ، مات سنة ٢٧١ هـ. «التقريب» [٢٩٤].

(٢) محمد بن الحسين بن أحمد أبو الفتح الأزدي، حافظ من أهل الموصل سكن بغداد. «شذرات الذهب» (٨٤/٣) و«الأعلام» (٩٨/٦)، «الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ» للإمام أبي الفرج بن الجوزي (١١٨).

(٣) «الضعفاء» لم أقع على كتاب له بهذا العنوان، والذي في الأعلام: أسماء من يعرف بكنيته من الصحابة. مخطوط، ومن يعرف بكنيته ولا يعلم اسمه ولا دليل يدل على اسمه. مخطوط.

(١ [illegible] ـدايني ثقة حافظ رمي بالإرجاء. مات سنة ٢٠٤ هـ. «التقريب» [٢٦٣].

أبي حنيفة، وكان يستنشدني أبيات مساور الورّاق:

إذا ما النَّاسُ يوماً قَايَسُونا ... بآبدةٍ من الفُتيا لَطِيْفَهْ

وقال علي بن المديني: أبو حنيفة روى عنه الثوري وابن المبارك وحمّاد بن زيد وهُشيم ووكيع بن الجراح[1] وعبّاد بن العوام[2]، وجعفر بن عون، وهو ثقة لا بأس به.

وقال يحيى بن سعيد: ربما استحسنَّا الشيءَ من قول أبي حنيفة فنأخذ به.

قال يحيى: وقد سمعت من أبي يوسف «الجامع الصغير». ذكره الأزدي.

قال أبو عمر: الذين رَوَوْا عن أبي حنيفة ووثَّقوه وأثنَوْا عليه أكثر من الذين تكلَّمُوا فيه، والذين تكلموا فيه من أهل الحديث أكثر ما عابوا عليه الإغراق في الرأي والقياس والإرجاء، وكان يقال: يستدل على نباهة الرجل من الماضين بتباين الناس فيه، قالوا: ألا تَرَى إلى علي بن أبي طالب أنَّه هلك فيه فَتَيان محبٌّ أفرط، ومبغضٌ أفرط.

وقد جاء في الحديث: أنه يهلك فيه رجلان محبٌ مُطْرٍ ومبغضٌ مفترٍ.

وهذه صفةُ أهل النَّباهة ومن بلغ في الدين والفضل الغاية والله أعلم.

قال أبو عمر: بلغَني عن سَهْل بن عبد الله التُستُري أنه قال: ما أحدثَ أحدٌ في العلم شيئاً إلا سُئِلَ عنه يوم القيامة فإن وافقَ السُّنَّةَ سلم وإلا فهو في العطب. (قف على قول سهل بن عبدالله)

وقد ذكرنا من الآثار في باب أصول العلم وفي باب صفة العالم ما يغني عن الكلام في هذا الباب وبالله التوفيق.

* *

---

(١) الرُّؤاسي الكوفي، ثقة حافظ عابد [مات سنة ١٩٧ هـ]. «التقريب» [٥٨١].

(٢) الكلابي مولاهم الواسطي ثقة. مات سنة ١٨٥ هـ. «التقريب» [٢٩٠].

بـــابُ
حكم قولِ العُلَمَاءِ بعضُهم في بعضٍ

٢٣٧ ـ عن يَعيشَ بن الوليد[1]: أن مولىً للزُّبَيْر بن العـوَّام حدَّثـه عن الزُّبَيْر بن العـوَّام أن رَسُولَ الله ﷺ قـال: «دبَّ إليكم داءُ الأمم قبلَكم الحسدُ والبغضاءُ، البغضاءُ هي الحالقة لا أقول تحلِقُ الشَّعرَ ولكن تحلق الدين، والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجَنَّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، ألا أُنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم»[2].

وعن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس قال: استمعُوا علمَ العلماء ولا تصدّقوا بعضَهم على بعض فوالذي نفسي بيده لهُمْ أشدُّ تغايراً من التيوس في زربها.

وعن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: خذوا العلم حيث وجدتم ولا تقبلوا قولَ الفقهاء بعضهم على بعض فإنَّهم يتغايَرُون تغايُرَ التُّيُوس في الزريبة.

وعن الحسن بن أبي جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا قول بعضهم في بعض فلهم أشد تحاسداً من التيوسُ تنصَبُ لهم الشَّاةُ الضَّارِبُ فينِبُّ هذا من هاهنا وهذا من هاهنا.

وقال سعيد في حديثه: فإني وجدتهم أشد تحاسداً من التيوس بعضها على بعض.

وعن كعب قال: قال موسى: يا ربِّ أيُّ عبادك أعلم؟ قالَ: عالمٌ غَرْثان[3] من العلم ويوشِكُ أن تَرَوْا جُهّالَ النّاس يتباهَوْن بالعلم ويتغايرُون عليه كما تتغاير النِّسَاءُ على الرجال فذلك حظُّهم منه.

وعن عبد العزيز بن أبي حازم قال: سمعت أبي يقول: العلماءُ كانوا فيما

---

(١) ابن هشام بن معاوية الأموي المُعَيْطيّ، الدمشقي، نزيل الجزيرة. «التقريب» (٦١٠).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٥٠) (م).

(٣) الغرثان: الجائع. «اللسان» (غرث).

مضى من الزمان إذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يَزْهُ عليه، حتى كان هذا الزمان، فصار الرجل يعيب من هو فوقه، ابتغاء أن ينقطعَ منه حتى يُريَ الناسَ أنه ليس به حاجةٌ إليه، ولا يذاكرُ من هو مثلُه ويزهى على من هو دونه، فهلَكَ الناس.

قال أبو عمر: هذا باب قد غلط فيه كثير من الناس وضلت به نابتةٌ جاهلةٌ لا تدري ما عليها في ذلك، والصحيحُ في هذا الباب أن من صحت عدالته وثبتَتْ في العلم أمانتُه، وبانت ثقتُه وعنايتُه بالعلم، لم يلتفت فيه إلى قول أحدٍ إلَّا أن يأتي في جرحته ببَيِّنَةٌ عادلةٌ تصحُّ بها جرحته على طريق الشهادات، والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة، لذلك بما يوجب تصديقَهُ فيما قاله لبراءته من الغِلّ والحَسَدِ والعداوة والمنافسة وسلامته من ذلك كله، فذلك يوجب قَبُولَ قوله من جهة الفقه والنظر، وأمَّا من لم تثبت إمامتهُ، ولا عُرِفَتْ عدالتُه، ولا صحَّت لعدم الحفظ والإتقان روايتُه، فإنَّه ينظرُ فيه إلى ما اتفق أهل العلم عليه، ويجتهد في قَبُول ما جاء به على حسب ما يؤدي النظر إليه.

(قف على قول أبي عمر)

والدليل على أنه لا يقبلُ فيمن اتَّخذه جمهور من جماهير المسلمين إماماً في الدين قول أحد من الطاعنين، أنَّ السلف رضوان الله عليهم قد سبق من بعضهم في بعض كلام كثير منه في حال الغضب، ومنه ما حمل عليه الحسد، كما قال ابن عباس ومالك بن دينار وأبو حازم. ومنه ما كان على جهة التأويل مما لا يلزم المقول فيه ما قاله القائل فيه، وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلاً واجتهاداً لا يلزم تقليدُهم في شيء منه دون برهان وحجةٍ توجبه، ونحن نورد في هذا الباب من قول الأئمة الجلَّة الثقاة السادة بعضهم في بعض، مما لا يجب أن يلتفت فيهم إليه ولا يخرج عليه ما يوضح لك صحة ما ذكرنا وبالله التوفيق.

(قف على الدليل في أنه لا يقبل الطعن فيمن ثبتت إمامته وعدالته)

فعن مُغيرَةَ عن حماد أنَّه ذكر أهل الحجاز فقال: قد سألتُهم فلم يكن عندهم شيء والله لصبيانُكم أعلمُ منهم بل صِبيانُ صبيانِكم.

وعن سفيان بن عُيَيْنَة، قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن للزُّهري: لو جلس

للناس في مسجد رسول الله ﷺ في بقية عمرك فقال رجل للزهري: أما إنه لا يشتهي أن يراك. قال: فقال الزُّهري: أما إنه لا ينبغي أن أفعل ذلك حتَّى أكونَ زاهداً في الدُّنيا راغباً في الآخرة.

وروينا عن ابن شهاب أنه قيل له: تركت المدينة ولزمت شَغْباً وأداماً[1] وتركت العلماء بالمدينة يتامى. فقال: أفسدها علينا العبدان ربيعةُ وأبو الزّناد.

وعن مغيرةَ قال: قال حمَّاد: لقيتُ عطاءً وطاوساً ومجاهداً فصبيانُكم أعلمُ منهم بل صبيانُ صِبْيَانكم.

قال مغيرة: هذا بغيٌ منه.

قال أبو عمر: صدق مغيرة وقد كان أبو حنيفة وهو أُقعدُ النَّاس بحمَّاد يفضِّل عطاءً عليه.

عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد قال: سمعتُ أبا حنيفة يقول: ما رأيت أفضلَ من عطاءِ بن أبي رباح.

وعن أبي يحيى الحِمَّاني قال: سمعت أبا حنيفة يقول: ما رأيتُ أحداً أفضلَ من عطاءِ بنِ أبي رباح، ولا رأيت أحداً أكذبَ من جابرٍ الجُعْفي.

وقد روي عن أبي حنيفة أنه قيل له: ما لَكَ لا تروي عن عطاء؟ قال: لأنّي رأيته يفتي بالمُتْعة.

وقيل له: ما لك لا تروي عن نافع؟ قال: رأيته يفتي بإتيان النساء في أعجازهن فتركتُه.

وعن مغيرة قال: قدم علينا حمَّادُ بن أبي سُلَيمان من مكّة فأتيناه لِنُسلّم[2] عليه فقال لنا: احمَدُوا الله يا أهل الكوفة؛ فإني لقيتُ عطاءً وطاوساً ومجاهداً فلصبيانكُم وصبيانُ صبيانِكم أعلمُ منهم.

---

(١) موضعان بقرب المدينة [ذكرهما ياقوت ١/١٢٥، ٢/٣٥٢].

(٢) في المختصر «من ملّة فأتيناه أسلم». والتصحيح من الأصل.

وعن الزهري قال: ما رأيت قوماً أنقض لعُرى الإسلام من أهل مكة ولا رأيت قوماً أشبه بالنصارى من السّبائية[1].

قال أحمد بن يونس[2] يعني: الرافضة.

قال أبو عمر: فهذا حماد بنُ أبي سليمان وهو فقيه الكوفة بعد النَّخعي القائم بفتواها وهو معلّم أبي حنيفة، وهو الذي قال فيه إبراهيم النَّخَعي حين قيل له: من نسأل بعدك؟ قال: حمّاد وقعد مقعَدَهُ بعده، يقول في عطاء وطاوس ومجاهد وهم عند الجميع أرضى منه وأعلم بكتاب الله وسنّةِ رسوله وأرضى منه حالاً عند الناس وفوقه في كل حال ما ترى ولم ينسب واحدٌ منهم إلى الإرجاء وقد نسب إليه حماد هذا وعيب به وعنه أخذه أبو حنيفة والله أعلم.

وهذا ابن شهاب قد أطلق على أهل مكة في زمانه أنهم ينقضُونَ عُرَى الإسلام ما استثنى منهم أحداً وفيهم من جُلَّة العلماء من لا خفاء بجلالته في الدين وأظن ذلك والله أعلم لما روي عنهم في الصَّرف، ومتعة النساء.

وعن الأعمش قال: كنت عند الشعبي فذكروا إبراهيم فقال: ذاك رجل يختلف إلينا ليلاً ويحدث النَّاس نهاراً. فأتيت إبراهيم فأخبرته فقال: ذلك يحدث عن مَسْروق واللَّهَ ما سمع منه شيئاً قطُّ.

وعن الأعمش قال: ذكر إبراهيم النخعي عند الشعبي فقال: ذاك الأعور الذي يستفتيني بالليل ويجلس يفتي الناس بالنَّهار، قال: فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: ذاك الكذَّاب لم يسمعْ من مسروق شيئاً.

وذكر ابن أبي خيثمة هذا الخبر عن أبيه قال: كان هذا الحديث في كتاب أبي معاوية فسألناه عنه فأبىٰ أن يحدث به.

قال أبو عمر: معاذَ اللَّهُ أن يكونَ الشعبيُّ كذَّاباً، بل هو إمام جليل والنَّخَعيُّ

(١) السّبائية والسبئيّة: هي طائفة تقول بألوهية علي، نسبة إلى عبد الله بن سبأ. «الأعلام» (٨٨/٤).
(٢) أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس التميمي اليربوعي والكوفي، ثقة حافظ. مات سنة ٢٢٧ هـ. وقد نُسِبَ إلى جده. «التقريب» (٨١).

مثلُه جلالةً وعلماً وديناً، وأظنُّ الشّعبيَ عوقب لقوله في الحارث الهَمْداني، حدثني الحارث وكان أحدَ الكذّابين ولم يبن من الحارث كذب، وإنما نُقِمَ عليه إفراطُه في حبِّ علي، وتفضيله له على غيره ومن هاهنا - والله أعلم - كذَّبه الشعبيُّ، لأنَّ الشعبيَّ يذهب إلى تفضيل أبي بكر وإلى أنه أوّلُ من أسلم، وتفضيل عمر - رضي الله عنه -.

وروى عليُّ بنُ مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت عائشة: ما علم أنسُ بن مالك وأبو سعيد الخُدْري بحديث رسول الله ﷺ وإنما كانا غلامين صغيرين.

وذكر المَرْوَزيُّ في كتاب «الانتفاع بجلود الميتة» في قصة عِكرمة ذبًّا عنه ودَفْعاً لما قيل فيه، ما يجب أن يكون في بابنا هذا.

فمن ذلك أنه ذكر حديث سَمُرَة أنه قال: كانت للنبي ﷺ سكتتان (يعني في الصلاة عند قراءته) فبلغ ذلك عِمْران بنَ الحصين. فقال: كذب سَمُرَة فكتبوا إلى أُبي بن كعب فكتب أنْ صدَقَ سَمُرَة وهذا الحديث مشهور جداً[1].

ومثله ما روي عن طاووس قال: كنت جالساً عند ابن عمر فأتاه رجل فقال: إن أبا هريرة يقول: إن الوِتْر ليس بحتْمٍ فخذوا منه ودعوا. فقال ابن عمر: كذب أبو هريرة: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عن صلاة الليل، فقال: «مثنى مثنى، فإذا خشيتَ الصُّبْحَ فواحدة»[2].

وخطأت عائشةُ ابنَ عمر في عدد عُمَر رسول الله ﷺ، وفي أنَّ الميِّتَ يعذَّبُ ببكاء أهله عليه.

وقد ذكرنا ذلك في كتاب «التمهيد».

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٥٤) (م).
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٥٤ - ١٥٥) (م).

وقد كان بين أصحاب رسول الله ﷺ وجُلَّةِ العلماء عند الغضب كلامٌ هو أكثر من هذا، ولكنَّ أهلَ الفهم والعلم والمَيْزِ لا يلتفتون إلى ذلك، لأنهم بَشَرٌ يغضَبُون ويرضَوْن، والقولُ في الرِّضا غيرُ القول في الغضب، ولقد أحسن القائل:

لا يُعْرَفُ الحِلْمُ إلَّا ساعةَ الغَضَب.

ومن أشنع شيء روي في هذا الباب وأشده نَوْكاً[1] ما رويناه بالسَّنَد عن ضُمْرة عن ابن شَوْذب قال: كان الضَّحاك بن مُزَاحم[2] يكره المسك فقيل له: إنَّ أصحابَ محمدٍ ﷺ قد كانوا يتطيَّبُون به. قال: نحن أعلمُ منهم.

وعن أيوب قال: قدم علينَا عِكْرمة فلم يزل يحدثني حتى صرت بالمِرْبَدْ[3] ثم قال: أيحسنُ حَسَنُكُم مثلَ هذا.

قال أبو عمر: وقد علم النَّاسُ أن الحَسَنَ البصري يحسن أشياء لا يحسنها عِكْرمة وإن كان عِكْرِمةَ مُقَدّماً عندهم في تفسير القرآن والسِّيَر.

وقيل لعروة بن الزبير: إنَّ ابن عباس يقول: إن رسول الله ﷺ لبثَ بمكَّة بَعْدَ أن بُعِثَ ثلاثَ عشرةَ سنة. فقال: كذب إنما أخذه من قول الشاعر.

قال أبو عمر: والشَّاعرُ هو أبو قيس صرمة بن أنس الأنصاري[4] ويقال ابن أبي أنس هو القائل:

ثَوَى في قُرَيْشٍ بِضْعَ عشْرَةَ حجةً ... يـذكّر لـو يلقى صَـدِيْقـاً مُـوَاتيـا

في شعر له وقد ذكرناه في «كتاب الصحابة» عند ذكر أبي قيس هذا[5].

---

(١) النَّوْك: الحمق. «اللسان» (نوك).

(٢) الهلالي، أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني، صدوق كثير الإرسال، مات بعد المئة. «التقريب» (٢٨٠).

(٣) المربد: اسم موضع في البصرة ذكرهُ «ياقوت» (٥/٩٧).

(٤) صحابي جليل، وكان ابن عباس يختلف إليه يأخذ عنه الشعر، وهذا البيت من أبيات قالها حين قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي مذكورة في: «أسد الغابة» [(٣/١٨) وترجمته في «الإصابة» الترجمة (٤٠٥٦)، و«الأعلام» (٣/٢٠٢)].

(٥) انظر «الاستيعاب» (٢/٧٣٧ ـ ٧٣٨) وفيه: «صديقاً مواسياً» (م).

وعن سعيد بن جُبَير أنَّه قالَ في العمرة: إنها واجبة. فقيل له: إنّ الشعبيَّ يقول: إنها ليست بواجبة فقال: كذب الشعبي.

وعن الحسن بن علي: أنه سئل عن قول الله جلَّ وعزَّ ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[1] فأجاب فيه. فقيل له: إنّ ابنَ عمر، وابنَ الزبير، قالا كذا وكذا خلاف قوله. فقال: كذبا.

وعن علي بن أبي طالب أنه قال: كذب المُغيرة بن شُعْبة.

وعن عُبَادة بن الصّامت أنه قال: كذب أبو محمد يعني في وجوبِ الوِتر، وأبو محمد هذا اسمه مسعود بن أوس أنصاري بدري قد ذكرناه في الصحابة، ونسبناه، وتكذيب عبادة له من رواية مالك وغيره في قصة الوتر.

واستشهد عبادة بقول رسول الله ﷺ: «خمسُ صَلَواتٍ كتبهنَّ الله على العباد»[2] الحديث.

وعن أيوب قال: سأل رجل سَعيدَ بن المسيّب عن رجل نذر نذراً لا ينبغي له من المعاصي، فأمره أن يوفي بنذره، فسأل الرَّجلُ عِكْرمة؛ فأمره أن يكفِّر عن يمينه ولا يوفي بنذره، فرجع الرجل إلى سعيد بن المسيب، فأخبره بقول عكرمة، فقال ابن المسيب: لينتهينَّ عكرمة أو ليوجِعَنَّ الأمراءُ ظهرَه، فرجع الرجل إلى عكرمة فأخبره فقال: عكرمة أما إذ بلَّغتني فبلِّغه أمّا هو فقد ضربت الأمراء ظهره، وأوقفوه في تبان من شعر، وَسَلْهُ عن نذرك، أطاعةٌ هو لله أم معصية، فإن قال هو طاعة، فقد كذب على الله، لأنه لا تكون معصية الله طاعة، وإن قال هو معصية فقد أمرك بمعصية الله.

قال المروزي: فلهذا كان بين سعيد بن المسيّب وبين عِكرمة ما كان، حتى قال فيه ما حكي عنه، أنه قال لغلامه بُرْد: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس.

---

(١) سورة البروج: الآية (٣).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٥٦) (م).

قال وكذلك كان كلامُ مالكٍ في محمد بن إسحاق لشيءٍ بلغه عنه تكلَّم به في نسبه.

قال أبو عمر: الكلام ما روينا من وجوه عن عبد الله بن إدريس أنّه قال: قدم علينا محمد بن إسحاق فذكرنا له شيئاً عن مالك، فقال: هاتوا علمَ مالك فأنا بيطارُه.

قال ابن إدريس فلمَّا قدمت المدينة ذكرت ذلك لمالك بن أنس فقال: ذلك دجَّال الدجَاجِلَة ونحن أخرجناه من المدينة.

قال ابن إدريس وما كنت سمعتُ بجمع دجَّال قبلها على ذلك الجمع.

وكان ابن إسحاق يقول فيه: إنّه مولى لبني تَيْم قريش. وقاله فيه ابن شهاب أيضاً، فكذَّب مالكُ ابنَ إسحاق لأنه أعلم بنسب نفسه، وإنما هم حلفاء لبني تَيْم في الجاهلية، وقد ذكرنا ذلك ذلك وأوْضَحْناه في صدر كتاب «التمهيد»، وربما كان تكذيب مالك لابن إسحاق في تشيُّعه، وما نسب إليه من القول بالقَدَر. وأما الصّدقُ والحفظُ فقد كان صدوقاً حافظاً، أثنى عليه ابنُ شهاب، ووثّقه شُعْبة والثَّوري وابن عُيَيْنَة وجماعةٌ جُلّة.

وقد روي عن مالك أنه قيل له: من أينَ قلت في محمد بن إسحاق: إنه كذاب؟ فقال: سمعت هشامَ بنَ عُرْوة يقوله. وهذا تقليد لا بُرْهَانَ عليه.

وقيل لهشام بن عُرْوَة: من أين قلت ذلك؟ قال: هو يَرْوي عن امرأتي، واللَّهِ ما رآها قطُّ.

وقال أحمد بن حنبل عند ذكر هذه الحكاية: قد يمكن ابن إسحاق أن يراها أو يسمع منها من وراء حجاب من حيثُ لم يعلمْ هشام.

وعن أحمد بن صالح قال: سألت عبدَ الله بن وهب عن عبدِ الله بن يزيد بن سَمْعان فقال: ثقة.

فقلت: إنّ مالكاً يقول فيه: كذَّاب. فقال: لا يقبل قولُ بعضِهم في بعض.

وعن علي بن خَشْرَم[1] قال: سمعت الفَضْل بنَ مُوسى[2] يقول: دخلت مع أبي حنيفة على الأعمش[3] نعودُه فقال أبو حنيفة: يا أبا محمّد لولا التَثْقيلُ عليك في عيادتك أو قال لعُدْتُك أكثر مما أعُودك.

فقال له الأعمش: والله إنَّك عليَّ لثقيلٌ وأنتَ في بيتك، فكيف إذا دخلت عليَّ؟.

قال الفضل: فلما خرجنا من عنده قال أبو حنيفة: إنّ الأعمشَ لم يصُمْ رمضان قطُّ، ولم يغتسل من جنابة.

فقلت للفَضْل: ما يعني بذلك؟ قال: كان الأعمشُ يرى الماءَ من الماءِ ويتسحّر على حديث حُذَيْفة.

وعن ابن وهب قال: قال مالكُ وذكر عنده أهل العراق فقال: أنزلوهم منكم منزلةَ أهل الكتاب، لا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم **﴿وَقُولُوا آمَنَّا بالّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهكم وَاحِدٌ﴾**[4] الآية.

وعن محمد بن الحَسَن أنّه دخلَ على مالك بن أنس يوماً فسمعه يقول هذه المقالة التي حكاها عنه ابن وهب في أهل العراق، ثم رفع رأسَهُ فنظر إليَّ فكأنه استحيا وقال: يا أبا عبد الله أكرَهُ أن تكونَ غِيْبة، كذلك أدركتُ أصحابَنا يقولون.

وقال سعيد بن مَنصور[5]: كنتُ عند مالك بن أنس فأقبل قومٌ من أهل العراق فقال: **﴿تَعْرِفُ فِيْ وَجُوهِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا المُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُون بالّذِيْنَ يَتْلُونَ عَلَيْهِم آيَاتِنَا﴾**[6].

(١) المروزي ثقة. مات سنة ٢٥٧ هـ وقيل بعدها. «التقريب» [٤٠١].

(٢) السِّيْنَاني المروزي ثقة ثبت، وربما أغرب. «التقريب» [٤٤٧].

(٣) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي الكوفة، ثقة حافظ عارف بالقراءة ورع ولكنه يدلّس. مات سنة ١٤٧ هـ وقيل أكثر. «التقريب» [٢٥٤].

(٤) سورة العنكبوت: الآية (٤٦).

(٥) الخراساني نزيل مكة ثقة مصنّف وكان لا يرجع عمّا في كتابه لشدّة وثوقه به. مات سنة ٢٢٧ هـ. «التقريب» [٢٤١].

(٦) سورة الحج: الآية (٧٢).

وعن جُبَيْر بن دينار قال: سمعتُ يحيى بن أبي كثير[1] قال: لا يزال أهلُ البصرة بشرٍّ ما أبقى الله فيهم قَتَادة.

قال: وسمعت قَتَادة يقولُ: متَى كان العلمُ في السَّمَّاكِيْنَ يعرِّضُ بيحيى بن أبي كثيرَ كان أهلُ بيته سَمَّاكين.

وعن سَلَمة بن سليمان[2] قال: قلت لابن المبارك: وضعتَ من رأيِ أبي حنيفة ولم تضعْ من رأي مالك، قال: لم أرَهُ عَلَماً.

وهذا مما ذكرنا مما لا يُسْمع من قولهم ولا يُلْتفت إليه ولا يُعرَّج عليه.

وعن عبد الله بن وهب قال: سئل مالكٌ عن مسألة فأجاب فيها فقال له السائل: إنَّ أهلَ الشَّام يخالفونَكَ فيها، فيقولون: كذا وكذا. فقال: ومتى كان هذا الشَّأْنُ بالشام؟ إنما هذا الشأن وقفٌ على أهلِ المدينة والكوفة، وهذا خلافُ ما تقدَّم من قوله في أهلِ الكُوفة وأهلِ العراق، وخلاف المعروف عنه من تفضيله للأَوْزاعي، وخلاف قوله في أبي حنيفة المذكور في الباب قبل هذا لأن شأن المسائل بالكوفة مدارةٌ على أبي حنيفة وأصحابه والثَّوري.

وقال عبدُ الله بن غانم قلت لمالك: إنا لم نكن نرى الصُّفرة ولا الكُدْرة شيئاً ولا نرى ذلك إلاَّ في الدَّم العَبِيْط. فقال مالك: وهل الصُّفْرة إلا دم، ثم قال إن هذا البلد إنما كان العمل فيه بالنبوَّة، وإن غيرهم إنما العمل فيهم بأمر الملوك.

وهذا من قوله أيضاً خلاف ما تقدم، وقد كان أهل العراق يُضِيْفُون إلى أهلِ المدينة أنَّ العملَ عندهم بأمر الأمراء مثل هشام بن إسماعيل المَخْزُومي في مدَّة وغيره، وهذا كلُّه تحامُلٌ من بعضهم على بعض.

وروينا أنَّ منصور بن عمَّار قصَّ يوماً على الناس، وأبو العتاهية حاضر، فقال: إنَّما سَرَقَ منصورٌ هذا الكلام من رجل كوفي، فبلغ قولُهُ منصوراً، فقال: أبو

(١) الطائي مولاهم اليمامي، ثقة لكن يدلس ويرسل، مات سنة ١٣٢ هـ. «التقريب» [٥٩٦].
(٢) المروزي ثقة حافظ، كان يورِّق لابن المبارك. مات سنة ٢٠٣ هـ. «التقريب» [٢٤٧].

العتاهية زنديق ما تَرَوْنَهُ لا يذكُرُ في شعره الجنَّةَ ولا النَّار؟ وإنّما يذكرُ الموتَ فقط. فبلغ ذلك أبا العتاهية فقال(١):

يا واعظَ النَّاسِ قد أصبحتَ مُتَّهماً ... إذْ عِبْتَ منهم أموراً أنتَ تأتيها
كالمُلْبس الثوبَ من عُريٍ وعورتُه ... للنَّاس باديةٌ ما إن يُواريها
وأعظمُ الإثم بعد الشرك نعلمُه ... في كلِّ نفسٍ عَمَاها عن مساويها
عرفانُها بعيوب النَّاس تُبْصرها ... منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى مات منصور بن عمّار فوقفَ أبو العتاهية على قبره وقال: يغفرُ اللَّهُ لك يا أبا السري ما كنت رميتَني به.

قال أبو عمر: قد تدبرتُ شعرَ أبي العتاهية عند جَمْعي له فوجدتُ فيه ذكرَ البعثِ والمجازاةِ والحسابِ والثّوابِ والعقاب(٢).

وعن الأصمعي، عن زهير بن إسحاق السّلولي إمام مسجد بني سَلُول، قال: ذكر سعيدُ بنُ أبي عَرُوبة عند سليمان التِّيمي، فقال سليمان: والله ما كنت أُجيز شهادةَ سعيد، ولا شهادة معلّمه يعني قَتَادة.

قال الأصمعي: من أجل القدر.

وعن يحيى بن يحيى قال: كنت آتي ابن القاسم فيقول لي: من أين؟ فأقول: من عند ابن وهب. فيقول: اللَّهَ اللَّهَ اتقِ اللَّهَ فإن أكثر هذه الأحاديث ليس عليها العمل، قال: ثم آتي ابن وهب فيقول لي: من أين؟ فأقول من عند ابن القاسم، فيقول: اتّقِ اللَّهَ فإنَّ أكثرَ هذه المسائل رأيٌ.

وذكر ابنُ وهب عن مالك قال: كان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم(٣)

---

(١) الديوان: ص (٤٢٥).

(٢) ابن عبد البر هو الذي جمع شعر أبي العتاهية، الزُّهدي والحكمي والوعظي. في مجلد حققه أحد الآباء اليسوعيين ونشره بعنوان «الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية». ثم نشر شعره كاملاً بعناية الدكتور شكري فيصل رحمه الله. وانظر «الأعلام» (٣٢١/١).

(٣) الأنصاري النجّاري بالنون والجيم، المدني، القاضي، اسمه وكنيته واحد، وقيل: إنه يكنى أبا محمد ثقة عابد، مات سنة ١٢٠ هـ وقيل غير ذلك. «التقريب» (٦٢٤).

يقول: إذا وجدتَ أهلَ المدينة مجتمعين على أمرٍ فلا تَشُكَّ أنّه الحقُّ، فرواية هذا وشبهه وكتابه أولى من رواية انطلاق الألسنة في أعراض أهل الديانات والفضل، ولكنَّ أولي الفَهْم قليلٌ والله المستعان.

وقد كان ابنُ مَعين عفا الله عنه يطلق في أعراض الثِّقات الأئمة لسانَه بأشياءَ أُنْكِرَتْ عليه.

منها قوله: عبد الملك بن مروان أَبْخَر الفم وكان رَجُلَ سُوء.

ومنها قوله: كان أبو عثمان النَّهدي[1] شرطيًّا.

ومنها قوله في الزُّهري: إنّه وليَ الخَراجَ لبعض بني أمية، وأنه فقدَ مرّةً مالاً فاتّهم به غلاماً له فضربه فمات من ضربه.

وذكر كلاماً خشناً في قَتْله على ذلك غلامه، تركتُ ذكره لأنَّه لا يليق بمثله.

ومنها قولُه في الأوزاعي: إنَّه كان من الجُنْد، وقال: حديثُ الأَوْزاعي عن الزُّهري ويحيى بن أبي كثير ليسَ يَثْبُت.

ومنها قوله في طاووس: إنَّه كان شيعياً ذكر ذلك كلَّه الأَزدي محمد بن الحسين الموصلّي الحافظ في الأخبار التي في آخر كتابه «في الضعفاء» عن الغَلاّبي عن ابن مُعين، وقد رواه مفترقاً جماعةٌ عن ابن مَعِين فيهم عبَّاسُ الدُّوري وغيره.

ومما نُقِمَ على ابن مَعين وعيبَ به أيضاً قوله في الشافعي: أنَّه ليسَ بثقة.

وقيل لأحمد بن حَنْبل: إن يحيى بن مُعين يتكلَّم في الشّافعي. فقال: أحمدُ من أين يعرف يحيى الشافعي، هو لايعرف الشافعي، ولا يقول ما يقول الشافعي أو نحو هذا، ومن جهلَ شيئاً عادَاهُ.

قال أبو عمر: صدق أحمد بنُ حنبل رحمه الله إن ابن مَعين كان لا يعرف ما يقول الشافعي.

(١) واسمه عبد الرحمن بن مُلّ مشهور بكنيته مخضرم، ثقة، ثبت، عابد. مات سنة ٩٥ هـ. «التقريب» [٣٥١].

وقد حكي عن ابن مَعين أنّه سُئِلَ عن مسألة من التَّيمُّمِ فلم يعرفْها.

ولقد أحسن أَكثمُ بنُ صَيْفي في قوله: ويلٌ لعالمِ أمرٍ من جاهلِهِ، من جَهلَ شيئاً عاداه، ومن أحب شيئاً استعبده.

وعن أحمد بن زُهَيْر، قال: سئل يحيى بن مَعين وأنا حاضرٌ عن رجلٍ خَيَّر امرأتَهُ فاختارت نَفْسَها، فقال: سَلْ عن هذا أهل العلم.

وقد كان عبدُ الله الأمير بن عبد الرحمن بن محمد الناصر يقول: إنَّ ابنَ وضَّاح كذَبَ على ابن مَعين في حكايته عنه أنه سأله عن الشافعي فقال: ليس بثقة، وزعم عبدُ الله أنه رأى أصْلَ ابنَ وضّاح[1] الذي كتبه بالمشرق وفيه سألتُ يحيى بن مَعين عن الشافعي فقال: هو ثِقَةٌ. قال: وكان ابنُ وضَّاحٍ يقول ليس بثقة. فكان عبدُ الله الأمير يحملُ على ابن وضّاح في ذلك.

وكان خالد بن سَعْد يقول: إنما سألَهُ ابنُ وضاح عن إبراهيم بن محمد الشّافعي، ولم يسأله عن محمد بن إدريس الشافعي الفقيه. وهذا كله عندي تخرُّص وتكلُّم على الهوى، وقد صَحَّ عن ابن مَعين من طُرُقٍ أنه كان يتكلَّم في الشافعي على ما قدمت لك، حتى نهاه أحمدُ بن حَنْبل، وقال له: لم ترَ عَيْنَاك قطُّ مثل الشافعي.

وقد تكلَّم ابنُ أبي ذِئْب[2] في مالك بن أنس بكلام فيه جفاءٌ وخشونةٌ كرهت ذكره وهو مشهورٌ عنه، قاله إنكاراً منه لقول مالك في حديث البيّعين بالخيار، وكان إبراهيم بن سعد يتكلّم فيه، وكان إبراهيم بن أبي يحيى يدعو عليه.

وتكلم في مالك أيضاً فيما ذكره السَّاجي[3] في «كتاب العلل» عبدُ العزيز بن

---

(١) محمد بن وضّاح أبو عبد الله، مولى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، محدث من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق، وأخذ عن كثير من العلماء. مات سنة ٢٨٦ هـ. «لسان الميزان» (٥/٤١٦) و«الأعلام» (١٣٣/٧).

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب القرشي العامري، أبو الحارث، ثقة فقيه فاضل. مات سنة ١٥٨ هـ. «التقريب» (٤٩٣).

(٣) زكريا بن يحيى بن خلّاد الساجي البصري ثقة فقيه. له كتاب علل الحديث. مات سنة ٣٠٧ هـ. =

أبي سلمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن إسحاق وابن أبي يحيى وابن أبي الزناد وعابُوا أشياء من مذهب وتكلم فيه غيرهم لتركه الرواية عن سعد بن إبراهيم، وروايته عن داود بن الحُصَيْن، وثَوْر بن زيد، وتحاملَ عليه الشافعيُّ وبعضُ أصحاب أبي حنيفة في شيء من رأيه حَسَداً لموضع إمامته، وعابه قوم في إنكاره المسحَ على الخفين، في الحضَرِ والسَّفَر، وفي كلامه في عليّ وعثمان، وفي فتياه بإتيان النساء في الأعجاز، وفي قعوده عن مشاهدة الجماعة في مسجد رسول الله ﷺ، ونسبوه بذلك إلى ما لا يحسن ذكره، وقد برَّأ الله عز وجل مالكاً عما قالوا وكان عند الله وجيهاً. وما مثل من تكلم في مالك والشّافعي ونظرائهما من الأئمة إلّا كما قالَ الأعشى(١):

كناطحٍ صخرةً يوماً ليفلقَها فلم يُضِرْها وأوهى قرنَه الوعِلُ

وقال الحسين بن حُمَيْد:

يا ناطحَ الجبلَ العالي ليكلِمَهُ اشفق على الرأس لا تُشْفِق على الجبل

وكلام ابن أبي الزناد في ربيعة هو من هذا الباب أيضاً.

ولقد أحسَنَ أبو العتاهية حيث يقول:

وَمَنْ ذا الذي ينجُو من النّاس سالماً وللنّاس قالٌ بالظُّنون وقيلُ(٢)

وهذا خيرٌ من قول القائل:

فما اعتذارك في شيء إذا قيلا.

فقد رأينا البغيَ والحسدَ والباطلَ أسرَعَ النّاس إليه قديماً.

ألا ترى إلى قول الكوفي في سعد بن أبي وقاص: إنه لا يعدل في الرعية،

= «التقريب» (٢١٦)، «تذكرة الحفاظ» (٢/٧٠٩)، «الحث على حفظ العلم» (٧٦) التعليق ٤٠ و«الأعلام» (٣/٤٧).

(١) مَيْمُون بن قَيْس. شاعر جاهلي مشهور. «معجم الشعراء» للمرزباني (٤٠١) والبيت من الأبيات الدائرة في كتب اللغة والأمثال. وهو في «الديوان» (١١١) تحقيق الأستاذ محمد محمد حسين.

(٢) «الديوان» (٣١٧).

ولا يغزو في السرية، ولا يقسم بالسويّة. وسعد بدري، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحدُ الستة الذين جعل عمر بن الخطاب الشورى فيهم، وقال: توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ.

(قف على سؤال سيدنا موسى لربه)

وقد رُويَ أن موسى ﷺ قال: يا رب إقطع عني ألسُن بني إسرائيل فأوحى الله إليه: يا موسى لم أقطعها عن نفسي فكيف أقطعُها عنك.

قال أبو عمر: لقد تجاوزَ النَّاسُ الحدَّ في الغيبة والذم فلم يقنعوا بذم العامة دون الخاصة، ولا بذم الجهّال دون العلماء، وهذا كله يحمل عليه الجهل والحسد.

قيل لابن المبارك فلانٌ يتكلَّمُ في أبي حنيفة فأنشد بيت ابن الرُّقيّات[1]:

حَسَداً إذْ رأوْك فضَّلك اللّـ ـ ـهُ بمَا فُضلَتْ به النجباءُ

وقيل لأبي عاصم النبيل: فلان يتكلَّم في أبي حنيفة، فقال: هو كما قال نُصَيب[2]:

(سَلِمْتُ وهَلْ حيٌّ على النَّاسِ يَسْلَمُ).

وقال أبو الأسود الدؤلي:

حَسَدُوا الفتى إذْ لم ينالوا سَعْيَه فالنَّاسُ أعداءٌ له وخُصُومُ

فمن أراد أن يقبلَ قولَ العلماء الثّقات الأئمة الأثْبَات بعضهم في بعض، فليقبل قول من ذكرنا قولَهُ من الصَّحابة رضوان الله عليهم بعضهم في بعض، فإن فعل ذلك ضلّ ضلالاً بعيداً وخسرَ خسراناً مبيناً، وكذلك إن قبل في سعيد بن

(١) هذا لقب عبيد الله بن قيس، شاعر قريش، والرقيات اسم محبوبات له شبّب بهن في شعره وهن بنات عم له واحدة اسمها رُقية. مات في دولة بني أمية. [«الشعر والشعراء» (٥٣٩) والبيت في «الديوان» ص (٩١) من قصيدته التي يمدح بها مصعب بن الزبير ويفخر بقريش. وفي الأصل «حسدوك أنْ»].

(٢) نُصيب بن رباح، شاعر عبد أسود لرجل من أهل وادي القرى، فكاتب على نفسه، من شعراء الدولة الأموية. «الشعر والشعراء» (٤١٠) و«الأغاني» (٣٢٤/١) وما بعدها.

المسيَّب قول عِكْرمة وفي الشَّعبي والنَّخعي، وأهل الحجاز، وأهل مكة، وأهل الكوفة، وأهل الشام، على الجملة وفي مالك، والشافعي، وسائر من ذكرنا في هذا الباب ما ذكرنا عن بعضهم في بعض، فإن لم يفعل ـ ولن يفعل إنْ هداه الله وألهمه رشده ـ فليقفْ عندما شرطنا في أنْ لَا يقبلَ فيمن صحّت عدالتُهُ، وعلمتْ بالعلم عنايتُه، وسلم من الكبائر، ولزم المروءة والتعاون، وكان خيره غالباً، وشره أقلَّ من عمله، فهذا لا يقبلُ فيه قول قائل لا برهان له به، فهذا هو الحق الذي لا يصح غيره ـ إن شاء الله ـ.

قال أبو العتاهية[1]:

بَكَى شَجْوَهُ الإسلامُ من عُلَمَائِهِ فَمَا اكْتَرَثُوا لِمَا رَأَوْا من بُكائهِ
فـأكثَرُهُمْ مستقبحٌ لَصَوَابِ مَنْ يخـالِفُـهُ مُسْتَحْسِنٌ لِخَـطائـهِ
فـأيُّهم المـرجـوُّ فينَـا لـدينِـهِ وأيُّهمُ المـوثـوقُ فينَـا بـرائِـهِ

والذين أثْنَوْا على سعيد بن المُسَيِّب وعلى سائر من ذكرنا من التابعين وأئمة المسلمين أكثرُ من أن يُحصَوْا، وقد جمعَ النَّاسُ فضائلهم وعُنُوا بسيرهم وأخبارهم، فمن قرأ فضائل مالك، وفضائل الشافعي، وفضائل أبي حنيفـة، بعد فضـائل الصحابة والتَّابعين وعُني بها، ووقف على كريم سيرهم، وسعى في الاقتداء بهم، وسلوك سبيلهم في عملهم، وسمتهم وهديهم، كان ذلك له عملاً زاكياً نَفَعَنَا اللَّهُ بحب جميعهم.

قال الثَّوْريّ ـ رحمه الله ـ عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة.

ومن لم يحفظ من أخبارهم إلا ما بدَرَ من بعضهم في بعض على الحَسَدِ والهَفَواتِ والغَضَبِ والشَّهَوات، دون أن يُعنى بفضائلهم حُرم التَّوفيقَ ودخل في الغِيْبَةِ وحاد عن الطريق جعلنا اللَّهُ وإيَّاك ممن يَسْمَعُ القول فيتَّبعُ أحسَنَهُ[2].

(١) «ديوان أبي العتاهية» ص (٥).
(٢) وفي الحقيقة لا يوجد لأهل العلم حلية كالإنصاف والاعتراف بما عليه الإنسان، ولذا ينبغي أن لا يتهجم الإنسان على ذوي الفضل بغير حق وأن لا يسمع قول أعدائهم فيهم، وإن كانوا من الفضلاء =

وقد افتتحنا هذا الباب بقوله ﷺ: «دَبَّ إليكُم داءُ الأمم قبلكم الحسَدُ والبَغْضَاءُ»(١).

وفي ذلك كفاية وقد أكثرَ النَّاسُ من القول في الحسَدَ نَظْماً ونثراً وقد بيَّنا ما يجبُ بيانهُ من ذلك، وأوضحناه في كتاب «التمهيد» عند قوله ﷺ: «لا تحاسَدُوا ولا تقاطَعُوا»(٢).

(قف على أن من صحبه التوفيق أغناه) ومن صحبَه التوفيقُ أغْنَاهُ من الحكمة يسيرها، ومن المواعظ قليلها، إذا فهم واستعمل ما علم، وما توفيقي إلا بالله وهو حسبي ونعم الوكيل.

وعن محمد بن أبي بكر بن داسَّة قال: سمعتُ أبَا دَاود سُلَيْمان بن الأشعث السَّجْستاني يقول: رحمَ اللَّهُ مالِكاً كان إماماً رحمَ اللَّهُ الشَّافعي كان إماماً، رحمَ اللَّهُ أبا حنيفة كان إماماً.

* * *

بـــابُ
تدافُعِ الفَتْوى وذمِّ من سارَعَ إلَيْها

عن عطَاء بن السائب، عن عبد الرّحمن بن أبي ليلى(٣)، قـال: أدركتُ عشرينَ ومئةً من أصحاب رسول الله ﷺ أُرَاه قال في المسجد فما كان منهم محدِّث إلا ودَّ أنّ أخاهُ كفَاهُ الحديث، ولا مفتٍ إلا ودَّ أنَّ أخاهُ كفاه الفُتْيا.

= إلا ببرهان واضح كما بينه المصنف رحمه الله، ويعجبني بيتان سمعتهما في بيروت من شيخنا العلامة الشيخ حسن الغزي الأدهم رحمة الله عليه وهما:

ومـا عبَّـرَ الإنســانُ عن فضْـل نفســه بمثـلِ اعتقـادِ الفَـضْل في كـلِّ فاضِـلِ
وليسَ من الإنْصـافِ أنْ يـدفـَعَ الفَتَى يَـدَ النَّقْصِ عَنْه بـانتقـاصِ الأفَـاضِـلِ

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٦٢) (م).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٦٣) (م).

(٣) المدني الأنصاري، ثم الكوفي، ثقة، اختلف في سماعه من عمر، مات بوقعة الجماجم، سنة ٨٣ هـ. قيل: إنه غرق. «التقريب» (٣٤٩).

وعن ابن شُبْرُمة قال: قال ابن مسعود لتميم بن حَذْلم[1]: يا تميمُ بنُ حَذْلم إنِ اسْتَطعتَ أن تكونَ المحدِّثَ فافعل.

وعن معاوية بن أبي عيّاش، أنه كان جالساً عند عبد الله بن الزُّبير، وعاصم بن عمر. قال: فجاءهما محمدُ بنُ إياس بن البُكَيْر فقال: إن رجلاً من أهل البادية طلّق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخلَ بها. فماذا تريان؟ فقال عبدُ الله بن الزبير: إن هذا الأمر ما لَنَا فيه قولٌ، فاذهب إلى عبدِ اللَّهِ بن عباس وأبي هريرة فإنّي تركتُهما عندَ عائشة زوج النبي ﷺ فَسَلْهم، ثم ائتنا فأخبرنا. فذهبَ فسألهما، فقال ابنُ عباس لأبي هريرة: أفته يا أبا هريرة، فقد جَاءَتْكَ مُعْضِلَة. فقال أبو هريرة: الواحدة تبينها والثلاث تحرِّمُها حتى تنكح زوجاً غيره. وعن يحيى بن سعيد قال: قال ابنُ عباس: إنَّ من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه لمجنون. ورواه ابن وهب عن مالك قال: بَلَغَني عن عبد الله بن عباس فذكره، قال مالك: وبلَغَني عن ابن مسعود مثلُ ذلك.

وعن محمد بن سُليمان المُرَادي عن شيخ من أهل المدينة يكنى أبا إسحاق قال: كنتُ أرى الرجلَ في ذلك الزمان وإنّه ليدخلُ يسألُ عن الشيء فيدفعُه النّاس من مجلسٍ إلى مجلس حتّى يدفعَ إلى مجلس سعيد بن المسيَّب كراهية الفتيا وكانوا يدعون سعيد بن المسيَّب الجريءَ.

وعن ابن عَوْن قال: كنت جالساً في حلقة فيها القاسم بن محمد فجاءه رجل، ومعه جارية، فقال: إني أعتقتُ هذه الجارية عن دُبُر مني[2] فولدت أولاداً أفأبيعُ من أولادها شيئاً؟ فقال القاسم: ما أدري هذا. فقال رجل في المجلس: قضى عمر بنُ عبدِ العزيز أنَّ أولادَها بمنزلتها إذا أُعْتِقَت أُعتِقُوا بعِتْقها.

فقال القاسم: ما أرى رأيه إلا معتدلاً وهذا رأي، وما أقول: إنه الحق.

وعن أحمد بن أبي سليمان قال: سمعت سَحْنُون بن سعيد يقول: أجسرُ

---

(١) «حذيم» في المختصر و«حزلم» بالزاي في الأصل. وأثبت ما في «التقريب» (١٣٠) وهو: الضبيّ، أبو سَلمة الكوفي، من الثانية.

(٢) **أي قال لها: أنت حرة بعد موتي، وهو التدبير. «لسان العرب» [دبر].**

النَّاسِ على الفُتْيا أقلُهم عِلْماً يكون عند الرجل البابُ الواحدُ من العلم فيظنُّ أنَّ الحقَّ كلَّه فيه.

قال سَحْنُون: إنّي لأحفظُ مسائلَ منها ما فيه ثمانيةُ أقوالٍ من ثمانيةِ أئمةٍ من العلماء فكيف ينبغي أن أعجلَ بالجواب حتى أتخيَّر، فلِمَ أُلام على حبسي الجواب؟! وعن سفيان بن عيينة قال: أجسَرُ النَّاس على الفتيا أقلُّهم علْماً.

وقال أبو العتاهية:

أَقَـلُّ النَّـاسِ للعـلم ادّعـاءً أقلُّهم بِفَهْـم العِـلْمِ نَفْـعَـا[1]

قال ابن وهب وأخبرنا موسى بن علي: أنّه سأل ابنَ شهابٍ عن شيء. فقال ابنُ شهاب: ما سمعتُ فيه بشيء وما نَزَلَ بنا. فقلت: إنه قد نزل لبعض إخوانك، قال: ما سمعت فيه بشيء وما نزل بنا.

وعن محمد بن سيرين قال: قال حُذَيْفة إنما يفتي النَّاسَ أحدُ ثلاثة؛ رجلٌ يعلم ناسخَ القرآن ومنسوخَهُ، وأميرٌ لا يجدُ بدّاً، وأحمقُ متكلِّف.

قال ابنُ سيرين: فأنا لستُ بأحدِ هذين، وأرجو أن لا أكونَ أحمقَ متكلفاً.

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: سمعتُ أبا المنهال قال: سألتُ زيدَ بنَ أَرْقم والبَراءَ بن عازب عن الصَّرْف فجعلَ كلَّما سألت أحدهما قال: سل الآخر، فإنّهُ خيرٌ مني، وأعلمُ منِّي، وذكر الحديث في الصَّرْف.

وقال سَحْنون يوماً إنّا لله ما أشقى المُفْتي والحاكم! ثم قال: ها أنا ذا يُتَعَلَّمُ مني ما تُضْرَبُ به الرِّقاب وتُوطَأُ به الفروج وتُؤْخَذُ به الحقوق، أما كنتُ عن هذا غنياً.

وقالَ أبو عثمانَ بنُ الحدَّاد: القاضي أيسرُ مأثماً وأقربُ إلى السَّلامة من الفقيه، لأنّ الفقيهَ من شَأْنه إصدارُ ما يرد عليه من ساعته بما حضره من القول

---

(١) «الديوان» (٢٣٠).

والقاضي شأنهُ الأَنَاة والتثبُّت ومن تأنّى وتثبَّتَ تهيَّأَ له من الصواب ما لا يتهيَّأُ لصاحب البديهة.

* *

بـــاب رُتَب الطلب والنصيحةِ في المَذْهب

قال أبو عمر: طلبُ العلمِ درجاتٌ ومناقلُ ورتَبٌ لا ينبغي تعدِّيْها، ومَنْ تعدَّاها جملةً فقد تعدَّى سبيلَ السَّلَفِ ـ رحمهم الله ـ ومن تعدَّى سبيلَهُم عامدَاً ضلَّ ومن تعدَّاه مجتهداً زَلَّ، فأوَّلُ العلم حفظُ كتابِ اللَّه جـلَّ وعزَّ وتفهُّمُه، وكل ما يُعين على فهمه فواجبٌ طلبُه، معَه، ولا أقول: إنَّ حفْظَه كلَّه فرضٌ، ولكنْ أقولُ إنَّ ذلك واجبٌ لازمٌ على من أحبَّ أن يكونَ عالماً فقيهاً ناصباً نفسه للعلم ليسَ من باب الفرض.

وعن مَيْمون أبي عبد الله عن الضحَّاك في قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُم تُعَلِّمُونَ﴾[1] قال: حقٌ على كلِّ من تعلَّم القرآنَ أن يكونَ فقيهاً، وقد تقدَّم قول أبي الدرداء: لن تفقَهَ كلَّ الفقه حتى ترى القرآن وجوهاً. وقال مجاهدٌ: ربانيين: فقهاء.

وقال سعيد بن جبير وأبو رَزِيْن وقَتَادة: علماء حكماء[2].

قال أبو عمر: القرآن أصلُ العلم فمن حفظَه قبلَ بلوغِه، ثمَّ فَرَغَ إلى ما يستعين به على فهمه من لسان العربِ كان له ذلك عَوْناً كبيراً على مرادِهِ منه، ومن سُنَنِ رسول الله ﷺ، ثم ينظرُ في ناسخِ القرآنِ ومَنْسُوخِهِ وأحكامِهِ، ويقفُ على اختلاف العلماء واتِّفَاقهم في ذلك وهو أمرٌ قريبٌ على من قرَّبه الله عليه، ثم ينظرُ في السُّنَنِ المأثورة الثَّابتة عن رسول الله ﷺ، فيها يصلُ الطَّالبُ إلى مُرادِ اللَّهَ جلَّ وعزَّ في كتابه، وهي تفتحُ له أحكامَ القرآن فتحاً، وفي سَيرِ رسول الله ﷺ تنبيهٌ على كثيرٍ من النَّاسِخِ والمَنْسُوخِ في السُّنَنِ، ومن طلب السُّنَنَ فَليكُنْ معوَّلُه على حديثِ

(١) سورة آل عمران: الآية (٧٩).
(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١٢٢/٤).

الأئمة الثِّقات الحفَّاظ الذين جعلَهُم اللَّه خـزائنَ لعلم دِيْنه وأُمنـاءَ على سُنَنِ رَسُولِه ﷺ، كمالك بن أَنَسٍ الذي قد اتفق المسلمونَ طُرَّاً على صِحَّة نَقْله، ونقاوَةِ حديثِهِ، وشدَّةِ توقِّيه، وانتقاده، ومن جرَىٰ مَجْراه من ثقـات علماء الحجـاز، والعراق، والشام، كشعبـةَ بنَ الحجَّاج[1]، وسفيـان الثوري، والأوزاعي، وابن عُيَيْنَةَ، ومَعْمر، وسائر أصحاب ابن شهاب الثقات، كابن جريج، وعقيل ويونس، وشعيب، والزُّبيدي، واللَّيث، وحديث هؤلاء عند ابن وهب وغيره، وكذلك حديث حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، ويحيى بن سعيد القطان، وابن المبارك، وأمثالهم من أهل الثِّقة والأمانة، فهؤلاء كلُّهم أئمةُ حديث وعلمٍ عند الجميع، وعلى حديثهم اعتمد المصنِّفون للسُّنَنِ الصِّحاح كالبُخَاريّ[2]، ومسلمٍ[3]، وأبي داود[4]، والنَّسَائي[5]، ومن سَلَكَ سبيلَهم كالعقَيْلي والتِّرمذي[6]، وابن السَّكَن، ومن لا يُحصى كثرة، وإنَّما صارَ مالكُ ومن ذَكَرْنا معه أئمةً عند الجميع؛ لأنَّ علمَ الصَّحابة والتَّابعين في أقطار الأرض انتهى إليهم، لبحثهم عنه - رحمهم الله -.

والذي يشذُّ عنهم يسيرٌ نَذْرٌ في جَنْب ما عندهم.

وعن أبي قلَابة عبد الملك بن محمد الرَّقَاشي قال: سمعْتُ علي بن المديني يقول: دارَ علمُ الثِّقات على ستةٍ اثنيـن بالحجَاز، واثنين بالكوفة، واثنين بالبصرة.

---

(١) العتكي مولاهم البصري، ثقة حافظ، متقن كان الثوري يقول هو أمير المؤمنين في الحديث وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال وذبّ عن السنّة. مات سنة ١٦٠ هـ. «التقريب» [٢٦٦].

(٢) هو محمد بن إسماعيل الجعفي، جبل الحفظ وإمام الدنيا في ثقة الحديث. مات سنة ٢٥٦ هـ. «التقريب» [٢٥٦].

(٣) ابن الحجاج القشيري النيسابوري، ثقة حافظ إمام جليل مات سنة (٢٦١) هـ «التقريب» [٥٢٩].

(٤) سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أحد حفاظ الحديث الإمام الرحالة الجليل، صاحب «السنن». مات سنة ٢٥٧ هـ. «ابن خلكان» [٢/ ٤٠٤ و«التقريب» ٢٥٠].

(٥) هو أحمد بن علي بن شعيب الحافظ، إمام عصره في الحديث وله كتاب السنن، وسكن بمصر وانتشرت بها تصانيفه. قال الدارقطني: توفي بمكة سنة ٣٠٣ هـ. وقيل: بالرملة. «ابن خلكان» [١/ ٧٧].

(٦) هو محمد بن عيسى بن سَوْرة السلمي، صاحِبُ «الجامع»، أحد الأئمة ثقة، حافظ، مات سنة ٢٧٩ هـ. «التقريب» [٥٠٠].

فأما اللَّذان بالحجاز فالزُّهري وعَمْرُو بن دينار[1].

واللَّذان بالكوفَةِ أبو إسحاق السَّبيعي[2] والأعمش.

واللَّذان بالبَصْرة قَتَادة ويَحْيى بن أبي كثير.

ثم دار علم هؤلاء على ثلاثةَ عشرَ رجلًا: ثلاثةٍ بالحجاز، وثلاثةٍ بالكوفة وخمسةٍ بالبَصْرة وواحدٍ بواسط وواحدٍ بالشام.

فالذَيْن بالحجاز: ابنُ جُرَيْج ومالِكُ ومحمد بن إسحاق[3].

والّـذيْن بالكوفة سُفْيان الثَّوْري وإسرائيلُ وابنُ عُيَيْنَة.

والّـذيْن بالبصرة شُعْبَةَ وسعيدُ بن أبي عَرُوبة وهشام الدَّسْتَوائي[4]، ومَعْمَر، وحمَّاد بن سَلَمة.

والذي بواسط هُشَيْم[5].

والذي بالشّام الأوْزَاعي.

قال أبو عمر: لم يُذْكَرْ حمَّادُ بنُ زيدٍ فيهم لأنَّه لم يكن له استنباط في علمِه وحمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، وشُعْبَةُ مثله. وذِكرُ شُعْبة في البصريين وهو واسِطيٌّ قَدْ سَكَنَ البَصْرة.

(قف على ما يستعان به على فهم الحديث) وممَّا يُسْتعان به على فهم الحديث ما ذكرناه من العَوْن على كتاب الله، وهو العلم بلسان العرب ومواقعِ كلامها، وسعةِ لغتها وأشعارها ومجازِها، وعمومِ لفظ مخاطبتها وخصوصه وسائر مذاهبها لمن قَدِر، فَهو شيءٌ لا يُسْتغنى عنه.

---

(١) أبو محمد الأثرم الجمحي مولاهم، ثقة ثبت. مات سنة ١٢٦ هـ. «التقريب» [٤٢١].

(٢) هو عمر [و] بن عبد الله الهمداني مكثر، ثقة عابد، اختلط بأخرة: مات سنة ١٢٩ هـ. «التقريب» [٤٢٣].

(٣) ابن يسار المُطَّلبي مولاهم، المدني، نزيل العراق، إمام المغازي صدوق، يدلس، ورمي بالتشيّع والقدر. مات سنة ١٥٠ هـ. «التقريب» [٤٦٧].

(٤) ابن [أبي] عبد الله سَنْبَر البصري، ثقة وقد رمي بالقدر. مات سنة ١٥٠ هـ. «التقريب» [٥٧٣].

(٥) ابن بشر بن القاسم بن دينار السلمي الواسطي ثقة ثبت، كثير التدليس والإرسال الحنفي. مات سنة ١٨٣ هـ. «التقريب» [٥٧٤].

وكان عمر بن الخطَاب ـ رضي الله عنه ـ يكتب إلى الآفاق: أن يتعلَّموا السُّنَّةَ والفرائِضَ واللَّحن، يعني النَّحْو كما يُتَعلَّمُ القرآنُ، وقد تقدم ذكر هذا الخبر عنه فيما سَلَفَ من كتابنا.

وعن عاصم الأحول: عن أبي عثمان، قال: كان في كتاب عُمَرَ تعلَّموا العربيةَ.

وعن عمرَ بن زيد قال: كتب عمرُ إلى أبي موسى: أما بعد فتفقَّهوا في السُّنَّةِ وتفقَّهوا في العربية.

وعن نافع، عن ابنِ عمرَ أنه كان يضربُ ولدَهُ على اللَّحنِ. وقال الشعبيُّ: النَّحْوُ في العلم كالمِلْح في الطَّعام لا يستغنى عنه، وقال شُعْبة: مَثَلُ الذي يَتَعلَّمُ الحديثَ ولا يتعلَّمُ النَّحْوَ مثل برنُسٍ لا رأسَ له.

وقال الخليل بن أحمد:

أيُّ شيء من اللِّباس على ذي الـ ـ سرِّ وأبهى من اللسان البهيّ
ينظمُ الحجَّة الشتيتة في السِّلـ ـلك من القول مثل عقد الهديّ
وترى اللَّحن بالحسيب أخي الهيـ ـئة مثلَ الصَدَى المشرفيّ
فاطلب النَّحوَ للحِجَاج وللشِّعْـ ـر مقيماً والمُسْند المرويّ
والخطابُ البليغُ عند جواب الـ ـقَوْل يُزهى بمثله في النديّ

وعن الرّبيع بن سليمانَ قال: سمعتُ الشَّافعيّ محمد بن إدريس يقول: من حفظَ القرآنَ عظُمَت قيمتُه، ومن طلب الفقْهَ نَبُلَ قَدْرُه، ومن كتب الحديث قويتْ حُجَّتُه، ومن نظر في النحو رقَ طبعه، ومن لم يَصُنْ نفسَه لم يصُنْه العلم.

ويلزمُ صاحبَ الحديثِ أن يعرفَ الصَّحابَةَ المؤدِّين للدِّين عن نبيِّهم ﷺ، ويُعْنىٰ بسيرهم، ويعرفُ أحوالَ الناقلين عنهم وأيامَهم وأخبارَهم، حتى يقفَ على العدول منهم من غير العُدول، وهو أمر قريبٌ كلُّه على من اجتهد فمن اقتصر على علم إمام واحدٍ وحفظَ ما كَان عنده من السنن ووقف على غرضه وقصدِه في الفتوى حصل على نصيبٍ من العلم وافر، وحظٍ منه حسن صالح، فمن قنع بهذا

اكتفى، والكفايةُ غيرُ الغنى، والاختيارُ له أن يجعلَ إمامَه في ذلك إمام أهل المدينة دار الهجرة ومعدن السُّنّة ومن طلب الإمامة في الدِّين وأحبَّ أن يسلك سبيل الذين جاز لهَم الفتيا نظر في أقاويل الصحابة والتابعين، والأئمة في الفقه، إن قدر على ذلك نأمرُه بذلك كما أمَرْنَاه بالنَّظَر في أقاويلهم في تفسير القرآن فمن أحب الاقتصار على أقاويل علماء الحجاز اكتفى واهتدى إن شاء الله، وإن أحب الإشراف على مذاهب الفقهاء متقدِّميهم ومتأخّريهم بالحجاز والعراق وأحبَّ الوقوفَ على ما أخذوا وتركوا من السُّنَن، وما اختلفوا في تثبيته وتأويله من الكتاب والسنة، كان ذلك مباحاً ووجهاً محموداً، إن فهم وضبط ما علم، أو سلم من التخليط نال درجة رفيعة، ووصل إلى جسيم من العلم واتسع ونبل إذا فهم ما اطلع، وبهذا يحصل الرسوخ لمن فقّهه الله وصبر على هذا الشأن واستحلى مرارته واحتملَ ضيقَ المعيشة فيه.

(قف على قول أبي عمر في طلاب العلم في زمنه)

واعلم ـ رحمك الله ـ أنَّ طلبَ العلم في زماننا هذا وفي بلدنا قد حادَ أهلُه عن طريق سلَفِهم، وسَلَكُوا في ذلك ما لم يعرفه أئمتهم، وابتدَعُوا في ذلك ما بان به جهلهم وتقصيرهم عن مراتب العلماء قبلهم، فطائفةٌ منهم تروي الحديث وتسمعُه، قد رضيت بالدُّؤوب في جمع ما لا تفهم، وقنعت بالجهل في حمل ما لا تعلم، فجمعوا الغثَّ والسَّمين، والصحيح والسقيم، والحق والكذب، في كتاب واحد وربما في ورقة واحدة ويدينون بالشيء وضدِّه، ولا يعرفون ما في ذلك عليهم قد شَغَلُوا أنفسهم بالاستكثار! عن التدبر والاعتبار، فألسنتهُم تروي العلمَ، وقلوبُهم قد خَلَت من الفَهْم، غايةُ أحدِهم معرفةُ الكتب الغريبة والاسم الغريب أو الحديث المنكر وتجدُه قد جهل ما لا يكاد يسع أحداً جهله، من علم صلاتِه وحجِّه، وصيامِه وزكاتِه، وطائفة هي في الجهل كتلك أو أشدَّ لم يُعْنَوْا بحفظ سنة، ولا الوقوف على معانيها، ولا بأصلٍ من القرآن، ولا اعتنَوْا بكتاب الله جل وعز فحفظوا تنزيله، وعرفوا ما لِلُعَلماء في تأويله، ولا وقفوا على أحكامه ولا تفقهوا في حلاله وحرامه، قد اطّرحوا علم السُّنَن والآثار، وَزَهِدُوا فيهما وأضربوا عنهما فلم يعرفوا الإجماع من الاختلاف، ولا فرّقوا بين التنازع والائتلاف، بل عوَّلوا على حفظ ما دوّن لهم

من الرأي والاستحسان الذي كانَ عند العُلَماء آخر العلم والبيان، وكان الأئمة يبكون على ما سلف، وسبق لهم فيه ويودون أن حظَّهم السلامة منه.

ومن حجة هذه الطائفة فيما عوَّلوا عليه من ذلك أنهم يقصِّرون وينزلون عن مراتب من له القول في الدين لجهلهم بأصوله، وإنهم مع الحاجة إليهم لا يستغنون عن أجوبة النَّاس في مسائلهم وأحكامهم. فلذلك اعتمدوا على ما قَدْ كفاهم الجوابُ فيه غيرهم، وهم مع ذلك لا ينفكُّون عن ورود النَّوازِل عَلَيْهم فيما لم يتقدمهم إلى الجواب غيرهم، فهم يقيسون على ما حفظوا من تلك المسائل، ويفرضون الأحكام فيها، ويستدلون منها ويتركون طريق الاستدلال من حيث استدلَّ الأئمةُ وعلماءُ الأمة، فجعلوا ما يحتاج أن يُسْتَدلَّ عليه دليلاً على غيره، ولو علموا أُصولَ الدّين وطريقَ الأَحكام وحفظوا السُّنَنَ، كان ذلك قوةً لهم على ما ينزل بهم، ولكنهم جهلوا ذلك فعادُوه، وعادوا صاحبَه، فهم يُفْرِطُون في انتقاص الطائفة الأولى وتجهيلها وعيبها، وتلك تعيبُ هذه بضروبٍ من العيب، وكلُّهم يتجاوز الحد في الذم، وعند كل واحدة من الطائفتين خيرٌ كثير، وعلم كبير.

أما أُولئك فكالخزَّان الصَيْدَلانييـن وهؤلاء في جهل معاني ما حَمَلوه مِثْلُهم إلا أنَّهم كالمعالجين بأيديهم لعِلَلٍ لا يقفون على حقيقة الداء المولّد لها، ولا على حقيقة طبيعة الدواء المعالج به، فأولئك أقربُ إلى السلامة في العاجل والآجل وهؤلاء أكثر فائدةً في العاجل، وأكبرُ غروراً في الآجل، وإلىٰ الله نَفْزَعُ في التوفيق لما يقرِّبُ من رضاه ويوجبُ السَّلامة من سخطه، فإنَّما يُنَال ذلك برحمتِهِ وفضلِهِ.

(قف على أن الإفراط في حفظ الفروع مضيعة)

واعلم يا أخي أن المفرِّط في حفظِ المولَّدات لا يؤمن عليه الجهل بكثير من السُّنَن إذا لم يكن تقدَّم علمُه بها، وأنَّ المفرِّطَ في حفظ طرق الآثار دون الوقوف على معانيها وما قال الفقهاء فيها لصفرٌ من العلم، وكلاهما قانع بالشَّمِّ من المَطْعَم، ومن الله التوفيق والحرمان وهو حسبي وبه أعْتَصِمُ.

واعلم يا أخي أنَّ الفروعَ لا حدّ لها تنتهي إليه أبداً ولذلك تشعّبت فمن رامَ أن يحيطَ بآراءِ الرجال فقد رام ما لا سَبيلَ له، ولا لغيره إليه؛ لأنَّه لا يزالُ يَرِدُّ عليه

ما لم يسمع، ولعله أن ينسى أوّل ذلك بآخره لكثرته؛ فيحتاج أن يرجع إلى الاستنباط الذي كان يفزعُ منه ويجبنُ عنه تورُّعاً بزعمه أن غيره كان أدْرَى بطريق الاستنباط منه فلذلك عوَّل على حفظ قوله، ثم إنَّ الأيام تضطره إلى الاستنباط مع جهله بالأصول فجعل الرأي أصلاً واستنبط عليه، وقد تقدم في كتابنا هذا، كيفَ وجه القول واجتهاد الرأي على الأصول عندَما ينزل بالعلماء من النوازل في أحكامهم ملخصاً في أبواب مهذبة من تدبرها وفهمها وعمل عليها نال حظه ووفق لرشده إن شاء الله.

(قف على إن المناظرة ليست إلا لإظهار الحق)

واعلم أنّه لم تكن مناظرة بين اثنين أو جماعة من السلف إلا لتفُّهم وجه الصواب فيصار إليه، ويعرف أصل القول وعلته، فيجرى عليه أمثلتُه ونظائرُه، وعلى هذا الناس في كل بلد، إلا عندنا كما شاء ربُّنا، وعند من سلك سبيلَنا من أهل المغرب، فإنهم لا يقيمون علَّة ولا يعرفُون للقول وجهاً، وحسبُ أحدِهم أن يقولَ فيها رواية لفلان، ورواية لفلان، ومن خالف عندهم الرواية التي لا يقفُ على معناها وأصلَها وصحّةَ وجهها فكأنه قد خالف نصّ الكتاب، وثابت السنة، ويجيزون حمل الروايات المتضادة في الحلال والحرام وذلك خلافُ أصلِ مالك، وكم وكم لهم من خلاف أصول مذهبه مما لو ذكرناه لطال الكتاب بذكره، ولتقصيرهم عن علم أصول مذهبهم صار أحدهم إذا لقي مخالفاً ممن يقول بقول أبي حنيفة أو الشافعي أو داود بن علي، أو غيرهم من الفقهاء، وخالفه في أصل قوله بقي متحيّراً ولم يكن عنده أكثر من حكاية قول صاحبه فقال: هكذا قال فلان، وهكذا روينا. ولجأ إلى أن يذكرَ فضَلْ مالك ومنزلته فإن عارضه الآخر بذكر فضل إمامه أيضاً صار في المثل كما قال الأول:

شكَوْنَا إليهم خَرَابَ العرَا ... ق فعابُوا عَلَيْنا شُحُومَ البَقَر
فكانُوا كما قيل فيما مضى ... ارِيْها السُّها وتُرِيْني القَمَر

وفي مثل ذلك يقول منذر بن سعيد رحمه الله:

عَذِيري من قومٍ يقولون كلَّما ... طلبتُ دليلاً هكذا قال مالكُ

فإن عذتُ قالوا هكذا قال أشهبٌ وقد كان لا تخفى عليه المسالكُ
فإن زدت قالوا قال سَحْنُونٌ مثلَه ومن لم يقل ما قاله فهو آفكُ
فإن قلت قال الله ضَجُّوا وأكثروا وقالوا جميعاً أنت قِرْنٌ مماحكُ
وإن قلت قد قال الرسولُ فقولُهم أتَتْ مالكاً في ترك ذاك المسالكُ

وأجازوا النظرَ في اختلاف أهل مصر وغيرهم من أهل المغرب فيما خالفوا فيه مالكاً من غير أن يعرفُوا وَجْهَ قول مالك، ولا وجهَ قول مخالفه منهم، ولم يُبيْحوا النظر في كتب من خالف مالكاً إلى دليلٍ يبينه، ووجْهٍ يقيمُه لقوله وقول مالك، جهلاً منهم وقلة نصح، وخوفاً من أن يطَّلعَ الطّالبُ على ما هم فيه من النقص والتقصير، فيزهَدُ فيهم وهم مع ما وَصَفْنا يعيبُون من خالفهم ويغتابونَه ويتجاوزون القصدَ في ذمه ليُوهموا السَّامعَ أنّهم على حق وأنّهم أَوْلى باسم العلم وهم:

﴿كَسَرابٍ بِقِيْعَةٍ يحسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إذَا جَاءَهُ لم يَجِدْهُ شَيْئاً﴾[1].

وإنّ أشبهَ الأُمور بما هم عليه ما قاله منصور الفقيه:

خالَفُوني وأنكروا ما أَقُول قلتُ لا تَعْجَلوا فإنّي سَؤُولُ
ما تقولُون في الكتاب فقَالُوا هو نورٌ على الصَّواب دَلِيْلُ
وكذا سُنَّةُ الرَّسُولِ وقد أفلحَ من قالَ ما يقولُ الرَّسولُ
واتِّفاقُ الجميع أصلٌ وما تُنْكِرُ هذا وذا وذاك العقولُ
وكذا الحكمُ بالقياس فَقُلْنا من جميل الرِّجال يأتي الجميلُ
فتَعَالَوْا نردُّ من كلِّ قَولٍ ما نَفَى الأَصْلُ أو نفَتْه الأُصولُ
فأَجَابُوا فَنَاظَرُوا فإذَا العِـ ـلْمُ لَدَيْهم هو اليَسِيْرُ القَلِيْلُ

(قف على وصايا أبي عمر) فعليك يا أخي بحفظ الأُصول والعناية بها، واعلم أنّ من عُني بحفظِ السُّنَنِ والأَحكام المنصُوصَةِ في القرآن ونظر في أقاويل الفقهاء، فجعله عَوْناً له على اجتهاده، ومفتاحاً لطرائق النَّظرَ وتفسيراً لجمل السُّنَنِ المُحْتَملة للمعاني، ولم يقلِّد

(١) سورة النور: الآية (٣٩).

أحداً منهم تقليدَ السُّنَن التي يجب الإنقيادُ إليها على كل حال دون نظر، ولم يُرحْ نفسَه ممّا أخذَ العلماءُ به أنفسَهم من حفظ السُّنَنِ وتدبُّرها، واقتدى بهم في البحث والتفهُّم والنَّظَر، وشكرَ لهم سعيَهم فيما أفادوه، ونبَّهوا عليه، وحمـدَهُم على صوابهم الذي هو أكثر أقوالهم، ولم يبرِّئْهم من الزلل، كما لم يبرؤوا أنفسهم منه، فهذا هو الطالبُ المتمِّسكُ بما عَلَيْه السَّلَفُ الصَّالحُ وهو المصيبُ لحظِّه والمعاينُ لرشده، والمتَّبعُ لسنَّة نبيه ﷺ وهدي ِ صحابتِهِ رضي الله عنهم، ومن أعفى نفسه من النظر، وأضرب عما ذكرنا، وعارض السنن برأيه، ورام أن يردَّها إلى مبلغ نظره فهو ضالٌّ مضل، ومن جهل ذلك كلَّه أيضاً وتقحَّم في الفتوى بلا علم فهو أشدُّ عمىً وأضلُّ سبيلاً.

لقـد أَسْمَعْتَ لَـوْ نَـادَيْتَ حيّـاً ... ولكَنْ لا حَيَـاةَ لِمَـنْ تُنَـادِي

وقد علمتَ أنَّني لا أسلمُ من جاهل معاندٍ لا يعلم:

ولستُ بنـاجٍ من مقـالـةِ طـاعنٍ ... ولـو كنتُ في غارٍ على جبـلٍ وَعِرِ
ومن ذا الّذي ينجُو من النَّاس سالماً ... ولـو غـابَ عنهم بين خـافيتَيْ نَسْـر

واعلم يا أخي: أن السُّنَنَ والقُرآن هما أصلُ الرأي، والعيارُ عليه، وليس الرَّأي بالعِيَار على السُّنة، بل السُّنَّة عيارٌ عليه، ومن جهلَ الأصلَ لم يُصِبِ الفرعَ أبداً. (قف على أن السنة والقرآن أصل الرأي والعيار عليه)

وقال ابن وهب: حدَّثني مالكٌ: أنَّ إياسَ بنَ معاوية قال لربيعة: إنّ الشيء إذا بُنِي على عِوَجٍ لم يكد يعتدلُ. قال مالك: يريد بذلك المفتي الذي يتكلم على أصل يبني عليه كلامه.

قال أبو عمر: ولقد أحسن صالح بن عبد القدوس حيث يقول(١):

يـا أَيُّـهـا الـدَّارِسُ علـمـاً ألا ... تَـلْـتَمس الـعَـوْن عـلى دَرْسـهِ
لـن تبلغَ الفـرعَ الـذي رُمْـتَـه ... إلاَّ بـبـحثٍ مـنـك عن أُسِّـهِ

---

(١) «الديوان» من السينية المشهورة. سبقت الإشارة إليها.

ولمحمودٍ الوراق:

القولُ ما صدَّقه الفِعْلُ والفعلُ ما صدَّقه العقلُ
لا يثبتُ الفرعُ إذا لم يكن يقلّه من تحتِه الأَصْلُ

ومن أبيات لابن مَعْدان:

وكلُّ ساعٍ بغيرِ علمٍ فرُشْدُه غيرُ مُسْتبانِ
والعلمُ حقٌ له ضياءٌ في القَلْب والعَقْلِ واللِّسانِ

وقال أبو العتاهية[1]:

وإنَّما العلمُ من عَيَانٍ ومن سماعٍ ومنْ قياسِ

(قف على قول أبي الدرداء) وعن حسَّان بن عطيَّة[2] أن أبا الدرداء كان يقول: لن تزالُوا بخيرٍ ما أَحْبَبْتُم خيارَكُم وَمَا قيل فيكُم الحقُّ فعَرفْتُمُوه، فإن عارفَه كفاعِلِه.

وقال ابنُ وهب عن مالك: سمعتُ ربيعةَ يقول: ليسَ الّذي يقولُ الخيرَ ويفعلُه بخيرٍ من الذي يسمعه ويقبله.

قال مالك: وقال ذلك المُثنى على عمرَ بنَ الخطاب، ما كان بأعلَمَنا ولكنَّه كان أسْرَعَنا رُجَوعاً إذا سمعَ الحقَّ.

قال أبو عمر: رحم الله القائل:

لَقَدْ بانَ للنَّاس الهُدَى غيرَ أنَّهم غَدَوْا بجلابيب الهَوَى قد تَجَلْبَبُوا

٢٣٨ - وعن أبي الأسود الدُّؤَلي. قال: خطب عمرُ بنُ الخطاب يومَ الجمعة فقال: إن نبيَّ الله ﷺ قال: «لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي على الحقِّ منصورةً حتى يأتيَ أمرُ الله»[3].

---

(١) لم أقع على البيت في ديوان أبي العتاهية.

(٢) المحاربي، مولاهم، الدمشقي، ثقة فقيه عابد، مات بعد ١٢٠ هـ. «التقريب» [١٥٨].

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٤/٢) بهذا اللفظ، وهو عند مسلم رقم (١٩٢٠) ولفظه عنده: «... على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله...» (م).

وقال أبو العتاهية[1]:

رأيتُ الحقَّ لا يَخْفَى ولا تَخْفَى شواكِلُهُ
لعمرُك ما استوى في الـ أمْر عالِمُهُ وجاهِلُهُ

وله أيضاً[2]:

إذا اتَّضَحَ الصَّوابُ فلا تَدَعْهُ فإنَّك كلَّما ذُقْتَ الصَّوابَا
وجدتَ لهُ على اللَّهوات برداً كَبردِ المَاءِ حين صَفَا وَطَابا
وليسَ بحاكمٍ من لا يُبَالي أأَخْطَأ في الحكومة أم أصابا

(قف على كلام الحسن البصري)

وعن الحسن: أنَّ أزهدَ الناس في عالمٍ أهلُه، وشرُّ النَّاس أو قال شرُّ الأهل أهلُ ميت يبكون عليه ولا يقضُونَ دَيْنَه.

وقال كعبُ الأحبار لقومٍ من أهلِ الشَّام: كيف رأيكم في أبي مسلم الخَوْلاني؟[3]. فذكروا شيئاً. فقال كعبٌ: أزهدُ النَّاس في عالم أهله.

ويروى عن عيسى بن مريم ﷺ أنه قال لمن قال له: ألَسْتَ ابنَ يوسُفَ النَّجارِ، وأمُّك بغيٌّ؟! قال: إنه لا يسبُّ النبيُّ ولا يحقَّرُ إلا في مدينته وبيته أو بلده.

وعن أبي الدَّهْماء قال: لقي أبو مسلم الخولاني، أبا مسلم الخليلي فقال الخليلي للخولاني: كيفَ منزلتُك عندَ قومك؟.

قال: إنهم ليعرفونَ حقي ويعرفونَ شرفي، فقال الخليلي: ما هكذا تقول التَّوراة. قال الخولاني: وما تقولُ التوراة؟ قال: تقول: إنَّ أشدَّ الناس بُغْضاً للمرء الصَّالحُ قومُه، ومن هو بين أَظْهُرهم، وإنّ أشدَّ النَّاس له حباً أبعدُ النّاس منه فقال أبو مُسْلم الخَوْلاني: صدقَتِ التَّوْراة وكَذَبَ أبو مُسْلم.

---

(١) «الديوان» (٣٢٨ - ٣٢٩).

(٢) «الديوان» (١٩).

(٣) الزاهد الشامي اسمه عبد الله بن ثُوَب، (وقيل بإشباع الواو)، وقيل: ابن أثْوَب، ثقة عابد. رحل إلى النبي ﷺ فلم يدركه، وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية. «التقريب» [٦٧٣ و« فوات الوفيات» ٢/ ١٦٩ وفيه: توفي سنة ٦٢ هـ ودفن في داريا].

وعن حمَّاد بن أُسامة قال: سمعتُ سفيان الثَّوري يقول: تفسيرُ الحديثِ خيرٌ من سماعه.

وعن ابن عَنْبَسَةَ قال: كانت للناس جِلَّةٌ ونابتَةٌ وكانت النَّابَتَةُ تأخذُ عن الجِلَّة فذهبت الجِلَّة والنابتة، ثم جاء قوم يسمَعُون تلك الأخلاق كأنها أحلام.

وعن أبي الأشهب قال: سمعتُ الحسَنَ يقول: إن أَجْبَنَاهم أكثروا علينا وإن تركْنَاهُم تركناهم إلى غِيٍّ طويل.

* *

بــابٌ
في العرض على المعالم وقولِ أَخْبَرنا وحدَّثنا واختلافهم في ذلك وفي الإجازة والمُنَاولة

عن أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ محمد بن سلامة الطَّحاويّ قال: اختلف أهل العلم في الرجل يقرأُ علىٰ العالمِ ويقرُّ له العالم به، كيف يقول فيه: أخبرنا أو حدثنا، فقالت طائفة منهم: لا فرق بين أخبرنا وحدثنا. وله أن يقول أخبرنا وحدثنا.

وممن قال ذلك: مالكُ وأبو حَنيفة وأبو يُوسف ومحمد بن الحسن.

فعن أبي قطن قال: قال لي أبو حنيفة اقرأ عليّ، وقل: حدَّثني، وقال لي مالك: اقرأ عليَّ وقل حدَّثني، وعن يحيى بن عبد الله بن بُكَير قال: لما فرغنا من قراءة الموطأ على مالك رحمه الله، قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله كيف نقول في هذا؟

فقال: إن شئت فقل: حدثنا وإن شئت فقل: أخبرنا، وإن شئت فقل: حدثني وأخبرني، وأراه قال: وإن شئت فقلْ سمعتُ.

قال أبو جعفر: وقالت طائفةٌ منهم: في العَرْض أخْبَرَنا ولا يجوزُ أن يقال: حدَّثنا إلا فيما سمعه من لفظ الذي يحدثه به.

قال أبو جعفر: ولمَّا اختلفوا نَظَرْنا فيما اختلفوا فيه فلم نجد بين الحديث وبين الخبر في هذا في كتاب الله ولا في سنَّة رسول الله ﷺ.

فأما ما في كتاب الله فقوله جل وعز: ﴿يَوْمَئِذٍ تحدّثُ أَخْبَارُهَا﴾[1] فجعل الحديث والخبر أحداً. وقال: ﴿لا تَعْتَـذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَـدْ نَبَّأَنـا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكم﴾[2] وهي الأشياء التي كانت منهم.

وقال في مثله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيْثُ الْجُنُودِ﴾[3].

وقال: ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيْثاً﴾[4].

وقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيْثِ كِتَاباً﴾[5] و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيْثُ الغَاشِيَةِ﴾[6] و﴿حَدِيْثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيْمَ المُكْرَمِيْن﴾[7].

وقال أبو جعفر وكأنّ المراد في هذا كله أنّ الخبر والحديث واحد.

قال: وكذلك روي عن رسول الله ﷺ.

قال أبو عمر: فذكر حديث مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أخبرُوني عن شجَرَةٍ مَثَلُها مَثَلُ المؤمن»[8].

وحديث فاطمة بنت قيس أنه قال: أخبرني تميمٌ الدّاري فذكر قصة الدجال.

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بَلّغوا عنّي ولو آيةً وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج»[9].

---

(١) سورة الزلزلة: الآية (٤).
(٢) سورة التوبة: الآية (٩٤).
(٣) سورة البروج: الآية (١٧).
(٤) سورة النساء: الآية (٤٢).
(٥) سورة الزمر: الآية (٢٣).
(٦) سورة الغاشية: الآية (١).
(٧) سورة الذاريات: الآية (٢٤).
(٨) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٦/٢) (م).
(٩) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٦/٢) وقد تقدم من قبل. (م).

وحديث جابر في الرؤيا: أنّ رسولَ الله ﷺ قال للأعرابي: «لا تُخْبر بتلاعبِ الشَّيْطَان بكَ في المنام»[(١)].

وحديث أنس عن عُبَادَة بن الصّامت، أن رسول الله ﷺ أرادَ أن يخبرَهم بليلةِ القَدْر فتلاحَى رَجُلان.

وحديث أنس أن عبدَ الله بن سلاَّم سأل رسول الله ﷺ ما أوّلُ أشراط الساعة قال: «أخبرني جبريل: أنّ ناراً تحشرُهم من المشرق»[(٢)].

وحديث أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبرُكم بخيرِ دُوْرِ الأنصار»[(٣)].

وحديث رافع بن خديج[(٤)] قال: مرَّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نتحدث فقال: «ما تَحَدُّثون»؟ فقلنا: نتحدَّثُ عنك. قال: «تحدثوا وليتبوّأ من كذبَ عليَّ مقعده من جهنَّم»[(٥)].

قال أبو عمر: وذكر أخباراً من نحو هذا، تركتُ ذكرها لأنها في معنى ما ذكرنا ثم قال: هذا كله يدلّ على أن لا فرق بين أخبرنا وحدثنا، قال: وقد ذهب قوم فيما قرىء على العالم فأجازه وأقرّ به أن يقال فيه: قرىء على فلان، ولا يقال فيه حدثنا، ولا أخبرنا، قال: ولا وجه لهذا القول عندنا.

قال: وسواء عندنا القراءة على العالم وقراءة العالم، ولكلّ واحدٍ ممَّن سمعَ بشيء من ذلك أن يقول: حدثنا أو أخبرنا.

قال أبو عمر: هذا قول الطَّحَاوي[(٦)] دون لفظه، أنا عبّرت عنه.

وأنا أُورد في هذا الباب أخباراً يستدل بها على مذاهب القوم وبالله العون.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٧٦) (م).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٧٦) وهو قطعة من حديث طويل رواه البخاري رقم (٣٣٢٩) في الأنبياء: باب خلق آدم وذريته ويحسن بالقارىء الرجوع إليه. (م).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٧٦) (م).

(٤) الأوسي الأنصاري، صحابي جليل أول ماشهدة أُحُد. مات سنة ٧٣ هـ. «التقريب» [٢٠٤].

(٥) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٧٦) (م).

(٦) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي أبو جعفر، فقيه انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر توفي بالقاهرة سنة ٣٢١ هـ. «ابن خلكان» (١/٧٠) و«الأعلام» (١/٢٠٦).

عن عوفٍ أنَّ رجلاً سأل الحسن، فقال: يا أبا سعيد إن منزلي ناءٍ والاختلافُ يشقُّ عليَّ، ومعي أحاديث فإن لم يكن بالقراءة بأسٌ قرأتُ عليك، فقال: ما أبالي قرأت عليّ أو قرأتُ عليك، فقال: يا أبا سعيد، فأقولُ حدثني الحسن؟ فقال: نعم. قل: حدثني الحسن.

وعن شعبة قال: سألت منصور بن المعتمر[1]، وأيوبَ السّختياني عن القراءة على العالم. فقالا: جيد.

وعن مَعْمَر قال: سمعتُ إبراهيمَ بنَ الوليد رجلاً من بني أمية يسألُ الزُّهري، وعرضَ عليه كتاباً من علمه، فقال: أأحدّث بهذا عنك يا أبا بكر؟ قال: نعم. فمن يحدِّثُكُموه غيري.

قال مَعْمَر: رأيت أيوبَ يعرض على الزُّهري العلمَ فيجيزُه.

وعن عبد الرزاق قال: سمعت مَعْمَراً يقول: كنَّا نرى أن قد أكثرنا عن الزُّهري حتى قتل الوليد فإذا الدفاتر قد حملت على الدَّواب من خزائنه من علم الزهري.

وقال عبد الرزاق: عرضنا وسمعنا وكلٌّ سماع. قال معمر: وكان مَنْصور لا يرى بالعرض بأساً.

وعن مالك بن أنس قال: لمّا قدم الزُّهري أخذتُ الكتاب لأقرأ عليه. فقال: من أنت؟ فقلت: أنا مالك بن أنس، وانتسبت له، فقال: ضَعِ الكتاب، ثم أخذ الكتاب محمد بن إسحاق يقرأه، وانتسب له فقال له: ضع الكتاب، ثم أخذ الكتاب عبيد الله بن عمر، وقال: أنا عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، فقال: اقرأ فجميع ما سمع النَّاس يومئذ مما قرأ عبيد الله.

وعن ابن القاسم وابن وهب عن مالك أنه قيل له: أرأيت ما عرضنا عليك، أنقول فيه: حدثنا؟ قال: نعم.

---

(١) السلمي الكوفي، ثقة ثبت، وكان لا يدلس من طبقة الأعمش. مات سنة ١٣٢ هـ. «التقريب» [٥٤٧].

قد يقول الرجل إذا قرأ على الرجل: أقرأني فلان وإنما قرأ عليه.

ولقد قال ابن عباس: كنت أقرأ على عبد الرحمن بن عوف، فقيل لمالك: أفيعرض عليك الرجل أحبُّ إليك أن تحدّثه. قال: بل يعرض إذا كان يتثبتُ في قراءته فربما غلط الذي يحدِّث أو نسي.

وقال الذي يعرض أعجب إليَّ في ذلك.

وقال ابن أبي أُويس عن مالك نحو رواية ابن القاسم وابن وهب عنه على حسب ما ذكرنا. قال: وقال لي: ألست أنت قرأت على نافع؟ وتقول: أقرأني نافع.

وقال أبو الطَّاهر أحمدُ بنُ عَمْرو بن السَّرح: أخبرنا ابن وهب قال: قلت لمالك: يا أبا عبد الله كيف نقول فيما سمعناه يقرأ عليك من هذه العلوم أخبرنا أو حدثنا؟ قال: قولوا إن شئتم: حدثنا وإن شئتم أخبرَنا، فقد رأيت العلم يقرأ على ابنِ شهاب.

وعن عبيد الله بن عمر قال: رأيت أنسَ بن مالك يقرأ على الزُّهري، قال: فحدثت بذلك سفيان بن عُيَيْنة ففرح بذلك وجعل يقولُ: قرأ قرأ.

وعن ضُمْرَة قال: كنت أرى الزُّهري يأتيه الرجل بالكتاب ولم يقرأه عليه فيقال له: أرْويه عنك؟ قال: نعم.

قال أبو عمر هذا معناه: أنه كان يعرف الكتابَ بعينه ويعرفُ ثقة صاحبه ويعرف أنّه من حديثه وهذه هي المناولة، وفي معناه الإجازة، إذا صحَّ تناوُل ذلك.

وعن عمرو بن أبي سلمة قال: قلتُ للأوزاعي في المناولة: أقول فيها: حدثنا؟ قال: إن كنتُ حَدَّثتك فقل: حدثنا، فقلت: أقول أخبرنا. قال: لا. قلت: فكيف أقول؟ قال: قل عن أبي عمرو، أو قال أبو عمرو.

وعن عمر بن عبد الواحد عن الأوزاعي قال: دفع إليّ يحيى بن أبي كثير صحيفة فقال: اروها عني وَدَفع إليَّ الزُّهري صحيفةً فقال: اروها عني.

وعن أحمد بن صالح قال: كان عمر بن أبي سلمة حسنَ المذهب، كان عنده شيء سمعه من الأوزاعي وشيء أجازه له فكان يقول فيما سمع: حدثنا الأوزاعي، ويقول فيما أجازه له: قال الأوزاعي.

وسمعت أحمد يقول: وقد سئل عن الرجل يحدِّث الرجال، أيقولُ أحدُهم حدَّثني؟ أو يحدِّث الرجلُ وحده أيقول حدثنا؟ قال: نعم. ذلك كله جائز في كلام العرب، قال: وسمعت أحمد بن صالح يقول: إذا عرض الرجل على عالم ثم قال: حدثنا لم أخطِّئه ولم أكذبه وأحبُّ إليّ أن يقول: قرأت على فلان ولا يقول حدثنا.

وعن أبي الزِّنباع رَوْح بن الفرج القطَّان[1] قال: سمعت يحيى بن عبد الله بن بكير يقول: لما فرغنا من عَرْض «المُوَطّأ» على مالك قال له رجل من أهل المغرب: يا أبا عبدِ الله هذا الذي قُرِىءَ عليك كيف نقول حدثنا أو حدثني أو أخبرنا أو أخبرني؟ فقال: ما شئت أن تقول من ذلك فقل.

قال أبو عمر: الآثار في هذا الباب كثيرة على نحو ما ذكرنا، فرأيت الاقتصار أولى من الإكثار.

واختلف العلماء في الإجازة فأجازَها قومٌ وكرهها آخرون، وفيما ذكرنا في هذا الباب دليلٌ على جوازها، إذا كان الشيء الذي أجيز معيناً أو معلوماً محفوظاً مضبوطاً وكان الذي يتناوله عالماً بطرق هذا الشأن، وإن لم يكن ذلك على ما وَصَفْتُ لم يؤمن أن يحدّثَ الذي أُجيز له عن الشيخ بما لَيْسَ من حديثه، أو ينقصَ من إسناده الرجل والرجلين من أول إسناد الديوان أو من سائر أسانيد الحديث، فقد رأيت قوماً وقعوا في مثل هذا وما أظنُّ الذين كرهوا الإجازة كرهوها إلا لهذا والله أعلم.

وذكر ابن عبد الحكم عن ابن وهب وابن القاسم عن مالك أنه سئل عن الرجل يقول له العالم: هذا كتابي فاحمله عني، وحدّث بما فيه عني، قال: لا أرى

(١) المصري ثقة. مات سنة ٢٨٣ هـ وله أربع وثمانون سنة. «التقريب» [٢١١].

هذا يجوز ولا يعجبني؛ لأن هؤلاءِ إنما يريدون الحمل الكثير بالإقامة اليسيرة فلا يعجبني ذلك.

وعن محمد بن علي بن الحسن بمروٍ قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن بَزْدَاد الرَّازي يقول: سمعت أبا العباس عبد الله بن عُبَيد الله الطّيالسي ببغدادَ يقول: كنَّا عند عبيد الله أبي الأشعث أحمدَ بنِ المقدام العِجْلي إذ جاءه قوم يسألونه إجازة كتاب قد حدَّث به فأملى عليهم.

كتـابي إليكُم فـافْهمـوه فـإنّـه ... رَسُـولي إليكم والكِتَـابُ رَسُـولُ
فهـذا سَمَـاعي من رجـالٍ لقيتُهم ... لـهـمْ وَرَعٌ فـي فـقـهـهـم وعـقـولُ
فـإن شئتُمْ فـارْوُوه عـنِّي فـإنّـمـا ... تقـولـون مـا قَـدْ قلتُـه، وأقـولُ

على تلخيص الإجازة)

قال أبو عمر: تلخيصُ هذا الباب: أنَّ الإجازة لا تجوزُ إلَّا لماهرٍ بالصّناعة حاذقٍ بها يعرفُ كيف يتناولها، ويكون في شيء معين معروف، لا يُشْكل إسنادُه فهذا هو الصحيح من القول في ذلك والله أعلم.

وعن بندار، قال: سمعنا يحيى بن سعيد يقول: أخبرنا وأخبرني واحدٌ وحدثنا وحدثني واحد.

وعن سعيد بن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن مالك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾(1).

قال: هو قول الرجل حدثني أبي عن جدي(2).

* *

(1) سورة الزخرف: الآية (٤٤).
(2) «تفسير القرطبي» (٩٣/١٦) وفيه: وقال مالك: هو قول رجل حدثني أبي عن أبيه.

بـــاب
الحض على لزوم السُّنَّة والاقتصار عليها

٢٣٩ ـ قال ﷺ: «تركت فيكم اثنتَين لَنْ تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُم بهما، كتابَ الله وسُنَّتي»[(١)].

وعن عمرو بن مرة قال: سمعت مرّة الهمداني قال: قال عبدُ الله: إن أحسنَ الحديث كتابُ الله وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ وشرَّ الأُمور محدثاتُها ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُوْنَ لآتٍ وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِيْنَ﴾[(٢)].

وعن أبي الأحْوص عن عبد الله بن مسعود، أنه كان يقومُ يومَ الخميس قائماً، فيقول: إنما هما اثنان؛ الهديُ والكلامُ، فأفضلُ الكلام أو أصدقُ الكلام كلامُ الله وأحسنُ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرُّ الأمور مُحْدثاتها ألَا وَكُل مُحْدثةٍ بِدْعة ألَا لا يَتَطَاوَلَنّ عليكم الأمرُ فتقسوَ قلوبُكم ولا يلهينَّكُم الأَمَلُ، فإن كل ما هو آت قريب، ألَا إن بعيداً ما ليس آتياً.

٢٤٠ ـ وعن عبد الرحمن بن عَمْرو الأنصاري السَّلَمي أنّه سمع عِرْباض بن سارية[(٣)] يقول: وَعَظَنا رَسُولُ الله ﷺ موعظة ذَرَفت منها العيونُ ووجِلت منها القلوبُ. فقلنا: يا رسولَ الله إنّ هذه لموعظةُ مودّع فماذا تعهدُ إلينا قال: «تركتُكُم على البَيْضَاء ليلُها كنهارِها لا يزيغُ بعدي عنْها إلا هالِكٌ ومَنْ يعشْ منكم فسَيَرى اختلافاً كثيراً فعليكُم بما عَرَفتم من سُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء المهتدين الراشدين، وعليكُم بالطّاعة وإن كان عبداً حبشياً، عضُوا عليها بالنواجذ؛ فإنما المؤمن كالجمل الأنِف[(٤)] كلما قِيِّد انقاد»[(٥)].

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٨٠) وانظر «جامع الأصول» (٢/٢٧٧) (م).
(٢) سورة الأنعام: الآية (١٣٤).
(٣) السلمي، يكنى أبا نجيح صحابي من أهل الصفة، ونزل حمص، مات بعد السبعين. «التقريب» [٣٨٨].
(٤) الأَنِف: الذلول. «اللسان» (أنف) وفي المختصر: أي أنه لا يريم التشكّي هـ لسان العرب.
(٥) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٨١) وانظر رواية الحديث ولفظه وتخريجه في «متن الأربعين النووية» ص (٧٤ ـ ٧٥) بتحقيقي، طبع مكتبة دار العروبة بالكويت. (م).

وعن أبي الحسن الصَّموت قال: سمعت أبا بكر أحمد بن عمرو البزّار يقول: حديث عرباض بن سارية في الخلفاء الراشدين حديث ثابت صحيح، وهو أصحُّ إسناداً من حديث حذيفة: اقتدوا باللّذين من بعدي، لأنه يختلف في إسناده ويتكلّم فيه؛ من أجل مولى رِبْعي هو مجهول عندهم.

قال أبو عمر: هو كما قال البزّار حديث عِرْباض حديثٌ ثابت، وحديثُ حذَيْفة حديثٌ حسن.

وقد رُوِيَ عن مولى رِبْعي عبدُ الملك بن عُمَير، وهو كبير، ولكنّ البزَّارَ وطائفةً من أهل الحديث يذهبون إلى أن المحدث إذا لم يروِ عنه رجلان فصاعداً فهو مجهول.

٢٤١ ـ وحديث حذيفة حدَّثَناه جماعة منهم عبد الوارث بن سُفيان عن قاسم بن أَصْبغ عن إسماعيل بن إسحاق القاضي، عن محمد بن كثير، عن سفيان بن سعيد، عن عبد الملك بن عمير، عن مولىً لربْعي عن رِبْعي، عن حذيفة قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللَّذين من بَعْدي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمّار وتمسّكوا بعهد ابن أم عبد»[1]. وهذا لفظ حديث الحميدي.

قال أبو عمر: رواه جماعة عن ابن عُيَيْنَة عن عبد الملك بن عُمَير عن رِبْعي عن حذيفة هكذا، لم يذكروا مولى رِبْعي، والصَّحيح ما ذكرناه من رواية الحميدي عنه، وكذلك رواه الثَّوري وهو أحفظُ وأتقنُ عندهم.

فعن إبراهيم بن سعيد قال: حدثنا الثوري عن عبد الملك بن عمير، عن هلال مولى رِبعي بن خِرَاش، عن رِبْعي عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللَّذين من بعدي أبي بكر وعمر»[2].

٢٤٢ ـ وعن ابن خيثم عن رجل من أهل الشام أن رجلاً من الصحابة حدّثه

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٨٢) (م).
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٨٢) (م).

قال: خَطَبَنا رسولُ الله ﷺ خطبةً مضت منها الجلود، وذرفت منها العيون ووجلَتْ منها القلوب. فقال قائلنا: يا نبي الله كأن هذا منك وداعُ لو عهدت إلينا. قال: «الزموا سنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي الهادية المهدية فعضُّوا عليها بالنَّواجذ وإن استعملوا عليكم عبداً حبشياً مجدَّعاً فاسمعوا له وأطيعوا فإن كل بدعة ضلالة»[1].

وعن عبد الرحمن بن عمرو السُّلمي[2] وحجر، قالا: أتينا العِرْباض بنَ سارية وهو ممّن نَزَل فيه ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾[3].

فسلَّمنا وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين. فقال العِرْباض: صَلّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوَعَظَنا موعظةً بليغة، ذرفَتْ منها العُيون، ووجلَتْ منها القلوب، فقال قائلٌ يا رسول الله: كأن هذا موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمعِ والطاعةِ وإنْ كانَ عبداً حبشياً فإنَّ من يَعِشْ منْكُم فسَيَرىٰ اختلافاً كثيراً فعليكُم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ المهديِّينَ الرَّاشِدِيْن تمسَّكُوا بها وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذ وإيَّاكم ومُحْدَثات الأمور فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ».

قال أبو عمر: الخلفاء الرّاشـدون المهديون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. وهم أفضلُ النَّاس بعد رسول الله ﷺ.

وعن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقول: كلام الحرورية ضلالة، وكلام الشيعة هلكة. قال ابن عباس: ولا أعرفُ الحقَّ إلا في كلام قومٍ فوّضوا أمورهم إلى الله ولم يقطعوا بالذنوب العصمة من الله، وعلموا أن كلاًّ بقدر الله تعالى.

٢٤٣ ـ وعن علي بن الجَعْد قال: أخبرني حمَّادُ بن سَلَمـة عن سعيد بن

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٨٣/٢) وقد تقدم قبل قليل. (م).

(٢) الشامي مقبول. مات سنة ١١٠ هـ. «التقريب» [٣٤٧].

(٣) سورة التوبة: الآية (٩٢).

جُمْهان(١) عن سَفِيْنة(٢) قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «الخلافة بعديْ ثلاثونَ سنةً ثمَّ تكون ملكاً»(٣). ثم قال: امسك خلافة أبي بكر سنتان وعمر عشر وعثمان ثنتا عشرة وعلي ست.

قال علي بن الجعد: قلت لحمادٍ: سفينةُ القائل لسعيد؟ قال: نعم.

قال أبو عمر: قال أحمد بن حنبل: حديث سَفينة في الخلافة صحيح وإليه أذهبُ في الخلفاء.

وعن محمد بن مطهر قال: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن التفضيل. فقال: نقول أبو بكر وعمر وعثمان ونقف على حديث ابن عمر، ومن قال وعليٌّ لم أعنِّفْه. ثم ذكر حديث حماد بن سلمة عن سعيد بن جُمْهان عن سفينة في الخلافة فقد أحمد: عليٌّ عندنا من الخلفاء الراشدين المهديين وحماد بن سلمة عندنا الثقة المأمون وما نزداد كل يوم فيه إلا بصيرة.

قال أبو عمر: قد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل وسلَمَةُ بن شبيب وطائفة عن أحمد بن حنبل مثل رواية محمد بن مطهر الفرق بين التفضيل والخلافة على حديث ابن عمر، وحديث سَفينة، وروت عنه طائفة تقديم الأربعة والإقرار لهم بالفضل والخلافة، وعلى ذلك جماعةُ أهل السنة، ولم يختلف قولُ أحمد في الخلافة والخلفاء وإنما اختلف قوله في التفضيل.

فعن أبي علي الحسن بن أحمد بن اللَّيث الرازي قال: سألت أحمد بن حنبل، فقلت: يا أبا عبد الله من تفضل؟ قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء فقلت: يا أبا عبد الله إنما أسألك عن التفضيل من تفضل؟ قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء المهديون الراشدون ورَدَّ الباب في وجهي.

---

(١) الأسلمي البصري، صدوق له أفراد. مات سنة ١٣٦ هـ. «التقريب» [٢٣٤].

(٢) مولى رسول الله ﷺ، يقال: كان اسمه مِهْران أو غير ذلك فلقّب سفينة لكونه حمل شيئاً كبيراً في السفر وهو صحابي مشهور له أحاديث ويكنى أبا عبد الرحمن. «التقريب» [٢٤٥].

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٨٤) (م).

قال أبو علي: ثم قدمت الريَّ[1] فقلت لأبي زُرْعة: سألت أحمد وذكرت له القصة. فقال: لا نبالي من خالفنا، نقول أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في الخلافة، والتفضيل جميعاً، وهذا ديني الذي أدين به وأرجو أن يقبضني الله عليه.

وعن سلمة بن شبيب[2] قال: قلت لأحمد بن حنبل: من تقدِّم قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في الخلافة. قال سلمة: وكتبتُ إلى إسحاق بن راهوية من تقدم من أصحاب رسول الله ﷺ؟ [فكتب][3] إليّ: لم يكن بعدَ رسول الله ﷺ على الأرض أفضل من أبي بكر، ولم يكن بعده أفضل من عمر، ولم يكن بعده أفضل من عثمان، ولم يكن بعد عثمان على الأرض خير ولا أفضل من علي.

وعن عباد السّماك قال: سمعتُ سُفْيان يقول: الخلفاءُ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وعمرُ بن عبد العزيز وما سوى ذلك فهن منتزون[4].

قال أبو عمر: قد روي عن مالك وطائفة نحو قول سفيان هذا، وتأبى جماعة من أهل العلم أن تفضل عمر بن عبد العزيز على معاوية لمكان صحبته ولكلا القولين آثارٌ صحاحٌ مرفوعة يحتج بها الفريقان.

فعن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: سألت أبا أسامة، أيّما كان أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لا نعدل بأصحاب محمد ﷺ أحداً.

وعن أبي ثَوْبة قال: سمعت أبا إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك وعيسى بن يونس ومخلد بن حسين يقولون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

وعن أبي بكر النِّيسابوري قال: سمعتُ الرّبيع بن سُليمان يقول: سمعت الشافعي محمد بن إدريس يقول: أقول في الخلافة والتفضيل بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

---

(١) الريّ: بلد معروف في فارس ذكره «ياقوت» (٢/١١٦).
(٢) المسمعي النيسابوري نزيل مكة، ثقة. مات سنة بضع وأربعين ومئتين. التقريب» [٢٤٧].
(٣) ما بين [ ] زيادة من الأصل.
(٤) متغلبون [على الخلافة. اللسان (نزا)].

وعن هارون بن إسحاق قال: سمعت يحيى بن معين يقول: من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسلّم لعلي سابقته، فهو صاحب سنَّة، فذكرت له هؤلاء الذين يقولون: أبو بكر وعمر وعثمان ويسكتون؛ فتكلم فيهم بكلام غليظ.

٢٤٤ ـ وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: وفدتُ مع أبي إلى معاوية، وفَدَنا إليه زياد فدخلنا على معاوية فقال: حدثنا يا أبا بكرة. فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخلافة ثلاثون ثم يكون المُلْك»[١].

قال: فأُمَرَ بنَا فَوُجِيءَ في أقفائنا حتى أُخرجنا.

٢٤٥ ـ وعن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة بالمدينة والملك بالشام»[٢].

وعن الحكم بن أبان أنه سأل عِكْرمة عن أُمُّهات الأولاد، فقال: هنّ أحرار قلت: بأي شيء؟ قال: بالقرآن. قلت: بأي شيء في القرآن؟ قال:

قال الله جل وعز: ﴿يَا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا أَطِيْعُوا اللَّهَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُولَ وَأُولي الأَمْرِ مِنْكُم﴾[٣].

وكان عمرُ من أُولي الأمرِ قال: عُتِقَتْ ولو بسِقْط.

وعن مالك بن أنس قال: قال عمر بن عبد العزيز: سنّ رسول الله ﷺ وولاةُ الأمر من بعده سُنَنَاً الأَخْذُ بها تصديقٌ بكتاب الله واستكمالٌ لطاعة الله وقوةٌ على دين الله من عمل بها مهتدٍ، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفَها اتّبع غيرَ سبيل المؤمنين، وولّاه اللَّهُ ما تولَّى وصلَّاهُ جهنَّم وساءَتْ مصيراً.

وعن صالح بن كَيْسان قال: اجتمعت أنا والزُّهري ونحنُ نطلبُ العلمَ. فقلنا:

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٨٦) (م).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٨٦) ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣/٧٢) وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: سليمان وأبوه ـ وهما من رجال الإسناد عنده ـ مجهولان، واقتصر البخاري على ذكر الفقرة الأولى منه في «التاريخ الكبير» (٢/٢/١٦) (م).

(٣) سورة النساء: الآية (٥٩).

نكتُبُ السُّنَنَ، فكتبنا ما جاء عن النَّبيِّ ﷺ ثم قال: نكتبُ ما جاء عن الصَّحابة فإنّه سنَّة، وقلت: أنا ليس بسنة، ولا نكتبُه، قال: فكتبه الزُّهري ولم أكتبْه فأنجح وضيَّعْتُ.

وعن سعيد بن المسيَّب، أنَّ عمرَ بن الخطاب لمَّا قدم المدينة قامَ خطيباً: فحمدَ الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيُّها النَّاس إنَّه قد سُنَّتْ لكم السُّنَنُ وفُرِضَتْ لكم الفرائضُ وترِكْتُم على الواضحة إلا أنْ تضلوا بالنَّاس يميناً وشمالاً.

وروى الشعبي عن مسروق عن عمرَ أنَّه خطبَ النَّاسُ فقال: رُدُّوا الجهالات إلى السُّنَّة.

وعن ميمون بن مَهْران في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿فإنْ تَنَازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوه إلَىٰ اللَّهِ والرَّسُولِ﴾[1].

قال الرد إلى الله إلى كتابه، والردُّ إلى الرسول ما كان حياً فإذَا مات سنَّته.

وعن حمَّادٍ قال: سمعت الشعبيَّ يقول: قال مسروقٌ: حبُّ أبي بكر وعمرَ ومعرفةُ فَضْلِهما من السنَّة.

وعن أبي الفَيْض ذي النُّون قال: ثلاثٌ من أعلام السُّنَّة المَسْحُ على الخُفّين، والمحافظة على صلوات الجمع، وحبُّ السَّلَف رحمهم الله.

وكان إبراهيم التيمي يقول: اللهمَّ اعصمني بديْنِكَ وبسنَّةِ نبيك من الاختلاف في الحقِّ ومن اتِّباعِ الهوى، ومن سبُلِ الضلالة، ومن مُشْتَبِهات الأمورِ ومن الزَّيغ والخُصُومات.

وعن عبد الرحمن بن يَزيد عن عبدِ الله بن مَسْعود قال: القَصْد في السنَّةِ خيرٌ من الاجتهاد في البِدْعة.

* *

(١) سورة النساء: الآية (٥٩).

بـــابُ

موضع السُّنَّة من الكتاب وبيانها له

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم﴾(١).

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِيْنَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيْبَهُم فِتْنَةٌ أو يُصِيْبَهُم عَذَابٌ أَلِيْم﴾(٢).

وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهدي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ صِرَاطِ اللَّهِ﴾(٣).

وفرض طاعته في غير آيةٍ من كتاب الله وقرنَها بطاعتِهِ جلَّ وعزَّ فقال: ﴿وَمَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(٤).

وعن إبراهيم بن عَلْقَمَة أنَّ امرأةً من بني أسدٍ أتَتْ عبدَ الله بنَ مسعود فقالت له: إنَّه بلغني أنك لعنتَ ذَيْتَ وذَيْتَ والواشمةَ والمُسْتَوْشِمَةَ، وإني قد قرأت ما بين اللَّوحين فلم أجد الّذي تقول، وإني لأظنُّ على أهلك منها. فقال لها عبد الله: فادخلي فانظري، فدخلت فنظرت فلم ترَ شيئاً فقال لها عبدالله: أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(٥)؟.

قالت: بلى. قال: فهو ذاك.

وعن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: قال عبد الله بن مسعود: لعنَ اللَّهُ الواشماتِ والمستوشماتِ والمتنمّصاتِ والمتفلّجاتِ للحُسْن المغيّراتِ خلقَ الله.

قال: فبلغ ذلك امرأةً من بني أسد، يقال لها: أمُّ يعقوب. فقالت: يا أبا عبد الرحمن بلغني: أنك لعنت كَيْتَ وكَيْتَ. فقال: وما لي لا أَلْعَنُ من لعنةُ رسولُ الله ﷺ، ومن هو في كتاب الله. قالت: إني لأقرأ ما بين اللّوحين فما أجدُه.

---

(١) سورة النحل: الآية (٤٤).

(٢) سورة النور: الآية (٦٣).

(٣) سورة الشورىٰ: الآية (٥٢).

(٤ و٥) سورة الحشر: الآية: (٧).

قال: إن كنت قارئةً لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾(١).

قالت: بلى. قال: فإنّه قد نهى عنه رسول الله ﷺ. قالت: إني لأظنُّ أهلَكَ يفعلونَ بعض ذلك. قال: فاذهبي فانظري.

قال: فدخلت فلم ترَ شيئاً. قال: فقال عبد الله: لو كانت كذلك لم نجامعْها.

وعن عبد الرحمن بن يزيد: أنه رأى مُحرِماً عليه ثيابٌ، فنهى المُحرمَ. فقال: ائتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي، قال: فقرأ عليه: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾(١) وعن هشامِ بن حُجَيْر قال: كان طاووس يصلّي ركعتين بعدَ العَصْر. فقال له ابن عباس: اتركهما. فقال: إنما نَهَى عَنْهما أن تُتَّخَذ سُنَّةً.

فقال ابن عباس: قد نهىٰ رسولُ الله ﷺ عن صلاة بعد العصر، فلا أَدْري أتعذَّبُ عليها، أم تُؤْجَر؛ لأن اللَّهَ تبارَكَ وتعالىٰ قال: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾(٢).

٢٤٦ ـ وعن محمد بن المُنْكَدر عن جابرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك بأحدكم يقولُ هٰذَا كتابُ اللَّهِ ما كانَ فيه من حلالٍ أَحْلَلْنَاهُ وما كَانَ فيه من حَرَامٍ حَرَّمْناه أَلَا مَنْ بَلَغَهُ حديثٌ فكذَّبَ بِهِ فقدْ كذَّبَ اللَّهَ ورسولَهُ والّذِي حَدَّثه»(٣).

٢٤٧ ـ وَعن عبيد الله أو عبد الله بن أبي رافع عن أبيه أبي رافع(٤) قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أَلَا لَا أعرفنَّ ما بَلَغَ أحداً منكم حديثٌ إنْ كان شيئاً أمرتُ به، أو نهيتُ عنه، فيقول وهو متكِّيءُ على أريكَتِهِ: هذَا القُرآنُ ما وَجَدْنا فيه اتّبَعْنَاهُ وما لم نجد فيه فلا حاجةَ لَنَا بِهِ»(٥).

---

(١) سورة الحشر: الآية (٧).

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٣٦).

(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٨٩) (م).

(٤) أبو رافع: اسمه أسلم، وهو مولى رسول الله ﷺ. انظر «التقريب» (١٠٥).

(٥) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٩٠) (م).

٢٤٨ - وعن الحسن بن حارثة أنّه سمعَ المِقْدام بن معديْ كَرب يقولُ: قال رسول الله ﷺ: «يوشِكُ رجلٌ منكمُ مُتَّكِئاً على أريكَتِهِ يُحدِّثُ بحديثٍ عنِّي، فيقولُ: بينَنَا وبينكم كتابُ اللَّهُ فما وَجَدْنا فيه من حَلالٍ استَحْلَلْنَاهُ وما وَجَدْنا فيه من حَرامٍ حَرَّمْنَاهُ، ألاَ وإنَّ ما حرَّمَ رَسُولُ الله ﷺ مِثْلُ الّذي حَرَّم الله»(١).

وعن ميمون بن مَهْرَان: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُم في شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾(٢) الآية.

قال الردُّ إلى الله الردُّ إلى كتابه والردُّ إلى رسوله إذا كان حيًّا فلمّا قبضَهُ الله فالردُّ إلى سُنّتِهِ.

٢٤٩ - قال أبو عمر: قال ﷺ: «ما تركتُ شيئاً مما أمرَكُم اللَّهُ به إلاَّ وقد أمرتُكُم به، ولا تركت شيئاً مما نهاكم عنه، إلاّ وقد نهيتكم عنه»(٣).

رواه المطلب بن حنطب(٤) وغيره عنه ﷺ.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوْحَى﴾(٥).

وقال: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لاَ يَجِدُوا في أَنْفُسِهِم حَرَجاً مما قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(٦).

وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِم﴾(٧) الآية.

(قف على أن البيان من الرسول على ضربين)

والبيان منه ﷺ على ضربين:

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٩٠) (م).
(٢) سورة النساء: الآية (٥٩).
(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٩٠) (م).
(٤) ابن عبد الله بن المطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي، صدوق، كثير التدليس والإرسال. «التقريب» (٥٣٤).
(٥) سورة النجم: الآية (٤).
(٦) سورة النساء: الآية (٦٥).
(٧) سورة الأحزاب: الآية (٣٦).

بيان المُجْمَلِ في الكتاب العزيز، كبيانه الصلوات الخمس في مواقيتها وسجودِها وركوعِها وسائر أحكامها، وكبيانِه للزَّكاة وحدِّها ووقتِها وما الذي تؤخذ منه من الأموال، وبيانِه لمناسِكِ الحج، قال ﷺ إذْ حجّ بالناس: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»[1] لأن القرآن إنما وَرَدَ بجملة فرضِ الصَّلاة والزَّكاة والحجِّ دونَ تفصيلِ ذلك.

والحديث مفصل وهو زيادةٌ على حكم الكتاب كتحريم نكاح المرأة على عمَّتِها وخالتِها وكتحريم الحُمُر الأهلية. وكلِّ ذي نابٍ من السِّباع إلى أشياء يطول ذكرها قد لخصتها في موضع آخر.

وقد أمر الله جل وعز بطاعته واتباعه أمراً مطلقاً مجملاً، لم يقيِّد بشيءٍ كما أمرنا باتباع كتاب الله ولم يقل وافق كتاب الله كما قال بعض أهل الزيغ.

قال عبد الرحمن بن مهدي: الزنادقة والخوارج وَضَعوا ذلك الحديث يعني ما رُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: ما أتاكُمْ عني فاعْرِضُوه على كتاب الله فإنْ وافقَ كتاب الله فأنا قلتُه، وإن خالفَ كتابَ الله فلم أقلْهُ أنا وكيف أخالفُ كتابَ الله، وبه هداني الله.

وهذه الألفاظ لا تصحُّ عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم وقالوا: نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء ونعتمد على ذلك، قالوا: فلما عَرَضْنَاه على كتاب الله وجدناه مخالفاً لكتاب الله لأنا لم نجد في كتاب الله أن لا نقبلَ من حديث رسول الله ﷺ إلا ما وافَقَ كتابَ الله بل وجَدْنا كتابَ الله يطلِقُ التأسِّي به والأمرَ بطاعته ويحذِّر المخالفةَ عن أمره جملة على كل حال.

وعن عِمران بن حُصَيْن أنه قال لرجل: إنَّك أحمقُ. أتجد في كتابِ الله الظُّهرَ أربعاً لا تَجْهَرُ فيها بالقراءة؟ ثم عدَّدَ عليه الصَّلاة والزَّكاة ونحو هذا، ثم قال: أتجد في كتاب الله مفسَّراً أنَّ كتاب الله أبْهَم هذا وأن السُّنَّة تفسر ذلك؟.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٩٠) هكذا مختصراً، ورواه مسلم رقم (١٢٩٧) وأبو داود رقم (١٩٧٠) والنسائي (٥/ ٢٧٠) (م).

وعن أيُّوب أنّ رجلاً قال لمُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير: لا تحدثُونا إلا بالقرآن. فقال له مُطَرِّفٌ: والله ما نريد بالقرآن بدلاً ولكن نريدُ من هو أعلم بالقرآن منا.

وروى الأَوْزاعي عن حسَّانَ بن عطيَّة قال: كان الوحي ينزلُ على رسول الله ﷺ ويحضُرُه جبريل بالسُّنَّة التي تفسر ذلك.

قال الأوزاعي: الكتابُ أحوجُ إلى السُّنَّة من السُّنَّة إلى الكتاب.

قال أبو عمر: يريد أنَّها تقضي عليه وتبيِّنُ المرادَ منه، وهذا نحو قولهم تركَ الكتابُ موضِعاً للسُّنَّة وتركتِ السُّنَّة موضعاً للرّأي.

وعن الأَوْزَاعي عن مَكْحُول قال: القرآنُ أحوج إلى السُّنَّة من السُّنَّة إلى الكتاب.

وعن الأوزاعي قالَ: قالَ يَحْيَى بن أبي كثير: السُّنَّة قاضيةٌ على الكتَابِ وليس الكتَابُ قاضياً على السُّنَّة.

وقال الفَضْلُ بنُ زيادٍ سمعتُ أبا عبد الله - يعني أحمدَ بنَ حنبل - وسئل عن الحديث الذي رُوِيَ: أنّ السُّنَّة قاضيةٌ على الكتاب فقال: ما أجسرُ على هذا أن أقولَه ولكنِّي أقولُ: إنّ السنة تفسِّرُ الكتابَ، وتُبَيِّنُه.

قال الفضل: وسمعت أحمدَ بنَ حَنْبلٍ يقولُ: لا تنسَخُ السنة شيئاً من القرآن. قال: لا ينسخُ القرآنَ إلاّ القرآنُ.

قال أبو عمر: قول الشافعي: إنَّ القرآنَ لا ينسَخُه إلا قرآنٌ مثله، لقوله - جلَّ وعزَّ -: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾[1]. وقوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾[2]. وعلى هذا جمهور أصحاب مالك إلا أبا الفرج فإنه أضَافَ إلى مالكٍ قولَ الكوفيين في ذلك أنّ السُّنَّة تنسخُ القرآن بدلالة قولِه لا وصيَّةً لوارثٍ، وقد بينا هذا المعنى في غير موضع من كتبُنا والحمد لله.

---

(١) سورة النحل: الآية (١٠١).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٠٦).

٢٥٠ - وعن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّها النَّاسُ كُتِبَ عليكُمُ الحَجُّ. فقيل: يا رسول الله أفي كلِّ عامٍ؟ قالَ: لاَ، ولو قلتُها لوَجَبَتْ، الحجُّ مرةً واحدةً فما زادَ فهو تطوُّع»(١).

قال أبو عمر: الآثار في بيانه لمجملات التنزيل قولاً وعملاً أكثرُ من أن تُحْصى وفيما لوّحنا به هدايةٌ وكفايةٌ، والحمد لله.

وكان أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار يقول: بلغَني وأنا أحدّثُ أنَّ نبيَّ الله ﷺ: نهىٰ عَنِ اختناث(٢) فم القِرْبة والشُّربِ منه. قال: فكنتُ أقولُ: إنَّ لِهَذا الحديثِ لشأناً، وما في الشُّرْب من فم القِرْبة؟ حتى يجيء فيه هذا النّهيُ فلمَّا قيل لي: إنّ رجلاً شرب من فَم قِرْبة؛ فوكعته(٣) حيَّة فمات وأن الحيات والأفاعي تدخل في أفواه القِرَب، علمتُ أنَّ كلَّ شيءٍ لا أعلمُ تأويلَهُ من الحديث، أنَّ له مذهباً وإنْ جهلتُه.

وعن سعيد بن المسَّيب عن ابن عبّاس قال سعدُ بن مُعَاذ: ثلاثٌ أنا فيهن رجلٌ كما ينبغي، وما سوى ذلك فأنا رجل من الناس؛ ما سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثاً قطُّ إلا علمتُ أنّه حقٌّ من الله، ولا كنتُ في صلاةٍ قطُّ فشغلتُ نفسي بغيرها حتى أقْضيها، ولا كنت في جَنازةٍ قطُّ فحدثت نفسي بغير ما تقول، ويقال لها، حتى انصرف عنها.

قال سعيد بن المسيَّب: هذه الخصال ما كنت أَحْسَبُها إلا في نبي.

* *

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٩٢/٢) (م).

(٢) اختناث فم القربة: ثني فيها إلى خارج. والحديث في «اللسان» (خنث).

(٣) وكعته: لدغته. «اللسان» (وكع).

بـــابٌ
في مَنْ تأَوَّل القُرآنَ أو تدبَّره وهو جاهلٌ بالسُّنَّة

قال أبو عمر: أهلُ البدع أجمعَ أضرَبُوا عن السُّنَن وتأَوَّلُوا الكتاب على غير ما بيَّنَتِ السُّنَّة فضَلُّوا وأضَلُّوا نعوذُ بالله من الخذلان، ونسأله التوفيق والعِصْمة برحمته، وقد روي عن النبي ﷺ التحذيرُ عن ذلك في غير ما أثر منها ما رويناه بسندنا.

٢٥١ ـ عن ابن لَهِيْعةَ عن أبي قَبيْلٍ، سمعت عُقْبة بن عامر الجُهني يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «هَلاَكُ أُمَّتي في الكتابِ واللبَن». فقيل يا رسول الله، وما الكِتَابُ واللَّبَنُ؟ قال: يتعلمون القرآنَ ويتأوّلُونه على غير ما أنزلَهُ اللَّهُ ويحبُّون اللَّبن ويَدَعُونَ الجماعاتِ والجَمَع وَيُبْدُون»(١).

٢٥٢ ـ وعن ليْثٍ عن أبي قَبيْل عن عُقْبة بن عامر أنّ النبي ﷺ قال: «أخوفُ ما أخافُ على أُمَّتي الكتابَ واللَّبَن فأمَّا اللبَن فينتجعُه أقوامٌ،لحبِّه ويَتْركون الجماعاتِ والجمعَ، وأمَّا الكتابَ فيُفتَحُ لأقوامٍ فيه فيجَادِلُون به الّذيْنَ آمنوا»(٢).

٢٥٣ ـ وعن أبي السَمْح قال: حدثنا أبو قَبِيل: أنه سمع عُقْبة بن عامر يقول: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أخوفَ ما أخَافُ على أمَّتي اثنتان القرآنُ واللَبن، فأمّا القرآنُ فيتعلَّمُهُ المنافقون ليجادِلُوا به المؤمنين، وأما اللَّبن فيتَّبعون الرِّيفَ يتَّبعونَ الشهواتِ ويتركونَ الصلواتِ»(٣).

٢٥٤ ـ وقال ﷺ: «أخوفُ ما أخافُ على أمّتي منافقٌ عليمُ اللّسان يجادلُ بالقرآن»(٤).

وعن أبي قلابة عن ابن مسعود قال: ستجدُون قوماً يدعونَكُم إلى كتاب الله

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٩٣) (م).
(٢) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٩٣) (م).
(٣) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٩٣) (م).
(٤) ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٩٣) (م).

وقد نبذُوْه وراءَ ظُهُورهم فعليكم بالعلم وإيَّاكم والتبدُّع وإيَّاكم والتنطُّع وعليكم بالعتيق.

وعن عمرو بن دينار قال: قال عمر: إنما أخافُ عليكم رجلين: رجلاً يتأوّلُ القرآنَ على غير تأويلِهِ، ورجلاً ينافس المُلْكَ على أخيه.

وعن رَجَاء بن حَيْوة عن رجلٍ قال: كنَّا جلوساً عند مُعَاوية فقال: إن أغرى الضَّلالة لَرجلٌ يقرأُ القرآنَ فلا يفقهُ فيه فيعلّمه الصبيَّ والعبدَ والمرأةَ والأمَةَ فيجادِلُون به أهلَ العلم.

(قف على قول ابن مهران) وعن ميمون بن مَهْران قال: إنَّ هذا القرآن قد أُخلق في صُدورِ كثيرٍ من النَّاسِ فالتَمِسُوا ما سِوَاه من الأَحَاديث، وإنَّ ممَّن يبتغي هذا العلم يتخذهُ بضاعةً ليلتمس به الدُّنيا ومنهم من يتعلمُه ليمارِيَ به، ومنهم من يتعلَّمُه ليشارَ إليه وخيرُهُم الّذي يتعلَّمُه فيطيعُ الله فيه.

قال أبو عمر: معنى قوله: إنَّ هذا القرآن قد أُخلق ـ والله أعلم ـ أيّ أخلقَ علمُ تَأْويله من تلاوته إلا بالأحاديث عن السَّلَف العالِمين به، ففي الأحاديث الصِّحاح عنهم يُوقَفُ على ذلك لا بما سوّلته النفوس وتنازعته الآراء كما صَنَع أهلُ الأهواء.

قال الحسنُ: عملٌ قليلٌ في سنَّةٍ خيرٌ من كثيرٍ في بِدْعة.

وعن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه أنَّ عُمَرَ بن الخطاب قال: ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاهُ إيمانهُ ولا من فاسق بيِّنٌ فسْقُه ولكن أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أزْلَقَهُ بلسانِهِ ثم تأوَّله على غير تأويله.

* *

بـــابُ

فَضْل السُّنَّة ومباينتها لسائر أقاويل علماء الأمة

عن علي بن الحكم عن الضحاك قال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾[1].

قال: أمرَهم أنْ يُطيعوه ويُشرّفوه ويَدْعوه باسم النبوَّة.

وقال ابن جُرَيج عن مجاهد: أمرَهم أن يَدْعوه في لين وتواضع[2] وذكر سُنَيْد[3] قال: حدثنا عبَّاد بنُ العوّام عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة قال: لما نزلت: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[4] قال أبو بكر: والّذي بعَثَك بالحقِّ لا أكلِّمك بعدَ هذا إلا كأخي السّرار.

قال أبو عمر: كلُّ ما كان في كتابي هذا وفي سائر كتبي من كتاب سُنَيْد فحدَّثْناه أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي قال: حدثنا إسماعيل بن محمد بن الضّراب قال: حدثنا عبد الملك بن بَحْر. قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الصّائع. قال: حدثنا سُنَيْد بن داود.

وعن صَفْوان بن مُحْرِز القارىء المازني[5] أنه سأل عبدَ الله بن عمرَ عن الصّلاة في السفر. فقال: ركعتان من خالفَ السُّنَّة كفر.

وقد بيّنا معنى قوله في هذا الحديث: «كفر» في كتاب «التمهيد» فأغنى عن إعادته هاهنا. وعن بُكير بن الأشج أن رجلاً قال للقاسم بن محمد: عجباً من عائشة كيف كانت تصلّي في السفر أربعاً، ورسول الله ﷺ كان يصلي ركعتين. فقال يا ابن

---

(١) سورة النور: الآية (٦٣).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٢/٣٢٢).

(٣) سُنَيْد بن داود المِصيصي المحتسب. مات سنة ٢٢٦ هـ. «التقريب» (٢٥٧).

(٤) سورة الحجرات: الآية (١).

(٥) «المأزري» في المختصر. والتصويب من «التقريب» (٢٧٧) وفيه: صفوان بن مجرز بن زياد المازني أو الباهلي ثقة عابد. مات سنة ١٧٤ هـ.

أخي: عليكَ بسنَّةِ رسول الله ﷺ حيث وجَدْتها فإنَّ من النَّاس من لا يُعَاب.

وعن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، أنّه سمعَ عمـرَ بنَ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول في علَّتِهِ التي توفي فيها: إن أستخلفْ فإنّ أبا بكرٍ استخلفَ، وإنْ لم أستخلفْ فإنّ رسولَ الله ﷺ لم يستخلفْ، وإنَّ الله سيحفَظُ دينَه. قال عبدُ الله فما هو إلا أنْ ذكرَ رسول الله ﷺ وأبا بكر فعلمتُ أنَّه لم يكن يعدِلُ برسول الله ﷺ أحداً، وأنَّه غيرُ مستخلف.

٢٥٥ ـ وعن عبد الله بن هُبَيرة السِّبائي قال: حدثنا بلال بن عبد الله بن عمر، أن أباه عبد الله بن عمر قال يوماً: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا النِّساءَ حظوظَهُنَّ من المساجد».

فقلت أنا: أمّا أنا فَسأَمْنَعُ أهلي، فمن شاء فليسرِّح أهله، فالتفت إليّ وقال: لعنك الله لعنك اللَّهُ لعنك اللَّهُ؛ تسمعني أقول: إن رسولَ الله ﷺ أمرَ أن لا يُمْنَعَنْ وقامَ مُغْضَباً.

وعن أيّوب قال: قال عُرْوة لابن عبَّاس: ألا تتّقي الله؟ ترخِّصُ في المُتْعة.

فقال ابنُ عباس: سل أمك يا عُرَيَّة. فقال عروة: أما أبو بكرٍ وعمرُ فلم يفعلا، فقال ابن عباس: والله ما أراكم منتهين حتى يعذِّبكُم اللَّهُ نحدِّثكم عن النبي ﷺ وتحدِّثُونا عن أبي بكر وعمر وذكر الحديث.

قال أبو عمر: يعني مُتْعَةَ الحجِّ وهو فسخ الحج في عمرة.

وعن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس قال: تمتَّع رسول الله ﷺ، فقال: عُرْوَةَ نهى أبو بكرٍ وعمرُ عن المتعة، فقال ابن عباس: ما تقولُ يا عُريَّة؟ قال: نقول نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال أراهُم سَيَهلِكُون، أقـول: قال رسـول الله ﷺ ويقولون: قال أبو بكر وعمر.

وقال أبو الدرداء من يعذُرني من مُعَاوية أحدِّثُه عن رسول الله ﷺ ويخبرني برأيه؛ لا أساكُنَكَ بأرضٍ أنتَ بها.

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قال عمر: إذا رميتم الجمْرةَ سبعَ حصياتٍ وذَبَحْتُم وحلَقْتُم فقد حلَّ لكم كل شيء إلا الطيِّب والنّساء.

قال سالم: وقالت عائشة: أنا طيّبتُ رسولَ الله ﷺ لحلِّه قبلَ أن يطوفَ بالبيت، قال سالم: فسُنَّةُ رسولِ الله ﷺ أحقُّ أن تُتَّبعَ.

وعن ابن جُرَيْج قال: أخبرني أبو الزُّبير أنّه سمعَ جابرَ بن عبد الله يقول: كان رسول الله ﷺ إذا خطبَ استندَ إلى جِذْع نخلةٍ من سَوَاري المسجدِ فلما صُنِعَ له المنبرُ واستوَى عليه، اضطربت تلكَ السَّارِيَةُ، وحنّتْ كحنين النّاقة، حتى سمِعَها أهلُ المسجد فنزلَ رسولُ الله ﷺ فأعْتَنَقها فسَكَتَت.

وعن الحسن قال: حَدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ أنّ رسولَ الله ﷺ كان يخطبُ مُسنِداً ظَهْره إلى خشبةٍ فلمَّا كَثُر النَّاس؛ قال: ابنوا لي مِنْبَراً. قال: فبَنَوْا له منبراً، والله ما كان إلا عتبتين فلمَّا تحوَّلَ رسول الله ﷺ من الخشبة إلى المِنْبر حَنَّتِ الخَشَبَةُ، قال أنس: سمعتُ والله الخَشَبة تحنُّ حنينَ الوَاله. قال: فما زالت تحنُّ حتى نزلَ رسولَ الله ﷺ فاحتَضَنَها. قال: فقال الحسن: يا عبادَ الله الخشبُ يحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه أفليس الرِّجَالُ الذين يرجون لقاءَ الله أحقَّ أنْ يشتاقوا إليه.

(قف على قول وهب) وروي عن وهب بن مُنَبِّه أنه قال: قرأتُ في سبعين كتاباً إن جميع ما أعطي الناس من بدء الدنيا إلى انقطاعها من العقل في جنب عقل محمد خاتمَ النبيِّين ﷺ كحبَّةِ رَمْلٍ وَقَعَتْ من جميع رَمْلِ الدُّنيا. وأجدُه مكتوباً أرجَحُهم عَقْلاً وأفضَلُهم رَأْياً، قالوا: ولم يبعثِ الله نبياً حتَّى يستكملَ من العقل ما يكون أفضلَ من عقل جميع أمته وعسى أن يكونَ في أمته من هو أشدُّ اجتهاداً ببدَنِهِ وجوارحه، ولَمَا يضمُّ النبي ﷺ في عقله ونيته وفكره أفضل من عبادة جميع المجتَهدين.

وعن أبي نَضْرة عن أبي سعيد قال: لما قبض رسول الله ﷺ أنكرْنا أنفسَنا وكيف لا ننكرُ أنفسَنا والله سبحانه يقول: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ فيكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ يُطيْعُكُم في كَثِيْرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّم**﴾[1].

(١) سورة الحجرات: الآية (٧).

وعن الحارث بن عبد الله بن أوس[1] قال: أتيت عمر بن الخطاب فسألته عن المرأة تطوفُ بالبيت، ثم تحيض؟.

فقال: ليكن آخرَ عهدها الطواف بالبيت.

قال الحارثُ فقلت: كذلك أفْتاني رسول الله ﷺ. فقال عمر: تبَّت يداكَ أو ثكلتْك أُمُّك سألتني عما سألتَ عنه رسول الله ﷺ كيما أخالفُه.

وعن منذرٍ عن الرَّبيع بن خُثَيْم[2] قال: كنَّا نقول: نعم المرءُ محمدٌ ﷺ كان ضالاًّ فهداه الله وعائلاً فأغناه الله وشرح الله صدره ويسّر له أمره ثم يقول: حرفٌ وما حرف ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[3] فوّض الله الأمر إليه فإنه لا يأمرُ إلا بخير ﷺ.

* *

بـــابُ
ذكرِ بعضِ من كان لا يُحدِّثُ عن رسولِ الله إلا وهو على وُضُوء

عن الأعمش عن ضرار بن مرة قال: كانوا يكرهون أن يحدِّثوا عن رسول الله ﷺ وهُمْ على غير وضوء.

قال إسحاق: فرأيت الأعمش إذا أراد أن يحدّث وهو على غير وضوء تيمَّمَ.

وعن مَعْمر، عن قتادة قال: لقد كان يستحب ألا يقرأ الأحاديثَ التي عن رسول الله ﷺ إلا على طُهُور.

وعن شعبة قال: كان قَتَادةُ لا يحدّثُ عن رسول الله ﷺ إلا وهو على طهارةٍ.

---

(١) الحارث بن أوس مختلف في صحبته، وذكره ابن حبّان في ثقات التابعين، وينسب إلى جده «التقريب» (١٤٥).

(٢) «خَيْثم» في المختصر.

(٣) سورة النساء: الآية (٨٠).

وعن مصعب بن عبد الله الزُّبيري قال: سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقول: كان جعفر بن محمد لا يحدِّثُ عن رسول الله ﷺ إلا وَهُوَ طاهرٌ.

وعن المفضَّل بن محمد الجندي قال: سمعت أبا مُصْعَب يقول: كان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا وهو على وضوءٍ إجلالاً لحديثِ رسول الله ﷺ.

وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: ذكر سعيد بن المسيّب حديثاً عن رسول الله ﷺ وهو مريض، فقال: أجلسوني فإني أكرَهُ أنْ أحدِّثَ حديث رسولِ الله ﷺ وأنا مُضْطجِعٌ.

* *

بـــابٌ
في إنكار أهلِ العلم ما يجدونه من الأهْوَاء والبِدَع

عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال: ما أعرفُ شيئاً ممّا أدركتُ عليه النَّاسَ إلا النّداء بالصَّلاة.

وعن عثمان بن أبي رَواد قال: سمعت الزهري يقول: دخلْنا على أنس بن مالك بدمشقَ وهو حدَه وهو يبكي. قلت: ما يبكيك؟ قال: لا أعرف شيئاً مما أدركتُ إلاّ هذا الصلاة وقد ضُيِّعَت.

وقال الحسن البصري: لو خرج عليكم أصحابُ رسول الله ﷺ ما عرفوا منكم إلا قِبْلَتَكُم.

وعن عثمان بن الوليد قال: قال لي عروة بن الزبير: ألم أخبر أن النَّاس يُضْربون إذا صَلَوْا على الجنائز في المسجد؟ قلت: نعم. قال: فوالله ما صُلّي على أبي بكر الصديق إلا في المسجد.

وعن مالك قال: قدمَ علينا ابنُ شهاب قَدّمَة يعني من الشام فقلتُ له: طلبتَ

العلمَ حتى إذا كنت وعاءً من أوعيته تركتَ المدينة ونزلت أَدَاماً. فقال: كنت أسكنُ المدينةَ والنَّاس ناسٌ، فلمَّا تغيَّر الناس تركتهم.

وعن أنس بن عيّاض قال: سمعتُ هشامَ بنَ عروةَ يقول: لمَّا اتَّخذ عروةُ بنُ الزبير قصرَه بالعَقيق قال له الناس: قد جفوتَ مسجدَ رسول الله ﷺ. فقال: إني رأيتُ مساجدكم لاهيةً وأسواقكم لاغيةً، والفاحشةُ في فجاجكم عالية، وكان فيما هنالك عمّا أنتم فيه عافية.

قال أبو الطّاهر أحمدُ بن عمرو، سمعت غير أنس بنِ عياض يقول: عوتب عروة في ذلك. فقال: وما بقي، إنما بقي شامتٌ بنكبة، أو حاسدٌ على نعمة.

وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يقول: يا بنيّ تعلَّمُوا الشِّعْرَ. قال: وربما قال الأبيات ينشِئُها من عنده ثم يعرضها علينا.

قال أبو عمر: له أشعار كثيرة حسان رحمه الله منها قوله:

صـارَ الأسـافـلُ بعـد الـذل أَسْنمـةً وصـارَتْ الـرُّوسُ بعـد العـزِّ أذنـابـا
لم تبـقَ مـأثـرةٌ يعتـدُّهـا رجـلٌ إلا الـتَّـكـاثُـرُ أوراقـا وإذْهـابـا

وعن المطلب بن عبد الله عن ابن أبي ربيعة أنه مرَّ بعروةَ بن الزبير وهو يبني قصره بالعقيق. فقال: أردت الهرب يا أبا عبد الله؟ قال: لا ولكنه ذكر لي أنه سيصيبها عذاب يعني المدينة، فقلت: إن أصابها شيء كنت متنحياً عنها.

وعن عبد الله بن وهب قال: حدثني مالك قال: أخبرني رجل أنه دخل على ربيعة بن عبد الرحمن فوجده يبكي. فقال له: ما يبكيك؟ وارتاح لبكائه فقال له: أمصيبة دخلت عليك؟ فقال: لا ولكن استفتي من لا علم له وظهر في الإسلام أمرٌ عظيم. قال ربيعة: ولَبَعْضُ من يُفتي هاهنا أحقُّ بالسجن من السُّرَّاق.

وعن أبي الدرداء قال: ما لي أرى علماءَكم يموتون وجهّالكم لا يتعلَّمون، لقد خشيتُ أن يَذْهَبَ الأَوَّلُ ولا يتعلَّمُ الآخِرُ، ولو أن العالم طلب العلم لازداد علماً، ولو أنَّ الجاهلَ طلبَ العلمَ لوجد العلم قائماً، ما لي أراكم شباعاً من الطعام، جياعاً من العلم.

وقال أبو حَزْم: صارَ النَّاسُ في زماننا يعيبُ الرَّجلُ من هو فوقه في العلم ليري الناس أنه ليس به حاجة إليه ولا يذاكر من هو مثله، ويزهى على من هو دونه، فذهب العلم، وهلك الناس.

وعن الدارَورْدي قال: إذا قال مالك: على هذا أدركتُ أهلَ العلم بِبلدنا أو الأمر المجتمع عليه عندنا، فإنَّه يريدُ ربيعةَ وابنَ هُرْمز.

* *

بــابُ
فَضْلِ النَّظَر في الكُتُبِ وحَمْد العناية بالدَّفاتر

[سئل أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. ما البلاذُرُ؟ قال: إدامة النظر في الكتب](1).

وعن أحمدَ بنَ عمران قال: كنت عند أبي أيُّوب أحمد بن محمد بن شُجَاع وقد تخلَّف في منزله فبعثَ غلاماً من غلمانه إلى أبي عبد الله بن الأعرابي(2) صاحب الغريب، يسأله المجيء إليه فعاد إليه الغلام. فقال: قد سألته ذلك، فقال لي: عندي قوم من الأعراب، فإذا قضيت أربي معهم أتيت. قال الغلام: وما رأيت عنده أحداً إلاّ أنّ بين يديه كتباً ينظر فيها فينظر في هذا مرة وفي هذا مرة. ثم ما شعرنا حتى جاء، فقال له أبو أيوب: يا أبا عبد الله سبحان الله العظيم تخلفت عنا وحرمتنا الأنس بك، ولقد قال لي الغلام: إنه ما رأى عندك أحداً. وقلت: أنا معَ قومٍ من الأعراب! فإذا قضيت أَرَبي مَعَهم أتيت. فقال ابن الأعرابي:

(1) ما بين الحاصرتين لم يرد في «جامع بيان العلم وفضله» وقد أضافه المُخْتَصِرُ إلى الكتاب. (م).
وفي الأصل «عبد الله بن محمد» والصواب ما في المختصر.
وهو ابن إبراهيم بن المغيرة الجُعْفي، أبو عبد الله البخاري، جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث، مات سنة ٢٥٦ هـ. «التقريب» (٤٦٨).

(2) محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي صاحب اللغة، كانت له مجالس، وكان ثعلب يحضرها ويأخذ عنه. مات سنة ٢٣١ هـ بسُرَّ مَنْ رَأى. «ابن خلكان» (٣٠٦/٤) و «الأعلام» (١٣١/٦).

لَنَـا جُلَسَـاءُ مـا نمـلُّ حـديثَهُم … أَلِبَّـاءُ مـأمـونُـونَ غيبـاً ومَشْهـدا
يُفيـدونَنَـا من علمِهم علمَ مـا مضى … وعَـقْـلاً وتـأديبـاً ورأيـاً مُسَـدّدا
بـلا فِتْنَـةٍ تُخْشى ولا سـوءَ عِشْـرة … ولا نتَّقي منـهم لسـانـاً ولا يَـدَا
فـإن قُـلْتَ أمـواتٌ فمـا أنتَ كـاذبٌ … وإنْ قـلتَ أحيـاءٌ فـلست مفـنّـدَا

وقيل لأبي العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب[1]: توحّشت من النَّاس جداً فلو تركت لزومَ البيت بعضَ الترك، وبرزت للناس كانوا ينتفعون بك، وينفعُك الله بهم، فمكثَ ساعةً ثم أنشأ يقول:

إنْ صحبْنَا الملوكَ تاهـوا علينا … واستخفـوا كبراً بحقِّ الجليسِ
أو صحبنا التجَّار صِرْنَا إلى البُؤْ … س وصِرْنا إلى عُدَّاد الفلوسِ
فلزمنـا البيـوت نستخـرجُ العـ … ـلمَ ونملأُ به بطُونَ الطُّروسِ

وأنشدني محمد بن هارون الدّمشقي لنفسه أو لغيره:

لمحبَـرةٌ تجـالسـني نهـاري … أحبُّ إليَّ من أُنْسِ الصَّـديق
ورُزمة كاغَـدٍ في البيت عندي … أحبُّ إليَّ من عِـدْلِ الـدَّقيق
ولَـطْمةٌ عـالمٍ في الخدِّ مني … ألـذُّ لديَّ من شـربِ الـرَّحيق

وقال محمد بن بشير في شعر له:

لله مـن جلسـاءَ لا جـليسـهُـم … ولا خـليـطُهـم لـلسُّـوء مـرتـقـبُ
ولا بـادراتِ الأذى يخشَى رفيـقُهُـمُ … ولا يـلاقيـه منـهـم منـطقٌ ذِرْبُ
أبقـوا لنـا حكمـاً تبقى منـافعُهـا … أخـرى اللّيالي على الأيـام وانشعبوا
إن شئتَ من محكم الآثـار يـرفعُهـا … إلـىٰ النَّبيِّ ثـقـاتٌ خِيـرةٌ نـجبُ
أو شئتَ من عَـرَبٍ عِلْمـا بـأوّلهم … في الجـاهلية تنبيني بهـا العـربُ
أو شئتَ من سِيَر الأملاك من عَجَمٍ … تُنْبي وتخبـرُ كيـف الـرأيُ والأدبُ
حتّى كـأنّي قـد شـاهـدتُ عصـرَهُمُ … وقـد مَضَتْ دونَهم من دهرنـا حِقَبُ
مـا مـات قـوم إذا أَبْقَـوا لنـا أدبـاً … وعـلـمُ دينٍ ولا بـانـوا ولا ذهبـوا

---

(١) هو علّامة الأدب وشيخ العربية. مات سنة (٢٩١). انظر «شذرات الذهب» (٣/٣٨٣).

وأنشدني أحمد بن محمد بن أحمد ـ رحمه الله ـ:

وألذُّ ما طَلَبَ الفتى بعد التُّقى ... علمٌ هناك يزينه طلبُهُ
ولكل طالبِ لذَّةٍ مُتَنَزَّهٌ ... وألذُّ نزهةِ عالمٍ كتُبُهُ

وسألني أن أزيدَ فيها فزدتُه بحضرته:

يُسَلِّي الكتابُ همومَ قارئِهِ ... ويبينُ عنه إن قري نصبه
نعمَ الجليسُ إذا خلوتُ به ... لا مكرهُ يُخْشَى ولا شَغَبُهُ

وقال بعضُ البَصْريين:

العلمُ آنسُ صاحبٍ ... أخلو به في وحدتي
فإذا اهتممت فسَلْوتي ... وإذا خلوتُ فلذَّتي

ويروى فإذا نشطت فلذتي.

وقال أبو عمرو بن العلاء: ما دخلت على رجل قطُّ ولا مررت ببابه فرأيتهُ ينظر في دفتر، وجليسه فارغ إلا حكمت عليه واعتقدت أنه أفضل منه عقلاً.

وكان عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز لا يجالس الناس، ونزل المقبرة. فكان لا يكاد يُرى إلا وفي يده دفتر، فسئل عن ذلك فقال: لم أر قطُّ أوعظَ من قبرٍ، ولا أمتعَ من دفترٍ، ولا أسلمَ من وَحْدةٍ.

وروي عن الحسن أنّه قال: لقد غَبَرَتْ لي أربعونَ عاماً ما قمت ولا نمت إلا والكتاب على صدري.

(قف على قول البخاري) وسئل أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري عن دواء للحفظ فقال: إدمانُ النَّظر في الكتب. وأنشدت لعبد الملك بن إدريس الوزير في قصيدة له مطولة:

واعلم بأنَّ العِلْمَ أرفعُ رتبةً ... وأجلُّ مكتسبٍ وأسنى مفخرِ
فاسلكْ سبيلَ المقتنينَ له تَسُدْ ... إنَّ السيادةَ تُقْتَنَى بالدفترِ
والعالمُ المدعوُّ حَبْراً إنَّما ... سماه باسم الحَبْر حَمْلُ المِحْبَرِ
وبضمَّرِ الأقلامِ يبلغُ أهلُها ... ما ليس يبلغُ بالجياد الضُّمَّرِ

وقد أكثرَ أهلُ العلم والأدب في جمع ما في هذا الباب من المنظوم والمنثور فرأيتُ الاقتصارَ من ذلك على القليل أولى من الإكثار وبالله التوفيق.

يقول مختصره أحمد بن عمر بن محمد غُنَيم المحمصاني الأزهري كان الفراغ من هذا المختصر صبيحةَ يوم الأربعاء تاسعَ عشرَ محرّم عام ألف وثلاثمئة وتسعةَ عشرَ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأسأله تعالى أن يجعل هذا المختصر خالصاً لوجهه ويهدي به.

إنه على ما يشاء قدير وصلى الله على سيدنا محمد والنبيين والهم وجميع الصالحين آمين[1].

* *

---

(١) كان الفراغ من مراجعة هذا الكتاب القيم في غرة شهر شعبان المعظم لعام ١٤١٢ هـ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

محمود الأرناؤوط

الفهارس

١ ـ فهرس الآيـات القـرآنية

٢ ـ فهرس الأحاديث

٣ ـ فهرس بأسماء الصحابة والتابعين

من الرجال والنساء

وبيان أرقام أحاديث كل منهم في الكتاب(*)

(القسم الأول)

أسماء الرجال

(*) رتبت الأسماء كما وردت في المتن، وأسقطنا «أبو» و«أم» و«ابن».

أسماء النساء

٤ ـ فهرس الأماكن والبلدان

٥ ـ فهرس الكتب الواردة في المتن

٦ ـ فهرس المصادر والمراجع

١ ـ شرح الأربعين للنَّووي، صنّفه محمود الأرناؤوط، راجعه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير دمشق ـ بيروت ـ ١٤٠٦ هـ.
٢ ـ أسباب النزول للواحدي.
٣ ـ الاستيعاب لابن عبد البر. تحقيق محمد علي البجاوي. ـ مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة.
٤ ـ أسد الغابة، لابن الأثير. تحقيق محمد إبراهيم البنا وأحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد. مطبعة الشعب. ـ القاهرة ـ ١٩٧٠.
٥ ـ الإصابة لابن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة. ـ مصر ـ ١٣٢٨ هـ.
٦ ـ الأعلام، للزركلي. دار العلم للملايين. ـ بيروت ـ (ط ٦) ١٩٨٤ م.
٧ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، مؤسسة جمال للطباعة، مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية. ـ بيروت ـ.
٨ ـ الأمالي لأبي علي القالي. لجنة إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة. ـ بيروت ـ ١٩٨٠ م.
٩ ـ الأمصار ذات الآثار، للذهبي، حققه محمود الأرناؤوط بإشراف الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، ـ دمشق ـ ١٤٠٥ هـ.
١٠ ـ إنباه الرواة على أنباء النحاة لجمال الدين القفطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الكتب ـ القاهرة ـ (ط ١)، ١٩٥٠ م.
١١ ـ البيان والتبيين للجاحظ.
١٢ ـ البيان المغرب.
١٣ ـ تاج العروس للزبيدي. تحقيق عبد الستار فراج وآخرون، التراث العربي للكويت (ط ١) ١٩٦٥ م.
١٤ ـ تاريخ الطبري لابن جرير. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر. ١٩٦٠ م.
١٥ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، حيدرآباد ـ الهند ـ ١٣٧٤ هـ.

١٦ ـ الترغيب والترهيب، بعناية مصطفى محمد عمارة، مكتبة محمد عيسى الحلبي ـ القاهرة ـ ١٣٨٨ هـ.
١٧ ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي. تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار إحياء التراث. ط ١٩٥٢،٢ هـ.
١٨ ـ تقريب التهذيب لابن حجر. تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد. ـ حلب ـ ١٤٠٦ هـ.
١٩ ـ التنبيه، للبكري.
٢٠ ـ تهذيب ابن عساكر لابن منظور، مجموعة من المحققين، دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤٠٤ هـ فما بعدها.
٢١ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر، دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٨ م.
٢٢ ـ جامع الأصول لابن الأثير، تحقيق: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط. مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان ـ دمشق ـ ١٣٩٤ هـ.
٢٣ ـ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، إدارة المطبعة المنيريّة.
٢٤ ـ الحث على حفظ العلم لأبي الفرج بن الجوزي. تحقيق مروان العطية، دار الهجرة ـ بيروت ـ (ط ١) ١٤٠٩ هـ.
٢٥ ـ خزانة الأدب للبغدادي. تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة ـ القاهرة ـ (ط ٢) ١٩٧٩ م.
٢٦ ـ الدرر المنتثرة للسيوطي. تحقيق محمود الأرناؤوط ومحمد بدر الدين قهوجي، مكتبة دار العروبة ـ الكويت ـ (ط ٢) ١٤١٠ هـ.
٢٧ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون اليعمري، طبع عباس بن عبد السلام بن شقرون ـ القاهرة ـ ١٣٥١ هـ.
٢٨ ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي. تحقيق عبد الكريم الدجيلي، شركة النشر والطباعة العراقية ـ بغداد ـ ط ١٩٥٤،١.
٢٩ ـ ديوان أبي تمام الطائي، بشرح التبريزي. تحقيق محمد عبد عزام، دار المعارف (ط٣).
٣٠ ـ ديوان أبي العتاهية (وأخبارُه). تحقيق د. شكري فيصل، دار الملاح، دمشق ١٩٦٤ م.
٣١ ـ ديوان أبي فراس. تحقيق د.
٣٢ ـ ديوان أمية بن أبي الصلت، صنعة د. عبد الحفيظ السطلي.
٣٣ ـ ديوان أبي نواس. أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب ـ بيروت ـ ١٩٨٢.

٣٤ ـ ديوان البحتري. حسن كامل الصيرفي، دار المعارف (ط٣).
٣٥ ـ ديوان الشافعي. تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية (ط٢) ١٩٨٥ م.
٣٦ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الأندلس (ط ٢) ١٩٨٣ م.
٣٧ ـ ديوان العباس بن الأحنف. شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي. دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٤ م.
٣٨ ـ ديوان عبد الله بن قيس الرقيات. تحقيق د. محمد يوسف نجم، دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٥٨ م.
٣٩ ـ ديوان علي بن أبي طالب.
٤٠ ـ ديوان الفرزدق.
٤١ ـ ديوان كثير عزة. جمع وشرح د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧١ م.
٤٢ ـ ديوان لبيد بن ربيعة.
٤٣ ـ ديوان ميمون بن قيس الأعشى، تحقيق محمد محمد حسنين، مؤسسة الرسالة (ط ٧) ١٩٨٢ م.
٤٤ ـ الروض الباسم.
٤٥ ـ سنن الترمذي (الجامع الصحيح). تحقيق أحمد محمد شاكر. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ.
٤٦ ـ سنن النسائي شرح السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى.
٤٧ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ (ط ١) ١٩٨١ م وما بعدها.
٤٨ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، بإشراف الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، طبع دار ابن كثير بدمشق.
٤٩ ـ شرح نهج البلاغة لمحمد عبده.
٥٠ ـ شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي لعبد العزيز الزير، كلية اللغة العربية بالرياض ١٩٧٢ م.
٥١ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة. تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف ـ القاهرة ـ (ط ١) ١٩٦٦ م.
٥٢ ـ شعر الفقهاء لحسني ناعسة، المكتبة العربية بحلب (ط ١) ١٩٧٩ م.

٥٣ ـ الشعر المنسوب إلى الإمام علي، جمع وشرح عبد العزيز سيد الأهل.
٥٤ ـ صحيح البخاري. تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ (ط ١).
٥٥ ـ صحيح مسلم. تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ـ بيروت ـ.
٥٦ ـ طبقات ابن سعد (الكبرى). دار صادر ودار بيروت، ـ بيروت ـ ١٩٥٨ م.
٥٧ ـ طبقات فحول الشعراء لابن سلام. تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ـ القاهرة ـ.
٥٨ ـ طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي. تحقيق د. إحسان عباس. ـ بيروت ـ ١٩٧٠ م.
٥٩ ـ الفهرست لابن النديم. المكتبة التجارية الكبرىٰ ـ بمصر ـ ١٣٤٨ هـ.
٦٠ ـ فوات الوفيات لابن الكتبي. تحقيق د. إحسان عباس، دار صار ـ بيروت ـ ١٩٧٣ م.
٦١ ـ القاموس المحيط للفيروزأبادي، دار مكتبة التربية ـ بيروت ـ مصورة عن مصطفى البابي الحلبي بمصر.
٦٢ ـ الكامل للمبرد. تحقيق د. محمد الدالي.
٦٣ ـ كنز العمال للمتقي الهندي.
٦٤ ـ لسان العرب لابن منظور المصري الإفريقي. دار صادر، ـ بيروت ـ ١٩٥٥ م.
٦٥ ـ المؤتلف والمختلف.
٦٦ ـ المبسوط في القراءات لأبي بكر الأصبهاني، تحقيق سبيع حمزة الحاكمي، مجمع اللغة العربية بدمشق (ط ١) ١٩٨٦ م.
٦٧ ـ مجلة مجمع اللغة العربية (م ٤٤ ص ١٩) مقال لعبد الله بن كنون.
٦٨ ـ مجمع الأمثال للميداني. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. دار النصر.
٦٩ ـ مجمع الزوائد للهيثمي. مصورة مكتبة القدسي، القاهرة.
٧٠ ـ مسند الإمام أحمد، مصورة المكتب الإسلامي ودار صادر، ـ بيروت ـ ١٣٨٩ هـ.
٧١ ـ معجم البلدان لياقوت، دار صادر ودار بيروت، ـ بيروت ـ ١٩٨٤ م.
٧٢ ـ معجم الشعراء للمرزباني. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ (ط ٢) ١٩٨٢ م.
٧٣ ـ المعجم الكبير للطبراني، تحقيق الشيخ حمدي السلفي، مصورة دار التوعية الإسلامية.

٧٤ ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة مطبعة الترقي ـ دمشق ـ (ط ١) ١٩٥٨ م.
٧٥ ـ المقاصد الحسنة للسخاوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٩ هـ.
٧٦ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري. تحقيق د. السامرائي، مكتبة الأندلس ١٩٧٠ م.
٧٧ ـ نموذج من الأعمال الخيرية لمحمد منير الدمشقي.
٧٨ ـ الوسيط في تراجم شنقيط.
٧٩ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان. تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٦٨.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

* * *